مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم
معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سعد بن عبد الله بن غنيم الحقباني وجعله وقفاً لوالديه
بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الرابع

سورة آل عمران

مجموع
تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

طبع على نفقة الفقير إلى الله
سَعْد بن عبد الله بن غنيّم الحقباني وجعَلَهُ وَقْفًا لوالدَيْه

ح مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية، ١٤٤٦هـ
عبد العزيز بن عبدالله بن عبد الرحمن بن باز،
مجموع تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز لسور وآيات من
القرآن الكريم وتعليقاته على بعض كتب التفسير. / عبد العزيز بن
عبدالله بن عبد الرحمن بن باز؛ صلاح الدين عثمان أحمد - ط١.
الرياض، ١٤٤٦هـ
١٤ مج.

رقم الإيداع: ١٤٤٦/٧٩٧٥
ردمك: ٠-٤٨ - ٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
ردمك: ٧-٥٢-٨٣٩٧-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٤)

الطبعة الأولى
١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٥م

مجموع

تفسير سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

لسور وآيات من القرآن الكريم
وتعليقاته على بعض كتب التفسير

مراجعة وتقديم
معالي الشيخ
محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

فضيلة الشيخ
أ.د. علي بن عبد العزيز الشبل
المدرس بالمسجد الحرام

جمعه واعتنى به وخرج أحاديثه
صلاح الدين بن عثمان أحمد
أمين مكتبة سماحته

بإشراف مؤسسة الشيخ عبد العزيز بن باز الخيرية

المجلد الرابع

سورة آل عمران

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة آل عمران(١)

هي مدنية؛ لأن صدرها إلى ثلاث وثمانين آية منها نزلت في وفد نجران، وكان قدومهم في سنة تسع من الهجرة، كما سيأتي بيان ذلك، إن شاء الله تعالى عند تفسير آية المباهلة منها، وقد ذكرنا ما ورد في فضلها مع سورة البقرة في أول تفسير سورة البقرة.

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ۝٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾ [آل عمران: ١ ـ ٧].

في هذه الآيات الكريمات توجيه للعباد وإخبار لهم بصحة ما أنزله سبحانه على أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، وأنه أنزل التوراة والإنجيل، وأنزل القرآن بالحق ﷻ.

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ١٥٣).

يقول تعالى: ﴿الٓمٓ﴾ هذه حروف مقطعة مثل ما تقدم في سورة البقرة.

قال أهل العلم فيها: الله أعلم بمعناها سبحانه وتعالى، فهي حروف افتتح بها سبحانه بعض السور لحكمة بالغة، قيل: ليعلم الناس أن هذا الكلام العظيم الذي أنزله على الرسل هو من هذه الحروف، ففي ذلك عبرة جمع الله بها خيرًا كثيرًا، وأنزل علمًا عظيمًا. وقيل: إن الله جل جلاله بدأ بها لحكمة بالغة لا نعلمها، هو سبحانه أعلم وأحكم بها.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ وهذه الكلمة العظيمة هي أصل الدين وأساس الملَّة، فـ«**لا إله إلا الله**» هي أصل الإسلام الذي جاءت به الرسل؛ فالرسل بُعثوا كلهم بهذه الكلمة، وهي أساس دين الاسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ **فهو انقيادٌ لله وتوحيد وإخلاص له، وهذا هو معنى «لا إله إلا الله»**؛ أي: لا معبود بحق سواه جل وعلا، فهو المعبود بالحق وما سواه معبود بالباطل، كما قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]، فبهذا يُعلم أن ما عليه عُبَّاد غير الله كله باطل، سواء كانوا عبدوا بشرًا أو جنًّا أو ملائكةً أو غير ذلك.

﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ اسمان عظيمان يجمعان صفات الكمال، فالحياة والقَيُّوميَّة بها صفات الكمال، والحيُّ من له صفات الحياة مِن سمعٍ وبصرٍ وقيام بنفسه إلى غير ذلك؛ فالله تعالى له الكمال في صفاته وأسمائه جل وعلا؛ فهو حيٌّ لا يعتريه نوم ولا نعاس ولا موت ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَيِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وفي الآية الأخرى: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهو كامل الحياة سبحانه، لا يعتريه في هذه الحياة موت ولا نعاس ولا نوم، ولا غير ذلك من النقص، فله الكمال المطلق من كل الوجوه.

وله الكمال المطلق في القيومية، فهو قائم بنفسه غنيٌّ عن خلقه ﷻ، وجميع العباد كلهم محتاجون إليه ﷻ، بإذنه قامت السموات والأرض: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١] فهو المقيم لغيره وقائم بنفسه ﷻ.

وبيَّن أنه أنزل الكتاب على محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأنه مصدِّق لما بين يديه من التوراة والإنجيل، وأنه أنزل التوراة والإنجيل من قبلُ هدًى للناس، وأنه أنزل الفرقان الذي هو الحق، وهو الفرق بين الحق والباطل، فهذه كتب أنزلها الله ﷻ لبيان الحق وهدي الناس إلى الخير والسعادة، فالتوراة مُنزلة على موسى وهي كتاب عظيم فيه أحكام ومواعظ وذكرى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ [المائدة: ٤٤]، وهكذا الإنجيل فيه هدى ونور وفيه مواعظ وأحكام؛ فهما كتابان عظيمان: التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى ـ عليهما الصلاة والسلام ـ، وهناك الزبور على داود ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهناك كتب أخرى أنزلها الله على الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، فيها الشرائع، وفيها الأحكام، وفيها العظات والذكرى؛ لكن أعظمها وأكبرها شأنًا القرآن العظيم المنزَّل؛ على محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ثم التوراة، ثم الإنجيل، ثم الزبور، فهذه الكتب الأربعة نوَّه إليها ﷻ لِعِظَم شأنها، وبيَّن في الآيات الأخرى أنه أنزل على الرسل كتبًا أخرى؛ أي: على الجميع ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فالله أنزل معهم الكتب، وأنزل معهم العدل بين الناس، والحكم بينهم بما فيه العدل والنجاة والسعادة في الدنيا والآخرة.

ثم بيَّن بعد ذلك أنه يُصَوِّر العباد في الأرحام؛ ليُبين بذلك أن عيسى عليه السلام عبدٌ من عباد الله، مصوَّر في الأرحام، فهذه السورة نزلت في

كُفر النصارى والرَّدِّ عليهم في تأليههم عيسى عليه الصلاة والسلام، وقد كان مخلوقًا مُصوَّرًا في رحم أنثى، فكيف يكون إلٰهًا؟! تعالى الله عمَّا يقول الظالمون عُلوًّا كبيرًا.

وبيَّن سبحانه وتعالى أن المُنَزَّل على محمد ﷺ من الكتاب فيه آيات مُحْكَمات، وفيه أُخرُ متشابهات، فالمحكمات فيها الأصول الواضحة البيِّنة التي أوضح الله معناها للناس، وجعلها عُمدةً في بيان الأحكام والرجوع إليها عند النزاع، وهناك آيات قد يشتبه معناها ويخفى، فيجب أن تردَّ إلى المُحْكَم وأن تفسر بما يقتضيه المُحْكَم، فبيَّن سبحانه وتعالى أن أهل الزيغ يتَّبعون ما تشابه منه ولم يتضح، ويتركون المحكم الواضح؛ لِما في قلوبهم من الزَّيغ، والعياذ بالله. ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**فإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»(١) فسمَّاهم أهل الزيغ، فاحذروهم لئلا يضلُّوكم عن الحق.

فالمحكمات أحسن ما قيل في معناها: أنها الآيات الواضحات المعنى التي ليس فيها اشتباه ولا خفاء، ومن ذلك مُعظم القرآن؛ فكلُّه مُحْكَمٌ واضحٌ، قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١] فهي مُتقنةٌ مُوضحةٌ مُبينةٌ ليس فيها خفاء، وفيها آيات الصلوات، وآيات الزكوات، وآيات الصوم، وآيات المُحرَّمات: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ﴾ [النساء: ٢٣] إلى آخره، فهي بحمد الله من أوضح الأشياء.

(١) متفق عليه، من حديث عائشة رضي الله عنها، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن برقم (٢٦٦٥).

ومن هذه المُحْكمات آيات التوحيد، وآيات الرسالة، وآيات الأسماء والصفات، خلافًا لمن قال: إنها من المشتبهات؛ بل إنها محكمات؛ لأن الله أوضح معناها فليس فيها شبهة، وليس فيها ما يدل على مشابهة المخلوقين؛ لأنه أوضح أسماءه وصفاته ﷻ؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] فما بقي اشتباه؛ فهي آيات واضحات فيها أسماء وفيها صفات، بيَّنها ربُّنا ﷻ فليس فيها صفات المخلوقين؛ وليس هناك بعد هذا بيان؛ فليس لأحد أن يقول بعد ذلك: إن هذه مشتبهة، ومن قال مثل ذلك فقد غلط وخالف في التفسير.

فآيات الصفات كلها مُحْكمات؛ ولكن بالنسبة إلى بعض الناس قد تشتبه عليه لقلَّة معلوماته وقلة بصيرته، وإلا فهي مُحكمةٌ واضحةٌ عند الراسخين في العلم وأهل الإيمان، وليس فيها خلاف.

كما أن الآيات التي فيها الأحكام مفصَّلة محكمة؛ أما ما قد يُشتبه معناه أو يخفى بالنسبة إلى بعض الناس فهذه يجب أن تُردَّ إلى المُحكم وأن تفسَّر بالمحكم مثل قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢] زعم بعض الناس أنها تدلُّ على عبادة الأولياء، وصرف العبادة لهم واعتقاد ما لا يجوز إلا لله ﷻ، وهذا من أقبح الاعتقاد، ومن أقبح التفسير؛ فهي عند من تعمَّد ونظر في آيات الله يجد أنه ليس فيها اشتباه أو خفاء، وإنما يجد أن معناها واضح؛ وهو الثناء على أولياء الله، وأنه لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، وأنهم أهل الإيمان والتقوى، فأيُّ اشتباهٍ في هذا؟! لكن إذا حَمَّلها ضعيف الإيمان أو زائغ القلب أو الجاهل ما لا تحتمل، فهذا النقص فيه إنما يُردُّ إليه وكذا التقصير فيه إنما يُردُّ إليه، لا إلى الآية؛ فالآية لِمَن تأمَّل وتَعقَّل واضحة؛ فهي ثناء على الله، وعلى الأولياء،

وإخبارٌ عنهم بأنهم لا خوف عليهم ولا حزن، وأنهم أهل الإيمان والتقوى فأيُّ شيء في هذا يدعو لأن يُعبَدوا من دون الله؟ أو يعتقد فيهم أنهم يعلمون الغيب، أو يتصرَّفون في الكون، أو تُصرف لهم العبادة؟! فهذا تحميل للآية غير ما تحتمل؛ بل هو غلط واضح وظلم في التفسير وباطل من القول.

كذلك حين يخبرُ الله عن نفسه بـ«**إنّا**» و«**نحن**» و«**أنزلنا**» ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] إلى غير ذلك، ليس في هذا شبهة للنصارى القائلين بالتثليث؛ فإن الله ﷻ هو العظيم الذي لا أعظم منه، ومن عادة العرب أن تأتي بحرف الجماعة للجماعة وللعظيم، فالعظيم يقول: نحن، وفعلنا، وأنزلنا، وأمرنا، والجماعة يقولون ذلك، وهل هناك أحد أعظم من الله ﷻ؟ فهو أعظم الأعظمين ﷻ، وهو مستحق لهذا التعظيم؛ فإذا قال: «**نحن**» و«**أنزلنا**» فليس المراد أن معه شُركاء ﷻ، حاشا وكلا، فكيف يُترك المُحكم الواضح ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾ [طه: ٩٨]، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى غير ذلك ثم يقال: إن قوله: «**أنزلنا**» و«**بينا**» يدل على أن معه عيسى ومريم؟! هذا من أقبح القبيح، ومن أبطل الباطل، وهكذا مِمّا أحدث أهل الزيغ والريب، فهم يأخذون بالمشتبهات ويفسِّرون على ما أرادوا ويدَعون المُحكمات لمرض في قلوبهم وزيغ؛ ولهذا ذمَّهم الله ورسوله وعابهم وأخبر أنهم أهل الزيغ.

فينبغي عليك يا عبدَ الله أن تكون على بيِّنة، وأن تُعنى بالآيات المحكمات، وأن تفسر بها ما اشتبه عليك، فإذا خفي عليك آية في المعنى فرُدَّها إلى الآيات الأخرى الواضحات؛ حتى لا يبقى اشتباه ويتضح الأمر؛ أما أن تأخذها وحدها على خفاء معناها بالنسبة إليك،

وتدع تأويلها بالآيات المحكمات، فهذا من الزيغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والله أعلم.

فإذا أخذنا بعض الآيات من أولها ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وما أشبه ذلك فإنه يتبين لنا بأنها ليست متشابهة.

وأما ما جاء في بعض أوائل السور مثل: ﴿الٓمٓ﴾ ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿نٓ﴾ ﴿صٓ﴾ ﴿قٓ﴾، فهذا عند الجمع من أهل العلم حروف أنزلها الله لحكمة بالغة، إذا اشتبه علينا معناها بشيء يخالف القرآن.

❋

❑ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ۝٤﴾ **[آل عمران: ١ ـ ٤]**[(١)].

وقد ذكرنا الحديث الوارد في أن اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، و﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ عند تفسير آية الكرسي، وتقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١﴾ في أول سورة البقرة، بما أغنى عن إعادته، وتقدم أيضًا الكلام على قوله: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢﴾ في تفسير آية الكرسي.

وقوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾؛ يعني: نزل عليك القرآن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فجر يوم الأحد، الأحد ١٠ ـ ٨ ـ ١٤١١هـ.

يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: لا شك فيه ولا ريب؛ بل هو منزل من عند الله ﷻ أنزله بعلمه والملائكة يشهدون، وكفى بالله شهيدًا.

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾؛ أي: من الكتب المنزلة قبله من السماء على عباد الله الأنبياء، فهي تصدِّقه بما أخبرت به وبشَّرت في قديم الزمان، وهو يصدِّقها؛ لأنه طابق ما أخبرت به وبشَّرت، من الوعد من الله بإرسال محمد ﷺ، وإنزال القرآن العظيم عليه.

وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾؛ أي: على موسى بن عمران عليه السلام ﴿وَٱلْإِنجِيلَ ۝٣﴾؛ أي: على عيسى ابن مريم.

﴿مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هذا القرآن. ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾؛ أي: في زمانهما ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ وهو الفارق بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والغي والرشاد، بما يذكره الله تعالى من الحجج والبينات، والدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا الفرقان عام.. ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ عام، في جميع كتبه سبحانه وتعالى وعلى جميع رسله؛ لأن الله أرسلهم بالفرقان الذي يفرق بين الحق والباطل: التوراة والإنجيل والزبور، وجميع الكتب المنزلة من السماء، وهكذا خاتمها القرآن العظيم كلها فيها الفرقان؛ يعني: التمييز بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والغي والرشاد، فمن استقام عليها وفهمها؛ عرف هذا الفرقان وصار من أهله، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩]، فمن اتقى الله واستقام على أمره، وتفقه في دينه؛ أعطاه الله الفرقان الذي يميز به بين الحق والباطل، والغي والرشاد، فجدير بأهل الإيمان وبأهل العلم أن يعنوا بكتاب الله تدبرًا وتعقلًا وفهمًا وحفظًا، حتى يحصلوا على هذا الفرقان العظيم الذي به هدايتهم وفيه إخراجهم من الظلمات إلى النور، وفيه تبصيرهم لما

يرضي الله ويقرِّب لديه من الحق وما يغضبه من الباطل، وهذا الكتاب العظيم أشرف كتاب وأصدق كتاب، وهو المهيمن على ما قبله من الكتب؛ فينبغي لكل مؤمن، لكل طالب علم، لكل من أعطاه الله علمًا أن يعنى بما دل عليه الكتاب العظيم من الفرقان، ففيه الهدى والنور، وفيه الدلالة على كل خير، والتحذير من كل شر، ولكن بحسب إقبال العبد على هذا الكتاب العظيم وتدبره والعناية بأسباب الفهم والأخذ بأسباب الفهم، مع العناية بالتقوى والاستقامة، على حسب هذه الأمور يزداد علمًا بالفرقان كلما زاد أخذه بوسائل العلم وتأدبه بالآداب الشرعية وتقواه.

● **س: حفظ كتاب الله يلزم طالب العلم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا، ليس بلازم، مستحب، حفظ الكتاب مستحب، ذكر بعضهم أنه فرض كفاية، لكن على الأفراد لا، لكن يستحب حفظه، أما ما يلزمه منه الفاتحة فقط، هي التي تلتزم؛ لأنها ركن الصلاة، ويتأكد حفظ ما تيسر معها حتى يقرأ به مع الفاتحة.

مداخلة: المقصود في الآية ﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ هو القرآن الكريم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

عام الفرقان كله، القرآن وغير القرآن، من الكتب كلها فرقان.

مداخلة: ما يخصَّص بالقرآن؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ليس بخاص بالقرآن، لا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

﴿وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ وهو الفارق بين الهدى والضلال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهو يسمى فرقان لكن ليس هو بخاص به، التوراة فيها فرقان، والإنجيل والزبور وكتب الأنبياء كلها فيها فرقان.

مداخلة: لكن في هذه الآية أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يقول ﷻ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفرقان: ١]، سمَّى القرآن (فرقان)، على عبده.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وهو الفارق بين الهدى والضلال، والحق والباطل، والغي والرشاد، بما يذكره الله تعالى من الحجج والبيِّنات والدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات، ويبيِّنه ويوضحه ويفسره ويقرره ويُرشد إليه وينبه عليه من ذلك.

وقال قتادة والربيع بن أنس: الفرقان هاهنا القرآن. واختار ابن جرير أنه مصدر هاهنا؛ لتقدم ذكر القرآن في قوله: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ وهو القرآن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا أظهر؛ لأن ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ هذا هو القرآن، وأما الفرقان فهو عام، يعم القرآن وجميع الكتب وما جاءت به السُّنَّة أيضًا لأنه فرقان أيضًا، كل ما أنزله الله من إيضاح الحق فهو فرقان، الفرقان وصف أعم يطلق على القرآن ويطلق على التوراة ويطلق على غيرها من كتب الله ويطلق على العموم، كل ما جاءت به الأدلة من الكتاب والسُّنَّة فهو يسمَّى فرقان؛ ولهذا قال: ﴿إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].. ومن هذا قوله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

وأما ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي صالح أن المراد هاهنا بالفرقان: التوراة فضعيف أيضًا؛ لتقدم ذكرها، والله أعلم

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: جحدوا بها وأنكروها، وردّوها بالباطل ﴿لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٞ﴾؛ أي: منيع الجناب عظيم السلطان ﴿ذُو ٱنتِقَامٍ ٤﴾؛ أي: ممن كذب بآياته وخالف رسله الكرام، وأنبياءه العظام.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران: ٥، ٦][(١)].

يخبر تعالى أنه يعلم غيب السماوات والأرض، ولا يخفى عليه شيء من ذلك.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾؛ أي: يخلقكم كما يشاء في الأرحام من ذكر وأنثى، وحسن وقبيح، وشقي وسعيد ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾؛ أي: هو الذي خلق، وهو المستحق للإلٰهية وحده لا شريك له، وله العزة التي لا ترام، والحكمة والإحكام.

وهذه الآية فيها تعريض بل تصريح بأن عيسى ابن مريم عبد مخلوق، كما خلق الله سائر البشر؛ لأن الله تعالى صوَّره في الرحم وخلقه، كما يشاء، فكيف يكون إلٰهًا كما زعمته النصارى عليهم لعائن الله ـ وقد تقلب في الأحشاء، وتنقَّل من حال إلى حال، كما قال تعالى:

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ [الزمر: ٦].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مما يوضح للنصارى بطلان ما هم عليه لمن عقِل؛ لأن الآيات التي مثل ما تقدمت في أول السورة إلى ثلاثة وثمانين كلها نزلت في شأن النصارى.. في شأن عيسى، فالذي صوِّر في الأرحام وخرج ضعيفًا كغيره من بني آدم لا يكون إلـهًا ولا ربًّا ولا معبودًا لو عقل النصارى، ولكنهم لا يعقلون، فهو سبحانه لا يخفى عليه شيء لا في الأرض ولا في السماء، عالم بكل شيء، وهو القادر على كل شيء ورب كل شيء، وهو المصور للعباد في الأرحام، فهو المستحق لأن يُعبد وأن يعظَّم، ويتضح بذلك لكل ذي عقل أن غيره لا يصلح للعبادة، لا من الجن ولا من الإنس، فإذا كان الأنبياء وهم أفضل الخلق لا يصلحون للعبادة فغيرهم من باب أولى؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا لما ذكر السماوات قال: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وهنا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٥﴾﴾، هذا يوجب للمؤمن الاطمئنان والثبات، وأن كل ما أصابه فهو عن علم من الله، ولم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيحصل له بذلك الطمأنينة والثقة بالله والتوكل عليه، وسؤاله من فضله ما ينفعه، وأن يدفع عنه ما يضره؛ ولهذ قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾، ثم قال: ﴿لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فإذا علم أن الأمور مقدرة سبق بها علم الله وكتابته؛ لم يأس.. يحزن على ما أصابه، ولم يفرح بما آتاه فرح المتكبرين، أو البطِرين؛ بل يفرح بفضل الله أن الله أنعم إليه وأحسن إليه فرح الشاكرين، فرح العباد

المطمئنين إليه المعترفين بفضله وجوده وإحسانه، لا فرح البطرين المتكبرين كما قال في حق فرعون: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، يعني: أصحاب البطر والتكبر، أما الفرحين بفضله ورحمته وإحسانه فهم مأمورون بذلك، ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

والمقصود: أنه سبحانه يحث عباده على التدبر لهذا الكتاب، وما فيه من العلم والهدى؛ حتى يعبدوه على بصيرة، وحتى يطمئنوا إليه ويتوكلوا عليه، وحتى يأخذوا بأسباب النجاة ويبتعدوا عن أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، فمن أعرض أو غفل فاتته أسباب السعادة والربح، ووقع في أسباب الهلاك والدمار والخيبة من حيث لا يشعر..

* *

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران: ٧][1].

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ التُّسْتَرِيُّ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، عَنِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: «تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ**»[2].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن.. برقم (٢٦٦٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر، واجبٌ هو، ردّ المشتبه إلى المحكم إذا أشكل من القرآن شيءٌ يردّ إلى الآيات المحكمات الواضحات، والمحكم هو الواضح، والمتشابه هو الّذي يخفى معناه.

فالواجب تفسير ما اشتبه عليك من كتاب الله بما أوضحه الله، وبما بيّنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في المواضع الأخرى، وهكذا السّنّة؛ فالقرآن يفسّر بعضه بعضًا، والسّنّة تفسر بعضها بعضًا.

● **س: يا شيخ سلّمك الله: من قال: إن الآيات المتشابهات لا يعلمهن أحدٌ إلّا الله** سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ **قوله صحيحٌ، ولّا يعلمها بعض أهل العلم أو الرّاسخون في العلم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا يختلف على كلّ حالٍ، الرّاسخون يعلمون ما لا يعلمه غيرهم، لكن الواجب على الجميع إذا أشكل شيءٌ أن يردّه إلى المحكم ويكل علمه إلى الله سبحانه جَلَّ وَعَلَا، ولا يفسّر ما اشتبه عليه مما يخالف المحكم، فالمحكم هي الأسس المحكمات الواضحات، فما اشتبه عليه وجب ردّه إليها، وما اشتبه عليه ولم يتضح ردّه إلى المحكم؛ فأمره إلى الله حتّى يتبين؛ فالله هو الّذي يعلم كلّ شيء سبحانه ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧]؛ يعني: حقيقته ومنتهاه وعاقبته كلّه إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

والمراد بالتّأويل: العواقب والنّهايات، وأمّا الأحكام الّتي شرعها لعباده فقد علمها عباده؛ فما اشتبه عليهم في موضعٍ فسَّره في موضعٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأوضحه في موضعٍ آخر، أو جاءت في السّنّة.

أمّا الحقائق والأشياء الّتي تكون في الخارج وتكون في الجنّة فهذه إلى الله جَلَّ وَعَلَا، هو الّذي يعلمها إلّا ما بيّنه لعباده وشرحه لهم جَلَّ وَعَلَا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا

﴿بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأعراف: ٥٣] فهو سبحانه الّذي يعلم ما اشتبه على عباده وما خفي عليهم، وما أخفاه عنهم سبحانه وتعالى.

• س: الصّحيح في الوقف ـ عفا الله عنك ـ على قوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم هذا أحسن، ومن درج فالمراد به التّفسير قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ المراد به التّفسير؛ يعني: ومن وقف على ﴿تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾؛ يعني: الحقائق والنّهايات الّتي لم يطلع عليها العباد، لم يطلع عليها العباد، وهي الحقائق الخارجية كما أخبر عن الجنّة وحورها ونعيمها، وتفاصيل ذلك إليه سبحانه وتعالى، وهكذا أخبار يوم القيامة وما يكون فيها أخبرنا عنها، وتفاصيلها إليه سبحانه وتعالى.

• س: الإرادة الجازمة بالفعل السيّئ وبذل الأسباب؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الإرادة، الإنسان له ثلاث حالاتٍ، مثل ما قال ﷺ: «**إِذَا التَقَى المُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالقَاتِلُ وَالمَقْتُولُ فِي النَّار**»، قيل: يا رسول الله، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَى قَتْلِ صَاحِبِهِ**»[1].

فالإنسان إذا أراد المعصية وفعل يأثم على فعله، أمّا إذا أراد ولم يفعل، همّ بالسّيّئة، همّ بها ولم يفعل مثل ما قال، همّ ثمّ تركها كتبها الله له حسنة؛ فإن تركها من غير نيةٍ فلا له ولا عليه.

فهو ثلاثة أقسام:

تارةً يهمّ بالسّيّئة ثمّ يتركها ولا يفعل شيئًا؛ هذا لا له ولا عليه.

(١) متفق عليه من حديث أبي بكر رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾... إلخ برقم (٣١)، ومسلم في كتاب الفتن، باب إذا تواجه المسلمان بسيفهما برقم (٢٨٨٨).

تارةً يهمّ بها ثمّ يتركها خوفًا من الله؛ فهذا له حسنةٌ.

تارة يهمّ بها ويعمل هذا يأثم.

أراد السرقة وجاز البيت، حفر الباب قصّ الباب هذا يأثم، أمّا أراد وما فعل شيئًا ما يأثم، إلّا في الحرم خاصّة، أراد أن يضرب فلانًا فضربه، أو حاول ضربه أمسكه حاول ضربه هذا يأثم بما فعل، أمّا همّ ولكن ما فعل شيئًا ما يأثم، لكن إن ترك الهمّ لله أجر على التّرك لله.

وهكذا همّ أنّه يذهب إلى فلانٍ للقتل أو نحوه ومشى خطواتٍ يأثم بالخطوات الّتي مشيها، أمّا همّ وترك فهذا لا عليه، ليس عليه شيءٌ؛ فإن ترك لله أجر على تركه لله.

فهي ثلاثة أقسامٍ:

* همٌّ ليس معه عملٌ؛ هذا ليس فيه شيءٌ لكن إن ترك الهمّ لله أُجِر.

* همّ معه عملٌ فيأثم على عمله الّذي يخالف فيه الشّرع؛ فإن نفّذ؛ صار الإثم أكبر كما في الحديث: «**إذا التقى المسلمانِ بسيفيهما**». نسأل الله العافية.

• **س: حديث أبي كبشة الأنماريّ رضي الله عنه: ظاهر الحديث أنّه ما عمل، قال: لو أنّ لي كما لفلانٍ لعملت بعمل فلانٍ، قال: «فهو بنيّته فوِزرهما سواءٌ»[1]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا همٌّ لكن عاجزٌ، على قصده السّيّئ، والآخر على قصده الطّيّب، لو كان لي مثل فلانٍ لعملت بعمله صادقًا يأجره الله على ذلك، والآخر السّيّئ صادقٌ يأزره؛ لأنّه منعه العجز وإلا هو فَعَلَ ما يستطيع لكن منعه العجز.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبو كبشة الأنماري رضي الله عنهما في كتاب الزهد عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء مثل الدنيا أربعة نفر برقم (٢٣٢٥)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب النية برقم (٤٢٢٨).

● **س: ما يقال أيضًا: «تكلّم»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا كلامٌ، هذا نوعٌ من العمل.

*

❐ **في تفسير قوله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾ [آل عمران: ٧ ـ ٩](١).

يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات هن أم الكتاب؛ أي: بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها على أحد من الناس، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن ردّ ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده، فقد اهتدى. ومن عكس انعكس؛ ولهذا قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ﴾؛ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ﴾؛ أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل شيئًا آخر من حيث اللفظ والتركيب، لا من حيث المراد.

وقد اختلفوا في المحكم والمتشابه، فروي عن السلف عبارات كثيرة، فقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس أنه قال: المحكمات ناسخه، وحلاله وحرامه، وحدوده وفرائضه، وما يؤمر به ويعمل به.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك في يوم الأربعاء ١٣ ـ ٨ ـ ١٤١١هـ.

وكذا روي عن عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، ومُقاتل بن حَيّان، والربيع بن أنس، والسُّدِّي أنهم قالوا: المحكم الذي يعمل به.

وعن ابن عباس أيضًا أنه قال: المحكمات في قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [الأنعام: ١٥١] والآيتان بعدها، وقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى ثلاث آيات بعدها. رواه ابن أبي حاتم، وحكاه عن سعيد بن جُبَيْر ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا سليمان بن حرب، حدّثنا حماد بن زيد، عن إسحاق بن سُوَيْد أن يحيى بن يَعْمَر وأبا فاختة تراجعا في هذه الآية: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، فقال أبو فاختة: فواتح السور. وقال يحيى بن يَعْمَر: الفرائض، والأمر والنهي، والحلال والحرام.

وقال ابن لَهِيعَة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جبير: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يقول: أصل الكتاب، وإنما سمَّاهن أم الكتاب؛ لأنهن مكتوبات في جميع الكتب.

وقال مقاتل بن حيان: لأنه ليس من أهل دين إلا يرضى بهنّ.

وقيل في المتشابهات: إنهن المنسوخة، والمقدم منه والمؤخر، والأمثال فيه والأقسام، وما يؤمن به ولا يعمل به. رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

وقيل: هي الحروف المقطعة في أوائل السور، قاله مقاتل بن حيان.

وعن مجاهد: المتشابهات يصدق بعضهن بعضًا. وهذا إنما هو في تفسير قوله: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣] هناك ذكروا: أن المتشابه هو الكلام الذي يكون في سياق واحد، والمثاني هو الكلام في شيئين متقابلين كصفة الجنة وصفة النار، وذكر حال الأبرار ثم حال الفجار، ونحو ذلك، وأما هاهنا فالمتشابه هو الذي يقابل المحكم.

وأحسن ما قيل فيه الذي قدمناه، وهو الذي نصَّ عليه محمد بن إسحاق بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فيهن حجَّة الرب، وعصمة العباد، ودفع الخصوم والباطل، ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه، قال: والمتشابهات في الصدق، لهن تصريف وتحريف وتأويل، ابتلى الله فيهن العباد، كما ابتلاهم في الحلال والحرام ألا يصرفن إلى الباطل، ولا يحرّفن عن الحق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على رسول الله..

أحسن ما قيل هو مثل ما تقدم في قول المؤلف. في المحكمات والمتشابهات في هذه الآية سورة آل عمران، أن المحكمات هن الآيات الواضحات البيِّنات المعنى اللاتي ليس في معناها اشتباه، مثل آيات الحلال والحرام وآيات الفرائض وآيات محرَّمات النكاح، وآيات الطلاق.. إلى غير ذلك، ومثل آيات الأنعام: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٥١].. الآيات الثلاث، وغيرها من الآيات الكثيرة، أما المتشابهات فهن اللاتي قد يخفى بعض معانيهن قد يشتبه بعض المراد بهن؛ فيجب ردهن إلى المحكم، يجب أن يرد معناهن إلى المحكم الواضح ولا يجوز أن يفسَّرن بشيء يخالف المحكم، كما فعل النصارى، لما سمعوا الله يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ﴾ [الحجر: ٩]، أنزلنا:.. قلنا.. قالوا: هذا يدل على أنهم ثلاثة: الله ومريم وعيسى، هذا من أبطل الباطل، قوله: (إنا أنزلنا) (كتبنا) (نحن نزلنا) هذه كلمات تقولها العرب عن العظيم، العظيم يقول هذا الكلام بصيغة الجماعة: نحن.. إنا.. أنزلنا.. فعلنا، فليس يدل على التثليث؛ بل هذا من أبطل الباطل.

أما المتشابهات في قوله ﷻ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر: ٢٣]، هذه معناها آخر، متشابه يعني: يشبه بعضه بعضًا،

في سور الزمر يعني: يشبه بعضها بعضًا ويصدِّق بعضه بعضًا، ليس مثل آية آل عمران. ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر:٢٣]، يعني: تكرر فيه الأخبار والقصص، تثنى قصة الجنة والنار، الأبرار والفجار، صفات الصالحين، صفات غيرهم، صفات المنافقين.. إلى غير ذلك.

المقصود: أن قصص الأنبياء تثنَّى فيها القصص والأخبار، (متشابهًا) يعني: يشبه بعضه بعضًا ويصدق بعضه بعضًا، أما قوله ﷻ: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ يعني فيها بعض الخفاء، فيجب ردها إلى المحكم الواضح، ولا يجوز أن تفسر بشيء يخالف المحكم.

● **س: أحسن الله إليك! هل يقال: آيات الصفات من المتشابه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، محكمات، معناها واضح ما فيها اشتباه، آيات الصفات غلط لو سمَّاها أنها متشابه غلط، آيات محكمات، آيات الصفات: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤]. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢].. الآيات كلها واضحة، محكمة، على الوجه اللائق بالله سبحانه، لا تشابه صفات المخلوقين..

ومن أمثال ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، هذه مجملة فيها اشتباه، فسَّرتها الآيات الأخرى في وجوب الزكاة ووجوب النفقات.. إلى غير ذلك، فالكنز الذي يؤدَّى حقه ما يعذب به صاحبه، إنما الكنز الذي يعذب به صاحبه هو الذي لا ينفق منه في سبيل الله، يعني: يبخل صاحبه بالحقوق فيها الزكاة، فالآية مجملة تشتبه على بعض الناس، لكن

تفسر بالمحكم، وأن المراد الكنز الذي لا يؤدَّى حقه، فما أدِّي زكاته فليس بكنز، وما لم تؤد زكاته فهو كنز، وهكذا الأموال التي فيها الحقوق ولا تؤدى الحقوق صاحبها على خطر، إذا ترك حق الواجب..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾؛ أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾؛ أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهكذا آيات الرجاء.. آيات الوعيد اشتبهت على الخوارج والمعتزلة والقدرية وهي واضحة، فآيات الوعيد للكفرة على ظاهرها مخلدون في النار، وآية الوعد بالجنة للمؤمنين الأتقياء على ظاهرها وهم من أهل الجنة، وآيات الوعد للعصاة والوعيد للعصاة تفسر بالمحكم، تفسر فما وعد الله به أهل التوحيد من الجنة والسعادة، تفسر بأن المراد يعني إذا استقاموا وتابوا من معاصيهم، وتابوا أو ماتوا على توبة فهم ملتحقون بالمؤمنين ولهم الجنة، أما إذا ماتوا على غير توبة.. ماتوا على معاصي، فأحاديث الوعد وآيات الوعد بحقهم تفسر بالآيات المحكمات والنصوص المحكمات في أنهم معرَّضون للوعيد وعلى خطر من دخول النار، وأن مسألتهم معلَّقة على المشيئة، كما قال في الآية المحكمة سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، هذه محكمة.. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾، فأبان سبحانه أن من مات على الشرك لا يغفر له، من مات على غير الشرك فبعض المعاصي تحت المشيئة، وهكذا قوله ﷺ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣]، هذه الآية قد تشتبه على بعض الناس، كيف

يغفر الشرك، فسَّرها العلماء بأن المراد: من تاب، من مات على التوحيد.. التوبة تغفر له ذنوبه، وردُّوها إلى المحكم.. ردُّوها إلى المحكم الآية المحكمة.. الآيتين المحكمتين في سورة النساء، وهما قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، فهاتان مُحكمتان، ردوا إليهما ما اشتبه من النصوص نصوص القرآن والأحاديث، وأن الوعد للمؤمنين بالجنة والمغفرة إذا ماتوا على التوبة، وماتوا على التوحيد دون الشرك، فهم موعودون بالمغفرة وتحت مشيئة الله ﷻ، والأمثلة في هذا كثيرة إذا تأملها المؤمن؛ عرف عِظَم هذه الفائدة، وأن ما اشتبه من النصوص في الحديث أو الآيات يُرد إلى المحكم، ويفسر بالمحكم، فإذا قال الزاني وشارب الخمر الذي أصرَّ على ذلك: إن الرسول قال عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[1]، وقال: «**فَإِنَّ اللهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ. يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ**»[2]، وما أشبه ذلك، وقال: «**مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»[3].

إذا قال هذا الكلام يقال له: نعم، صحيح، لكن إذا قال هذه والتزم بها وأدَّى حقها، وأما إذا أخل بحقها وأتى المعاصي ومات على المعاصي؛ فهو تحت المشيئة كما في الآية الأخرى، لا يُضرب كتاب الله

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن جبل ؓ في كتاب الجنائز، باب في التلقين برقم (٣١١٦)، والإمام أحمد.

(٢) متفق عليه من حديث عتبان بن مالك ؓ. أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت برقم (٤٢٥)، ومسلم في كتاب المساجد، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ساقه بعد الحديث رقم (٦٥٧).

(٣) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب في الجنائز برقم (١٢٣٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة ومن مات مشركًا دخل النار برقم (٩٢).

بعضه ببعض، فهو له الوعد بالجنة إذا مات على التوحيد، والتزم بحق التوحيد واستقام على الطاعة، وترك المعصية وتاب إلى الله منها، أما إذا مات على معصية ولم يتب منها؛ فهنا آية أخرى تبيِّن حكمه، وأنه معلَّق على المشيئة، ليس مجزومًا له بالمغفرة والنجاة؛ لمعصيته بشرب الخمر أو الزنا أو العقوق أو أكل الربا، أو ما أشبه ذلك.

وهذا باب واسع وأمره عظيم وفائدته عظيمة، وفيه الرد على الخوارج والمعتزلة، وغيرهم، الخوارج حكَّموا آيات الوعيد ونفذوها، ولم يلتفتوا إلى آيات الوعد، وهكذا المعتزلة نفذوا آيات الوعيد، وقالوا: العاصي مخلد في النار، والخوارج تقول: كافر، ولم يلتفتوا إلى آيات الوعد وهو الرحمة، والمرجئة عكسهم، المرجئة قدموا آيات الوعد وقالوا على أن أعمال المعاصي ما تضر مع الإيمان، وغلطوا غلطًا عظيمًا هؤلاء وهؤلاء، ووفق الله أهل السُّنَّة والجماعة للحق، فذكروا أن المرجئة على خطأ والمعتزلة على خطأ، والأعمال من الإيمان، والمعاصي تُنقص الإيمان وتُضعِف الإيمان، ومن مات على المعاصي فهو على خطر، ومن مات على الإيمان الكامل فله الجنة والكرامة من أول وهلة. وأوضح أهل العلم في العقائد، كشيخ الإسلام ابن تيمية في الواسطية والحموية ومنهاج السُّنَّة، والطحاوي وغيرهم ممن كتب في العقائد أوضحوا هذه المسائل التي وقع فيها الاشتباه.

الأسئلة:

القول بأن الحروف المقطعة من المتشابه:

• س: أحسن الله إليك! الآيات التي لا يفهم معناها من ناحية اللفظ؛ كفواتح السور وما إلى ذلك تعتبر من المتشابهات؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بالنسبة إلى من قال: إن لها معنى، ومن قال: إنها حروف مقطعة

ليس لها معنى إلا مجرد الدلالة على أن القرآن نزل من هذه الحروف التي هي حروف الهجاء، قال: ما لها معنى، نعم، إلا أنها فواتح فقط، ومن قال: إن لها معنى قال: معناها مشتبه يجب رده إلى المحكم.

القول في متشابه السُّنَّة:

• **س: يا شيخ! ما يقال في حق القرآن منه متشابه ومحكم ما يقال في حق السُّنَّة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كذلك السُّنَّة المتشابه منها يرد إلى المحكم. الحكم واحد. نعم.

حكم من مات تارك الصلاة:

• **س: من مات تارك الصلاة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا فيه خلاف بين العلماء إذا كان ما جحد الوجوب هذا يكفر على الأصح، مخلد في النار، بتركه الصلاة، وإن لم يجحد وجوبها، وقال آخرون: أنه يكون كفرًا دون كفر، أما إذا جحد وجوبها قال: الصلاة ما هي بواجبة، ولو صلى مع الناس كافر عند الجميع، نسأل الله العافية، كفر أكبر مخلد في النار، نعوذ بالله، إذا جحد الوجوب، نسأل الله العافية.

حكم تارك الصلاة تكاسلًا:

• **س: المتكاسل.**

الشيخ: نعم؟

مداخلة: المتكاسل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

إذا كان يصلي ولكن يتكاسل عن الجماعة هذا عاصي، إذا كان يصلي، أما إذا تركها فالصحيح أنه يكفر بذلك، وإن لم يجحد الوجوب..

مداخلة: نقل ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن إسحاق أنه قال: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ فهن حجة الرب وعصمة العباد ودفع الخصوم والباطل ليس لهن تصريف ولا تحريف عما وضعن عليه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: نعم معانيها ظاهرة.

مداخلة: والمتشابهات في الصدق ليس لهن تصريف وتحريف. . . . . . . يخالف المحكم يعني، ليس لهن تصريف يعني يخالف المحكم.

مداخلة: كلها نافية؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

مداخلة: هنا يقول والمتشابهات ليس لهن تصريف وتحريف وتأويل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه يصح أن يقال: إن هذه في آية الزمر متشابهات، ويحتمل أنه أراد بها يعني ليس لهن تصريف ولا تحريف، يعني عن المحكم، يعني يجب أن ترد إلى المحكم. .

ومن أمثال ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]، هذه مجملة فيها اشتباه، فسَّرتها الآيات الأخرى في وجوب الزكاة ووجوب النفقات. . إلى غير ذلك، فالكنز الذي يؤدَّى حقه ما يعذب به صاحبه، إنما الكنز الذي يعذب به صاحبه هو الذي لا ينفق منه في سبيل الله، يعني: يبخل صاحبه بالحقوق فيها الزكاة، فالآية مجملة تشتبه على بعض الناس، لكن تفسر بالمحكم، وأن المراد الكنز الذي لا يؤدَّى حقه، فما أدي زكاته فليس بكنز، وما لم تؤد زكاته فهو كنز، وهكذا الأموال التي فيها

الحقوق ولا تؤدى الحقوق صاحبها على خطر، إذا ترك حق الواجب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾؛ أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم، كما لو احتج النصارى بأن القرآن قد نطق بأن عيسى هو روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وبقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]، وغير ذلك من الآيات المُحكمة المصرِّحة بأنه خلق من مخلوقات الله، وعبد، ورسول من رسل الله.

وقوله: ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾؛ أي: تحريفه على ما يريدون وقال مقاتل والسدي: يبتغون أن يعلموا ما يكون وما عواقب الأشياء من القرآن.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل، حدثنا أيوب عن عبد الله بن أبي مُلَيْكَة، عن عائشة قالت: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ فقال: «**فَإِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنَى اللهُ** ﷻ **فَاحْذَرُوهُمْ**»(١).

هكذا وقع هذا الحديث في مسند الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من رواية ابن أبي مُلَيْكَة، عن عائشة، ليس بينهما أحد.

وهكذا رواه ابن ماجه من طريق إسماعيل بن عُلَيَّة وعبد الوهاب

(١) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، باب اجتناب البدع والجدل برقم (٤٧)، والإمام أحمد (٦/ ٤٨ و٢٥٦).

الثقفي، كلاهما عن أيوب، عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة، عنها، ورواه محمد بن يحيى العبدي في مسنده عن عبد الوهاب الثقفي، عن أيوب، به. وكذا رواه عبد الرزاق، عن مَعْمَر عن أيوب. وكذا رواه غير واحد عن أيوب. وقد رواه ابن حبان في صحيحه، من حديث أيوب، به.

وتابع أيوب أبو عامر الخزاز وغيره عن ابن أبي مليكة، فرواه الترمذي عن بُنْدار، عن أبي داود الطيالسي، عن أبي عامر الخزاز، فذكره. وهكذا رواه سعيد بن منصور في سننه، عن حماد بن يحيى الأبَحّ، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة. ورواه ابن جرير، من حديث روح بن القاسم ونافع بن عمر الجُمَحِيّ، كلاهما عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، به. وقال نافع في روايته عن ابن أبي مليكة: حدثتني عائشةَ، فذكره.

وقد روى هذا الحديث البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، عند تفسير هذه الآية، ومسلم في كتاب القدر من صحيحه، وأبو داود في السُّنَّة من سننه، ثلاثتهم، عن القَعْنَبِيِّ، عن يزيد بن إبراهيم التُّسْتَرِيّ، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**» لفظ البخاري[١].

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ برقم (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن والتحذير متبعيه والنهي عن الاختلاف في القرآن برقم (٢٦٦٥).

وكذا رواه الترمذي أيضًا، عن بندار، عن أبي داود الطيالسي، عن يزيد بن إبراهيم التستري، به. وقال: حسن صحيح. وذكر أن يزيد بن إبراهيم التستري تفرد بذكر القاسم في هذا الإسناد، وقد رواه غير واحد عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، ولم يذكروا القاسم. كذا قال ورواه ابن المنذر في تفسيره من طريقين عن النعمان بن محمد بن الفضل السَّدُوسِيّ ـ ولقبه عارم ـ حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، به.

وقد رواه ابن أبي حاتم فقال: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا يزيد بن إبراهيم التستري وحَمّاد بن سلمة، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**فَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**».

وقال ابن جرير: حدثنا علي بن سهل، حدثنا الوليد بن مسلم، عن حماد بن سلمة، عن عبد الرحمٰن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة قالت: نزع رسول الله ﷺ بهذه الآية: ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «**قد حَذَّرَكُمُ اللهُ، فإذا رأَيْتُمُوهم فاعْرفُوهُمْ**». ورواه ابن مَرْدُويه من طريق أخرى، عن القاسم، عن عائشة به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو كامل، حدثنا حماد، عن أبي غالب قال: سمعت أبا أمامة يحدث، عن النبي ﷺ في قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ قال: «**هم الخوارج**»(١)، وفي قوله: ﴿يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٌۚ﴾ [آل عمران: ١٠٦] قال: «**هم الخوارج**» وقد رواه ابن مردُويه من غير وجه، عن أبي غالب، عن أبي أمامة مرفوعًا، فذكره.

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٦٢).

وهذا الحديث أقل أقسامه أن يكون موقوفًا من كلام الصحابي، ومعناه صحيح؛ فإن أوّل بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم رسول الله ﷺ غنائم حُنَيْن، فكأنهم رأوا في عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة، ففاجؤوه بهذه المقالة، فقال قائلهم ـ وهو ذو الخُوَيْصرة ـ بقرَ الله خاصرته ـ: اعدل فإنك لم تعدل، فقال له رسول الله ﷺ: **«لقد خِبْتُ وخَسرْتُ إنْ لَمْ أكن أَعدل، أيأمَنُني على أهل الأرض ولا تَأمَنُونِي»**(١).

فلما قفا الرجل استأذن عمر بن الخطاب ـ وفي رواية: خالد بن الوليد ـ ولا بُعد في الجمع ـ رسول الله في قتله، فقال: **«إِنَّ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا** ـ أَوْ فِي عَقِبِ هَذَا ـ **قَوْمٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَقْتُلُونَ أَهْلَ الإِسْلَامِ، وَيَدَعُونَ أَهْلَ الأَوْثَانِ، لَئِنْ أَنَا أَدْرَكْتُهُمْ لأَقْتُلَنَّهُمْ قَتْلَ عَادٍ»**(٢).

ثم كان ظهورهم أيام علي بن أبي طالب، وقتَلهم بالنَّهْروان، ثم تشعبت منهم شعوب وقبائل وآراء وأهواء ومقالات ونِحَلٌ كثيرة منتشرة، ثم نَبَعَت القَدَرِيّة، ثم المعتزلة، ثم الجَهْمِيَّة، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها الصادق المصدوق في قوله: **«افْتَرَقَتِ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفرَّقَتِ النَّصَارَى عَلَى إِحْدَى أَوْ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً»**. قالوا:

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ومن الدليل على أن الخمس لنوائب المسلمين برقم (٣١٣٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٣) واللفظ له.

(٢) متفق عليه من حديث علي رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله عز وجل: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [هود: ٥٠] برقم (٣٣٤٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم برقم (١٠٦٤).

من هم يا رسول الله؟ ـ قال: **وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟» قَالَ: مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»**[(١)] أخرجه الحاكم في مستدركه بهذه الزيادة.

وقال الحافظ أبو يَعْلَى: حدثنا أبو موسى، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا المعتمر، عن أبيه، عن قتادة، عن الحسن عن جندب بن عبد الله أنه بلغه، عن حذيفة ـ أو سمعه منه ـ يحدث عن رسول الله ﷺ أنه ذكر: **«إِنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَهُ يَنْثُرُونَهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، يَتَأَوَّلُونَهُ على غير تأويله»**[(٢)] لم يخرجوه.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ اختلف القراء في الوقف هاهنا، فقيل: على الجلالة، كما تقدم عن ابن عباس أنه قال: التفسير على أربعة أنحاء: فتفسير لا يعذر أحد في فهمه، وتفسير تعرفه العرب من لغاتها، وتفسير يعلمه الراسخون في العلم، وتفسير لا يعلمه إلا الله ﷻ. ويروى هذا القول عن عائشة، وعروة، وأبي الشعثاء، وأبي نَهِيك، وغيرهم.

وقد قال الحافظ أبو القاسم في المعجم الكبير: حدثنا هاشم بن مرثد، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش، حدثني أبي، حدثني ضَمْضَم بن زُرْعَة، عن شُرَيْح بن عبيد، عن أبي مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«لا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إلا ثَلاثَ خِلالٍ: أَنْ يُكْثَرَ لَهُمْ مِنَ الْمَالِ فَيَتَحَاسَدُوا فَيَقْتَتِلُوا، وَأَنْ يُفْتَحَ لَهُمُ الْكُتُبُ يَأْخُذُ الْمُؤْمِنُ يَبْتَغِي تَأْوِيلَهُ** ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ **الآية، وأن يزداد علمهم فيضيِّعوه ولا يبالون عليه»** غريب جدًّا[(٣)].

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب السُّنَّة، باب شرح السُّنَّة برقم (٤٥٩٦)، وابن ماجه في كتاب الفتن، باب افتراق الأمم برقم (٣٩٩٢)، والإمام أحمد (٢/ ٣٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الجمعة، باب ما ذكر في قراءة سورتين في ركعة برقم (٦٠٣)، والإمام أحمد (١/ ٤١٧).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٣٢ برقم ٣٤٤٢).

وقال الحافظ أبو بكر بن مردُويه: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أخبرنا أحمد بن عمرو، أخبرنا هشام بن عمار، أخبرنا ابن أبي حاتم، عن أبيه، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن ابن العاص، عن رسول الله ﷺ قال: «**إن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضًا ولكن نزل ليصدِّق بعضه بعضًا، فما كان من محكمه فاعملوا به، وما كان من متشابهه فآمنوا به**»(١).

وقال عبد الرزاق: أنبأنا مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه قال: كان ابن عباس يقرأ: «وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون: آمنا به» وكذا رواه ابن جرير، عن عمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس: أنهم يؤمنون به ولا يعلمون تأويله. وحكى ابن جرير أن في قراءة عبد الله بن مسعود: «إن تأويله إلا عند الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به». وكذا عن أُبي بن كعب. واختار ابن جرير هذا القول.

ومنهم من يقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ وتبعهم كثير من المفسرين وأهل الأصول، وقالوا: الخطاب بما لا يفهم بعيد.

وقد روى ابن أبي نجِيح، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله. وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد: والراسخون في العلم يعلمون تأويله ويقولون آمنا به. وكذا قال الربيع بن أنس.

وقال محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ﴾ الذي أراد ما أراد ﴿إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ ثم ردُّوا تأويل المتشابه على ما عرفوا من تأويل المُحْكَمَة التي لا تأويل لأحد فيها إلا تأويل واحد، فاتسق بقولهم الكتاب، وصدق بعضه بعضًا، فنفذت الحجة، وظهر به العذر، وزاح به الباطل، ودفع به الكفر.

---

(١) انظر: بقية الحارث (١/ ٢٣٠)، باب النهي عن الجدال بالقرآن (٧٣٤).

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ دعا لابن عباس فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»(١).

ومن العلماء من فصَّل في هذا المقام، فقال: التأويل يطلق ويراد به في القرآن معنيان، **أحدهما**: التأويل بمعنى حقيقة الشيء، وما يؤول أمره إليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾ [يوسف: ١٠٠]، وقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾ [الأعراف: ٥٣]؛ أي: حقيقة ما أخبروا به من أمر المعاد، فإن أريد بالتأويل هذا، فالوقف على الجلالة؛ لأن حقائق الأمور وكنهها لا يعلمه على الجليَّة إلا الله ﷻ، ويكون قوله: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: ٣٦] مبتدأ و﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ خبره. وأما إن أريد بالتأويل المعنى الآخر وهو التفسير والتعبير والبيان عن الشيء كقوله تعالى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [يوسف: ٣٦]؛ أي: بتفسيره، فإن أريد به هذا المعنى، فالوقف على: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ لأنهم يعلمون ويفهمون ما خوطبوا به بهذا الاعتبار، وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ حالًا منهم، وساغ هذا، وهو أن يكون من المعطوف دون المعطوف عليه، كقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية [الحشر: ٨ ـ ١٠]، وكقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ أي: وجاءت الملائكة صفوفًا صفوفًا.

وقوله إخبارًا عنهم أنهم: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾؛ أي: بالمتشابه ﴿كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾؛ أي: الجميع من المحكم والمتشابه حق وصدق، وكل

---

(١) سبق تخريجه (١/ ٣٢).

واحد منهما يصدق الآخر ويشهد له؛ لأن الجميع من عند الله وليس شيء من عند الله بمختلف ولا متضاد لقوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾؛ أي: إنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها أولوا العقول السليمة والفهوم المستقيمة.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عوف الحِمْصِيّ، حدثنا نُعَيْم بن حماد، حدثنا فياض الرَّقِّيّ، حدّثنا عبد الله بن يزيد ـ وكان قد أدرك أصحاب النبي ﷺ: أنسًا، وأبا أمامة، وأبا الدرداء رضي الله عنهم ـ، قال: حدثنا أبو الدرداء، أن رسول الله ﷺ سئل عن الراسخين في العلم، فقال: «**من بَرَّت يمينه، وصدق لسانه، واستقام قلبه، ومن أَعَفَّ بطنه وفرجه، فذلك من الراسخين في العلم**».

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن الزهري، عن عمرو بن شعيب عن أبيه، عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قومًا يتدارءون فقال: «**إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله بعضه ببعض، وإنما أنزل كتاب الله ليصدق بعضه بعضًا، فلا تكذبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوا، وما جهلتم فَكِلُوهُ إلى عَالِمِه**».

ـ وقد تقدم رواية ابن مردُويه لهذا الحديث، من طريق هشام بن عمار، عن ابن أبي حازم عن أبيه، عن عمرو بن شعيب، به.

وقد قال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده، حدثنا زهير بن حرب، حدثنا أنس بن عياض، عن أبي حازم، عن أبي سلمة قال: لا أعلمه إلا عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**نَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ ـ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ـ فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا وَمَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهُ إِلَى عَالِمِه**»[1] رحمه الله.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٠٠ و٤/ ٢٠٢ و٥/ ١٦ و٦/ ٤٣٣ و٤٦٢).

وهذا إسناد صحيح، ولكن فيه علة بسبب قول الراوي: «لا أعلمه إلا عن أبي هريرة».

وقال ابن المنذر في تفسيره: أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني نافع بن يزيد قال: يقال: الراسخون في العلم المتواضعون لله، المتذلِّلون لله في مرضاته، لا يتعاظمون على من فوقهم، ولا يحقرون من دونهم. ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٧﴾؛ أي: إنما يعقل ويفهم ويتدبر المعاني على وجهها أولوا العقول السليمة أو الفهوم المستقيمة.

ثم قال تعالى عنهم مخبرًا أنهم دعوا ربهم قائلين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا﴾؛ أي: لا تملها عن الهدى بعد إذ أقمتها عليه ولا تجعلنا كالذين في قلوبهم زيغ، الذين يتبعون ما تشابه من القرآن ولكن ثبتنا على صراطك المستقيم، ودينك القويم ﴿وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً﴾؛ أي: من عندك ﴿رَحۡمَةً﴾ تثبت بها قلوبنا، وتجمع بها شملنا، وتزيدنا بها إيمانًا وإيقانًا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا عمرو بن عبد الله الأَوْدِي، وقال ابن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب قالا جميعًا: حدثنا وَكِيع، عن عبد الحميد بن بَهْرام، عن شهر بن حَوْشَب، عن أم سلمة رضي الله عنها، أن النبي ﷺ كان يقول: **«يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»**[(١)].

ثم قرأ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغۡ قُلُوبَنَا بَعۡدَ إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ۝٨﴾ رواه ابن مردويه من طريق محمد بن بَكَّار، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن أم سلمة، وهي أسماء بنت يزيد بن السكن، سمعها تحدث أن رسول الله ﷺ كَانَ يُكْثِرُ فِي دُعَائِهِ أَنْ يَقُولَ: **«اللَّهُمَّ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»**، قَالَتْ:

(١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب تصريف الله القلوب كيف يشاء برقم (٢٦٥٤).

قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوَ إِنَّ الْقُلُوبَ لَتَتَقَلَّبُ، قَالَ: «**نَعَمْ مَا مِنْ خَلْقِ اللهِ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ بَشَرٍ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ فَإِنْ شَاءَ اللهُ ﷻ أَقَامَهُ وَإِنْ شَاءَ أَزَاغَهُ فَنَسْأَلُ اللهَ رَبَّنَا أَنْ لَا يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا وَنَسْأَلُهُ أَنْ يَهَبَ لَنَا مِنْ لَدُنْهُ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ**» وهكذا رواه ابن جرير من حديث أسد بن موسى، عن عبد الحميد بن بهرام، به مثله. ورواه أيضًا عن المثنى، عن الحجاج بن مِنْهَال، عن عبد الحميد بن بهرام، به مثله، وزاد: قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ أَلَا تُعَلِّمُنِي دَعْوَةً أَدْعُو بِهَا لِنَفْسِي. قَالَ: «**بَلَى قُولِي: اللَّهُمَّ رَبَّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي وَأَذْهِبْ غَيْظَ قَلْبِي وَأَجِرْنِي مِنْ مُضِلَّاتِ الْفِتَنِ مَا أَحْيَيْتَنَا**»(١).

ثم قال ابن مردُويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا محمد بن هارون بن بكار الدمشقي، أخبرنا العباس بن الوليد الخلال، أخبرنا يزيد بن يحيى بن عبيد الله، أخبرنا سعيد بن بشير، عن قتادة، عن أبي حسان الأعرج، عن عائشة ﵂، قالت: كان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو: «**يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك**»، قلت: يا رسول الله، ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء. فقال: «**ليس من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمٰن، إذا شاء أن يقيمه أقامه، وإذا شاء أن يزيغه أزاغه، أما تسمعين قوله:** ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾». غريب من هذا الوجه، ولكن أصله ثابت في الصحيحين، وغيرهما من طرق كثيرة بدون زيادة ذكر هذه الآية الكريمة.

وقد روى أبو داود والنسائي وابن مردويه، من حديث أبي عبد الرحمٰن المقري ـ زاد النسائي وابن حبان: ـ وعبد الله بن وهب، كلاهما عن سعيد بن أبي أيوب، حدّثني عبد الله بن الوليد التُّجيبي، عن سعيد بن المسيب، عن عائشة ﵂، أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٠١).

من الليل قال: «**لا إله إلا أنت سبحانك، اللَّهُمَّ إني أستغفرك لذنبي وأسألك رحمتك، اللَّهُمَّ زدني علمًا، ولا تزغ قلبي بعد إذ هديتني، وهب لي من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب**» لفظ ابن مردويه(١).

وقال عبد الرزاق، عن مالك، عن أبي عبيد ـ مولى سليمان بن عبد الملك ـ عن عبادة بن نُسَيّ، أنه أخبره، أنه سمع قيس بن الحارث يقول: أخبرني أبو عبد الله الصُّنَابِحي، أنه صلى وراء أبي بكر الصدِّيق المغرب، فقرأ أبو بكر في الركعتين الأوليين بأم القرآن وسورتين من قصار المفصَّل، وقرأ في الركعة الثالثة، قال: فدنوت منه حتى إن ثيابي لتكاد تمس ثيابه، فسمعته يقرأ بأم القرآن وهذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝٨﴾(٢).

قال أبو عبيد: وأخبرني عُبَادة بن نُسَيّ: أنه كان عند عمر بن عبد العزيز في خلافته، فقال عمر لقيس: كيف أخبرتني عن أبي عبد الله الصنابحي فأخبره بما سمع أبا عبد الله ثانيًا. قال عمر: فما تركناها منذ سمعناها منه، وإن كنت قبل ذلك لَعَلَى غير ذلك. فقال له رجل: على أي شيء كان أمير المؤمنين قبل ذلك؟ قال: كنت أقرأ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وقد روى هذا الأثر الوليد بن مسلم، عن مالك والأوزاعي، كلاهما عن أبي عبيد، به. ورواه الوليد أيضًا، عن ابن جابر، عن يحيى بن يحيى الغساني، عن محمود بن لبيد، عن الصُّنَابِحي: أنه صلى خلف أبي بكر رضي الله عنه، المغرب فقرأ في الأوليين بفاتحة الكتاب وسورة قصيرة، يجهر بالقراءة، فلما قام إلى الثالثة ابتدأ القراءة فدنوت منه حتى إن ثيابي لتمس ثيابه، فقرأ هذه الآية: ﴿رَبَّنَا لَا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول الرجل إذا تعار من الليل برقم (٥٠٦١)، والنسائي في الكبرى برقم (١٠٦٣٥)، وابن حبان في الصحيح (٥٥٣١)، الإحسان والحاكم في المستدرك برقم (٢٠٠٤).

(٢) انظر: كتاب معرفة السنن والآثار للبيهقي (٢/ ٤٦٢).

تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾.

وقوله: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾﴾؛ أي: يقولون في دعائهم: إنك ـ يا ربنا ـ ستجمع بين خلقك يوم معادهم، وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه، وتجزي كلًّا بعمله، وما كان عليه في الدنيا من خير وشر.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ٨ ـ ١٥](١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله سبحانه وتعالى أمر في كتابه العظيم والكتب السابقة، وما أنزل

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في ١٤ ـ ٣ ـ ١٣٩٩هـ.

فيها من الهدى والخير، وما أوضح فيها من الآيات المحكمات الواضحة البيِّنة التي فيها الإرشاد إلى الخير، وإيضاح الأحكام، وتبيين الحلال والحرام، وذكر الجنة والنار وغير ذلك مما يحتاجه العباد، وذكر قول المؤمنين وصفتهم، وذكر صفة أهل الزيغ، وذكر دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا...﴾ الآية.

وذكر أنه جامع الناس ليوم لا ريب فيه، وأنه سبحانه وتعالى العليم بأحوالهم، وأن وعده لا يُخلَف، ذكر بعد ذلك حال الكفار الذين استكبروا عن طاعة الرسل، ولم يستجيبوا إلى داعي الله عز وجل، ولم يؤمنوا بكتبه سبحانه وتعالى، ذكر حالهم وأن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم يوم القيامة شيئًا، لا تنقذهم من عذاب الله، ولو أنهم أعطوا من الأموال والأولاد ما لا يعد ولا يحصى فإنها لا قيمة لها؛ بل سوف يعذبون ويصيروا إلى النار وبئس المصير ولو كانت أموالهم كثيرة، ولو كانت أولادهم عددًا كبيرًا، ولهذا قال بعد: ﴿وَأُولَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾، هؤلاء الكفرة الذين كذبوا الرسل وأنكروا الحق ولم يستجيبوا لداعي الله عز وجل لا قيمة لهم عند الله سبحانه وتعالى ولو أُعطوا من المال والأولاد ما أعطوا، فإن الله جل وعلا يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب. . الدنيا الأموال والأولاد من يحب ومن لا يحب، والله لا يعطي الدين والإيمان إلا من أحب جل وعلا، فمن أعطاه الله الدين ووفقه للهدى فقد أحبه، فهؤلاء الذين أعطوا ما أعطوا لا ينبغي أن يغتروا بها، ولا ينبغي أن يظنوا أنها تنجيهم من عذاب الله، هذا من أعظم الغرر ومن أعظم الغرور ومن أعظم الفساد، ولهذا يقول جل وعلا عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ: ٣٥]، فاغتروا بأن كثرة أموالهم وكثرة أولادهم قد يحصل بها لهم عدم العذاب. هذا لجهلهم بالله وجهلهم بدينهم، ورد عليهم سبحانه بقوله: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ: ٣٧].

وهو سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، يبسط الرزق لهؤلاء، ويقدر على هؤلاء يعني: يضيق، فبسط الرزق وتضييقه لا يختص بقوم دون قوم، فقد يكون مع الكفار وقد يكون مع المسلمين، وهو الحكيم العليم سبحانه وتعالى في بسط الرزق لهذا أو لهؤلاء وتضييقه وتقليله على هؤلاء وهؤلاء، هذا بيده سبحانه وله الحكمة البالغة جل وعلا. فليس كثرة المال وكثرة الأولاد من دلائل النجاة وليس قلة المال وقلة الأولاد من دلائل الهلاك، فلا ينبغي لعاقل أن يغتر بهذا كما اغتر به الكثير، وبيَّن سبحانه بعد ذلك أن دأب هؤلاء كدأب من قبلهم، يعني: كعادتهم كعادة الكفرة الماضيين، الذين كذبوا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم؛ أي: بأسباب ذنوبهم، فالكفار يتأسى بعضهم ببعض، ويسلك بعضهم طريق البعض الآخر فيهلكون كما هلكوا.

ثم يبيِّن جل وعلا أن الكفار سوف يُغلبون ويحشرون إلى جهنم، يعني: هم موعودون بالخذلان، موعودون بأنهم مُغَلَبون إذا قام أمر الله واستقام أولياء الله غلب حزب الله حزب الشيطان، وأنه يؤتى حزب الله إذا قصر وأضاع الأسباب الواجبة فذلك هو الذي يؤتى من جهته كما جرى يوم أُحد، وكما جرى في مواقع كثيرة، فإذا استقام حزب الله على ما وجب عليه، وأخذ بالأسباب التي شرعها سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه ينصره ويؤيده ويخذل أعداءه، كما يقول جل وعلا: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾، ثم ذكر أن لهم آية في فئتين التقتا وذلك يوم بدر، ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وهم النبي ﷺ وأصحابه، وفئة أخرى تقاتل في سبيل الشيطان وهم أهل مكة ومن سار في ركابهم، يرونهم مثليهم رأي العين؛ أي: يرون الكفار المسلمين مثلهم رأي العين، يعني: أُضْعِفوا في عينهم حتى صاروا مثلهم مرتين، وذلك لإلقاء الرعب في قلوب الكفار؛ حتى يصيبهم الوهن والضعف والتأخر والتقهقر، ولما دنى بعضهم من بعض قلَّل الله هؤلاء في أعين هؤلاء،

وهؤلاء في أعين هؤلاء؛ حتى يقدم كل واحد، وحتى يقضي الله بين الجميع ﷻ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، فلهم نصران: النصر الأول قبل الالتحام كان المشركون يرون المسلمين رأي العين مثليهم، ثم بعدما دنا بعضهم من بعض والتحم بعضهم ببعض صار المشركون يرون المسلمين قليلًا والمسلمون يرون المشركين قليلًا؛ حتى يقدم هؤلاء على هؤلاء، ويقدم هؤلاء على هؤلاء، وينصر الله جنده وأولياءه على حربه وأعدائه، ولهذا قال: ﴿لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، وقد أقدم هؤلاء وأقدم هؤلاء، وحمي الوطيس، وتبارز الأقران والفرسان، وجرى ما جرى يوم بدر، فأذل الله أهل الشرك، وقتل الذين تبارزوا منهم، وقضي عليهم حالًا، ثم اختلط المقاتلون وصارت الهزيمة على أعداء الله مع أن المشركين كانوا أضعاف المؤمنين، كان المسلمون ثلاثمائة وبضعة عشر، والكفار قريب من الألف وعندهم من القوة والسلاح والتنظيم في قتالهم ما يحصل مثله من جهة القوة ومن جهة العدد ما حصل مثله للمؤمنين، وكان الظهر قليلًا وكان العدد قليلًا بخلاف أولئك ومع ذلك نصرهم الله وأيدَّهم، وأذل الكفار وهزمهم فضلًا منه وإحسانًا ﷻ، وأيد المسلمين بجنود من عنده ﷻ.

فالحاصل: أن الله سبحانه يبيِّن لعباده أن أهل الشرك مغلوبون ومهزومون، وإنما يؤتى الناس من جهة تفريطهم في أمر الله وعدم قيامهم بما أوجب الله عليهم ﷻ من جهة الأسباب والتنظيم الواجب وغير ذلك، وأعظم ذلك الثقة بالله والاعتماد عليه، والإيمان به ﷻ والاستنصار به والقيام بحقه وترك ما نهى عنه ﷻ، هذه أعظم الأسباب التي بها العز والنصر والتأييد على الأعداء.

ثم يبيِّن ﷻ أنه زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين إلى

آخره قد زين للناس، ما قال: زين الله للناس؛ طريقة القرآن في الشيء الذي فيه خطر وفيه أسباب الهلاك يؤتى به بصيغة البناء للمجهول: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾، قد ابتلي الناس بحب الشهوات وبدأ بالنساء؛ لأن فتنتهن أكبر من غيرهن؛ أكبر من فتنة المال، والخيل، والذهب والفضة وغير ذلك، قد يبتلى الناس بالنساء ابتلاءً عظيمًا، حتى قال النبي ﷺ: «**اتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**»، هذا دليل على خطر النساء، وأن فتنتهن فتنة لكل مفتون، وأن الواجب على المؤمن أن يحذر هذه الفتنة وأن يتباعد عن أسبابها وأن يحذر شرها. وهكذا البنون فتنة: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، فالمال فتنة، والبنون فتنة، فقد يحجبن الإنسان عن الحق، ويضعف عن الحق بأسباب البنين، وقد يميل إلى إرضائهم بما حرَّم الله سبحانه وتعالى.

المقصود: أنه فتنة فيجب على المؤمن أن يتقي الله في ذلك وأن لا يخاف في الله لومة لائم لا مع النساء ولا مع البنين، فليتق الله في الجميع، وهكذا مع المال من الذهب والفضة وغير ذلك، وهكذا الخيل، وهكذا الحرث، جميع أنواع المال كله فتنة: ﴿أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، ولكن بعض الناس في هذه الفتنة يبرز كالذهب النقي الخالص يوفَّق ويعان فيستعين بنعم الله على طاعة الله، ويكفيه الله شر هذه الفتنة، ويكون قد هداه الله لرشده وأعانه على نفسه ووفقه لما ينبغي في هذا المقام مع النساء والبنين، ومع الأموال، ومع جميع صنوفه من المتاع العاجل فيُعان ويوفق، وبعض الناس يُبتلى ويخدع ويميل مع هذه الأمور.... على ما يجب عليه فيهلك مع الهالكين، ويصيبه نقص كبير في دينه؛ بسبب إيثاره لبعض هذه الأشياء، والمعصوم مَن عصمه الله ووفقه الله سبحانه وتعالى.

والمقصود: التنبيه على أن هذه الأشياء فيها فتنة فيها خطر،

فالواجب على المؤمن أن يحذر شرها وأن يستعين بها على طاعة الله، وأن يحذر الميل معها والموافقة للباطل والأخذ بالباطل لأجلها.

ويبيِّن ﷻ أن عنده ما هو خير من ذلك ولهذا قال ﷻ: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ﴾، ويبيِّن سبحانه أن عنده فللمؤمنين خير من هذه الأشياء وهي: ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ ﷻ، فللمؤمنين عنده ﷻ من الخير العظيم والجنات والحور العين الزوجات الطيبات وأنواع المتاع ما هو خير من هذا العاجل وأعظم عند الله، وشيء باقي دائمًا فيه لذة دائمة وفيه الخير العظيم، لا يداني ولا يقارب لذات هذه العاجلة.

فينبغي للعاقل أن يؤثر هذا الباقي الدائم الذي لا يعادله شيء على هذا العاجل الذي قد يصده عن الحق؛ بل يعتبر هذا العاجل وسيلة من الوسائل التي يستعين بها على طاعة الله، فينفق من الأموال في سبيل الله، ويوجه النساء إلى الخير ويعلِّمهن ما يجب ويأخذ على أيديهن حتى يكن في سبيل السعادة وسبيل الخير، ويكون له مثل أجورهن، وهكذا في البنين يعلمهم ويرشدهم ويأخذ على أيديهم فيكون له مثل أجورهم إذا هداهم الله بسببه، وهكذا المال من الذهب والفضة، وهكذا الخيل وهكذا الحرث، وهكذا الأنعام من الإبل والبقر والغنم، كلها يصرفها بالطرق التي تنفعه وترضي الله ﷻ عنه، فللمؤمن في هذه الأموال طرق يستطيع منها إيصال الخير إلى الناس، والاستفادة منها في سبيل الله، والانتفاع بها فيما يرضي الله ويقرب إليه ﷻ، ومع ذلك يربح هذا الخير العظيم الذي وعده الله به في الآخرة. رَزَقَ الله الجميع الاستقامة.

*

❏ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عمران: ١٠، ١١](١).

يخبر تعالى عن الكفار أنهم وقود النار، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢] وليس ما أوتوه في الدنيا من الأموال والأولاد بنافع لهم عند الله، ولا بمنجيهم من عذابه وأليم عقابه؛ بل كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]، كما قال هاهنا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: بآيات الله وكذبوا رسله، وخالفوا كتابه، ولم ينتفعوا بوحيه إلى أنبيائه ﴿لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾؛ أي: حطبها الذي تُسجَر به وتوقَد به؛ كقوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا ابن أبي مريم، أخبرنا ابن لَهِيْعة، أخبرني ابن الهاد، عن هند بنت الحارث، عن أم الفضل أم عبد الله بن عباس قالت: بينما نحن بمكة قام رسول الله ﷺ من الليل، فقال: «**هل بلغت، اللَّهُمَّ هل بلغت...**» ثلاثًا، فقام عمر بن الخطاب فقال: نعم. ثم أصبح فقال النبي ﷺ: «**ليظهرن الإسلام حتى يرد الكفر**

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك في فجر الأحد ١٤ ـ ١٠ ـ ١٤١١هـ.

إلى موطنه، وليخوضن البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلَّمون القرآن ويقرءونه ثم يقولون: قد قرأنا القرآن، وعلمنا فمن هذا الذي هو خير منا، فهل في أولئك من خير؟» قالوا: يا رسول الله: فمن أولئك؟ قال: «**أولئك منكم، وأولئك هم وقود النار**» وكذا رأيته بهذا اللفظ.

وقد رواه ابن مردُويه من حديث يزيد بن عبد الله بن الهاد، عن هند بنت الحارث، امرأة عبد الله بن شداد، عن أم الفضل؛ أن رسول الله ﷺ قام ليلة بمكة فقال: «**هل بلَّغت**» يقولها ثلاثًا، فقام عمر بن الخطاب ـ وكان أوَّاهًا ـ فقال: اللَّهُمَّ نعم، وحرصتَ وجهدتَ ونصحتَ فاصبر. فقال النبي ﷺ: «**ليظهرن الإسلام حتى يرد الكفر إلى موطنه، وليخوضن البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون القرآن ويقرءونه، ثم يقولون: قد قرأنا القرآن، وعلمنا فمن هذا الذي هو خير منا، فهل في أولئك من خير؟**» قالوا: يا رسول الله: فمن أولئك؟ قال: «**أولئك منكم، وأولئك هم وقود النار**» ثم رواه من طريق موسى بن عبيد، عن محمد بن إبراهيم، عن بنت الهاد، عن العباس بن عبد المطلب بنحوه.

وقوله تعالى: ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قال الضحاك، عن ابن عباس: كصنيع آل فرعون. وكذا روي عن عكرمة، ومجاهد، وأبي مالك، والضحاك، وغير واحد، ومنهم من يقول: كسُنَّة آل فرعون، وكفعل آل فرعون، وكشبه آل فرعون، والألفاظ متقاربة. والدأب ـ بالتسكين، والتحريك أيضًا كنَهْر ونَهَر ـ: هو الصنع والشأن والحال والأمر والعادة، كما يقال: لا يزال هذا دأبي ودأبك، وقال امرؤ القيس:

وقوفًا بها صحبي على مطيِّهم يقولون: لا تهلك أسًى وتجمَّل
كدأبك من أم الحويرث قبلها وجارتها أم الرباب بمأسل

والمعنى: كعادتك في أم الحويرث حين أهلكت نفسك في حبها وبكيت دارها ورسمها.

والمعنى في الآية: أن الكافرين لا تغني عنهم الأولاد ولا الأموال؛ بل يهلكون ويعذبون، كما جرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسل فيما جاؤوا به من آيات الله وحُجَجه.

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِئَايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾؛ أي: شديد الأخذ أليم العذاب، لا يمتنع منه أحد، ولا يفوته شيء، بل هو الفعال لما يريد، الذي قد غلب كل شيء وذلَّ له كل شيء، لا إله غيره ولا ربَّ سواه.

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِى الْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢، ١٣][١].

يقول تعالى: قل يا محمد للكافرين: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾؛ أي: في الدنيا، ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾؛ أي: يوم القيامة ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾.

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار، عن عاصم بن عمر بن قتادة؛ أن رسول الله ﷺ لما أصاب من أهل بدر ما أصاب ورجع إلى المدينة، جمع اليهود في سوق بني قَيْنُقَاع وقال: «**يَا مَعْشَرَ يَهُودَ أَسْلِمُوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قُرَيْشًا**»[٢]. فقالوا: يا محمد، لا يغرنك من نفسك أن قتلت نفرًا من قريش كانوا أغمارًا لا يعرفون القتال، إنك والله لو

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة برقم (٣٠٠١).

قاتلتنا لعرفت أنا نحن الناس، وأنك لم تلقَ مثلنا؟ فأنزل الله في ذلك من قولهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۝١٢﴾ إلى قوله: ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ۝١٣﴾.

وقد رواه ابن إسحاق أيضًا، عن محمد بن أبي محمد، عن سعيد أو عكرمة، عن ابن عباس فذكره؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾؛ أي: قد كان لكم أيها اليهود القائلون ما قلتم ﴿آيَةٌ﴾؛ أي: دلالة على أن الله معز دينه، وناصر رسوله، ومظهر كلمته، ومُعلٍ أمره ﴿فِي فِئَتَيْنِ﴾؛ أي: طائفتين ﴿الْتَقَتَا﴾؛ أي: للقتال ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهم المسلمون، ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ وهم مشركو قريش يوم بدر.

وقوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾ قال بعض العلماء ـ فيما حكاه ابن جرير ـ: يرى المشركون يوم بدر المسلمين مثليهم في العدد رأي أعينهم؛ أي: جعل الله ذلك فيما رأوه سببًا لنصرة الإسلام عليهم. وهذا لا إشكال عليه إلا من جهة واحدة، وهي أن المشركين بعثوا عمر بن سعد يومئذ قبل القتال يحزر لهم المسلمين، فأخبرهم بأنهم ثلاثمائة، يزيدون قليلًا أو ينقصون قليلًا. وهكذا كان الأمر، كانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا ثم لما وقع القتال أمدّهم الله بألف من خواص الملائكة وساداتهم.

والقول الثاني: «أن المعنى في قوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾؛ أي: ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم؛ أي: ضعفيهم في العدد، ومع هذا نصرهم الله عليهم. وهذا لا إشكال فيه على ما رواه العوفي، عن ابن عباس: أن المؤمنين كانوا يوم بدر ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا والمشركين كانوا ستمائة وستة وعشرين رجلًا. وكأن هذا القول مأخوذ من ظاهر هذه الآية، ولكنه خلاف المشهور عند أهل التواريخ والسير وأيام الناس، وخلاف المعروف عند الجمهور من أن المشركين كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف كما رواه محمد بن إسحاق، عن

يزيد بن رومان، عن عروة بن الزبير، أن رسول الله ﷺ لما سأل ذلك العبد الأسود لبني الحجاج عن عدّة قريش، فقال: كثير، قال: «**كم ينحرون كل يوم؟**»، قال: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا، فقال النبي ﷺ: «**القوم ما بين التسع مائة والألف**»(١).

وروى أبو إسحاق السَّبِيعي، عن حارثة، عن علي، قال: كانوا ألفًا، وكذا قال ابن مسعود. والمشهور أنهم كانوا ما بين التسعمائة إلى الألف، وعلى كل تقدير فقد كانوا ثلاثة أمثال المسلمين، وعلى هذا فيشكل هذا القول والله أعلم. لكن وجَّهَ ابن جرير هذا، وجعله صحيحًا كما تقول: عندي ألف وأنا محتاج إلى مثليها، وتكون محتاجًا إلى ثلاثة آلاف، كذا قال. وعلى هذا فلا إشكال.

لكن بقي سؤال آخر وهو وارد على القولين، وهو أن يقال: ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى في قصة بدر: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤].

○ **والجواب**: أن هذا كان في حال، والآخر كان في حال أخرى، كما قال السُّدِّي، عن مُرَّة الطيب عن ابن مسعود في قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ الآية، قال: هذا يوم بدر. قال عبد الله بن مسعود: وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يُضْعَفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلًا واحدًا، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال: ٤٤].

وقال أبو إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: لقد قُلِّلوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جانبي تراهم سبعين؟ قال:

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٣/ ١١٣).

أراهم مائة. قال: فأسرنا رجلًا منهم فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفًا. فعندما عاين كل الفريقين الآخر رأى المسلمون المشركين مثليهم؛ أي: أكثر منهم بالضعف، ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم ﷻ. ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع، ثم لما حصل التصاف والتقى الفريقان قلَّل الله هؤلاء في أعين هؤلاء، وهؤلاء في أعين هؤلاء، ليقدم كل منهما على الآخر.

﴿لِيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]؛ أي: ليفرّق بين الحق والباطل، فيظهر كلمة الإيمان على الكفر، ويعز المؤمنين ويذل الكافرين، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال هاهنا: ﴿وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾؛ أي: إن في ذلك لمعتبرًا لمن له بصيرة وفهم يهتدي به إلى حكم الله وأفعاله، وقدره الجاري بنصر عباده المؤمنين في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

❊

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾ **[آل عمران: ١٣]**[(١)].

هذا يوم بدر، والله ﷻ قضى بحكمه العدل سبحانه وتعالى أنه يقلِّلهم في أعينهم هؤلاء وهؤلاء، ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾

(١) من فتاوى نور على الدرب، (٢٧/ ٧٥).

[الأنفال: ٤٤]، فلما تقاربوا صار كل واحد يرى صاحبه قليلًا، لما تقاربوا: الصحابة يرونهم قليلين والكفار يرون الصحابة قليلين، حتى يتمكن بعضهم من بعض؛ يعني: حتى يندفع بعضهم إلى بعض، حتى حكم الله بينهم، وقتل الله صناديدهم ونصر المسلمين عليهم، وكانوا أولًا يرونهم مثليهم، قيل: المسلمين يرون الكفار مثليهم، وقيل: إنَّ الكفار يرون المسلمين مثليهم، فلما دنا بعضهم على بعض، واتصل بعضهم من بعض؛ صار كل واحد يرى خصمه أقل منه؛ حتى يقدم هذا على هذا، وهذا على هذا، ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤٤﴾﴾ [الأنفال: ٤٤] ﷻ، فالله ﷻ جعل تقليل هؤلاء في وجه هؤلاء، وهؤلاء في وجه هؤلاء من أسباب الإقدام حتى التحم الجميع، ونصر الله المسلمين وأذلَّ الله الكافرين.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾ [آل عمران: ١٤، ١٥][1].

يخبرُ تعالى عمَّا زُيِّن للناس في هذه الحياة الدنيا من أنواع الملاذ من النساء والبنين، فبدأ بالنساء لأن الفتنة بهن أشد، كما ثبت في

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

الصَّحيح أنه ﷺ، قال: «**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[١].

فأما إذا كان القصد بهن الإعفاف وكثرة الأولاد، فهذا مطلوب مرغوب فيه مندوب إليه، كما وردت الأحاديث بالترغيب في التزويج والاستكثار منه، «**فَإِنَّ خَيْرَ هَذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً**»[٢]، وقوله ﷺ: «**الدُّنْيَا مَتَاع، وخَيْرُ مَتَاعِهَا المرْأةُ الصَّالحةُ، إنْ نَظَرَ إلَيْها سَرَّتْهُ، وإنْ أَمَرَهَا أَطَاعَتْه، وإنْ غَابَ عَنْها حَفِظَتْه في نَفْسهَا وَمَالِهِ**»[٣].

وقوله في الحديث الآخر: «**حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ**»[٤]، وقالت عائشة رضي الله عنها: «لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنَ النِّسَاءِ إلا الخيل»[٥]، وفي رواية: «من الخيل إلا النساء».

وحبُّ البنين تارة يكون للتفاخر والزينة فهو داخل في هذا، وتارة يكون لتكثير النسل، وتكثير أمة محمد ﷺ ممن يعبد الله وحده لا شريك له، فهذا محمود ممدوح، كما ثبت في الحديث: «**تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ**»[٦].

---

(١) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب ما يتقي به شؤم المرأة برقم (٥٠٩٦)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء برقم (٢٧٤٠).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس موقوفًا في كتاب النكاح، باب كثرة النساء برقم (٥٠٦٩).

(٣) أخرجه مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في كتاب الرضاع، باب خير متاع الدنيا المرأة الصالحة برقم (١٤٦٧).

(٤) أخرجه النسائي في كتاب عشرة النساء، باب حب النساء برقم (٣٩٤٠).

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى من حديث أنس في كتاب الخيل، باب حب الخيل (٤/ ٣١٣ برقم ٤٣٨٩).

(٦) أخرجه أبو داود من حديث معقل بن يسار رضي الله عنه في كتاب النكاح، باب النهي عن تزويج من لم يلد من النساء برقم (٢٠٥٠).

وحب المال ـ كذلك ـ تارة يكون للفخر والخيلاء والتكبر على الضعفاء، والتجبر على الفقراء، فهذا مذموم، وتارة يكون للنفقة في القربات وصلة الأرحام والقرابات ووجوه البر والطاعات، فهذا ممدوح محمود عليه شرعًا.

وقد اختلف المفسِّرون في مقدار القنطار على أقوال، وحاصلها: أنه المال الجزيل، كما قاله الضحاك وغيره، وقيل: ألف دينار. وقيل: ألف ومائتا دينار. وقيل: اثنا عشر ألفًا. وقيل: أربعون ألفًا. وقيل: ستون ألفًا، وقيل: سبعون ألفًا. وقيل: ثمانون ألفًا. وقيل غير ذلك.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْقِنْطَارُ اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ أُوقِيَّةٍ كُلُّ أُوقِيَّةٍ خَيْرٌ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»**[١].

وقد رواه ابن ماجه، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن عبد الصمد بن عبد الوارث، عن حماد بن سلمة، به. وقد رواه ابن جرير عن بُنْدار، عن ابن مهدي، عن حماد بن زيد، عن عاصم ـ هو: ابن بَهْدَلة ـ عن أبي صالح، عن أبي هريرة موقوفًا، وهذا أصح. وهكذا رواه ابن جرير عن معاذ بن جبل وابن عمر. وحكاه ابن أبي حاتم، عن أبي هريرة وأبي الدرداء، أنهم قالوا: القنطار ألف ومائتا أوقية.

ثم قال ابن جرير: حدثني زكريا بن يحيى الضرير، حدثنا شبابة، حدثنا مَخْلَد بن عبد الواحد، عن علي بن زيد، عن عطاء بن أبي ميمونة، عن زِرّ بن حُبَيْش، عن أُبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْقِنْطَارُ أَلْفُ أُوقِيَّةٍ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ»**[٢].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب، باب بر الوالدين برقم (٣٣٦٠)، والإمام أحمد (٢/ ٣٦٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه من حديث أبي هريرة ﵁ في كتاب الأدب، باب بر الوالدين برقم (٣٦٦٠)، والإمام أحمد (٢/ ٣٦٣).

وهذا حديث منكر أيضًا، والأقربُ أن يكون موقوفًا على أُبي بن كعب، كغيره من الصحابة. وقد روى ابن مَرْدُويَه، من طريق موسى بن عُبَيْدة الرَّبَذِي عن محمد بن إبراهيم عن يحنَّش أبي موسى، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ مائة آيةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، ومَنْ قَرَأَ مِائَةَ آيةٍ إِلَى أَلْف أَصْبَح لَهُ قِنْطار مِنْ أَجْرٍ عندَ الله، القِنْطارُ مِنْهُ مِثلُ الجبَلِ العَظِيم»**. ورواه وَكِيع، عن موسى بن عُبَيدة، وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عيسى بن زيد اللخمي بتنِّيس، حدثنا عَمْرو بن أبي سلمة، حدثنا زهير بن محمد، حدثنا حُمَيد الطويل، ورجل آخر، عن أنس بن مالك قال: سئل رسول الله ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ قال: **«القِنْطَارُ ألفا أُوقِيَّةٍ»**. صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، هكذا رواه الحاكم.

وقد رواه ابن أبي حاتم بلفظ آخر فقال: حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن الرَّقِّي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنا زهير ـ يعني: ابن محمد ـ حدثنا حميد الطويل ورجل آخر قد سمَّاه ـ يعني: يزيد الرَّقَاشي ـ عن أنس، عن رسول الله ﷺ في قوله: قنطار، يعني: «ألف دينار». وهكذا رواه ابن مَرْدُويه، ورواه الطبراني، عن عبد الله بن محمد بن أبي مريم، عن عَمْرو بن أبي سلمة، فذكر بإسناده مثله سواء.

وروى ابن جرير عن الحسن البصري مرسلًا عنه وموقوفًا عليه: القنطار ألف ومائتا دينار. وكذا رواه العَوْفي عن ابن عباس.

وقال الضحاك: من العرب من يقول: القنطار ألف دينار. ومنهم من يقول: اثنا عشر ألفًا.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عارِم، عن حَمّاد، عن سعيد الجُرَيرِي عن أبي نضْرة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: القنطار ملء مَسْك الثور ذهبًا.

قال أبو محمد: ورواه محمد بن موسى الحرشي، عن حماد بن زيد، مرفوعًا. والموقوف أصح.

وحب الخيل على ثلاثة أقسام، تارة يكون ربطَها أصحابُها معدَّة لسبيل الله تعالى، متى احتاجوا إليها غزَوا عليها، فهؤلاء يثابون. وتارة تربط فخرًا ونواء لأهل الإسلام، فهذه على صاحبها وزر. وتارة للتعفف واقتناء نسلها. ولم يَنْسَ حق الله في رقابها، فهذه لصاحبها ستْر، كما سيأتي الحديث بذلك إن شاء الله تعالى عند قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وأما ﴿الْمُسَوَّمَةِ﴾ فعن ابن عباس ﵄: المسومة الراعية، والمُطَهَّمة الحسَان، وكذا روي عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعبد الرحمٰن بن عبد الله بن أبْزَى، والسُّدِّي، والربيع بن أنس، وأبي سِنَان وغيرهم.

وقال مكحول: المسومة: الغُرَّة والتحجيل. وقيل غير ذلك.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن عبد الحميد بن جعفر، عن يزيد بن أبي حبيب، عن سُوَيْد بن قيس، عن معاوية بن حُدَيج، عن أبي ذر ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: **«إنَّه ليسَ مِنْ فَرَسٍ عَرَبِي إلا يُؤذَنُ لَهُ مَعَ كُلِّ فَجْر يَدْعُو بِدَعْوَتَيْنِ، يَقُولُ: اللَّهُمَّ إنَّكَ خَوَّلْتَنِي مَنْ خَوَّلْتَني من بَنِي آدَم، فاجْعَلْنِي مِنْ أحَبِّ مَالِهِ وأَهْلِهِ إليه، أوْ أحَب أهْلِه ومالِهِ إليهِ»**(١).

وقوله: ﴿وَالْأَنْعَامِ﴾ يعني: الإبل والبقر والغنم، ﴿وَالْحَرْثِ﴾؛ يعني: الأرض المتخذة للغِرَاس والزراعة.

قال الإمام أحمد: حدثنا رَوْح بن عبادة، حدثنا أبو نعامة العدوي، عن مسلم بن بُدَيل، عن إياسِ بن زهير، عن سُويد بن هُبَيرة، عن النبي ﷺ قال: **«خَيْرُ مَالِ امرئ لَهُ مُهْرة مَأمُورة، أو سِكَّة مَأبُورة»**(٢)

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث أبي ذر ﵁ (٥/ ١٧٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٦٨).

المأمورة: الكثيرة النسل، والسّكّة: النخل المصطفّ، والمأبورة: الملقحة.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: إنما هذا زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية الزائلة ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾؛ أي: حسن المرجع والثواب.

وقد قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن عطاء، عن أبي بكر بن حفص بن عُمَر بن سعد قال: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لما أنزلت: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ قلت: الآن يا رب حين زينتها لنا فنزلت: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾.

ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ﴾؛ أي: قل يا محمد للناس: أؤخبركم بخير مما زُين للناس في هذه الحياة الدنيا من زهرتها ونعيمها، الذي هو زائل لا محالة. ثم أخبر عن ذلك، فقال: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: تنخرق بين جوانبها وأرجائها الأنهار، من أنواع الأشربة؛ من العسل واللبن والخمر والماء وغير ذلك، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: ماكثين فيها أبد الآباد لا يبغون عنها حِوَلا.

﴿وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾؛ أي: من الدَّنَس، والخَبَث، والأذى، والحيض، والنفاس، وغير ذلك مما يعتري نساء الدنيا.

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يحل عليهم رضوانه، فلا يَسْخَط عليهم بعده أبدًا؛ ولهذا قال تعالى في الآية الأخرى التي في براءة: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٧٢]؛ أي: أعظم مما أعطاهم من النعيم المقيم، ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾﴾؛ أي: يعطي كلًّا بحسب ما يستحقه من العطاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا جزاء أوليائه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فإنه عَزَّ وَجَلَّ خلق هذه الدار للعمل، وجعلها مشتركة بين الصالح والطالح، وبين المؤمن والكافر، وبين البر التقي والفاجر إلى غير ذلك، ويوم القيامة يميز الله بين الناس، فالخبثاء إلى دار الخبث وهي النار، والطيبون إلى دار الطيب وهي الجنة، ويجازيهم سبحانه بأنواع النعيم التي أعدها لهم في دار الكرامة، وهي جنات متنوعة فيها من كل ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، من أنواع النعيم وأنواع الثمار، وأنواع الأنهار، وصنوف القصور، وصنوف الزوجات، وغير هذا مما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته في تلك الدار، ثم هذا النعيم لا يعتريه نقص؛ بل هو في زيادة، ولا يعتريه زوال ولا ذهاب ولا تلف، فالمياه مستمرة ليس فيها نقص ولا غور، ولا محل ولا جدب، والثمار مستمرة تزيد ولا تنقص، والقصور فيها أنواع النعيم، والزوجات في شباب دائم، وفي بكارةً دائمة وفي حسن دائم، وهو كذلك في شباب دائم وحسن دائم، وراحة عظيمة وصحة دائمة، فلا موت ولا أمراض ولا أحزان ولا أكدار، ثم فوق ذلك رضوانه سبحانه، فيرضى عنهم رضاءً لا سخط بعده، فهذا كله من جزائهم على ما أعطاهم من النعيم بسبب ما قدموا في هذه الدار من أعمال صالحات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٧، ٨]. فهو سبحانه يشوِّق أهل الإيمان إلى هذه الدار؛ ليعلموا ويصبروا، ويحذر من دار الهوان ببيان ما فيها من الهوان والعذاب والنكال؛ ليحذر منها ويرهب من تساهل في أمر الله من عاقبته الوخيمة، والله يهدي من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

مداخلة: يا شيخ! ذكر بعض أهل المفسرين قال المفسرين: إن أهل النعيم في الدنيا هم أهل النعيم في الآخرة، إيش يقصدوا بذلك؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ليس على إطلاقه، إن أراد نعيم القلوب راحة القلوب ونعيم الأرواح صحيح، أما نعيم الدنيا لا، أكثر أهل نعيم الدنيا إلى دار الهوان، أكثر أهل النعيم في الدنيا في الملذات المخلوطة من أنواع المآكل والمشارب والملابس والمراكب، هؤلاء إلى النار، نسأل الله العافية، أكثرهم؛ لأنها شغلتهم هذه العاجلة شغلوا بها، أما نعيم القلوب نعيم الأرواح بتوحيد الله وطاعة الله هؤلاء لهم النعيم يوم القيامة في ذلك العرض.

مداخلة: الحديث يا شيخ! «**الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ**»؟(١)

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

صحيح رواه مسلم جيد، نعم، الله أكبر. وهذا شاهد بأن الكافر مسكين ليس له بصيرة؛ فلهذا يتلذذ بنعيمها غافلًا ساهيًا لاهيًا بخلاف المؤمن؛ فإنه لرغبته في الآخرة وعلمه بنعيمها وما يصيبه هنا من مشاكل وأنواع البلايا والامتحان، هي بمثابة السجن له فيخرج منها إلى سعة الآخرة وسعة النعيم، وذلك الفوز الكبير، الله المستعان.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ **[آل عمران: ١٦، ١٧]**(٢).

يصف تعالى عباده المتقين الذين وعدهم الثواب الجزيل، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾؛ أي: بك وبكتابك وبرسولك

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الزهد والرقاق برقم (٢٩٥٦).
(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾؛ أي: بإيماننا بك وبما شرعته لنا فاغفر لنا ذنوبنا وتقصيرنا من أمرنا بفضلك ورحمتك ﴿وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾﴾.

ثم قال: ﴿ٱلصَّٰبِرِينَ﴾؛ أي: في قيامهم بالطاعات وتركهم المحرَّمات ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ﴾ فيما أخبروا به من إيمانهم بما يلتزمونه من الأعمال الشاقة. ﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ﴾ والقنوت: الطاعة والخضوع ﴿وَٱلْمُنفِقِينَ﴾؛ أي: من أموالهم في جميع ما أمروا به من الطاعات، وصلة الأرحام والقرابات، وسد الخَلات، ومواساة ذوي الحاجات ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ دل على فضيلة الاستغفار وقت الأسحار.

وقد قيل: إن يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، لما قال لبنيه: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيٓ﴾ [يوسف: ٩٨] أنه أخَّرهم إلى وقت السحر. وثبت في الصَّحيحين وغيرهما من المسانيد والسنن، من غير وجه، عن جماعة من الصحابة، أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزلُ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى سمَاءِ الدُّنيا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ فيقولُ: هَلْ مِنْ سَائل فأُعْطِيَه؟ هَلْ مِنْ دَاع فَأَسْتجيبَ له؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِر فأَغْفِرَ لَهُ؟**»[1] الحديث. وقد أفرد الحافظ أبو الحسن الدارقطني في ذلك جزءًا على حدة فرواه من طرق متعددة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد أفرد أيضًا أبو العباس ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شرح هذا الحديث جزءًا مستقلًّا شرحًا مستقلًّا في شرح حديث النزول في مواضع، فالحديث عظيم روي عن جماعة من الصحابة من طرق كثيرة، وهو من أصح الأحاديث وأثبتها عن النبيِّ عليه الصلاة والسلام، وفيه بيان أنه جَلَّ وَعَلَا ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: «**من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له**». وفي رواية: «**هل من تائب**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاةُ المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه برقم (٧٥٨).

فيتاب عليه؟ هل من سائل فيعطى سؤله؟ هل من مستغفر فيغفر له حتى يطلع الفجر». وأهل السُّنَّة والجماعة يتلقون هذا بالقَبول كسائر أحاديث الصفات، يتلقونه بالقَبول والإيمان، وأنه حق على الوجه الذي يليق بالله سبحانه وتعالى، لا يشابه الخلق في شيء من صفاته، فكما أنه استوى على العرش جل وعلا استواءً يليق بجلاله، لا يشابه خلقه في استوائه، فهكذا نزوله، وهكذا مجيئه يوم القيامة، وهكذا سمعه وبصره وكلامه ورضاه وغضبه وغير ذلك، كلها صفات حق موصوف بها ربنا عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، لا يشابه الخلق في شيء من صفاته؛ بل له الكمال المطلق في كل شيء سبحانه وتعالى، له الكمال في كل الصفات، وهو الكامل في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وأسماؤه كلها حسنى، وصفاته كلها عُلا وكلها حق، تليق بالله لا يشابه بها خلقه جل وعلا. فمن أنكرها أو تأولها فقد ضل سواء السبيل، والواجب الإيمان بها وإمرارها كما جاءت، والإيمان بما دلت عليه وأنه حق، وأنه ثابت لله على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى، فلا يعلم كيفية صفاته إلا هو سبحانه وتعالى.

قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء؟ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. وهكذا قال أهل العلم من أهل السُّنَّة، وهكذا قالوا: الاستواء معلوم، النزول معلوم، السمع معلوم، البصر معلوم، الغضب معلوم، الرضا معلوم، الكلام معلوم إلى غير هذا، على الوجه اللائق به سبحانه وتعالى. أما الكيفية فلا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى - نعم - وهذا باب واحد، أهل السُّنَّة والجماعة، لا يؤوِّلون صفات الله ولا ينكرونها ولا يؤوِّلونها؛ بل يؤمنون بها وأنها حق وأنها ثابتة معروفة المعنى، لا يعلم كيفيتها إلا الله سبحانه وتعالى، كما قال عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]. ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]. والناس في هذا طرفان ووسط ثلاثة أقسام: قسم: عطَّلوا صفات الله وأوّلوها، فضلُّوا وأضلُّوا كالجهمية والمعتزلة وصار في

ركابهم. **وقسم**: شبهوا الله بخلقه وهم: المشبهة والممثلة فضلُّوا وأضلُّوا وكفروا، حيث قالوا: يد كيدي، وسمع كسمعي، ونزول كنزولي، وأشباه ذلك صاروا أئمة وكفر وضلال، وهم المشبهة. **والقسم الثاني**: الوسط، وهم: أهل السُّنَّة والجماعة أثبتوا صفات الله وأسماءه إثباتًا بلا تمثيل، ونزهوا الله عن مشابهة خلقه تنزيهًا بريئًا من التعطيل، فلا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء، ولكن أثبتوا صفات الله وأسماءه على الوجه اللائق بالله بغير تحريف ولا تعطيل وبغير تكييف ولا تمثيل؛ بل يؤمنون بها إيمانًا عامًّا على الوجه الذي يليق بالله ﷻ، ليس فيه تشبيه لله بخلقه، وليس فيه تعطيل لصفات الله، ولكنهم يعلمون أنها حق، وأنها ثابتة، ولكن لا يشبه بها الرب عباده ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الصَّحيحين، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، قالت: مِنْ كُلِّ اللَّيلِ قَدْ أَوْتَرَ رَسُولُ الله ﷺ، مِنْ أولِهِ وأَوْسَطِهِ وآخِرِهِ، فَانْتَهَى وِتره إلَى السّحَرِ.

وكان عبد الله بن عمر يصلي من الليل، ثم يقول: يا نافع، هل جاء السَّحَر؟ فإذا قال: نعم، أقبل على الدعاء والاستغفار حتى يصبح. رواه ابن أبي حاتم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو الأفضل أن يكون الإيتار في آخر الليل، والدعاء والقراءة والاستغفار، هذا لمن تيسر له ذلك، وقد أوتر عليه الصلاة والسلام من أول الليل، وأوتر من أوسط الليل وأوتر من آخره، ثم انتهى وتره إلى السَّحَر، كان آخر أموره الثلاثة أنه استقر وتره في السَّحَر عليه الصلاة والسلام، وهذا هو الأفضل: أن يكون الوتر والتهجد في الثلث الأخير؛ حتى يوافق النزول الإلٰهي، لكن مَن شقَّ عليه ذلك فإنه يوتر في أول الليل، هذا هو الأفضل إذا شق عليه وخشي ألا يقوم، خاف ألا يقوم فليوتر في أول الليل؛ ولهذا أوصى النبيُّ ﷺ أبا الدرداء وأبا هريرة

بالإيتار أول الليل. والظاهر ـ والله أعلم ـ أن أسباب ذلك: هو أنهما كان يدرسان الحديث ويعتنيان بحفظه وضبطه؛ فلهذا يصعب عليهما القيام في آخر الليل؛ فلهذا أوصاهما بالوتر أول الليل. وفي صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ خَافَ أَنْ لا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرِ أَوَّلَهُ، ومن طَمِع أَنْ يَقُومَ آخِرَ اللَّيْل فَلْيُوتِر آخرِ اللَّيْل، فإن صلاة آخرِ اللَّيْل مشْهودة وَذَلَك أَفضَلُ**» رواه مسلم[1].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال ابن جرير: حدثنا ابن وَكِيع، حدثنا أبي، عن حُرَيْث بن أبي مطر، عن إبراهيم بن حاطب، عن أبيه قال: سمعت رجلًا في السَّحَر في ناحية المسجد وهو يقول: ربِّ أمرتني فأطعتك، وهذا سَحَر، فاغفر لي. فنظرت فإذا ابن مسعود رضي الله عنه.

وروى ابن مَرْدُويه عن أنس بن مالك قال: كنا نؤمر إذا صلَّينا من الليل أنْ نستغفر في آخر السَّحَر سبعين مرة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا في حكم المرفوع، كونه كنا نؤمر قاعدة أنه إذا قال الصحابي: كنا نؤمر أو أُمرنا أنه في حكم الرفع، لكن يحتاج إلى نظر في سند ابن مردويه؛ لأن رواية ابن مردويه يغلب عليها الضعف؛ لأنه غير ملتزم بالصحيح وهو متأخر، متأخر وله أسانيد كثيرة ضعيفة، فالروايات المطلقة لا يعتمد عليها، ومؤلفه أطلق هكذا ولم يتعرض بشيء، فالذي ينبغي للمؤلف أن يعتني بسنده، أو يسوق السند أو لا يذكره بالكلية. أما أن يذكره هكذا، فهذا ما يؤخذ على المؤلف رحمه الله، مع أنه محدِّث كان اللائق به أن يذكر السند أو يتكلم عليه؛ حتى تكون الفائدة تامة، والله المستعان. سبحان من له الكمال على الكمال.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله برقم (٧٥٥).

مداخلة: يا شيخ! ابن مردويه له كتاب مطبوع؟

الشيخ: ما سمعت شيئًا.

المقصود: أنه يستغفر ما تيسَّر له في آخر الليل، وليس محدودًا بسبعين ولا بأكثر ولا بأقل ما تيسر، يستغفر الله ويدعوه ويطلب المغفرة، ويسأل ربه ما يعينه من خير الدنيا والآخرة، وأما التحديد سبعين مرة وأمرهم بهذا فهذا، يقف على صحة الحديث، إن صح نعم، وأما إذا لم يُعرف حاله فالأصل عدم ذلك، عدم التقييد.

مداخلة: لو أن إنسان مثلًا: بعد المغرب أو بعد الفجر مثلًا هلَّل زيادة بعد الصلاة على العشر، يعني: هل له..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما في مانع.

مداخلة: يعني: ما يقال: إنه بدعة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في جميع الأوقات مطلوبة، لكن فقط لا يقال: هذا العدد مشروع إلا بدليل، أما كونه يهلل أو يدعو الله أو يستغفر مئات المرات وآلاف المرات هذا مطلوب كله خير، لكن لا يعيِّن عددًا معينًا له فضل خاص إلا بدليل.

مداخلة: ويستغفر مثلًا بعد الصلاة دبر الصلاة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يفصل هذا عن هذا ولا بأس.

مداخلة: بعضهم مثلًا يعني: يزيد؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يفصل هذا عن هذا ولا بأس.

مداخلة: يقال له مثلًا: يهلِّل عشر ويسبح، ثم بعدما ينتهي من التسبيحات الراتبة إذا أراد أن يهلل يهلل فيما بعد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يهلل فيما بعد.......

مداخلة: يقصد بذلك: أمرنا يعني: أو كنا نؤمر، يقصد قول الرسول ﷺ أو قول أنس.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه قاعدة كنا نؤمر يعني: النبي ﷺ، قوله: (أمرنا أن نشفع الأذان ونوتر الإقامة)، (أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت)؛ لأن الرسول هو الآمر إذا قال الصحابي: معناها على الرفع، بشرط الصحة، إذا صح السند إليه.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨ ـ ٢٠][(١)].

شهد تعالى ـ وكفى به شهيدًا، وهو أصدق الشاهدين وأعدلهم، وأصدق القائلين ـ ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ أي: المتفرد بالإلٰهية لجميع الخلائق، وأن الجميع عبيده وخلقه، والفقراء إليه، وهو الغني عما سواه كما قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ الآية [النساء: ١٦٦].

ثم قرن شهادة ملائكته وأولي العلم بشهادته فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ وهذه خصوصية عظيمة للعلماء في هذا المقام.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

﴿قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ﴾ منصوب على الحال، وهو في جميع الأحوال كذلك.

﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ تأكيد لما سبق ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾. العزيز: الذي لا يرام جنابه عظمةً وكبرياء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره.

وقال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن عبد ربه، حدثنا بَقِيَّة بن الوليد، حدثني جبير بن عَمْرو القرشي، حدثنا أبو سَعِيد الأنصاري، عن أبي يحيى مولى آل الزبير بن العوام، عن الزبير بن العوام، قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفةَ يقرأ هذه الآية: «﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨﴾ **وأنا عَلَى ذلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ يا رَبِّ**».

وقد رواه ابن أبي حاتم من وجه آخر، فقال: حدثنا علي بن حسين، حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني، حدثنا عُمَر بن حفص بن ثابت أبو سعيد الأنصاري، حدثنا عبد الملك بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جده، عن الزبير قال: سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ قال: «**وأنا أشْهَدُ أيْ رَبِّ**».

وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني في المعجم الكبير: حدثنا عبدان بن أحمد وعلي بن سعيد الرازي قالا: حدثنا عَمَّار بن عمر بن المختار(١)، حدثني أبي، حدثني غالب القطان قال: أتيت الكوفة في تجارة، فنزلت قريبًا من الأعمش، فلما كانت ليلة أردتُ أن أنْحَدِرَ قام فتهجد من الليل، فمر بهذه الآية: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ

---

(١) قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هذا الحديث ضعيف جدًا بهذا الإسناد لأن في إسناده عمر المختار والد عمار وهو يروي الأباطيل كما ذكره الذهبي في الميزان، وقال في موضع آخر أنه متهم بالوضع وبذلك يعلم ضعف هذا الحديث؛ ولكن أحاديث كثيرة تدل على فضل هذه الكلمة، وهي لا إله إلا الله في حق من قالها بصدق وإخلاص ومات على ذلك، غير مصر على شيء من المعاصي مع الإيمان بأن محمدًا رسول الله، والله ولي التوفيق حرر في ١٤١٨/٦/٢٤هـ.

ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾. ثم قال الأعمش: وأنا أشهد بما شهد الله به، وأستودع الله هذه الشهادة، وهي لي عند الله وديعة: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ قالها مرارًا. قلت: لقد سمع فيها شيئًا، فغدوت إليه فودَّعته، ثم قلت: يا أبا محمد، إني سمعتك تردد هذه الآية. قال: أو ما بلغك ما فيها؟ قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثني. قال: والله لا أحدثك بها إلى سنة. فأقمت سنة فكنت على بابه، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد، قد مضت السنة. قال: حدثني أبو وائل، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُجَاءُ بِصَاحِبِهَا يَوْمَ القِيامَةِ، فَيَقُولُ الله ﷻ: عَبْدِي عَهِدَ إِلَيَّ، وأَنَا أَحَقُّ مَن وَفَّى بالْعَهْدِ، أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ»**(١).

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى خُتموا بمحمد ﷺ، الذي سد جميع الطرق إليه إلا من جهة محمد ﷺ، فمن لقي الله بعد بعثته محمدًا ﷺ بدين على غير شريعته، فليس بمتقبَّل. كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال في هذه الآية مخبرًا بانحصار الدين المتقبل عنده في الإسلام: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾.

وذكر ابن جرير أن ابن عباس قرأ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ بكسر إنه وفتح ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾؛ أي: شهد هو وملائكته وأولو العلم من البشر بأن الدين عند الله الإسلام. والجمهور قرأوها بالكسر على الخبر، وكلا المعنيين صحيح. ولكن هذا على قول الجمهور أظهر والله أعلم.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (١٠٣٠١).

ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول إنما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة، بإرسال الرسل إليهم، وإنزال الكتب عليهم، فقال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾؛ أي: بغى بعضهم على بعض، فاختلفوا في الحق لتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم، فحمل بعضهم بُغْض البَعْض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله، وإن كانت حقًّا، ثم قال: ﴿بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾؛ أي: من جحد بما أنزل الله في كتابه فإن الله سيجازيه على ذلك، ويحاسبه على تكذيبه، ويعاقبه على مخالفته كتابه.

ثم قال تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾؛ أي: جادلوك في التوحيد ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾؛ أي: فقل أخلصت عبادتي لله وحده، لا شريك له ولا ندَّ له ولا ولد ولا صاحبة له ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ على ديني، يقول كمقالتي، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ثم قال تعالى آمرًا لعبده ورسوله محمد ﷺ أن يدعو إلى طريقته ودينه، والدخول في شرعه وما بعثه الله به الكتابيين من الملَّتين والأميين من المشركين فقال: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾؛ أي: والله عليه حسابهم وإليه مرجعهم ومآبهم، وهو الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، وله الحكمة في ذلك، والحجة البالغة؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: هو عليم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلالة، وهو الذي ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] وما ذاك إلا لحكمته ورحمته.

وهذه الآية وأمثالها من أصرح الدلالات على عموم بعثته، صَلوات الله وسلامه عليه، إلى جميع الخلق، كما هو معلوم من دينه ضرورة، وكما دل عليه الكتاب والسُّنَّة في غير ما آية وحديث، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:

١٥٨]، وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وفي الصحيحين وغيرهما، مما ثبت تواتره بالوقائع المتعددة، أنه بعث كتبه ﷺ يدعو إلى الله ملوك الآفاق، وطوائف بني آدم من عربهم وعجمهم، كتابيِّهم وأمِّيِّهم، امتثالًا لأمر الله له بذلك. وقد روى عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن هَمَّام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ وَلَا يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» رواه مسلم(١).

وقال ﷺ: «**بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، كَانَ النَّبِيُّ إِنَّمَا يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً**»(٢).

وقال الإمام أحمد: حدثنا مُؤَمِّل، حدثنا حَمَّاد، حدثنا ثابت عن أنس رضي الله عنه: أن غلامًا يهوديًّا كان يَضع للنبي ﷺ وَضُوءه ويناوله نعليه، فمرض، فأتاه النبي ﷺ فدخل عليه وأبوه قاعد عند رأسه فقال له النبي ﷺ: «**يا فُلانُ، قُلْ: لا إله إلا الله**» فَنَظَرَ إِلَى أبيه، فَسَكَتَ أبوه، فأعَادَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَنظَرَ إِلَى أَبيهِ، فَقَالَ أَبُوهُ: أَطِعْ أبا الْقَاسِمِ، فَقَالَ الْغُلامُ: أَشْهَدُ أن لا إلَهَ إلا الله وأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ بِي مِنَ النَّارِ**» أخرجه البخاري في الصحيح(٣). إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث.

*

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا ﷺ إلى جميع الناس ونسخ الملل بملته برقم (١٥٣).
(٢) أخرجه مسلم من حديث جابر رضي الله عنه في كتاب المساجد، برقم (٥٢١).
(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلَّى عليه برقم (١٣٥٦).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨][1].

هذه الآية الكريمة من أعظم الآيات الواردة في إثبات توحيد الله ﷻ، والشهادة بأنه سبحانه هو المعبود بالحق، يبيِّن فيها ﷻ، أنه شهد بنفسه، وهو أعظم شاهد ﷻ أنه لا إلٰه إلا هو؛ كما قال ﷻ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وقال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢].

فشهد في هذه الآية ـ آية آل عمران ـ أنه سبحانه لا إلٰه إلا هو، فالمعنى: لا إلٰه حق سواه، الآلهة كثيرة يعبدها المشركون من أصنام وجن وملائكة وأشجار وأحجار؛ وغير ذلك، لكن كلها باطلة، كلها آلهة باطلة والإلٰه الحق هو الله وحده ﷻ؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾، وشهد بذلك أيضًا الملائكة الكرام وهم من أعدل الشهود، وشهد بذلك أيضًا أولوا العلم الذين عرفوا الحق ودانوا به، وهم أولو العلم بالقرآن والسُّنَّة، يشهدون أيضًا لله بالوحدانية، وهذه الآية فيها منقبة عظيمة للملائكة ولأولي العلم، وأن الله استشهدهم على وحدانيته؛ لأنهم يعلمون ذلك وهم عدول فالملائكة من خير عباد الله؛ كما قال الله ﷻ: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨].

يشهدون لربهم بأنه هو الإلٰه الحق ﷻ، منهم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وغيرهم، وهكذا أولو العلم من سابق الزمان وآجل الزمان، من

---

(١) من فتاوى نور على الدرب، (٢٧/ ٧٧).

عهد آدم ـ عليه الصلاة والسلام ـ ومن بعده من الرسل والعلماء إلى يومنا هذا وإلى أن يقبض الله أرواح المؤمنين في آخر الزمان، كل العلماء الذين عرفوا الحق ودرسوا كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، كلهم يشهدون بأنه سبحانه هو الإلٰه الحق، وهم خلفاء الرسل، فالرسل هم أئمة العلماء، والأنبياء هم أئمة العلماء، وأتباعهم من أهل العلم يشهدون بهذا؛ يعني: علماء السُّنَّة، علماء الحق الذين تفقهوا في دين الله، وعرفوا ما دلَّ عليه كتاب الله، وسُنَّة رسوله ﷺ، يشهدون أن الله سبحانه هو الإلٰه الحق، وأنه هو المستحق للعبادة، وأنه لا إلٰه إلا هو ولا ربَّ سواه ﷻ.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ ۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٩ ـ ٢٥][(١)].

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ١٦٦).

يبيِّن الله ﷻ في هذه الآيات الكريمات أحكامًا عظيمةً، وأخبارًا مهمة فيها إرشاد العباد إلى الخير، وتوجيههم إلى أسباب النجاة، وتحذيرهم من أسباب الهلاك، كبقية كتاب الله ﷿، فإنه فيه الهدى والنور، وفيه الدعوة إلى كل خير، وفيه التحذير من الشر في الدنيا والآخرة، ومن هذا قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ يوضح سبحانه أن الدين عنده ﷻ هو الإسلام في الأولين والآخرين؛ ليس هناك دين آخر، فدين الله واحد هو الإسلام، هو دين آدم، ودين نوح ومن بعده من الأنبياء والمرسلين وهو دين محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ وأمته.

ولهذا قال ﷿ في الآية الأخرى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وفي آية أخرى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فهو سبحانه رضي للعباد الإسلام دينًا، وأخبر أنه لا يقبل من أحد دينًا سواه، وأخبر أن الدين عنده هو الإسلام.

والدين هو الطاعة والخضوع، والذُّل لله تعالى يكون بالطريقة التي بَعَث الله بها رسلَه، وأنزل بها كتبه، ولهذا سمَّاه إسلامًا، وسمَّاه أيضًا بِرًّا وتقوى وهدًى وإيمانًا.

وسُمِّيَ هذا الدين الذي بعث الله به الرُّسل إسلامًا؛ لِما يتضمنه من الانقياد لله، والذُّل له ﷻ، والقيام بأوامره وترك نواهيه، هذا يسمَّى إسلامًا؛ لأن الإسلام في اللغة العربية معناه: الذل للمُسلَم له والانقياد له، يقال: أَسلَم فلان لفلان: إذا انقاد له.

والإسلام عند الله: هو الانقياد لأمره والذُّل لعظمته، فيُسلِم العبد لله بتوحيده، والإخلاص له، والانقياد لأوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده. هكذا يكون الإسلام ذلًّا وانقيادًا للرب ﷿ بطاعة الأوامر، وترك النواهي، وإخلاص العمل لله وحده ﷻ، فآدم عليه الصلاة

والسلام على الإسلام، وهكذا مَن بعدَه إلى أن وُجد الشرك في قوم نوح بعبادة الصالحين بعث الله إليهم نوحًا عليه الصلاة والسلام بالإسلام؛ بتوحيد الله والإخلاص له، والانقياد لأوامره واتباع نبيّه نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهكذا مَن بَعدَه.

فالإسلام في حق كل أمة هو ما جاء به نبيّها من الهدى يسمى إسلامًا، فمن لم يَنْقَدْ لذلك فقد خرج عن الإسلام، فالذين لم يصدقوا نوحًا قد خرجوا عن الإسلام، والذين عصوا هودًا وصالحًا وشعيبًا وإبراهيم ولوطًا قد خرجوا عن الإسلام.

فالإسلام هو اتِّباع الأنبياء فيما جاؤوا به من الشرائع في كل أمة بحسبها، ثم انتهى الأمر إلى خاتم النبيين وأفضل عباد الله أجمعين محمدٍ عليه الصلاة والسلام فصار الإسلام هو ما بعث الله به محمدًا عليه الصلاة والسلام من الشرائع والأحكام والأصول العظيمة.

فقد جاء ﷺ بما جاءت به الرسل من توحيد الله، والإخلاص له، والإيمان بجميع المرسلين والأنبياء، والإيمان بالآخرة بما فيها من الجنة والنار وغير ذلك، وجاء بشرائع وأحكامٍ هي أكمل من الشرائع التي قبلها، صالحة لزمانه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وصالحة لكل زمان يأتي بعده إلى يوم القيامة، وهي أيضًا لجميع الأمم، لا تخص العرب فهي لجميع الأمم؛ العرب والعجم على اختلاف أجناسهم ولغاتهم، فهذا الدين لهم جميعًا وهذه الشريعة لهم جميعًا، فعليهم جميعًا أن ينقادوا لله، وأن يخلصوا له العمل، وأن يعظموه كما أمر، وأن ينقادوا للشرائع التي جاء بها كتابه ورسوله محمد ﷺ.

فالإسلام في حق هذه الأمة هو: الانقياد لما جاء به نبيّها محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، مع الإيمان بالله وحده، وتوجيه القلوب إليه، وإخلاص العبادة له ﷻ حتى يلقى ربه وهو على هذه الحال. فإذا

جحد شيئًا مما أخبر الله به في كتابه، أو أوصى به الرسول ﷺ مما هو معلوم من الدين بالضرورة من واجب أو محرم أو مباح؛ خرج عن هذا الإسلام. وهكذا إذا استهزأ به أو سخر، أو استهان أو استحقر، فإنه بذلك أيضًا يخرج من الإسلام، فالإسلام له نواقض تُخرج العبد منه، فهو أعمال وأقوال وعقائد جاء بها الكتاب العزيز، وجاءت بها السُّنَّة المُطهرة، يجب على كل من عرفها أن يؤمن بها، وأن ينقاد لها، وأن يعظِّمها وألا يسخر منها أو يستهزئ بها أو يحتقرها أو يكذب بشيء منها، فهذا هو الإسلام.

ولما سُئل النبي ﷺ عن الإسلام؟ فسَّره بالأعمال الظاهرة: وهي الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام والحج، ويلتحق بها كلُّ ما شرع الله من الأعمال والأقوال، فهي ملتحقة بأركان الإسلام التي ذكرها الرسول عليه الصلاة والسلام. ويلتحق بذلك أيضًا ما يُسمَّى إيمانًا، فإنه جاء في النصوص الأخرى ما يدل على تسميته إسلامًا، فقد سمَّى النبي ﷺ الشهادتين والصلاة والزكاة والصيام وأداء الفروض سَمّاه إيمانًا، وسمَّى جميع الدين إيمانًا، قال: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً**»، وفي رواية: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ**»(١).

فجعل الدين كله إيمانًا، وجعل كلمة التوحيد: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» التي هي أصل الإسلام جعلها أيضًا إيمانًا، فالإسلام والإيمان: هو توجيه القلوب إلى الله، والاستقامة على ما شرع، محبة وتعظيمًا وإخلاصًا، وأداءُ الفرائض، وترك المحارم، والوقوف عند الحدود.

---

(١) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان برقم (٩)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان برقم (٣٥).

يبيّن بعد هذا أن الذين اختلفوا من أهل الكتاب إنما اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم، فلماء جاءهم العلم من الله ﷻ تنازعوا واختلفوا؛ لما في قلوبهم من الميل إلى الرئاسات والأطماع وغير ذلك، حتى اختلفوا في الحق، وتنازعوا فيه، وهذا هو عمل اليهود والنصارى؛ تنازعوا واختلفوا على فِرَق كثيرة، فاليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة. ثم جاء العِلم والهدى لهذه الأمة، فاختلفت أيضًا وتنازعت حتى صارت على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهذه الواحدة هي التي عملت في الإسلام وانقادت له واستقامت عليه، فهي الفرقة الناجية في الدنيا والآخرة، ثم المنحرفون عن هذا الإسلام وهم الثنتان وسبعون فرقة هم أقسام؛ منهم الكافر الذي بلغ الغاية في الكفر بالله، ومنهم من دون الكفر، ولكنه عصى فاستحق الوعيد بالنار.

وفي الآيات من التوجيه إلى الخير، والدعوةِ إليه، والتحذير من أعمال الكفرة قتلة الأنبياء، وفيها التحذير من أعمالهم السيئة وكفرهم وضلالهم.

وفيها بيان أحوال أهل الكتاب وإعراضهم عن الحق، وأنهم دُعُوا إلى كتاب الله ليحكم بينهم فأبوا وانحرفوا عن الحق، وزعموا افتراءً على الله أنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودات، إلى غير هذا مما قَصَّ الله ﷻ عنهم في هذه الآيات وفي غيرها.

ففي كتاب الله الهدى والنور والبصائر لِمَن تدبَّره وتعقَّله، وفيه الإخراج من الظلمات إلى النور، وفيه التوجيه إلى أسباب النجاة قولًا وعملًا، والتحذير من أسباب الهلاك قولًا وعملًا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢][١].

هذا ذمٌّ من الله تعالى لأهل الكتاب فيما ارتكبوه من المآثم والمحارم في تكذيبهم بآيات الله قديمًا وحديثًا، التي بلغتهم إياها الرسل، استكبارًا عليهم وعنادًا لهم، وتعاظمًا على الحق واستنكافًا عن اتباعه، ومع هذا قتلوا من قتلوا من النبيين حين بلَّغوهم عن الله شرعه، بغير سبب ولا جريمة منهم إليهم، إلا لكونهم دعوهم إلى الحقّ ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ وهذا هو غاية الكبر، كما قال النبي ﷺ: «**الْكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْط النَّاسِ**»[٢].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الزُّبَيْر الحسن بن علي بن مسلم النيسابوري، نزيل مكة، حدثني أبو حفص عمر بن حفص - يعني: ابن ثابت بن زرارة الأنصاري - حدثنا محمد بن حمزة، حدثني أبو الحسن مولى لبني أسد، عن مكحول، عن قبيصة بن ذؤيب الخزاعي، عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد عذابًا يوم القيامة؟ قال: «**رَجلٌ قَتَلَ نَبِيًّا أَوْ مَنْ أمر بِالمَعْرُوفِ ونَهَى عَنِ المُنْكَر**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ الآية. ثم قال رسول الله ﷺ: «**يا أَبَا عُبَيدَةَ، قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلاثَةً وأَرْبَعين نَبيًّا،**

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

(٢) أخرجه مسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (١٤٧).

من أَوَّلِ النّهَارِ في ساعةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَة وسَبْعُونَ رَجُلًا مِنْ بَني إسْرائيلَ، فأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُم بالْمَعْرُوفِ ونَهَوْهُمْ عَنِ المنكرِ، فقُتلوا جَمِيعًا مِنْ آخرِ النَّهارِ مِنْ ذَلكَ اليَوْمِ، فَهُم الذِينَ ذَكَرَ اللهُ ﷻ».

وهكذا رواه ابن جرير عن أبي عبيد الوصّابي محمد بن حفص، عن ابن حُمَيْر، عن أبي الحسن مولى بني أسد، عن مكحول، به.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قتلت بنو إسرائيل ثلاثمائة نبي من أول النهار، وأقاموا سوق بَقْلِهِمْ من آخره. رواه ابن أبي حاتم. ولهذا لما أن تكبّروا عن الحق واستكبروا على الخلق، قابلهم الله على ذلك بالذلة والصغار في الدنيا والعذاب المهين في الآخرة، فقال: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾؛ أي: موجع مهين. ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَـٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَـٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ **[آل عمران: ٢٣ ـ ٢٥].**

يقول تعالى منكرًا على اليهود والنصارى، المتمسِّكين فيما يزعمون بكتابيهم اللَّذين بأيديهم، وهما التوراة والإنجيل، وإذا دعوا إلى التحاكم إلى ما فيهما من طاعة الله فيما أمرهم به فيهما، من اتباع محمد ﷺ، تولَّوا وهم معرضون عنهما، وهذا في غاية ما يكون من ذمهم، والتنويه بذكرهم بالمخالفة والعناد.

ثم قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾؛ أي: إنما حملهم وجرّأهم على مخالفة الحق افتراؤهم على الله فيما ادعوه

لأنفسهم أنهم إنما يعذبون في النار سبعة أيام، عن كل ألف سنة في الدنيا يومًا. وقد تقدم تفسير ذلك في سورة البقرة. ثم قال: ﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾؛[أي: غرَّهم في دينهم]؛ أي: ثبَّتهم على دينهم الباطل ما خدعوا به أنفسهم من زعمهم أن النار لا تمسهم بذنوبهم إلا أيامًا معدودات، وهم الذين افتروا هذا من تلقاء أنفسهم وافتعلوه، ولم ينزل الله به سلطانًا، قال الله تعالى متهددًا لهم ومتوعدًا: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾؛ أي: كيف يكون حالهم وقد افتروا على الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه والعلماء من قومهم، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، والله تعالى سائلهم عن ذلك كله، ومحاسبهم عليه، ومجازيهم به؛ ولهذا قال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شك في وقوعه وكونه ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧][(١)].

يقول تبارك تعالى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد، معظمًا لربك ومتوكلًا عليه، وشاكرًا له ومفوضًا إليه: ﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾؛ أي: لك الملك كله ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ﴾؛ أي: أنت المعطي، وأنت المانع، وأنت الذي ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن.

وفي هذه الآية تنبيه وإرشاد إلى شكر نعمة الله تعالى على رسوله ﷺ وهذه الأمة؛ لأن الله حوَّل النبوة من بني إسرائيل إلى النبي العربي القرشي

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

المكي الأمي خاتم الأنبياء على الإطلاق، ورسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، الذي جمع الله فيه محاسن من كان قبله، وخصه بخصائص لم يُعْطِهَا نبيًّا من الأنبياء ولا رسولًا من الرسل، في العلم بالله وشريعته وإطلاعه على الغيوب الماضية والآتية، وكشفه عن حقائق الآخرة ونشر أمته في الآفاق، في مشارق الأرض ومغاربها، وإظهار دينه وشرعه على سائر الأديان، والشرائع، فصلوات الله وسلامه عليه دائمًا إلى يوم الدين، ما تعاقب الليل والنهار. ولهذا قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٦﴾؛ أي: أنت المتصرف في خلقك، الفعال لما تريد، كما رد تبارك وتعالى على من يتحكم عليه في أمره، حيث قال: ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

قال الله تعالى ردًّا عليهم: ﴿أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم مَّعِيشَتَهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَرَفَعۡنَا بَعۡضَهُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ﴾ [الزخرف: ٣٢]؛ أي: نحن نتصرف في خلقنا كما نريد، بلا ممانع ولا مدافع، ولنا الحكمة والحجة في ذلك، وهكذا نعطي النبوة لمن نريد، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، وقال تعالى: ﴿ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا﴾ [الإسراء: ٢١]، وقد روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة «إسحاق بن أحمد» من تاريخه عن المأمون الخليفة: أنه رأى في قَصْرٍ ببلاد الروم مكتوبًا بالحميرية، فعُرِّب له، فإذا هو: باسم الله:

ما اختلف الليل والنهار … ولا دارت نجوم السماء في الفلك
إلا بنقل النعيم عن مَلِك … قد زال سلطانه إلى مَلِك
ومُلْك ذي العرش دائم أبدًا … ليس بِفَانٍ ولا بمشترك

وقوله تعالى: ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾؛ أي: تأخذ من طول هذا فتزيده في قصر هذا فيعتدلان، ثم تأخذ من هذا في هذا فيتفاوتان، ثم يعتدلان. وهكذا في فصول السنة: ربيعًا وصيفًا وخريفًا وشتاء.

وقوله: ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾؛ أي: تخرج الحبَّة من الزرع والزرع من الحبة، والنخلة من النواة والنواة من النخلة، والمؤمن من الكافر والكافر من المؤمن، والدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وما جرى هذا المجرى من جميع الأشياء ﴿وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٢٧﴾؛ أي: تعطي من شئت من المال ما لا يَعده ولا يقدر على إحصائه، وتقتر على آخرين، لما لك في ذلك من الحكمة والإرادة والمشيئة والعدل.

قال الطبراني: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي، حدثنا جعفر بن جسْر بن فَرْقَد، حدثنا أبي، عن عَمْرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**اسْم اللهِ الأعْظَمَ الَّذي إذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، فِي هَذِهِ الآيةِ مِنْ آلِ عِمْرانَ:** ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٦﴾».

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٢٩ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٣٠ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٣﴾ [آل عمران: ٢٨ ـ ٣٣](١).

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ١٧٤).

في هذه الآيات الكريمات يبيِّن ﷻ أنه لا يليق ولا ينبغي لأهل الإيمان أن يوالوا أهل الكفر بالله؛ ولهذا قال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ﴾ فهذا نهي، والنهي يُصرف إلى التحريم؛ أي: لا يتخذونهم أصحابًا وأصدقاء من دون المؤمنين، أو يتخذوهم أحبة وأهل مودة ونصح ونحو ذلك؛ بل يتخذون المؤمنين أصحابًا وأصدقاء دون الكفرة بالله ﷻ؛ لأن الكافر لا يؤمَن على دينك، ولا يؤمن على مصلحتك فهو حريٌّ بأن يكون بعيدًا منك لا قريبًا؛ لأنه ليس على دينك، ومن كان ليس على دينك فهو حريٌّ بالعِداء وغمار الشر، والإعانة على كل ما يضر.

قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ هذا وعيد شديد لمن يتخذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين، فليس من الله في شيء، فهو وعيد شديد يفيد الحذر من هذا العمل السيئ.

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ يعني: إلا أن يفعل ذلك المؤمن تُقاةً له من جورهم وسلطانهم، ويخشى شرهم؛ فيجاملهم ويداريهم من باب المُداراة واتقاء الشر، لا من باب المحبة في الباطن، والله يعلم ما في القلوب؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ فالله يعلم ما في القلوب والضمائر ويعلم من يواليهم عن محبة وقصد، ومن هو ليس بذلك؛ ويجازيهم على نياتهم.

والموالاة تصنع الحبَّ في القلوب، ثم ينتج عنها موالاة بالنصر والتأييد والمساعدة على المسلمين، والمعاداة تصنع البغضاء في القلب، ثم ينتج عنها ما يجب من مقاطعة ومن جهاد ومن غير ذلك؛ فالموالاة والمعاداة تكون بالأفعال، وأصل الموالاة الحب، وأصل المعاداة البغضاء.

فالواجب حبُّ المؤمنين وموالاتهم ونصرتُهم على أعدائهم،

والواجب بغضُ الكافرين ومعاداتهم وجهادهم في الله ﷻ حسب الطاقة والإمكان؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [التوبة: ٢٣]، وهذا كله يبيِّن لنا وجوب معاداة أعداء الله وبُغضهم في الله ﷻ، ولو كانوا آباءً أو إخوانًا أو غيرهم من الأقارب، ووجوب محبة أولياء الله وموالاتهم وإن كانوا بعيدين منك نسبًا وقرابة؛ فالإسلام جمع بين أهله وإن تباعدت أقطارهم وأنسابهم، والكفر يباعد بينهم وإن تقاربت أنسابهم وأوطانهم.

ولهذا جعل الله ﷻ الميراث لمن كان على دين الإسلام وإن كان بعيدًا وجعل قطع ذلك لمن خالف دينه وإن كان قريبًا، فابنك وأبوك على غير دينك لا يرثانك، وابن عمك ومولاك البعيد؛ كابن ابن عمك وابن عم جدك، وأشباه ذلك؛ فأولئك في إرثك وإن كانوا بعيدين، وذلك من أجل الإسلام حتى ولو لم يكن لك أقارب؛ فإن هذا المال يكون لبيت مال المسلمين، ولا يكون لأولئك الأقارب الذين على غير دينك.

والتَّولِّي: هو الانضمام إليهم ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ﴾ [المائدة: ٥١]؛ أي: ينضم إليهم ويكون في معسكرهم، أو ينصرهم على المسلمين، وهذه ردة عن الإسلام، ولهذا ذكر العلماء في نواقض الإسلام مُظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين؛ فإن نصرهم وأعانهم على المسلمين، فهذا هو التولي.

والموالاة أوسع من ذلك؛ فيجب على المؤمن أن يحذر التولي والموالاة للكفار، وأن يكون حذرًا من هذه الأشياء، وبعيدًا منها، وأن يوالي المؤمنين، ويحبهم في الله ﷻ، يرجو بهذا مرضاة الله ﷻ.

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ ومسألة التقاة شيءٌ آخر، مثل مسألة الإكراه، قال الله ﷻ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦] فإذا أظهر لهم بعض الموافقة لتوقي شرهم وخطرهم، لا عن حبٍّ لهم ولا عن موافقة دينهم؛ فهذا شيء آخر غير الموالاة، وذلك من باب التَّقِية أو من باب الإكراه.

ومن هذا ما يؤثر عن أبي الدرداء ذكره البخاري رحمه الله في بعض تراجمه تعليقًا: «**إِنَّا لَنَكْشِرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ، وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ**»[(١)].

نَكشر؛ أي: نتبسم أو نضحك لهم وقلوبنا تلعنهم؛ لبغضهم في الله ﷻ؛ لكن نتقيهم؛ إما لسلطانهم، وإما لغير هذا من الأسباب التي توجب اتقاء شرهم، حتى لا يضروا المسلمين، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾، ثم قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾؛ أي: أن البهرج والشيء الذي ليس له حقيقة لا ينفعكم؛ فالله يحذركم نفسه أن تُظهروا خلاف ما تبطنون، وأن تشاركوا أهل النفاق في إظهار الحق وأنتم على غيره، فالله يعلم كل شيء ولا تخفى عليه خافية سبحانه وتعالى، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾. وهذا فيه التحذير من محبة أعداء الله وموالاتهم والأمر ببغض أعداء الله ومُعاداتهم، وأن هذا هو دين الله الذي بعث به رسله وأنزل به كتبه، ولهذا قال في سورة الممتحنة: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]، فدلَّ ذلك على أن هذه العداوة وهذه البغضاء أمدها دخولهم في الإيمان، فإذا دخلوا في الإيمان؛ انتهت هذه العداوة والبغضاء، وصاروا من جملة الأولياء والأحباب في الله سبحانه وتعالى.

---

(١) علقه البخاري، باب المداراة مع الناس، ساقه قبل الحديث (٦١٣١).

ثم يقول ﷻ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾. هذا يبيِّن لنا أن جميع أعمالنا سوف تُحضر يوم القيامة، وسوف تُقدَّم للعبد في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، كل شيء قد كُتب وضُبط، فهي محصورة ومحفوظة، فتقدم لأهلها يوم القيامة، فأهل الخير يرون في ذلك ما يسرهم وما يحمدون الله عليه ﷻ، وأهل السوء إذا رأوا ما قدموا لأنفسهم من الشر، فإن كلَّ واحد يودُّ لو أن بينه وبينهم أمدًا بعيدًا، حتى يسلم من مَعَرَّتِه ومن عاقبته الوخيمة.

﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ﴾؛ فأنت اليوم في غاية الإمكان، وفي غاية القدرة من أن تبتعد عن هذا الشيء الذي تود أن يكون بينك وبينه أمدًا بعيدًا، وذلك بالجد في طاعة المولى ﷻ والاستقامة على أمره، والتوبة عن ممارسة الذنوب والمعاصي، والاستمرار في ذلك، فأنت اليوم في دار العمل، ويوم القيامة ليس بدار عمل؛ ولكنها دار الجزاء ودار الحساب، فإذا كنت تريد النجاةَ والعافية: فاعمل اليوم في طرق النجاة، وفي أسباب السلامة قبل أن يأتي يوم ليس فيه حيلةٌ ولا تنفع فيه معذرة، ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥٢].

ثم قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ ومن رحمته ورأفته بالعباد: أنه يبيِّن لهم ما يجب عليهم وما يحرم عليهم، وحذَّرهم نفسه ﷻ، فهذا من رحمته وإحسانه؛ حيث أنذر وبيَّن وأوصى وأمر ونهى؛ حتى لا يقول قائل: ما جاءنا من بشير ولا نذير وما علمنا وما أُمرنا وما نُهينا؛ فقد جاء البشير وجاء النذير وجاء البيان؛ فلا يلومن لائم إلا نفسه إذا قصَّر وأعرض وغفل.

ثم يقول بعد هذا: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ هذه الآية عظيمة، وهي تسمَّى: آية المحنة؛

لأن بعض الناس ادعى محبة الله وهو على غير الطريق، فامتحنهم الله بهذه الآية ﴿قُلْ﴾ أي: قل يا محمد، أو يا أيها الرسول للناس: ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، فدلَّ ذلك على أن الدليل والبرهان على صدق المحبة لله هو اتباع النبي محمد ﷺ، فمن كان صادقًا في حبه لله اتبع رسوله ﷺ وانقاد لما جاء به من الهدى في الأقوال والأعمال والعقيدة، وأما الدعاوي الطويلة والكلام الكثير؛ الذي ليس له حُجَّة ولا بُرهانٌ يدل على الصدق؛ فإنه لا يجزىء عن أهله شيئًا، فلا بد من بيان، ولا بد من برهان بالعمل وهو اتباع الرسول ﷺ في الأقوال والأعمال، والبعد عما نهى عنه قولًا وعملًا، والاستقامة على ذلك حتى تلقى ربك وأنت على ذلك.

هذا هو الدليل على حبك لله ﷻ، أن تستقيم وتثبت على ما جاء به نبيك محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأن تستمر على ذلك حتى تلقى ربك، وأن تبتعد عما نهى عنه؛ كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠]، وفي الآية الأخرى يقول ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣ ـ ١٤]، فإذا قال ربيَ الله وقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، أو قال: أنا مسلم أو ما أشبه ذلك، فالدليل على صدق ذلك هو الاستقامة على طاعة الله ورسوله، بأداء الفرائض وترك المحارم، والوقوف عند الحدود، وأما إذا كانت دعوى من دون دليل، ومن دون حجة من الفعل؛ فتجده يخالف أمر الله ويرتكب محارم الله، ويتأخر عن فرائض الله سبحانه وتعالى.

ثم أكد ذلك بقوله سبحانه: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ إشارة إلى أن من أعرض عن الله وعن طاعة الله ورسوله فهو من الكافرين، والله سبحانه وتعالى لا يحبُّه، فالدليل على صدق المحبة لله هو

اتِّباع الرسول محمد ﷺ، وطاعة أوامر الله ورسوله، وترك نواهي الله ورسوله، فمن أعرض عن ذلك، وتابع الهوى والشيطان، فليس بصادق في دعواه حبَّ الله ودعواه الإسلام.

ثم بيَّن الله ﷻ أنه اصطفى من عباده آدم ونوحًا وآل إبراهيم وآل عمران، واصطفاهم يعني: اختارهم من بين عباده؛ فالله يصطفي من الملائكة ومن الناس من يشاء سبحانه وتعالى؛ فقد اختار آدم عليه الصلاة والسلام وجعله أبا البشر، وهداه ووفقه ومَنَّ عليه بالتوبة مِنْ زَلَّتِهِ، ثم اصطفى أيضًا نوحًا من ذريته وجعله أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض، وأنجاه الله من الطوفان، ثم اصطفى ما شاء من الأنبياء إلى أن اصطفى نبيَّ هذه الأمة عليه الصلاة والسلام، فهذه أشياء خصَّ الله بها مَن يشاء سبحانه وتعالى؛ فله الخيار، وله الخِيَرة ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] من بني آدم ومن غيرهم من الملائكة ومن البلاد؛ كما اختار مكة، وجعلها محلَّ عبادته، ومحل قبلة عباده، واختار المدينة، وجعلها محل مهاجر الرسول ﷺ، فالله يصطفي من يشاء سبحانه وتعالى.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨][1].

نهى تبارك وتعالى، عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يُسِرُّون إليهم بالمودة من دون المؤمنين، ثم توعَّد على ذلك فقال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾؛ أي: من يرتكب

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله في ١٥ ـ ٣ ـ ١٣٩٩.

نهي الله في هذا فقد برئ من الله كما قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ ۙ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إلى أن قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى ـ بعد ذكر موالاة المؤمنين للمؤمنين من المهاجرين والأنصار والأعراب ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأنفال: ٧٣].

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ﴾؛ أي: إلا من خاف في بعض البلدان أو الأوقات من شرهم، فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته، كما حكاه البخاري عن أبي الدرداء أنه قال: «إِنَّا لَنَكْشرُ فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَقُلُوبُنَا تَلْعَنُهُمْ»(١).

وقال الثوري: قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان، وكذا رواه العوفي عن ابن عباس: إنما التقية باللسان، وكذا قال أبو العالية، وأبو الشعثاء والضحاك، والربيع بن أنس. ويؤيد ما قالوه قول الله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل: ١٠٦].

وقال البخاري: قال الحسن: التقية إلى يوم القيامة.

---

(١) سبق تخريجه في (ص٨٤).

ثم قال تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾؛ أي: يحذركم نقمته؛ أي: مخالفته وسطوته في عذابه لمن والى أعداءه وعادى أولياءه.

ثم قال تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: إليه المرجع والمنقلب، فيجازي كل عامل بعمله.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا سويد بن سعيد، حدثنا مسلم بن خالد، عن ابن أبي حسين، عن عبد الرحمٰن بن سابط، عن عمرو بن ميمون بن مِهْران قال: قام فينا معاذ بن جبل فقال: يا بني أود، إني رسول رسول الله إليكم، تعلمون أن المعاد إلى الله إلى الجنة أو إلى النار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والموالاة... فينبغي على المؤمن أن يحذر التولي والموالاة لأجل الكفار وأن يكون حذرًا من هذه الأشياء بعيدًا منها، وأن يوالي المؤمنين ويحبهم في الله جَلَّ وَعَلَا، يرجو بهذا مرضاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى. ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾.

مسألة التقاة شيء آخر، هذه مسألة الإكراه، قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾﴾ [النحل: ١٠٦]. فإذا أظهر لهم بعض الموافقة، لشرهم وخطرهم، لا عن حب لهم، ولا عن موافقة على دينهم؛ ولكن لاتقاء شرهم والحذر من باطلهم، فهذا شيءٌ آخر غير الموالاة، فذلك من باب التقية أو من باب الإكراه. ومن هذا ما يؤثر عن أبي الدرداء فيما أظن البخاري.

ذكره في أول التراجم وذكر تعليقًا: «إنّا لنكشر في وجوه أقوامٍ، وإنّ قلوبنا لتلعنهم» نكشر؛ أي: نتبسم أو نضحك وقلوبنا تلعنهم، نبغضهم في الله عَزَّ وَجَلَّ، لكن نتقيهم إما لسلطانهم وإما لغير هذا من

الأسباب التي توجب تقواهم وشرهم؛ حتى لا يضروا المسلمين؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ﴾.

ثم قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ﴾؛ يعني: البهرج والشيء الذي ليس له حقيقة لا ينفعكم، فالله يحذر بنفسه أن تظهروا خلاف ما تبطنوه، وأن تشابهوا أهل النفاق في إظهار الحق وأنتم على غيره، فالله يعلم كل شيء ولا تخفى عليه خافية ﷻ؛ ولهذا قال بعده: ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ٢٩]. فهذا فيه التحذير من محبة أعداء الله وموالاتهم، والتحريض على بغض أعداء الله ومعاداتهم، وأن هذا هو دين الله الذي بعث به رسله، وأنزل به كتبه، ولهذا قال في سورة الممتحنة: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]. فدل ذلك على أن هذه العداوة وهذه البغضاء أمدها دخولهم في الإيمان، إذا دخلوا في الإيمان انتهت هذه العداوة والبغضاء، وصاروا من جملة الأولياء والأحباب في الله ﷻ.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلۡ إِن تُخۡفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمۡ أَوۡ تُبۡدُوهُ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٩﴾ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٩، ٣٠][1].

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

يخبر تبارك وتعالى عباده أنه يعلم السرائر والضمائر والظواهر، وأنه لا يخفى عليه منهم خافية؛ بل علمه محيط بهم في سائر الأحوال والآنات واللحظات وجميع الأوقات، وبجميع ما في السمٰوات والأرض، لا يغيب عنه مثقال ذرة، ولا أصغر من ذلك في جميع أقطار الأرض والبحار والجبال، وهو ﴿عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: قدرته نافذة في جميع ذلك.

وهذا تنبيه منه لعباده على خوفه وخشيته، وألا يرتكبوا ما نهى عنه وما يَبْغضه منهم، فإنه عالم بجميع أمورهم، وهو قادر على معاجلتهم بالعقوبة، وإنْ أَنْظَرَ من أنظر منهم، فإنه يمهل ثم يأخذ أخذ عزيز مقتدر؛ ولهذا قال بعد هذا: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ الآية؛ يعني: يوم القيامة يحضر للعبد جميع أعماله من خير وشر، كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القيامة: ١٣] فما رأى من أعماله حسنًا سرَّه ذلك وأفرحه، وما رأى من قبيح ساءه وغاظه، وودَّ لو أنه تبرأ منه، وأن يكون بينهما أمد بعيد، كما يقول لشيطانه الذي كان مقترنًا به في الدنيا، وهو الذي جرَّأه على فعل السوء: ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾ [الزخرف: ٣٨].

ثم قال تعالى مؤكدًا ومهددًا ومتوعدًا: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾؛ أي: يخوفكم عقابه، ثم قال مرجِّيًا لعباده لئلا ييأسوا من رحمته ويقنطوا من لطفه: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ قال الحسن البصري: من رأفته بهم حذَّرهم نفسه. وقال غيره: أي: رحيم بخلقه، يحب لهم أن يستقيموا على صراطه المستقيم ودينه القويم، وأن يتبعوا رسوله الكريم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران: ٣١، ٣٢][(١)].

هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادَّعى محبة الله، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمَّدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عليه أمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[(٢)]، ولهذا قال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه، وهو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء العلماء: ليس الشأن أن تُحِبّ، إنما الشأن أن تُحَبّ. وقال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية، فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا علي بن محمد الطَّنافِسي، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن عبد الأعلى بن أعين، عن يحيى بن أبي كثير، عن عروة، عن عائشة ﵂، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**وَهَلِ الدِّينُ إلا الْحُبُّ والْبُغْضُ؟**»[(٣)]، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ قال أبو زرعة: عبد الأعلى هذا منكر الحديث.

---

(١) من تعليقات سماحته ﵀ على تفسير الحافظ ابن كثير ﵀.
(٢) أخرجه البخاري تعليقًا من كتاب الاعتصام، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود لقول النبي ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد**». وقد وصله مسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (٧١٨).
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وتعليقه بأنه منكر.

ثم قال: ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾؛ أي: باتباعكم للرسول ﷺ يحصل لكم هذا كله ببركة سفارته.

ثم قال آمرًا لكل أحد من خاص وعام: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا﴾؛ أي: خالفوا عن أمره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر، والله لا يحب من اتصف بذلك، وإن ادَّعى وزعم في نفسه أنه يحب الله ويتقرب إليه، حتى يتابع الرسول النبي الأمي خاتم الرسل، ورسول الله إلى جميع الثقلين الجن والإنس الذي لو كان الأنبياء ـ بل المرسلون؛ بل أولو العزم منهم ـ في زمانه لما وسعهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته، واتباع شريعته، كما سيأتي تقريره عند قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ الآية [آل عمران: ٣١] إن شاء الله تعالى.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [آل عمران: ٣٣، ٣٤][(١)].

يخبر تعالى أنه اختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض، فاصطفى آدم عليه السلام، خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلَّمه أسماء كل شيء، وأسكنه الجنة ثم أهبطه منها، لما له في ذلك من الحكمة.

واصطفى نوحًا عليه السلام، وجعله أول رسول بعثه إلى أهل الأرض، لمَّا عبد الناس الأوثان، وأشركوا في دين الله ما لم ينزل به سلطانًا، وانتقم له لما طالت مدته بين ظَهْرَاني قومه، يدعوهم إلى الله ليلًا ونهارًا،

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

سرًّا وجهارًا، فلم يزدهم ذلك إلا فرارًا، فدعا عليهم، فأغرقهم الله عن آخرهم، ولم يَنْجُ منهم إلا من اتبعه على دينه الذي بعثه الله به.

واصطفى آل إبراهيم، ومنهم: سيد البشر وخاتم الأنبياء على الإطلاق محمد ﷺ، وآل عمران، والمراد بعمران هذا: هو والد مريم بنت عمران، أم عيسى ابن مريم عليهما السلام. قال محمد بن إسحاق بن يَسار رحمه الله: هو عمران بن ياشم بن أمون بن مُشا بن حزقيا بن أحريق بن يوثم بن عزاريا بن أمصيا بن ياوش بن أجريهو بن يازم بن يهفاشاط بن أسابر بن أبيا بن رحيعم بن سليمان بن داود عليهما السلام. فعيسى عليه السلام، من ذرية إبراهيم، كما سيأتي بيانه في سورة الأنعام، إن شاء الله وبه الثقة.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ۖ وَإِنِّى سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾﴾ [آل عمران: ٣٥، ٣٦](١).

امرأة عمران هذه أم مريم بنت عمران عليهما السلام وهي حَنَّة بنت فاقوذ، قال محمد بن إسحاق: وكانت امرأة لا تحمل، فرأت يومًا طائرًا يَزُقُّ فرخه، فاشتهت الولد، فدعت الله عز وجل، أن يهبها ولدًا، فاستجاب الله دعاءها، فواقعها زوجها، فحملت منه، فلما تحققت الحمل نذرته أن يكون ﴿مُحَرَّرًا﴾؛ أي: خالصًا مفرغًا للعبادة، ولخدمة بيت المقدس، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾﴾؛ أي: السميع لدعائي، العليم بِنيتي، ولم تكن تعلم ما في بطنها

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

أذكـــرًا أم أنـــثـــى؟ ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ قرئ برفع التاء على أنها تاء المتكلم، وأن ذلك من تمام قولها، وقُرئ بتسكين التاء على أنه من قول الله ﷻ: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾؛ أي: في القوة والجَلَد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى ﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾ فيه دلالة على جواز التسمية يوم الولادة كما هو الظاهر من السياق؛ لأنه شرع من قبلنا، وقد حكي مقررًا، وبذلك ثبتت السُّنَّة عن رسول الله ﷺ حيث قال: «**وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ وَلَد سَمَّيْتُهُ بِاسْم أَبِي إِبْرَاهِيمَ**»[١]. أخرجاه، وكذلك ثبت فيهما أن أنس بن مالك ذهب بأخيه، حين ولدته أمه، إلى رسول الله ﷺ، فَحَنَّكه وسماه عبد الله. وفي صحيح البخاري: أن رجلًا قال: يا رسول الله، وُلِدَ لي وَلَد، فما أُسمِّيه؟ قال: «**اسْم وَلَدِك عَبْد الرَّحْمٰنِ**». وثبت في الصحيح أيضًا: أنه لما جاءه أبو أَسَيد بابنه ليُحنّكه، فذَهَل عنه، فأمر به أبوه فَرَدّه إلى منزلهم، فلما ذكرَ رسولُ الله ﷺ في المجلس سَمّاه المنذر.

فأما حديث قتادة، عن الحسن البصري، عن سَمُرَة بن جُنْدُب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ غُلام رَهِين بعقِيقتِهِ، يُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ، ويُسَمَّى وَيُحْلَقُ رَأْسُهُ**» فقد رواه أحمد[٢] وأهل السنن، وصحّحه الترمذي بهذا اللفظ، ويروي: «**ويُدَمَّى**»، وهو أثبت وأحفظ والله أعلم. وكذا ما رواه الزبير بن بكار في كتاب النسب: أن رسول الله ﷺ عقّ عن ولده إبراهيم يوم سابعه وسمَّاه إبراهيم. فإسناده لا يثبت، وهو مخالف لما في الصحيح ولو صح لَحُمِل على أنه أشْهَرَ اسمَه بذلك يومئذ، والله أعلم.

وقوله إخبارًا عن أم مريم أنها قالت: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أنس ﵁ في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ بالصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك برقم (٢٣١٥).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٢).

﴿ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦﴾؛ أي: عَوَّذتها بالله ﷻ، من شر الشيطان، وعوَّذت ذريتها، وهو ولدها عيسى عليه السلام. فاستجاب الله لها ذلك كما قال عبد الرزَّاق: أنبأنا مَعْمَر، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِن مَوْلُودٍ يُولَدُ إلا مَسَّه الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلّ صَارِخًا مِنْ مَسِّهِ إِيَّاهُ، إلا مَرْيَم وَابْنَهَا**»(١). ثم يقول أبو هريرة: اقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦﴾ أخرجاه من حديث عبد الرزاق. ورواه ابن جرير، عن أحمد بن الفرج، عن بَقِيَّة، عن الزبيدي عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، بنحوه. ورَوَى من حديث قيس، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ مَوْلُود إلا وَقَدْ عَصَرَهُ الشَّيطانُ عَصْرَةً أو عَصْرَتَيْن إلا عِيسَى ابن مَرْيَمَ وَمَرْيَمَ**». ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦﴾.

ومن حديث العلاء عن أبيه عن أبي هريرة. ورواه مسلم، عن أبي الطاهر، عن ابن وهب، عن عَمْرو بن الحارث، عن أبي يونس، عن أبي هريرة. ورواه وهب أيضًا، عن ابن أبي ذئب، عن عَجْلان مولى المِشْمَعَلِّ، عن أبي هريرة. ورواه محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيط، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بأصل الحديث. وهكذا رواه الليث بن سعد، عن جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمٰن بن هرمز، الأعرج قال: قال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ بني آدَمَ يَطْعنُ الشَّيْطَانُ فِي جَنْبِه حِينَ تَلِدهُ أُمُّهُ، إلا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، ذَهَبَ يَطْعَنُ فَطَعَنَ فِي الحِجَاب**».

*

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٣٦﴾ برقم (٤٥٤٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى برقم (٢٣٦٦).

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾ [آل عمران: ٣٦][1]

حدّثني عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن الزّهريّ، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يَمَسُّهُ حِينَ يُولَدُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ إِيَّاهُ، إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا**»، ثمّ يقول أبو هريرة: «وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦﴾»[2].

* *

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾ [آل عمران: ٣٧][3].

يخبر ربنا أنه تقبلها من أمها نذيرة، وأنه ﴿وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا﴾؛ أي: جعلها شكلًا مليحًا ومنظرًا بهيجًا، ويَسَّر لها أسباب القَبول، وقرنها بالصالحين من عباده تتعلم منهم الخير والعلم والدين. ولهذا قال: ﴿وَكَفَلَها زَكَرِيَّآ﴾، وفي قراءة: ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ بتشديد الفاء ونصب زكريا على المفعولية؛ أي: جعله كافلًا لها.

قال ابن إسحاق: وما ذاك إلا أنها كانت يتيمة. وذكر غيره أن بني

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ﴾... إلخ برقم (٤٥٤٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى برقم (٢٣٦٦).

(٣) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

إسرائيل أصابتهم سَنَةُ جَدْب، فكفل زكريا مريم لذلك. ولا منافاة بين القولين. والله أعلم.

وإنما قدر الله كون زكريا كافلها لسعادتها، لتقتبس منه علمًا جمًّا نافعًا وعملًا صالحًا؛ ولأنه كان زَوْجَ خالتها، على ما ذكره ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما، وقيل: زوج أختها، كما ورد في الصحيح: «**فإذا بِيحيى وعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ**»، وقد يُطْلق على ما ذكره ابن إسحاق ذلك أيضًا تَوسُّعا، فعلى هذا كانت في حضانة خالتها. وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قضى في عمارة بنت حمْزَةَ أن تكون في حضانة خالتها امرأة جعفر بن أبي طالب وقال: «**الخَالَةُ بِمَنزلَةِ الأمِّ**».

ثم أخبر تعالى عن سيادتها وجلالتها في محل عبادتها، فقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ قال مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبو الشعثاء، وإبراهيم النخَعيّ، والضحاك، وقتادة، والربيع بن أنس، وعطية العَوْفي، والسُّدِّي والشعبي: يعني وجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف. وعن مجاهد ﴿وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾؛ أي: علمًا، أو قال: صحفًا فيها علم. رواه ابن أبي حاتم، والأول أصح، وفيه دلالة على كرامات الأولياء. وفي السُّنَّة لهذا نظائر كثيرة. فإذا رأى زكريا هذا عندها ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾؛ أي: يقول من أين لك هذا؟ ﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا سَهْل بن زنْجَلة، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا عبد الله بن لَهِيعَة، عن محمد بن المُنْكَدِر، عن جابر؛ أن رسول الله ﷺ أقام أيامًا لم يَطْعَمْ طعامًا، حتى شَقّ ذلك عليه، فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدة منهن شيئًا، فأتى فاطمة فقال: «**يا بُنَيَّة، هَلْ عِنْدَكِ شَيْء آكُلُهُ، فَإِنِّي جَائِع؟**» فقالت: لا والله بأبي أنتَ وأمّي. فلما خَرَج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين وقطعة لحم، فأخذته منها فوضعته في جَفْنَةٍ لها، وقالت: والله لأوثرن بهذا

رسول الله ﷺ على نفسي ومن عندي. وكانوا جميعًا محتاجين إلى شبعة طعام، فبعثت حَسَنًا أو حُسَينًا إلى رسول الله ﷺ فرجع إليها فقالت له: بأبي وأمي قد أتى الله بشيء فخَبَّأتُه لك. قال: «**هَلُمِّي يا بُنيَّة**» قالت: فأتيته بالجفنة. فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزًا ولحمًا، فلما نظرَتْ إليها بُهِتتْ وعرفَتْ أنها بركة من الله، فحمدَت الله وصلَّت على نَبيِّهِ، وقدَّمَتْه إلى رسولِ الله ﷺ. فلما رآه حمد الله وقال: «**مِنْ أيْنَ لَكِ هَذَا يا بُنَية؟**» فقالت: يا أبت، ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ فحمد الله وقال: «**الحَمْدُ للهِ الَّذي جَعَلَكِ ـ يا بُنَيّة ـ شَبيهَةِ بسيدةِ نِساء بَني إسْرَائيلَ، فَإنَّها كَانَتْ إذَا رَزَقَهَا اللهُ شَيْئًا فَسُئِلَتْ عَنْهُ قَالَتْ:** ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾» فبعث رسول الله ﷺ إلى عَلِي ثم أكل رسولُ الله ﷺ وأكل علي، وفاطمة، وحسن، وحسين، وجميع أزواج النبيّ ﷺ وأهل بيته جميعًا حتى شبعوا. قالت: وبقيت الجفنة كما هي، فأوسعت ببقيتها على جميع الجيران، وجعل الله فيها بركة وخيرًا كثيرًا.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ مُصَدِّقَۢا بِكَلِمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدٗا وَحَصُورٗا وَنَبِيّٗا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴿٤١﴾﴾ [آل عمران: ٣٨ ـ ٤١](١).

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ.

لما رأى زكريا عليه السلام، أن الله تعالى يرزق مريم عليها السلام، فاكهة الشتاء في الصيف، وفاكهة الصيف في الشتاء، طمع حينئذ في الولد، وإن كان شيخًا كبيرًا قد ضعف ووَهَن منه العظم، واشتعل رأسه شيبًا، وإن كانت امرأته مع ذلك كبيرة وعاقرًا، لكنه مع هذا كله سأل ربه وناداه نداء خَفيًّا، وقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ﴾؛ أي: من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾؛ أي: ولدًا صالحًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٨)﴾.

قال الله تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾؛ أي: خاطبته الملائكة شفاهًا خطابًا أسمعته، وهو قائم يصلي في محراب عبادته، ومحل خَلْوَته، ومجلس مناجاته، وصلاته. ثم أخبر عما بشّرته به الملائكة: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾؛ أي: بولد يوجد لك من صلبك اسمه يحيى. قال قتادة وغيره: إنما سُمِّي يحيى لأن الله تعالى أحياه بالإيمان.

وقوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ روى العَوْفيّ وغيره عن ابن عباس. وقال الحسن وقتادة وعكرمة ومجاهد وأبو الشعثاء والسُّدي والربيع بن أنس، والضحاك، وغيرهم في هذه الآية: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾؛ أي: بعيسى ابن مريم؛ قال الربيع بن أنس: هو أول من صدق بعيسى ابن مريم، وقال قتادة: وعلى سننه ومنهاجه. وقال ابن جُرَيْج: قال ابن عباس في قوله: ﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ قال: كان يحيى وعيسى ابني خالة، وكانت أم يحيى تقول لمريم: إني أجد الذي في بطني يَسْجُد للذي في بطنك فذلك تصديقه بعيسى: تصديقه له في بطن أمه، وهو أول من صدق عيسى، وكلمة الله عيسى، وهو أكبر من عيسى عليه السلام، وهكذا قال السدي أيضًا.

وقوله: ﴿وَسَيِّدًا﴾ قال أبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، وسعيد بن جبير، وغيرهم: الحكيم، وقال قتادة: سيدًا في العلم والعبادة. وقال ابن عباس، والثوري، والضحاك: السيد الحكيم المتقي، وقال سعيد بن المسيب: هو الفقيه العالم. وقال عطية: السيد في خلقه

ودينه. وقال عكرمة: هو الذي لا يغلبه الغضب. وقال ابن زيد: هو الشريف. وقال مجاهد وغيره: هو الكريم على الله ﷻ.

وقوله: ﴿وَحَصُورًا﴾ رُوي عن ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وأبي الشعثاء، وعطية العَوْفي أنهم قالوا: هو الذي لا يأتي النساء. وعن أبي العالية والربيع بن أنس: هو الذي لا يولد له. وقال الضحاك: هو الذي لا ولد له ولا ماء له.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن المغيرة، أنبأنا جرير، عن قابوس، عن أبيه، عن ابن عباس في الحَصُور: الذي لا يُنزل الماء، وقد روى ابن أبي حاتم في هذا حديثًا غريبًا جدًّا فقال: حدثنا أبو جعفر محمد بن غالب البغدادي، حدثني سعيد بن سليمان، حدثنا عبادة ـ يعني ابن العوام ـ عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المُسَيَّب، عن ابن العاص ـ لا يدري عبد الله أو عمرو ـ عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ قال: ثم تناول شيئًا من الأرض فقال: «**كان ذكره مثل هذا**».

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سِنان، حدثنا يحيى بن سعيد القَطَّان، عن يحيى بن سعيد الأنصاري؛ أنه سمع سعيد بن المُسَيَّب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: ليس أحد من خلق الله لا يلقاه بذنب غير يحيى بن زكريا، ثم قرأ سعيد: ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ ثم أخذ شيئًا من الأرض فقال: الحصور ما كان ذكره مثل ذي، وأشار يحيى بن سعيد القطان بطرف إصبعه السبابة. فهذا موقوف وهو أقوى إسنادًا من المرفوع؛ بل وفي صحة المرفوع نظر، والله ﷻ أعلم.

وقد قال القاضي عياض في كتابه الشفاء: اعلم أن ثناء الله تعالى على يحيى أنه كان حصورًا ليس كما قاله بعضهم: إنه كان هيوبًا، أو لا ذكر له؛ بل قد أنكر هذا حُذَّاقُ المفسرين ونقاد العلماء، وقالوا: هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالأنبياء عليهم السلام، وإنما معناه: أنه معصوم من

الذنوب؛ أي: لا يأتيها كأنه حُصِر عنها، وقيل: مانعًا نفسه من الشهوات. وقيل: ليست له شهوة في النساء.

وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها: إما بمجاهدة كعيسى أو بكفاية من الله ﷻ، كيحيى عليه السلام. ثم هي حق من أقدر عليها وقام بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة علياء، وهي درجة نبيّنا محمد ﷺ الذي لم يشغله كثرتهن عن عبادة ربه؛ بل زاده ذلك عبادة، بتحصينهن وقيامه عليهن، واكتسابه لهن، وهدايته إياهن؛ بل قد صرّح أنها ليست من حظوظ دنياه هو، وإن كانت من حظوظ دنيا غيره، فقال: «**حُبِّبَ إِليَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ**». هذا لفظه.

والمقصود: أنه مدح يحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء؛ بل معناه كما قاله هو وغيره: أنه معصوم عن الفواحش والقاذورات، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن؛ بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال: ﴿هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ كأنه قال: ولدًا له ذرية ونسل وعَقِب، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عيسى بن حماد زُغْبَة ومحمد بن سلمة المرادي قالا: حدثنا حجاج، عن سلمان بن القمري، عن الليث بن سعد، عن محمد بن عَجْلان، عن القعقاع، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: «**كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه، يعذبه عليه إن شاء أو يرحمه، إلا يحيى بن زكريا، فإنه كان سيدًا وحصورًا ونبيًّا من الصالحين**»، ثم أهوى النبي ﷺ إلى قذاة من الأرض فأخذها وقال: «**كان ذكره مثل هذه القذاة**».

قوله: ﴿وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾﴾ هذه بشارة ثانية بنبوة يحيى بعد البشارة بولادته، وهي أعلى من الأولى كقوله تعالى لأم موسى: ﴿إِنَّا

رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، فلما تحقق زكريا عليه السلام، هذه البشارة أخذ يتعجب من وجود الولد منه بعد الكبر ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ﴾؛ أي: الـمـلـك: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾؛ أي: هكذا أمْرُ الله عظيم، لا يعجزه شيء ولا يتعاظمه أمر.

﴿قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً﴾؛ أي: علامة أستدل بها على وجود الولد مـنـي ﴿قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾؛ أي: إشـارة لا تستطيع النطق، مع أنك سوي صحيح، كما في قوله: ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٠]، ثم أمِرَ بكثرة الذِّكر والشكر والتسبيح في هذه الحال، فقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾ وسيأتي طرف آخر في بسط هذا المقام في أول سورة مريم، إن شاء الله تعالى.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۝٣٨ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٤١﴾ [آل عمران: ٣٨ ـ ٤١][(١)].

يبيِّن الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات عِظم قدرته على كل شيء، وأنه عز وجل على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأنه يقول للشيء كُنْ فيكون؛

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان (٤/ ١٨٧).

كما قال ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] فزكريا - عليه الصلاة والسلام - لما رأى من الرزق الذي يأتي في غير وقته لسيدتنا مريم فيسألها: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾. وجاء في تفسير هذه الآية فيما ذكروا في هذا المقام أنه كانت توجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف، فتأتيها أرزاق تُساق إليها في غير أوقاتها المعتادة، وهنالك رأى من قدرة الله ﷻ ما رأى في إحسانه سبحانه إلى مريم، وسياقه لها بعض الأرزاق التي ساقها إليها في أوقات تخالف العادة.

قال: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ﴾؛ أي: انتبه لهذا الأمر، وهو أن الله سبحانه وتعالى على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وليس يُعجِزُه أن يرزقه ولدًا على كبر سنه وعلى كبر سن زوجته، فهو قادر على كل شيء سبحانه وتعالى، كما هو قادر على سَوق الأرزاق إلى من يشاء من عباده في الأوقات غير المعتادة.

وهو سبحانه قادر أيضًا على أن يرزق الولد مع كبر السن وعقم الزوجة، ولهذا قال جل وعلا: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ وعند ذلك رزقه الله جل وعلا الولد، وتقبَّل دعوته ويسَّر له ابنه يحيى - عليه الصلاة والسلام -.

ولمَّا بشرته الملائكة بذلك استنكر ذلك واستغرب، كيف يكون له ولد مع كبر سنه، ومع كون امرأته عاقرًا عقيمًا لا تلد، قد بلغت من الكبر عتيًّا، فبيَّن الله سبحانه وتعالى له أنه على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء جل وعلا، فطلب آية تكون علامة على أن هذه البشارة سوف تحصل، فبيَّن الله سبحانه الآية، أي العلامة، ألا يكلم الناس ﴿ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾؛ أي: لا يكلم الناس الكلام المعتاد، ﴿إِلَّا رَمۡزٗاۗ﴾ يعني: إلا إشارة، بغير كلام ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾ [مريم: ١١]، ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾ فمن آيات الله ﷻ

العظيمة أن جعل لسانه يُعقل عن الكلام المعتاد، فلا يستطيعه، لكنه يُسبح ربه ويذكره كثيرًا بلسانه المعتاد فهو معقول عن الكلام المعتاد، ولكنه مطلقٌ في ذكر الله وتسبيحه وتهليله ﷻ، وهذه من الآيات الدالة على أن المطلوب سوف يحصل، وأن الله ﷻ هو الذي وعده به، فهو من عنده وليس من عند غيره، وأنه حقٌّ ووعدُ صدقٍ، فالذي قَدَرَ على سَوق الأرزاق في غير أوقاتها، وأعطى إبراهيم الشيخ الكبير ولدًا من سارة مع كونها عجوزًا عقيمًا كبيرة، فرزقهم الله إسحاق عليه السلام، وهكذا حصل بيحيى بن زكريا، فَوُلِدَ مع كبر سن زكريا، وزوجته عاقر، فربك على كل شيء قدير ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يسٓ: ٨٢].

وكذلك طهَّر مريم وصانها وهداها، وقد استنكرت أن يرزقها الله ولدًا من غير أن يمسها بشَرٌ، ومن غير أن تكون بغيًا أو زانية، فقيل: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ﴾ ﷻ. فكل هذه من آياته ﷻ الدالة على قدرته العظيمة، وأنه سبحانه إذا أراد شيئًا فلا رادَّ له، فإنه هو من يعلم ﷻ، وهو على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم.

وفي هذا حقٌّ العباد في اللجوء إليه، والضراعة إليه، وسؤاله سبحانه ما يهمهم، وما يحتاجون إليه، وما فيه صلاحهم، ونجاتهم، وأن يحسنوا الظنَّ به، وأن يعلموا أنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء عليم، وأنه الناصر لأوليائه، وإن كثر عددُ خصومهم، وإن عظمت قوة خصومهم، فهو سبحانه على كل شيء قدير، يقدر أن يهزم الجند الكثير بالجند القليل، فـ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وذكر لهم من آيات عيسى عليه السلام الدالة على صدق رسالته من إحيائه الطير بإذن الله، وإبرائه الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، وإخباره لهم بما يأكلون، وما يدَّخرون في بيوتهم، ستةَ أشياء ذكرها لهم للدلالة على صدقه:

أولها: أنه عليه الصلاة والسلام، يخلق كهيئة الطير؛ أي: يأتي بأشياء ويصنعها كصفة الطير، ثم ينفخ فيها، فتكون طيرًا بإذن الله وقومه يشاهدون ذلك.

وكذلك إبراء الأكمه والأبرص، وهما مرضان خطيران ليس من شأن الأطباء علاجهما؛ الأكمه قيل في تفسيره: هو الذي وُلد ضريرًا ليس له بصر، وقيل: هو الذي ذهب بصرُ عينيه ذهابًا لا حيلة للأطباء فيه. والأبرص: هو الذي به برصٌ ويصعب على الأطباء علاجه. وبكل حال فهي من آيات الله ﷻ لصدق نبيّه عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فجعل الله من آيات عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ ودلائل صحة رسالته: إبراء هذا المرض، وإزالته، فالله ﷻ يقول للشيء كنْ فيكون، كما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «**إِنَّ اللهَ ﷻ ابتلى ثَلَاثَةً فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَى**»(١).

وأزال الله عن الأبرص برصه، وعن الأقرع قرَعَه وردَّ على الأعمى بصره بقدرته ﷻ.

كذلك إحياء الموتى، وإخبارهم بما يأكلون في بيوتهم، وما يدَّخرون وغير ذلك من الأمور التي ليس عند عيسى خبر منها من جهة المعتاد، ولكنه من خبر الله ﷻ، فعيسى لا يستطيع أن يعلم شيئًا من أحوالهم الداخلية إلا بمُخبر منهم، أو بإخبار الله ﷻ، فالأشياء التي لا يخبرونه بها ولا يخبره بها أحد يخبره الله ﷻ بها كي يخبرهم بذلك، وهذه أيضًا من الدلائل على أنه رسول الله، وليس ولدًا لله.

وقد انقسمت اليهود والنصارى اتجاهه، فاليهود نفت وأنكرت نبوته

---

(١) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث أبرص وأعمى وأقرع في بني إسرائيل برقم (٣٤٦٤)، ومسلم في كتاب الزهد والرقاق، برقم (٢٩٦٤).

ورسالته عليه الصلاة والسلام، وزعمت فيه الزعم الخبيث، وأنه ولد بغِيٍّ قاتلهم الله أنى يؤفكون.

والنصارى بضلالهم وجهلهم غَلَوا فيه، وجعلوه ابن الله، أو أنه الله، أو ثالث ثلاثة، لعنهم الله جميعًا.

ولا يتم إسلام أحد منهم ولا يصلح حتى يتبرّأ من قول الطائفتين الملعونتين: اليهود، والنصارى، ويأخذ بقول الوسط، وهو أنه عبد الله ورسوله، خلقه الله من أنثى بدون ذكر، قال الله له: كن، فكان، ولهذا قيل له: كلمة الله، كما قال الله سبحانه وتعالى عنه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ ؛ أي: بعيسى. وعيسى ويحيى ابنا خالة، أمهما أختان، فأم يحيى وعيسى أختان، ولذلك يقال لهما: ابنا الخالة، وزكريا زوج خالة عيسى عليه السلام.

ففي هذا كله دلالة على عظيم قدرة الله عز وجل، وأنه سبحانه وتعالى المالك لكل شيء، والقادر على كل شيء.

وفي هذا حث العباد على اللجوء إليه وسؤاله، وعدم استعظام الأمور بالنسبة إليه وأنه يقول للشيء كنْ، فيكون.

فينبغي للعاقل أن يسأل ربه كل شيء، وأن يضرع إليه في صلاح قلبه وهدايته واستقامته على الخير والهدى، وأن يضرع إليه في سلامته من كل سوء، وعافيته من مضلات الفتن، كما يسأله الغنى من الفقر، والنصر على الأعداء، والحماية من كيد الأعداء، إلى غير ذلك مما يهمُّ العبد.

وفيه أيضًا تشجيع العباد على الجهاد في سبيل الله، وألا يضجروا من قلَّة عددهم، وكثرة خصومهم، بل عليهم أن يستعينوا بالله، وأن يستنصروه سبحانه وتعالى، وأن يصدقوا في ذلك وسوف ينصرهم الله ويعينهم؛ لأنه سبحانه وتعالى هو القادر على كل شيء، فلو قال للعدو: موتوا لماتوا، ولكنه ابتلى هؤلاء بهؤلاء، ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾

[محمد: ٤] ليتبين صدق الصادقين، وكذب الكاذبين، وجهاد المجاهدين، وتأَخُّرُ المتأخرين، ويتبين من يرغب في أسباب النجاة، ومن يريد الدرجات العالية، ومن يتصبر على ما يرضي الله، ويقرب لديه من الكسالى والكذابين والمنافقين وأشباههم.

ولو أن كل داع إلى الله، أو كل رسول، أو كل مؤمن أُعطي ما يريد، وكل كافر منع مما يريد، لكان الناس كلهم أمة واحدة، ولكانوا على دين الله جميعًا، ولكن بالابتلاء والامتحان انقسم الناس، والله المستعان.

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾ **[آل عمران: ٤٢ ـ ٤٤]**[1].

هذا إخبار من الله تعالى بما خاطبت به الملائكة مريم عليها السلام، عن أمر الله لهم بذلك: أن الله قد اصطفاها؛ أي: اختارها لكثرة عبادتها وزهادتها وشرفها وطهَّرها من الأكدار والوسواس واصطفاها ثانيًا مرة بعد مرة لجلالتها على نساء العالمين.

قال عبد الرزاق: أنبأنا مَعْمَر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾﴾ قال: كان أبو هريرة يحدِّث عن رسول الله ﷺ: **«خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإبلَ نِسَاءُ قُرَيْشٍ، أحْناهُ عَلَى وَلَدٍ في صِغَرِهِ، وأرْعَاهُ عَلَى زَوْجٍ فِي ذَاتِ يَدِهِ، ولمْ تَرْكَبْ**

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

مَرْيَمُ بنْتُ عِمْرَانَ بَعِيرًا قَطُّ». لم يخرجوه من هذا الوجه، سوى مسلم فإنه رواه عن محمد بن رافع وعبد بن حُمَيد كلاهما عن عبد الرزاق به[(١)].

وقال هشام بن عُرْوَة، عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ**». أخرجاه في الصحيحين، من حديث هشام، به مثله[(٢)].

وقال الترمذي: حدثنا أبو بكر بن زَنْجَوِيْه، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا مَعْمَر، عن قتادة، عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**قَالَ حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ**». تفرد به الترمذي وصححه.

وقال عبد الله بن أبي جعفر الرازي، عن أبيه قال: كان ثابت البُنَاني يحدث عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَع، مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بَنْتُ رَسُولِ اللهِ ﷺ**» رواه ابن مردويه[(٣)].

وروى ابن مردُويه من طريق شعبة، عن معاوية بن قُرَّة، عن أبيه

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾... برقم (٣٤٣٤)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب خيار الناس برقم (٢٥٢٧).

(٢) متفق عليه من حديث علي ﷺ. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ﴾... برقم (٣٤٣٢)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين ﷺ برقم (٢٤٣٠).

(٣) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب فضل خديجة ﷺ برقم (٣٨٧٨)، والإمام أحمد (٣/ ١٣٥)، وابن حبان في الصحيح (٦٩٥١) الإحسان والحاكم في المستدرك (٦/ ٤٨٠١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ، فإن قوله ﷺ: «حسبك من نساء العالمين» يسوي بين نساء الدنيا.

قال: قال رسول الله ﷺ: **«كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلا ثلاث: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»**.

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا آدم العسقلاني، حدثنا شُعْبة، حدثنا عمرو بن مُرَّة، سمعت مُرَّة الهَمْداني بحديث عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: **«كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ»**. وقد أخرجه الجماعة إلا أبا داود من طرق عن شعبة به ولفظ البخاري: **«كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إلا آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»**(١).

وقد استقصيت طرق هذا الحديث وألفاظه في قصة عيسى ابن مريم عليه السلام، في كتابنا: «البداية والنهاية» ولله الحمد والمنة.

ثم أخبر تعالى عن الملائكة: أنهم أمروها بكثرة العبادة والخشوع والخضوع والسجود والركوع والدؤوب في العمل لها، لما يريد الله تعالى بها من الأمر الذي قدره وقضاه، مما فيه محنة لها ورفعة في الدارين، بما أظهر الله تعالى فيها من قدرته العظيمة، حيث خلق منها ولدًا من غير أب، فقال تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾ أما القنوت فهو الطاعة في خشوع كما قال تعالى: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦].

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، أخبرنا ابن وهب، أخبرني عَمْرو بن الحارث: أن دَرَّاجًا أبا السمح حدثه عن أبي

---

(١) متفق عليه من حديث أبي موسى رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [التحريم: ١١، ١٢] برقم (٣٤١١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها برقم (٢٤٣١).

الهيثم، عن أبي سعيد، عن رسول الله ﷺ قال: «**كُلُّ حَرْفٍ فِي الْقُرآنِ يُذْكَرُ فِيهِ الْقُنُوتُ فَهُوَ الطَّاعَةُ**»[1]. ورواه ابن جرير من حديث ابن لهيعة، عن دَرّاج، به، وفيه نكارة

وقال مجاهد: كانت مريم عليها السلام، تقوم حتى تتورم كعباها، والقنوت هو: طول الركوع في الصلاة، يعني: امتثالًا لقوله تعالى: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ﴾ بل قال الحسن: يعني: اعبدي لربك ﴿وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: كوني منهم.

وقال الأوزاعي: ركدت في محرابها راكعة وساجدة وقائمة، حتى نزل الماء الأصفر في قدميها رضي الله عنها.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمتها من طريق محمد بن يونس الكُدَيمي ـ وفيه مقال ـ: حدثنا علي بن بحر بن بَرّي، حدثنا الوليد بن مسلم، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير في قوله: ﴿يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى﴾ قال: سَجَدت حتى نزل الماء الأصفر في عينيها.

وذكر ابن أبي الدنيا: حدثنا الحسن بن عبد العزيز، حدثنا ضَمْرة، عن ابن شَوْذَب قال: كانت مريم عليها السلام، تغتسل في كل ليلة.

ثم قال تعالى لرسوله عليه أفضل الصلوات والسلام بعدما أطلعه على جلية الأمر: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾؛ أي: نقصه عليك ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾؛ أي: ما كنت عندهم يا محمد فَتُخْبرهم عنهم معاينة عما جرى؛ بل أطلعك الله على ذلك كأنك كنت حاضرًا وشاهدًا لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم أيهم يكفلها، وذلك لرغبتهم في الأجر.

قال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثني حجاج،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٧٥)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٢ برقم ١٣٧٩)، قال الهيثمي: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط وفي إسناد أحمد وأبي يعلى ابن لهيعة وهو ضعيف.

عن ابن جُرَيْج، عن القاسم بن أبي بَزَّة، أنه أخبره عن عكرمة ـ وأبي بكر، عن عكرمة ـ قال: ثم خَرَجَتْ بها ـ يعني: أم مريم بمريم ـ تحملها في خرقها إلى بني الكاهن بن هارون أخي موسى عليهما السلام ـ قال: وهم يومئذ يلون في بيت المقدس ما يلي الحَجَبَة من الكعبة ـ فقالت لهم: دُونكم هذه النَّذِيرة فإني حررتها وهي ابنتي، ولا تدخل الكنيسة حائض، وأنا لا أردها إلى بيتي؟ فقالوا: هذه ابنة إمامنا ـ وكان عمران يؤمهم في الصلاة ـ وصاحب قرباننا، فقال زكريا: ادفعوها إليَّ: فإن خالتها تحتي. فقالوا: لا تطيب أنفسنا، هي ابنة إمامنا فذلك حين اقترعوا بأقلامهم عليها التي يكتبون بها التوراة، فَقَرَعَهُم زكريا، فكفلها.

وقد ذكر عكرمة أيضًا، والسدي، وقتادة، والربيع بن أنس، وغير واحد ـ دخل حديث بعضهم في بعض ـ أنهم دخلوا إلى نهر الأردن واقترعوا هنالك على أن يلقوا أقلامهم فيه فأيهم ثبت في جَرْية الماء فهو كافلها، فألقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا ثبت. ويقال: إنه ذهب صُعُدًا يشق جرية الماء، وكان مع ذلك كبيرهم وسيدهم، وعالمهم وإمامهم ونبيّهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾ [آل عمران: ٤٥ ـ ٤٧][١].

هذه بشارة من الملائكة لمريم عليها السلام، بأن سيوجد منها ولد عظيم،

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

له شأن كبير. قال الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾؛ أي: بولد يكون وجوده بكلمة من الله؛ أي: بقوله له: «كن» فيكون، وهذا تفسير قوله: ﴿مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٣٩]، كما ذكره الجمهور على ما سبق بيانه ﴿ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾؛ أي: يكون مشهورًا بهذا في الدنيا، يعرفه المؤمنون بذلك.

وسمِّي المسيح، قال بعض السلف: لكثرة سياحته. وقيل: لأنه كان مسيح القدمين، أي: لا أخْمَص لهما. وقيل: لأنه كان إذا مسح أحدًا من ذوي العاهات برئ بإذن الله تعالى.

وقوله: ﴿عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ نسبة له إلى أمه، حيث لا أب له ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾﴾؛ أي: له وجاهة ومكانة عند الله في الدنيا، بما يوحيه الله إليه من الشريعة، وينزل عليه من الكتاب، وغير ذلك مما منحه به، وفي الدار الآخرة يشفع عند الله فيمن يأذن له فيه، فيقبل منه، أسوة بإخوانه من أولي العزم، صلوات الله عليهم.

وقوله: ﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾؛ أي: يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، في حال صغره، معجزة وآية، وفي حال كهوليته حين يوحي الله إليه بذلك ﴿وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾؛ أي: في قوله وعمله، له علم صحيح وعمل صالح.

قال محمد بن إسحاق، عن يزيد بن عبد الله بن قُسَيط، عن محمد بن شرحبيل، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا تَكَلَّمَ مَوْلُود فِي صِغَرِهِ إلا عِيسَى وصَاحِبَ جُرَيْج»**[1].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو الصقر يحيى بن محمد بن قَزْعَة، حدثنا الحسين ـ يعني: المروزي ـ حدثنا جرير ـ يعني: ابن حازم ـ عن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم من طريق محمد بن مسلمة عن ابن إسحاق وفيه عنعنة ابن إسحاق، وسيأتي من طريق آخر صحيح.

محمد، عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ قال: «**لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المهدِ إلا ثَلاثَة: عِيسى، وصَبِيٌّ كَانَ فِي زَمَنِ جُرَيْجٍ، وصبيٌّ آخَرُ**»[١].

فلما سمعت بشارة الملائكة لها بذلك، عن الله ﷻ، قالت في مناجاتها: ﴿رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾ تقول: كيف يوجد هذا الولد مني وأنا لست بذات زوج ولا من عزمي أن أتزوج، ولست بَغيًّا؟ حاشا لله. فقال لها الملك ـ عن الله ﷻ، في جواب هذا السؤال ـ: ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾؛ أي: هكذا أمْرُ الله عظيم، لا يعجزه شيء. وصرَّح هاهنا بقوله: ﴿يَخْلُقُ﴾ ولم يقل: «يفعل» كما في قصة زكريا؛ بل نصَّ هاهنا على أنه يخلق؛ لئلا يبقى شبهة، وأكد ذلك بقوله: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾؛ أي: فلا يتأخر شيئًا؛ بل يوجد عقيب الأمر بلا مهلة؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِٱلْبَصَرِ﴾ [القمر: ٥٠]؛ أي: إنما نأمر مرة واحدة لا مثنوية فيها، فيكون ذلك الشيء سريعًا كلمح بالبصر.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ برقم (٣٤٣٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب تقديم بر الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها برقم (٢٥٥٠).

ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [آل عمران: ٤٨ ـ ٥١][(١)].

يقول تعالى ـ مخبرًا عن تمام بشارة الملائكة لمريم بابنها عيسى عليه السلام ـ أن الله يعلِّمه ﴿ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾. الظاهر أن المراد بالكتاب هاهنا الكتابة. والحكمة تقدم الكلام على تفسيرها في سورة البقرة.

﴿وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾﴾ فالتوراة: هو الكتاب الذي أنزله الله على موسى بن عمران. والإنجيل: الذي أنزله الله على عيسى عليهما السلام، وقد كان عيسى عليه السلام، يحفظ هذا وهذا.

وقوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي: ويجعله رسولًا إلى بني إسرائيل، قائلًا لهم: ﴿أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ وكذلك كان يفعل: يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخُ فيه، فيطير عيانًا بإذن الله عز وجل، الذي جعل هذا معجزة يَدُلّ على أن الله أرسله.

﴿وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ﴾ قيل: هو الذي يبصر نهارًا ولا يبصر ليلًا. وقيل بالعكس. وقيل: هو الأعشى. وقيل: الأعمش. وقيل: هو الذي يولد أعمى. وهو أشبه؛ لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي ﴿وَٱلْأَبْرَصَ﴾ معروف.

﴿وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبيٍّ من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام، السِّحر وتعظيم السَّحَرة. فبعثه الله بمعجزة بَهَرَت الأبصار وحيَّرت كل سحَّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام،

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وصاروا من الأبرار. وأما عيسى عليه السلام، فبُعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟ وكذلك محمد ﷺ بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله عز وجل، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا.

وقوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾؛ أي: أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدَّخر له في بيته لغده ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: في ذلك كله ﴿لَآيَةً لَّكُمْ﴾؛ أي: على صدْقي فيما جئتكم به. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ﴾؛ أي: مقرر لهم ومُثَبّت ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾ فيه دلالة على أن عيسى عليه السلام، نَسَخ بعض شريعة التوراة، وهو الصحيح من القولين، ومن العلماء من قال: لم ينسخ منها شيئًا، وإنما أحَلّ لهم بعض ما كانوا يتنازعون فيه فأخطؤوا، فكشف لهم عن المغطى في ذلك، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣] والله أعلم.

ثم قال: ﴿وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ أي: بحجة ودلالة على صدقي فيما أقوله لكم. ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ﴾؛ أي: أنا وأنتم سواء في العبودية له والخضوع والاستكانة إليه ﴿هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾﴾.

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٢ ـ ٥٥][(١)].

فقد ذكر سبحانه وتعالى شأن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وشأن الذين كفروا به، وشأن الذين اتبعوه، وبيَّن سبحانه وتعالى أن الأنصار وهم الحواريون أجابوه وتابعوه، وأنه بعد ما ظهر من بني إسرائيل الكفرُ به والمعاداة له وإنكار نبوته رفعه إليه جل وعلا وكفاه شرهم، ووقاه بلاهم.

يـقـول جل وعلا: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ يعني: لما علم عيسى ـ عليه الصلاة السلام ـ من بني إسرائيل الكفرَ وعدم الإيمان به فإن اليهود عادوه، وكفروا به، وزعموا أنه ولد بَغِيٍّ، ولم يصدقوا بما جاء به من الهدى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وكفروا بذلك مكابرة منهم، فعليهم لعائن الله المتتابعة.

فلما رأى ذلك منهم ﴿قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ﴾ يعني: من ينصر دين الله ويتابعني في نصر دين الله، فقال الحواريون وهم الأنصار والأتباع الصادقون ـ: نحن أنصار الله، والحواري هو الناصر، ومنه

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/١٩٨).

الحديث الصحيح في قصة الزبير: «**إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَحَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ**»(١).

يعني: الناصر الخاص المتفاني في النصرة، ومنه الأنصار الأوس والخزرج الذين آووا المسلمين، ونصروهم، وجاهدوا في سبيل الله، وصدقوا فيما عاهدوا الله عليه رضي الله عنهم وأرضاهم.

وكل من ناصر الدين في أي مكان، وفي أي زمان، فهو من الأنصار في المعنى؛ وليس خاصًّا بالأوس والخزرج، ولا بالحواريين في عهد عيسى، ولكن كل من نصر الحق وجاهد في سبيله؛ فإنه في الحقيقة من الأنصار، وله الفضل العظيم في ذلك، وكلما اشتدت الغربة، وقَلَّ من يساعد على الحق؛ صار فضل الأنصار أكثر وأكمل، فمن عادى الأنصار، وأبغضهم، فذلك علامة نفاقه، ومن أحب الأنصار، ونصرهم، وأيدهم، وسار في ركابهم فذلك علامة الإيمان، ومن ذلك الحديث الصحيح: «**آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ**»(٢).

وإن كان هذا في الأنصار المعروفين وهم الأوس والخزرج ولكنه في المعنى يعمهم، ويعم غيرهم في كل زمان وفي كل مكان، فمن الإيمان حب من نصر دين الله، وموالاته، وإعانته، ومن علامات النفاق بُغض من نصر دين الله، وعاداه في كل زمان وفي كل مكان.

وفي هذا حثٌّ وتحريض على نُصْرةِ دين الله، والتأسي بالأخيار،

---

(١) متفق عليه، من حديث جابر رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب فضل الطليعة برقم (٢٨٤٦)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، برقم (٢٤١٥).

(٢) متفق عليه، من حديث أنس رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار برقم (١٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق برقم (٧٤).

والحذر من صفات الأشرار الذين من شأنهم إنكار الحق والكفر به، ومتابعة الهوى والشيطان، كاليهود وأشباههم ممن عرف الحق وأنكره، وابتغى العيوب لأهل الإيمان، وآثر حب العاجلة.

فمن جحد الحق لهوًى في نفسه، فإنه مشابه لليهود في هذه الحادثة، والله أعلم، ومن نصر الحق وأيده وجاهد في سبيله، وآوى أهله، فقد شابه الأنصار من الأوس والخزرج، ومن قبلهم من أنصار دين الله، فله من الفضل، ومن الأجر بحسب ما قام به من نصر دين الله ﷻ.

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ دلالة على أن الله قبض عيسى إليه ورفعه إليه، وقد جاءت الأحاديث صريحة في ذلك متواترة مستفيضة عن رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، بأنه رفع عيسى لما تعدَّى عليه بنو إسرائيل، واستثاروا عليه مَلِكَ زمانهم، وأرادوا قتله حتى خلَّصه الله من شرِّهم، وأنجاه من بين أظهرهم برفعه إليه ﷻ.

وقوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني: قابضك، والتَّوفي هنا ليس هو الموت ولكنه القبض، ويقال: توفي نصيبه من كذا، واستوفي نصيبه من كذا، يعني: قبضه. ومنه: توفي المكيال؛ أي: قبض المكيال، فالتوفي والاستيفاء بمعني القبض.

وقد فُسِّرت هذه الكلمة بثلاثة معان: بالنوم، وبالموت، وبالقبض الذي هو الرفع، وأصح الذي قيل فيها وفي أمثالها أنه القبض؛ يعني: قبضه إليه ونقله إليه ﷻ، فالله قبضه إليه ونقله إليه ثم يليه القول بأنه وفاة النوم، فأخذته سِنَةٌ من النوم عند رفعه، ثم أفاق منها بعد الرفع ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

أما القول بأنه الموت، فهو قول ساقط لا وجه له، وهو مما

يتشبث به القاديانيون وأشباههم ممن زعم أن عيسى مات، وأن القادياني هو خليفته وهو الذي جاء بعده يكمل النبوة، فهذا من الكلام الساقط الذي لا وجه له.

فالمقصود: أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ رفعه الله إليه كما قال: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾ [النساء: ١٥٨] فهو مرفوع إليه، وسمي الرفع توفيًا؛ لأنه من القبض، وهو قبض الشيء وإحرازه، فالله ﷻ قبضه إليه ورفعه إليه، وليس المراد الموت، ولهذا أخبر في الآية الأخرى:

﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ﴾، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْۚ﴾ [النساء: ١٥٧] وقد ذيَّلها الله ﷻ بقوله: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨].

فالمقصود: أنه رُفع إلى الله ﷻ، وصار في السماء، وقد جاءت الأحاديث الصحيحة واضحة في أنه مرفوع، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام لقيه في السماء الدنيا مع يحيى بن زكريا، وأخبر في الحديث الصحيح أنه رُفع إلى السماء، وأنه ينزل في آخر الزمان وأن وجوده في آخر الزمان علامة من علامات الساعة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [الزخرف: ٦١].

فالمقصود: أنه ينزل في آخر الزمان، وقد رُفع لما تُعُدِّي عليه وأراد اليهود قتله، فرفعه الله وخلَّصه منهم، وسوف ينزل في آخر الزمان، وهو من علامات الساعة، وسوف يقتل الدجال، ثم يموت بعد ذلك، كما في قوله ﷻ: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النساء: ١٥٩].

فالموت لا بد منه وسوف يقع ويحصل؛ لكنه بعد نزوله، وبعد حكمه بشريعة محمد عليه الصلاة والسلام فترة من الزمن، وقد جاء في بعض الروايات أنها سبع سنين، وجاء في روايات أخرى أنها أربعون سنة.

فهو سينزل عليه السلام وسوف يحكم بشريعة محمد ﷺ ويقود الناس

للجهاد، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويضع الجزية ولا يقبل من الناس إلا الإسلام أو السيف؛ كما جاءت بذلك الأخبارُ عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، فهذا هو الحق في أمر عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

والحق فيه أنه مثلما قال الله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ فكما أن آدم خُلِق من تراب، وأوحى الله إليه وجعل له شريعة يسير عليها، فعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ كذلك، خُلق من أنثى بلا ذكر، فكما أن آدم لا يُستنكر ولا يمكن التكذيب بأنه خُلق من تراب من دون أب ولا أم؛ بل من تراب، فعيسى لا يُستنكر أيضًا أن يكون من أنثى بلا ذكر؛ لأن هذا أسهل وأيسر من وجود آدم من تراب بلا أب ولا أم ـ.

والله جعل الناس أقسامًا أربعةً وبوجود عيسى تمَّت القسمة:

القسم الأول: وجد من تراب بلا أب ولا أم.

القسم الثاني: خُلق من ذكر بلا أنثى، وهو حواء خلقها الله من آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [النساء: ١].

القسم الثالث: خُلق من أنثى بلا ذكر على عكس حواء؛ فحواء من ذكر بلا أنثى، وعيسى من أنثى بلا ذكر بقدرته تعالى خلقهما بقوله: كن، فكان.

القسم الرابع: بقية الناس من ذكر وأنثى كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣]. هذه حال الناس في هذه الأقسام الأربع، وبوجود عيسى تَمَّت القسمة الرباعية، وربُّك على كل شيء قدير ﷻ، وهذه من آياته الدالة على قدرته العظيمة، وأنه يقول للشيء: كن، فيكون.

وأي شيء يُستنكر من هذا؟! فليس وجود الذَّكر لحمل الأنثى أمرًا مُتحتِّمًا، بل قدرة الله ﷻ شاملة له، وفي قدرته سبحانه أن يوجِد أنثى

بلا ذكر، وذكرًا من أنثى، ويوجد أنثى من ذكر، وذكرًا بلا أنثى، كل هذا وقع منه ﷻ، كما وقع في قدرته ﷻ إيجاد إنسان بلا ذكر ولا أنثى بل من التراب وهو آدم أبو البشر عليه الصلاة و السلام، ثم البقية من ذكر وأنثى فالله على كل شي قدير، وهو بكل شيء عليم.

وفي هذا دلالة أيضًا على أن أتباع عيسى هم المنصورون إلى يوم القيامة، وأتباعه كما قال أهل العلم هم أتباع محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وهم الذين صدَّقوه وآمنوا بأنه رسول الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأنه عبد الله ورسوله وأنه خُلق من أنثى بلا ذكر، وأنه لا أب له، فهم أتباع محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، والطائفة القليلة التي تابعته ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ثم أوذيت، هؤلاء هم أتباعه ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فأتباع عيسى هم الذين تابعوا محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وجعلوا وجوده آية من آيات الحق، ودلالة من دلالات الحق الذي بعث الله به نبيّه محمدًا عليه الصلاة والسلام، وفي الآيات فوائد معلومة لمن أرادها.

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلۡتَ وَٱتَّبَعۡنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾ **[آل عمران: ٥٢ ـ ٥٤]**[(١)].

يقول تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ﴾؛ أي: استشعر منهم التصميم على الكفر والاستمرار على الضلال قال: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ قال

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

مجاهد: أي من يَتبعني إلى الله؟ وقال سفيان الثوري وغيره: من أنصاري مع الله؟ وقول مجاهد أقربُ.

والظاهر أنه أراد من أنصاري في الدعوة إلى الله؟ كما كان النبيُّ ﷺ يقول في مواسم الحج، قبل أن يهاجر: «**مَنْ رَجُل يُؤْوِيني عَلى أن أبلِّغ كلامَ رَبِّي، فإنَّ قُرَيْشًا قَدْ مَنَعُوني أنْ أُبَلِّغَ كَلامَ رَبِّي**»[(١)]، حتى وجد الأنصار فآووه ونصروه، وهاجر إليهم فآسوه ومنعوه من الأسود والأحمر. وهكذا عيسى ابن مريم، انْتدَبَ له طائفة من بني إسرائيل فآمنوا به وآزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه. ولهذا قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ۝٥٢ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ الحواريون، قيل: كانوا قَصّارين، وقيل: سمُّوا بذلك لبياض ثيابهم، وقيل: صيادين. والصحيح أن الحواري الناصر، كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما نَدبَ الناس يوم الأحزاب، فانتدب الزبير، ثم ندبهم فانتدَبَ الزبير، ثم ندبهم فانتدب الزبير، فقال: «**إنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوارِيًّا وَحَوارِيي الزُّبَيْرُ**»[(٢)].

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشَجّ، حدثنا وكيع، حدثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٥٣﴾ قال: مع أمة محمد ﷺ. وهذا إسناد جيد.

ثم قال تعالى مخبرًا عن ملأ بني إسرائيل فيما هَمُّوا به من الفتك بعيسى عليه السلام، وإرادته بالسوء والصَّلب، حين تمالؤوا عليه وَوَشَوا به إلى

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب السنة، باب في القرآن برقم (٤٧٣٤)، والترمذي في كتاب ثواب القرآن عن رسول الله ﷺ برقم (٢٩٢٥)، قال الترمذي: هذا حديث غريب، وابن ماجه في كتاب السنة، باب فيما أنكرت الجهمية برقم (٢٠١)، والإمام أحمد (٣/ ٣٩٠).

(٢) سبق تخريجه في (ص١١٨).

ملك ذلك الزمان، وكان كافرًا، فأنْهَوا إليه أن هاهنا رجلًا يُضل الناس ويصدهم عن طاعة الملك، وَيُفَنِّد الرعايا، ويفرق بين الأب وابنه إلى غير ذلك مما تقلَّدوه في رقابهم ورموه به من الكذب، وأنه ولد زانية حتى استثاروا غضب الملك، فبعث في طلبه من يأخذه ويصلبه ويُنَكِّل به، فلما أحاطوا بمنزله وظنوا أنهم قد ظَفروا به، نجَّاه الله من بينهم، ورفعه من رَوْزَنَة ذلك البيت إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل [ممن] كان عنده في المنزل، فلما دخل أولئك اعتقدوه في ظلمة الليل عيسى عليه السلام، فأخذوه وأهانوه وصلبوه، ووضعوا على رأسه الشوك. وكان هذا من مكر الله بهم، فإنه نجَّى نبيّه ورفعه من بين أظهرهم، وتركهم في ضلالهم يعمهون، يعتقدون أنهم قد ظفروا بطَلبتِهم، وأسكن الله في قلوبهم قسوة وعنادًا للحق ملازمًا لهم، وأورثهم ذلة لا تفارقهم إلى يوم التناد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ۝٥٤﴾.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ۝٥٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٥٦ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥٧ ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٥٨﴾ **[آل عمران: ٥٥ ـ ٥٨]**(١).

اختلف المفسرون في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ فقال قتادة

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وغيره: هذا من المقدَّم والمؤخَّر، تقديره: إني رافعك إليَّ ومتوفيك، يعني: بعد ذلك. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾؛ أي: مميتك.

وقال محمد بن إسحاق، عمَّن لا يتهم، عن وَهْب بن مُنَبِّه، قال: توفاه الله ثلاث ساعات من النهار حين رفعه الله إليه.

قال ابن إسحاق: والنصارى يزعمون أن الله توفاه سبع ساعات ثم أحياه.

وقال إسحاق بن بشر عن إدريس، عن وهب: أماته الله ثلاثة أيام، ثم بعثه، ثم رفعه.

وقال مطر الوراق: متوفيك من الدنيا وليس بوفاة موت، وكذا قال ابن جرير: توَفِّيه هو رفعه.

وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا: النوم، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]، وكان رسول الله يقول ـ إذا قام من النوم ـ: «**الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور**»، وقال الله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٦ ـ ١٥٩]، والضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ عائد على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ أي: وإنَّ من أهل الكتاب إلا يؤمن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، على ما سيأتي

بيانه، فحينئذ يؤمن به أهل الكتاب كلّهم؛ لأنه يضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر، عن أبيه، حدثنا الربيع بن أنس، عن الحسن أنه قال في قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾؛ يعني: وفاة المنام، رفعه الله في منامه. قال الحسن: قال رسول الله ﷺ لليهود: **«إنَّ عِيسَى لَمْ يَمُتْ، وَإنَّه رَاجِع إلَيْكُمْ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيامَةِ»**[(١)].

وقوله تعالى: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾؛ أي: برفعي إياك إلى السماء، ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وهكذا وقع؛ فإن المسيح عليه السلام، لما رفعه الله إلى السماء تَفرَّقت أصحابه شيَعًا بعده؛ فمنهم من آمن بما بعثه الله به على أنه عبد الله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، وآخرون قالوا: هو الله. وآخرون قالوا: هو ثالث ثلاثة. وقد حكى الله مقالاتهم في القرآن، ورَدّ على كل فريق، فاستمروا كذلك قريبًا من ثلاثمائة سنة، ثم نَبَع لهم ملك من ملوك اليونان، يقال له: قسطنطين، فدخل في دين النصرانية، قيل: حيلة ليفسده، فإنه كان فيلسوفًا، وقيل: جهلًا منه، إلا أنه بَدّل لهم دين المسيح وحرَّفه، وزاد فيه ونقص منه، ووضعت له القوانين والأمانة الكبيرة ـ التي هي الخيانة الحقيرة ـ وأحل في زمانه لحم الخنزير، وصَلّوا له إلى المشرق وصوَّروا له الكنائس، وزادوا في صيامهم عشرة أيام من أجل ذنب ارتكبه، فيما يزعمون. وصار دين المسيح دين قسطنطين إلا أنه بنى لهم من الكنائس والمعابد والصوامع والديارت ما يزيد على اثني عشر ألف معبد، وبنى المدينة المنسوبة إليه، واتبعه الطائفة المَلْكِيَّة

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم بسنده ومتنه وتفسير الحسن إسناده حسن، وروايته عن النبي ﷺ مرسلة.

منهم. وهم في هذا كله قاهرون لليهود، أيَّدهم الله عليهم لأنهم أقرب إلى الحق منهم، وإن كان الجميع كفار، عليهم لعائن الله.

فلما بعث الله محمدًا ﷺ، فكان من آمن به يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله على الوجه الحق ـ كانوا هم أتباع كُل نبي على وجه الأرض ـ إذ قد صدقوا الرسول النبي الأمي، خاتم الرسل، وسيد ولد آدم، الذي دعاهم إلى التصديق بجميع الحق، فكانوا أولى بكل نبي من أمته، الذين يزعمون أنهم على ملّته وطريقته، مع ما قد حَرّفوا وبدلوا.

ثم لو لم يكن شيء من ذلك لكان قد نسخ الله بشريعته شريعة جميع الرسل بما بعث به محمدًا ﷺ من الدين الحق، الذي لا يغير ولا يبدل إلى قيام الساعة، ولا يزال قائمًا منصورًا ظاهرًا على كل دين. فلهذا فتح الله لأصحابه مشارق الأرض ومغاربها، واحتازوا جميع الممالك، ودانت لهم جميعُ الدول، وكسروا كسرى، وقَصروا قيصر، وسلبوهما كُنُوزَهما، وأُنفقت في سبيل الله، كما أخبرهم بذلك نبيّهم عن ربِّهم ﷻ، في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ الآية [النور: ٦٥]، ولهذا لما كانوا هم المؤمنين بالمسيح حقًّا سلبوا النصارى بلاد الشام وأَجْلَوهم إلى الروم، فلجؤوا إلى مدينتهم القسطنطينية، ولا يزال الإسلام وأهله فوقهم إلى يوم القيامة. وقد أخبر الصادق المصدوق أمَّته بأن آخرهم سيفتحون القسطنطينية، ويستفيؤون ما فيها من الأموال، ويقتلون الروم مَقْتلة عظيمة جدًّا، لم ير الناس مثلها ولا يرون بعدها نظيرها، وقد جمعت في هذا جزءًا مفردًا.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمَا لَهُم

﴿مِّن نَّٰصِرِينَ ٥٦﴾. وكذلك فعل تعالى بمن كفر بالمسيح من اليهود، أو غلا فيه وأطراه من النصارى؛ عَذبهم في الدنيا بالقتل والسبي وأخْذ الأموال وإزالة الأيدي عن الممالك، وفي الدار الآخرة عَذابُهم أشد وأشق ﴿وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٤].

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْۗ﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة، في الدنيا بالنصر والظفر، وفي الآخرة بالجنات العاليات ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٧﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ٥٨﴾؛ أي: هذا الذي قَصَصْناه عليك يا محمد في أمر عيسى ومبدأ ميلاده وكيفية أمره، هو مما قاله الله تعالى، وأوحاه إليك ونزَّله عليك من اللوح المحفوظ، فلا مرية فيه ولا شك، كما قال تعالى في سورة مريم: ﴿ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَۚ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ٣٤ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍۖ سُبْحَٰنَهُۥٓۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [مريم: ٣٤، ٣٥] وهاهنا قال تعالى:

□ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ٦١ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٦٢ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ٦٣﴾ **[آل عمران: ٥٩ ـ ٦٣]**[(١)].

يقول تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ في قدرة الله تعالى حيث

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، في فجر الأربعاء ٣٠ ـ ٤ ـ ١٤١٢هـ.

خلقه من غير أب ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ فإن الله تعالى خلقه من غير أب ولا أم؛ بل ﴿خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩﴾ والذي خلق آدم قادر على خلق عيسى بطريق الأولى والأحرى، وإن جاز ادعاء البنوة في عيسى بكونه مخلوقًا من غير أب، فجواز ذلك في آدم بالطريق الأولى، ومعلوم بالاتفاق أن ذلك باطل، فدعواها في عيسى أشد بطلانًا وأظهر فسادًا. ولكن الربَّ ﷻ، أراد أن يُظهر قدرته لخلقه، حين خَلَق آدم لا من ذكر ولا من أنثى؛ وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر كما خلق بقية البرية من ذكر وأنثى، ولهذا قال تعالى في سورة مريم: ﴿وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [مريم: ٢١].

وقال هاهنا: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠﴾؛ أي: هذا القول هو الحق في عيسى، الذي لا محيد عنه ولا صحيح سواه، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

ثم قال تعالى ـ آمرًا رسوله ﷺ أن يُبَاهِلَ مَنْ عَانَدَ الحق في أمر عيسى بعد ظهور البيان: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ﴾؛ أي: نحضرهم في حال المباهلة ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾؛ أي: نلتعن ﴿فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٦١﴾؛ أي: منا أو منكم.

وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران، أن النصارى حين قدموا فجعلوا يُحَاجّون في عيسى، ويزعمون فيه ما يزعمون من البنوة والإلٰهية، فأنزل الله صَدْرَ هذه السورة رَدًّا عليهم، كما ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن يَسَار وغيره.

قال ابن إسحاق في سيرته المشهورة وغيره: وقَدم على رسول الله ﷺ وفد نصارى نَجْران، ستون راكبًا، فيهم أربعة عَشرَ رجلًا من أشرافهم يؤول إليهم أمرهم، وهم: العاقب، واسمه عبد المسيح، والسيد، وهو

الأيْهَم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأويس الحارث وزيد، وقيس، ويزيد، ونبيه، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبد الله، وَيُحَنَّس.

وأمْرُ هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم، وهم: العاقب وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، والسيد وكان عالمهم وصاحب رَحْلهم ومُجتمعهم، وأبو حارثة بن علقمة وكان أسْقُفهم وحَبْرَهم وإمامهم وصاحب مدارستهم، وكان رجلًا من العرب من بني بكر بن وائل، ولكنه تَنَصَّر، فعظَّمته الروم وملوكها وشرَّفوه، وبنوا له الكنائس وَمَوَّلُوه وأخْدَموه، لما يعلمونه من صلابته في دينهم. وقد كان يعرف أمر رسول الله ﷺ وشأنه وصفته بما علمه من الكتب المتقدمة جيدًا، ولكن احتمله جهله على الاستمرار في النصرانية لما يرى من تعظيمه فيها ووجاهته عند أهلها.

قال ابن إسحاق: وحدثني محمد بن جعفر بن الزبير، قال: قَدِموا على رسول الله ﷺ المدينة فدخلوا عليه مَسْجِدَه حين صلَّى العصر، عليهم ثياب الحبرَات: جُبَب وأرْدية، في جَمَال رجال بني الحارث بن كعب. قال: يقول بعض من رآهم من أصحاب النبي ﷺ: ما رأينا بعدهم وفدًا مثلهم. وقد حانت صلاتهم، فقاموا في مسجد رسول الله ﷺ يصلون، فقال رسول الله ﷺ: «**دَعُوهم فصلّوا إلى المشرق**».

قال: فكلَّم رسول الله ﷺ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبد المسيح، أو السيّد الأيهم، وهم من النصرانية على دين الملك، مع اختلاف أمرهم، يقولون: هو الله، ويقولون: هو ولد الله، ويقولون: هو ثالث ثلاثة. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا. وكذلك قول النصرانية، فهم يحتجون في قولهم: «هو الله» بأنه كان يحيي الموتى، ويُبْرئُ الأسقامَ، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيرًا وذلك كله بأمر الله، وليجعله آية للناس.

ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله، يقولون: لم يكن له أب يُعلم، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله.

ويحتجون في قولهم بأنه ثالث ثلاثة، بقول الله تعالى: فعلنا، وأمّرنا، وخلقنا، وقضينا؛ فيقولون: لو كان واحدًا ما قال إلا فعلتُ وقضيتُ وأمرتُ وخلقتُ؛ ولكنه هو وعيسى ومَرْيَم وفي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن.

فلما كلَّمه الحَبْران قال لهما رسول الله ﷺ: «**أَسْلِمَا**» قالا: قد أسلمنا. قال: «**إِنَّكُمَا لَمْ تُسْلِمَا فأَسْلِما**» قالا: بلى، قد أسلمنا قبلك. قال: «**كَذَبْتُمَا، يمْنَعُكُمَا مِنَ الإسْلامِ دُعَاؤكُما لله ولدًا، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبَ وأكْلُكُمَا الخِنزيرَ**». قالا: فمن أبوه يا محمد؟ فَصَمَتَ رسول الله ﷺ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم، واختلاف أمرهم، صَدْرَ سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها.

ثم تَكَلَّم ابن إسحاق على التفسير إلى أن قال: فلمَّا أتى رسول الله ﷺ الخبر من الله، والفَصْلُ من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم إنْ رَدّوا ذلك عليه، دعاهم إلى ذلك؛ فقالوا: يا أبا القاسم، دَعْنَا ننظر في أمرنا، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، فانصرفوا عنه، ثم خَلَوْا بالعاقب، وكان ذا رأيهم، فقالوا: يا عبدَ المسيح، ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرَفْتم أن محمدًا لنبيٌّ مرسل، ولقد جاءكم بالفَصْل من خَبَر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لاعَن قوم نبيًّا قط فبقي كبيرهم، ولا نبت صَغيرهم، وإنه للاستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم قد أبيتم إلا إلف دينكم والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم، فوادعُوا الرجلَ وانصرفوا إلى بلادكم.

فأتوا النبيَّ ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم، قد رأينا ألا نلاعنك، ونتركك على دينك، ونرجعَ على ديننا، ولكن ابعث معنا رجلًا من

أصحابك ترضاه لنا، يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا، فإنكم عندنا رضًا.

قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ﷺ: «**ائْتُونِي الْعَشِيَّة أبعث معكم القوي الأمين**»، فَكان عمر بن الخطاب يقول: ما أحببت الإمارة قَطّ حُبّي إياها يومئذ، رجاء أن أكون صاحبها، فَرُحْتُ إلى الظُّهر مُهَجِّرًا، فلما صلَّى رسول الله ﷺ الظهرَ سلَّم، ثم نَظَر عن يمينه وعن يساره، فجعلت أتطاول له ليراني، فلم يَزَلْ يلتمس ببصره حتى رأى أبا عُبَيدة بن الجَرَّاح، فدعاه: «**اخْرُجْ معهم، فَاقْضِ بينهم بِالْحَقِّ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**». قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة رضي الله عنه.

وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خُدَيْج: أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ﷺ فذكر نحوه، إلا أنه قال في الأشراف: كانوا اثني عشر. وذكر بقيته بأطول من هذا السياق، وزيادات أُخَر.

وقال البخاري: حدثنا عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن صِلَة بن زُفَر، عن حذيفة قال: جاء العاقبُ والسيدُ صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يلاعناه، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تَفْعَلْ، فوالله إن كان نبيًّا فلاعناه لا نفلحُ نحنُ ولا عَقبنا من بعدنا. قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلًا أمينًا، ولا تبعث معنا إلا أمينًا. فقال: «**لأبْعَثَنَّ مَعَكُمْ رَجُلا أمينًا حَقَّ أَمِينٍ**»، فاستشرفَ لها أصحابُ رسول الله ﷺ، فقال: «**قُمْ يَا أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاح**» فلما قام قال رسول الله ﷺ: «**هَذَا أَمِينُ هذه الأُمَّةِ**»[1].

ورواه البخاري أيضًا، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه

(١) أخرجه البخاري من حديث حذيفة رضي الله عنه في كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران برقم (٤٣٨٠).

من طرق عن أبي إسحاق السَّبِيعي، عن صِلَة، عن حذيفة، بنحوه.

وقد رواه أحمد، والنسائي، وابن ماجه، من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق، عن صلَة عن ابن مسعود، بنحوه.

وقال البخاري: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن خالد، عن أبي قِلابة، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**لكل أُمَّةٍ أمينٌ وأمين هذه الأمَّة أبُو عبيدة بْنُ الْجَرَّاحِ**»(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرَّقِّي أبو يزيد، حدثنا فُرَات، عن عبد الكريم بن مالك الجزَري، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل: إن رأيتُ رسول الله ﷺ يصلي عند الكعبة لآتينَّه حتى أطَأ على عنقه. قال: فقال: «لو فعلَ لأخَذته الملائكةُ عيانًا، ولو أن اليهود تمنَّوا الموت لماتوا ورأوا مقاعدهم من النار، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرَجَعوا لا يجدون مالًا ولا أهلًا».

وقد رواه الترمذي، والنسائي، من حديث عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن عبد الكريم، به. وقال الترمذي: [حديث] حسن صحيح.

وقد روى البيهقي في دلائل النبوة قصَّة وَفْد نَجْران مطولة جدًّا، ولنذكره فإن فيه فوائدَ كثيرة، وفيه غرابة وفيه مناسبة لهذا المقام، قال البيهقي:

حدثنا أبو عبد الله الحافظ وأبو سعيد محمد بن موسى بن الفضل، قالا: حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، حدثنا أحمد بن عبد الجبار، حدثنا يونس بن بُكَيْر، عن سلمة بن عبدِ يَسُوع، عن أبيه، عن جده قال يونس ـ وكان نصرانيًّا فأسلم ـ: إن رسول الله ﷺ كتب إلى أهل نجران قبل أن ينزل عليه طس سليمان: «باسم إلٰه إبراهيم وإسحاق ويعقوب،

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران برقم (٤٣٨٢).

من محمّدٍ النبيّ رسول الله إلى أسقف نجران وأهل نجران أسلم أنتم، فإنّي أحمد إليكم إلٰه إبراهيم وإسحاق ويعقوب. أمّا بعد، فإنّي أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم آذنتكم بحربٍ والسّلام».

فلما أتى الأسقف الكتاب فقرأه فظع به، وذعره ذعرًا شديدًا، وبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة ـ وكان من هَمْدان ولم يكن أحد يُدْعَى إذا نزلت مُعْضلة قَبْلَه، لا الأيهم ولا السيِّد ولا العاقب ـ فدفع الأسْقُفُ كتابَ رسول الله ﷺ إلى شُرَحْبيل، فقرأه، فقال الأسقف: يا أبا مريمَ، ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة، فما يُؤْمنُ أن يكون هذا هو ذاك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، ولو كان أمر من أمور الدنيا لأشرت عليك فيه برأيي، وجَهِدتُ لك، فقال له الأسقف: تَنَحَّ فاجلس. فَتَنَحَّى شرحبيل فجلس ناحية، فبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يقال له: عبد الله بن شرحبيل، وهو من ذي أصبح من حمْير، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه، فقال له مثل قول شرحبيل، فقال له الأسقف: فاجلس، فتَنَحى فجلس ناحية. وبعث الأسقف إلى رجل من أهل نجران، يقال له: جبار بن فيض، من بني الحارث بن كعب، أحد بني الحماس، فأقرأه الكتاب، وسأله عن الرأي فيه؟ فقال له مثل قول شُرَحبيل وعبد الله، فأمره الأسقف فتنحى فجلس ناحية.

فلما اجتمع الرأي منهم على تلك المقالة جميعًا، أمر الأسقف بالناقوس فضُرب به، ورُفعت النيران والمسوح في الصوامع، وكذلك كانوا يفعلون إذا فَزعوا بالنهار، وإذا كان فزعُهم ليلًا ضربوا بالناقوس، ورفعت النيران في الصوامع، فاجتمعوا حين ضُرب بالناقوس ورُفعت المسوح أهل الوادي أعلاه وأسفله ـ وطولُ الوادي مَسِيرة يوم للراكب السريع، وفيه ثلاث وسبعون قرية، وعشرون ومائة ألف مقاتل. فقرأ

عليهم كتابَ رسول الله ﷺ، وسألهم عن الرأي فيه، فاجتمع رأيُ أهل الرأي منهم على أن يبعثوا شرحبيل بن ودَاعة الهمداني، وعبد الله بن شُرَحبيل الأصبحي، وجبار بن فيض الحارثي، فيأتونهم بخبر رسول الله ﷺ.

فانطلق الوفد حتى إذا كانوا بالمدينة وضعوا ثياب السفر عنهم، ولبسوا حُلَلًا لهم يجرونها من حبرة، وخواتيم الذهب، ثم انطلقوا حتى أتوا رسول الله ﷺ، فسلَّموا عليه، فلم يرد عليهم وتصدوا لكلامه نهارًا طويلًا فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب. فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمٰن بن عوف، وكانا مَعْرفة لهم، فوجدوهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس، فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمٰن، إن نبيَّكم كتب إلينا بكتاب، فأقبلنا مجيبين له، فأتيناه فسلَّمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدَّينا لكلامه نهارًا طويلًا فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكما، أترون أن نرجع؟ فقالا لعلي بن أبي طالب ـ وهو في القوم ـ: ما ترى يا أبا الحسن في هؤلاء القوم؟ فقال عَليّ لعثمان ولعبد الرحمٰن: أرى أن يضعوا حُللهم هذه وخواتيمهم، ويلبسوا ثياب سفرهم ثم يعودا إليه. ففعلوا فسلموا، فرد سلامهم، ثم قال: **«والَّذِي بَعَثَنِي بِالحَقِّ لَقَدْ أَتَوْنِي الْمرَّةَ الأولَى، وإنَّ إبْلِيسَ لَمَعَهُم»** ثم ساءلهم وساءلوه، فلم تزل به وبهم المسألة حتى قالوا: ما تقول في عيسى، فإنا نرجع إلى قومنا ونحن نصارى، يسرنا إن كنت نبيًّا أن نسمع ما تقول فيه؟

قال رسول الله ﷺ: **«مَا عِنْدِي فِيهِ شِيء يَوْمِي هَذَا، فَأَقِيمُوا حَتَّى أُخْبِرَكُمْ بما يقول لي رَبِّي في عيسَى»**. فأصبح الغد وقد أنزل الله ﷻ، هذه الآية: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝٦٠ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا

وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ فأبوا أن يقروا بذلك، فلما أصبح رسول الله ﷺ الغد بعد ما أخبرهم الخبر، أقبل مشتملًا على الحسن والحسين في خَمِيل له وفاطمة تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذ عدة نسوة، فقال شرحبيل لصاحبيه: قد علمتما أن الوادي إذا اجتمع أعلاه وأسفله لم يردوا ولم يصدروا إلا عن رأيي وإني والله أرى أمرًا ثقيلًا والله لئن كان هذا الرجل ملكًا مبعوثًا، فكنا أول العرب طعن في عينيه ورد عليه أمره، لا يذهب لنا من صدره ولا من صدور أصحابه حتى يصيبونا بجائحة، وإنا لأدنى العرب منهم جوارًا، ولئن كان هذا الرجل نبيًّا مرسلًا فلاعَنَّاه لا يبقى على وجه الأرض منا شَعْر ولا ظُفُر إلا هلك. فقال له صاحباه: يا أبا مريم، فما الرأي؟ فقال: أرى أن أحكِّمه، فإني أرى رجلًا لا يحكم شططًا أبدًا. فقالا له: أنت وذاك.

قال: فلقي شرحبيلُ رسولَ الله ﷺ، فقال له: إني قد رأيت خيرًا من ملاعنتك. فقال: «**وما هو؟**» فقال: حكمك اليوم إلى الليل وليلتك إلى الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز. فقال رسول الله ﷺ: «**لَعَلَّ وَرَاءكَ أحَدًا يَثْرِبُ عَلَيْكَ؟**» فقال شرحبيل: سل صاحبي. فسألهما فقالا: ما يرد الوادي ولا يَصْدرُ إلا عن رأي شرحبيل؛ فَرَجع رسول الله ﷺ فلم يلاعنهم، حتى إذا كان الغد أتوه فكتب لهم هذا الكتاب: «**بِسْم الله الرحمٰنِ الرَّحِيم، هَذَا مَا كَتَبَ مُحَمَّدٌ النَّبِي رَسُولُ اللهِ لِنَجْرَانَ - إنْ كَانَ عَلَيْهِمْ حُكْمَهُ - فِي كُلِّ ثَمَرَةٍ وَكُلِّ صَفْرَاءَ وَبَيْضَاءَ وَسَودَاءَ وَرَقِيقٍ فَاضِلٍ عَلَيْهِمْ، وتَرْك ذَلِكَ كُلُّهُ لَهُمْ، عَلَى أَلْفَي حُلَّةٍ، فِي كُلِّ رَجَبٍ أَلْفُ حُلَّةٍ، وفِي كُلِّ صَفَرٍ أَلْفُ حُلَّةٍ**» وذكر تمام الشروط وبقية السياق.

والغرض أن وفودهم كان في سنة تسع؛ لأن الزهري قال: كان أهل نجران أول من أدى الجزية إلى رسول الله ﷺ، وآية الجزية إنما أنزلت بعد الفتح، وهي قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ

﴿ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

وقال أبو بكر بن مردُويه: حدثنا سليمان بن أحمد، حدثنا أحمد بن داود المكي، حدثنا بشر بن مهران، أخبرنا محمد بن دينار، عن داود بن أبي هند، عن الشعبي، عن جابر قال: قدم على النبيِّ ﷺ العاقب والطيب، فدعاهما إلى الملاعنة فواعداه على أن يلاعناه الغداة. قال: فغدا رسول الله ﷺ، فأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، ثم أرسل إليهما فَأَبَيَا أن يجيئا وأقَرَّا بالخراج، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَوْ قَالا لا لأمْطَرَ عَلَيْهِمُ الْوَادِي نارًا**». قال جابر: فيهم نزلت: ﴿نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾ قال جابر: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾ رسولُ اللهِ ﷺ وعليّ بن أبي طالب ﴿أَبۡنَآءَنَا﴾ الحسن والحسين ﴿وَنِسَآءَنَا﴾ فاطمة.

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه، عن علي بن عيسى، عن أحمد بن محمد الأزهري، عن علي بن حُجْر، عن علي بن مُسْهِر، عن داود بن أبي هند، به بمعناه. ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

هكذا قال: وقد رواه أبو داود الطيالسي، عن شعبة، عن المغيرة عن الشعبي مرسلًا، وهذا أصح. وقد روي عن ابن عباس والبراء نحو ذلك.

ثم قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ﴾؛ أي: هذا الذي قصصناه عليك يا محمد في شأن عيسى هو الحق الذي لا مَعْدل عنه ولا محيد ﴿وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٦٢ فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾؛ أي: عن هذا إلى غيره. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٦٣﴾؛ أي: مَن عدل عن الحق إلى الباطل فهو المفسد والله عليم به، وسيجزيه على ذلك شر

الجزاء، وهو القادر، الذي لا يفوته شيء سبحانه وبحمده ونعوذ به من حلول نِقَمه.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ۗ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤ ـ ٧٤][(١)].

يبيِّن الله ﷻ كثيرًا من حال أهل الكتاب ودعواهم ما ليس لهم به عِلمٌ، وتَلوُّنهم في المُضارَّة لأهل الإيمان والتلبيس عليهم، وكَتْمَ الحق

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ٢١١).

الذي عندهم؛ ليُضلوا الناس عن الهدى، ويُلبسوا عليهم حقهم بباطلهم، وهذا شيء معروف من أعمال أهل الكتاب ولا سيما اليهود؛ لأنهم أكثر الناس في هذا فسادًا وضلالًا وتلبيسًا.

ففي هذه الآية الكريمة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ الآية، يأمر الله ﷻ نبيّه ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ وهذه الكلمة هي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)؛ فإن الواجب على جميع أهل الأرض أن يكونوا فيها سواء، وأن يعبدوا الله وحده، وأن يتبرَّؤوا من عبادة ما سواه ﷻ.

ولهذا كتب بهذه الآية النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ إلى هرقل عظيم الرُّوم يدعوه إلى معناها، وهو الإجابة إلى توحيد الله والإخلاص له، وترك ما عليه أهل الكتاب من الشرك بالله: من عبادة غير الله، من عبادة العُزير أو المسيح أو الأحبار والرُّهبان وغير ذلك، ودعاهم لأن يوحدوا الله وحده ويَتبرَّؤوا من الشرك به ﷻ، وأن يسلموا وجوههم وأعمالهم له ﷻ، ولكن القوم أبوا وعاندوا واستكبروا وتابعوا الهوى.

وكان النبي ﷺ يقرأ في سُنَّة الفجر في الركعة الأولى قوله سبحانه: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي الركعة الثانية بهذه الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ﴾، وما ذاك إلا لأن هاتين الآيتين فيهما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الإلٰهية؛ ففي الآية الأولى: توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به وبرسله وبكتبه وبجميع ما أُنزل على الأنبياء، وعدم التفريق بينهم، والانقياد لما جاؤوا به. وفي الثانية: التصريح بالبراءة من عبادة غير الله ومن الشرك بالله ﷻ وأن نكون نحن وغيرنا سواء في ذلك، نعبد ربنا وحده ونتبرأ من عبادة ما سواه ﷻ، ولا نتخذ من دونه أربابًا نعبدهم معه ونطيعهم في غير طاعته ﷻ.

ثم يبيِّن بعد ذلك مُحاجة اليهود والنصارى في الحق، وزعم كل

طائفة أن إبراهيم منها، وأنها أولى بإبراهيم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، ويبيِّن ﷻ أن أولى الناس بإبراهيم أتباعه مِن أيِّ جنسٍ كانوا، فأولى الناس بإبراهيم وبالأنبياء هم أتباعه على الحقيقة، فأتباع إبراهيم وأتباع النبي محمد ﷺ هم أولى الناس به، سواء كانوا من أقاربه أو من قبيلته وعشيرته، أم كانوا من أناس أو طوائف آخرين. فالمقصود: هو اتِّباع الحق وإيثاره على ما سواه، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾. فأولى الناس بالأنبياء هم أتباعهم والمقرُّون بما جاؤوا به من الشرائع، والمجتمعون على الحق الذي دعوا إليه، وأولى الناس بمحمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ، هم أتباعه وأنصاره سواء كانوا من العرب أو من العجم، فمن كان تابعًا لشريعته معظمًا لها وسار عليها فهو أولى الناس به ﷺ.

وفيه بيان أن اليهود بقية أهل الكتاب يحرصون على إضلال الناس، وعلى إغوائهم، وعلى إدخال الشرك عليهم؛ ولهذا قالوا: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ فدعوا الناس إلى أن يؤمنوا أول النهار ثم يكفروا آخر النهار ويقولون: ما وجدنا ما عندهم مناسبًا للحق أو موافقًا له، حتى يقولوا: جرَّبنا ونظرنا فما وجدنا ما يدل على الحق الذي ادعاه محمد ﷺ، فيكون هذا أبلغ في الإضلال والتشكيك، وهذا من ضلالهم وكيدهم، أن يدخلوا في الإسلام أول النهار ويُظهروا أنهم من أهله، ثم في آخر النهار يكفرون ويقولون: ما وجدنا المطلوب؛ نسأل الله السلامة.

والمقصود من هذا: التحذير من طرائقهم ومن أخلاقهم ومن صفاتهم الذميمة، وأنه ينبغي للمؤمن أن يحذر صفاتهم الذميمة وأخلاقهم المنحرفة، وأن يكون مع الحق أينما كان، ويَثبُتَ عليه، وأن يحذر الباطل وأهله في أيِّ وقتٍ كان وفي أيِّ مكان كان، والله المستعان.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤](١).

هذا الخطاب يعم أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ومن جرى مجراهم ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ﴾ والكلمة تطلق على الجملة المفيدة كما قال هاهنا. ثم وصفها بقوله: ﴿سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾؛ أي: عدل ونَصَف، نستوي نحن وأنتم فيها. ثم فسَّرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾.

لا وَثَنًا، ولا صنمًا، ولا صليبًا ولا طاغوتًا، ولا نارًا، ولا شيئًا؛ بل نُفْرِدُ العبادة لله وحده لا شريك له. وهذه دعوة جميع الرسل، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الانبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ثم قال: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ وقال ابن جُرَيْج: يعني: يطيع بعضنا بعضًا في معصية الله. وقال عكرمة: يعني: يسجد بعضنا لبعض.

﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾؛ أي: فإن تولوا عن هذا النَّصَف وهذه الدعوة فأشْهدوهم أنتم على استمراركم على الإسلام الذي شرعه الله لكم.

وقد ذكرنا في شرح البخاري، عند روايته من طريق الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن أبي

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

سفيان، في قصته حين دخل على قيصر، فسألهم عن نسب رسول الله ﷺ وعن صفته ونعته وما يدعو إليه، فأخبره بجميع ذلك على الجلية، مع أن أبا سفيان كان إذ ذاك مُشْركًا لم يُسْلم بعد، وكان ذلك بعد صُلْح الحُدَيْبِيَة وقبل الفتح، كما هو مُصَرّح به في الحديث، ولأنه لما قال: هل يغدر؟ قال: فقلت: لا ونحن منه في مُدة لا ندري ما هو صانع فيها. قال: ولم يمكني كلمة أزيد فيها شيئًا سوى هذه، والغرض أنه قال: ثم جيء بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه:

«**بِسْمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحِيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيم الرُّوم، سَلامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِن تَوَلَّيْتَ فإنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأريسيِّين**، و﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾»[1].

وقد ذكر محمد بن إسحاق وغير واحد أن صَدْر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها نزلت في وَفْد نجْران، وقال الزهري: هم أول من بَذَلَ الجزية. ولا خلاف أن آية الجزية نزلت بعد الفتح، فما الجمع بين كتابة هذه الآية قبل الفتح إلى هِرقْل في جملة الكتاب، وبين ما ذكره محمد بن إسحاق والزهري؟ **والجواب من وجُوه**:

أحدها: يحتمل أن هذه الآية نزلت مرتين، مَرّةً قبل الحديبية، ومرة بعد الفتح.

الثاني: يحتمل أن صدر سورة آل عمران نزل في وفد نجران إلى عند هذه الآية، وتكون هذه الآية نزلت قبل ذلك، ويكون قول ابن إسحاق: «إلى بضع وثمانين آية» ليس بمحفوظ، لدلالة حديث أبي سفيان.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي برقم (٧).

الثالث: يحتمل أن قدوم وفد نجران كان قبل الحديبية، وأن الذي بذلوه مُصَالحةً عن المباهلة لا على وجه الجزية؛ بل يكون من باب المهادنة والمصالحة، ووافق نزول آية الجزية بعد ذلك على وفق ذلك كما جاء فرض الخُمس والأربعة الأخماس وفق ما فعله عبد الله بن جحش في تلك السرية قبل بدر، ثم نزلت فريضة القسم على وفق ذلك.

الرابع: يحتمل أن رسول الله ﷺ لما أمر بكَتْب هذا الكلام في كتابه إلى هرقل لم يكن أنزل بعد، ثم نزل القرآن موافقة له كما نزل بموافقة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الحجاب وفي الأسارى، وفي عدم الصلاة على المنافقين، وفي قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ [البقرة: ١٢٥]، وفي قوله: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ الآية [التحريم: ٥].

*

☐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤][(١)].

هذه الآية عظيمة، أمرَ الله نبيّه ﷺ أن يدعو أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى إلى كلمة: وهي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، مع شهادة أن محمدًا رسول الله، سواء؛ يعني: فصل بيننا وبينكم، نستوي نحن وأنتم فيها، كلنا سواء فيها، علينا جميعًا أن نعبد الله وحده دون ما سواه سبحانه وتعالى، وعلينا أن لا نشرك به شيئًا، لا نشرك به لا صنمًا، ولا نبيًّا، ولا جنيًّا، ولا شجرًا، ولا حجرًا، ولا غير ذلك، ولا يتخذ بعضنا بعضًا

(١) من برنامج نور على الدرب، (٤/ ٧٩).

أربابًا من دون الله، ليس لنا أن نتخذ بعضنا بعضًا من دون الله، فليس للإنس أن يتخذ بعضهم بعضًا، ولا للجن، ولا للملائكة ولا غيرهم، كلهم يجب أن يعبدوا الله وحده، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠]. فلا يجوز لأحد أن يتخذ ربًّا مع الله يعبده، ويستغيث به، أو يصلي له، أو يسجد له، أو نحو ذلك، بل الجميع عباد الله، يجب عليهم أن يخصُّوا الله بالعبادة أينما كانوا من دعاء، وخوف، ورجاء، وصلاة، وصوم، وذبح، ونذر، وغير ذلك.

فإن تولوا؛ يعني: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ هؤلاء من اليهود والنصارى، وأعرضوا عن قبول الحق، ﴿فَقُولُوا اشْهَدُوا﴾: فقولوا لهم مشافهةً وصريحًا: إنا مسلمون؛ يعني: اشهدوا إنا مسلمون، وأنتم كفار؛ يعني: اشهدوا علينا إنا مسلمون؛ يعني: منقادون لله، موحِّدون له، معظمون له، خاضعون له، نعبده وحده دون كل ما سواه، خلافًا لكم.

* *

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤][(١)].

سواءٍ: قصدٍ.

حدّثني إبراهيم بن موسى عن هشام عن معمرٍ، (ح)، وحدّثني عبد الله بن محمّدٍ، حدّثنا عبد الرّزّاق، أخبرنا معمرٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: حدّثني ابن عبّاسٍ، قال: حدّثني أبو سفيان من فِيهِ إلى فِيَّ قال: «انْطَلَقْتُ فِي الْمُدَّةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنِي

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري كتاب التفسير.

وَبَيْنَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قال: فَبَيْنَا أَنَا بِالشَّام، إِذْ جِيءَ بِكِتَابٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى هِرَقْلَ، قال: وَكَانَ دِحْيَةُ الْكَلْبِيُّ جَاءَ بِهِ فَدَفَعَهُ إِلَى عَظِيم بُصْرَى، فَدَفَعَهُ عَظِيمُ بُصْرَى إِلَى هِرَقْلَ، قَالَ: فَقَالَ هِرَقْلُ: هَلْ هَاهُنَا أَحَدٌ مِنْ قَوْم هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: فَدُعِيتُ فِي نَفَرٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَدَخَلْنَا عَلَى هِرَقْلَ، فَأُجْلِسْنَا بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ أَقْرَبُ نَسَبًا مِنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ؟ فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: فَقُلْتُ: أَنَا، فَأَجْلَسُونِي بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَجْلَسُوا أَصْحَابِي خَلْفِي، ثُمَّ دَعَا بِتُرْجُمَانِهِ فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ: إِنِّي سَائِلٌ هَذَا عَنْ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَإِنْ كَذَبَنِي فَكَذِّبُوهُ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَايْمُ اللهِ لَوْلَا أَنْ يُؤْثِرُوا عَلَيَّ الْكَذِبَ لَكَذَبْتُ، ثُمَّ قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: سَلْهُ كَيْفَ حَسَبُهُ فِيكُمْ؟ قال: قُلْتُ: هُوَ فِينَا ذُو حَسَبٍ، قال: فَهَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ؟ قال: قُلْتُ: لَا، قال: فَهَلْ كُنْتُم تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قال؟ قُلْتُ: لَا، قَالَ: أَيَتَّبِعُهُ أَشْرَافُ النَّاسِ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ؟ قال: قُلْتُ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، قَالَ: يَزِيدُونَ، أَوْ يَنْقُصُونَ؟ قال: قُلْتُ: لَا، بَلْ يَزِيدُونَ، قَالَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟ قال: قُلْتُ: لَا، قال: فَهَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ قال: قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَكَيْفَ كَانَ قِتَالُكُمْ إِيَّاهُ؟ قال: قُلْتُ: تَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ سِجَالًا، يُصِيبُ مِنَّا، وَنُصِيبُ مِنْهُ، قال: فَهَلْ يَغْدِرُ؟ قال: قُلْتُ: لَا، وَنَحْنُ مِنْهُ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ لَا نَدْرِي مَا هُوَ صَانِعٌ فِيهَا، قَالَ: وَاللهِ مَا أَمْكَنَنِي مِنْ كَلِمَةٍ أُدْخِلُ فِيهَا شَيْئًا غَيْرَ هَذِهِ، قال: فَهَلْ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ؟ قُلْتُ: لَا، ثُمَّ قَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ إِنِّي سَأَلْتُكَ عَنْ حَسَبِهِ فِيكُمْ، فَزَعَمْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو حَسَبٍ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي أَحْسَابِ قَوْمِهَا، وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ فِي آبَائِهِ مَلِكٌ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مَلِكٌ قُلْتُ: رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ آبَائِهِ، وَسَأَلْتُكَ عَنْ أَتْبَاعِهِ:

أَضُعَفَاؤُهُم أَمْ أَشْرَافُهُمْ؟ فَقُلْتَ: بَلْ ضُعَفَاؤُهُمْ، وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ يَذْهَبَ فَيَكْذِبَ عَلَى اللهِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ سَخْطَةً لَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ إِذَا خَالَطَ بَشَاشَةَ الْقُلُوبِ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَاتَلْتُمُوهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّكُمْ قَاتَلْتُمُوهُ فَتَكُونُ الْحَرْبُ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُ سِجَالًا، يَنَالُ مِنْكُمْ وَتَنَالُونَ مِنْهُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ، تُبْتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهُمُ الْعَاقِبَةُ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَغْدِرُ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ لَا يَغْدِرُ، وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لَا تَغْدِرُ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ قَالَ أَحَدٌ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لَا، فَقُلْتُ: لَوْ كَانَ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ أَحَدٌ قَبْلَهُ قُلْتُ: رَجُلٌ ائْتَمَّ بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ، قَالَ: ثُمَّ قَالَ: بِمَ يَأْمُرُكُمْ؟ قال: قُلْتُ: يَأْمُرُنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّلَةِ، وَالْعَفَافِ، قَالَ: إِنْ يَكُ مَا تَقُولُ فِيهِ حَقًّا؛ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ، وَلَمْ أَكُ أَظُنُّهُ مِنْكُمْ، وَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَأَحْبَبْتُ لِقَاءَهُ، وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمَيْهِ، وَلَيَبْلُغَنَّ مُلْكُهُ مَا تَحتَ قَدَمَيَّ، قَالَ: ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَرَأَهُ، فَإِذَا فِيهِ: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ، إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ؛ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلَامِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ، وَ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾»، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قِرَاءَةِ الْكِتَابِ ارْتَفَعَتِ الأَصْوَاتُ عِنْدَهُ، وَكَثُرَ اللَّغَطُ، وَأُمِرَ بِنَا فَأُخْرِجْنَا، قَالَ: فَقُلْتُ لأَصْحَابِي

حِينَ خَرَجْنَا: لَقَدْ أَمِرَ أَمْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ، إِنَّهُ يَخَافُهُ مَلِكُ بَنِي الأَصْفَرِ، فَمَا زِلْتُ مُوقِنًا بِأَمْرِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ سَيَظْهَرُ حَتَّى أَدْخَلَ اللهُ عَلَيَّ الإِسْلَامَ»، قَالَ الزُّهْرِيُّ: «فَدَعَا هِرَقْلُ عُظَمَاءَ الرُّومِ، فَجَمَعَهُمْ فِي دَارٍ لَهُ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الرُّومِ، هَلْ لَكُمْ فِي الْفَلَاحِ وَالرَّشَدِ آخِرَ الأَبَدِ، وَأَنْ يَثْبُتَ لَكُمْ مُلْكُكُمْ؟ قَالَ: فَحَاصُوا حَيْصَةَ حُمُرِ الْوَحْشِ إِلَى الأَبْوَابِ فَوَجَدُوهَا قَدْ غُلِقَتْ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِهِمْ، فَدَعَا بِهِمْ فَقَالَ: إِنِّي إِنَّمَا اخْتَبَرْتُ شِدَّتَكُمْ عَلَى دِينِكُمْ، فَقَدْ رَأَيْتُ مِنْكُمُ الَّذِي أَحْبَبْتُ: فَسَجَدُوا لَهُ، وَرَضُوا عَنْهُ»(١).

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٥ ـ ٦٨](٢).

ينكر تعالى على اليهود والنصارى في محاجتهم في إبراهيم الخليل، ودعوى كل طائفة منهم أنه كان منهم، كما قال محمد بن إسحاق بن يسار: حدثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، حدثني سعيد بن

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ﴾... إلخ برقم (٤٥٥٣)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام برقم (١٧٧٣).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

جبير أو عكرمة، عن ابن عباس قال: اجتمعت نصارى نجران وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديًّا. وقالت النصارى: ما كان إبراهيم إلا نصرانيًّا. فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾؛ أي: كيف تَدّعُون، أيها اليهود، أنه كان يهوديًّا، وقد كان زمنه قبل أن ينزل الله التوراة على موسى، وكيف تَدّعُون، أيها النصارى، أنه كان نصرانيًّا، وإنما حدثت النصرانية بعد زمنه بدهر. ولهذا قال: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥﴾.

ثم قال: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾، هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به، فإنَّ اليهود والنصارى تَحَاجُّوا في إبراهيم بلا علم، ولو تحاجوا فيما بأيديهم منه علْم مما يتعلق بأديانهم التي شرعت لهم إلى حين بعثة محمد ﷺ لكان أولى بهم، وإنما تكلموا فيما لم يعلموا به، فأنكر الله عليهم ذلك، وأمرهم بردّ ما لا علم لهم به إلى عالم الغيب والشهادة، الذي يعلم الأمور على حقائقها وجلياتها، ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٦٦﴾.

ثم قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا﴾؛ أي: مُتَحَنِّفًا عن الشرك قَصْدًا إلى الإيمان ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

وهذه الآية كالتي تقدمت في سورة البقرة: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥].

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٨﴾ يقول تعالى: أحق الناس بمتابعة إبراهيم الخليل الذين اتبعوه على دينه، وهذا النبي ـ يعني: محمدًا ﷺ ـ والذين آمنوا من أصحابه المهاجرين والأنصار ومَنْ بعدهم.

قال سعيد بن منصور: أخبرنا أبو الأحوص، عن سعيد بن مسروق، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، عن ابن مسعود رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لِكُلِّ نَبيٍّ وُلاةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وإنَّ وَليِّي مِنْهُمْ أبي وخَلِيلُ رَبِّي** عز وجل»[(١)]. ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

وقد رواه الترمذي والبزار من حديث أبي أحمد الزُّبيري، عن سفيان الثوري، عن أبيه، به، ثم قال البزار: ورواه غير أبي أحمد، عن سفيان، عن أبيه، عن أبي الضحى، عن عبد الله، ولم يذكر مسروقًا. وكذا رواه الترمذي من طريق وَكِيع، عن سفيان، ثم قال: وهذا أصح لكن رواه وكيع في تفسيره فقال: حدثنا سفيان، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ... فذكره.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾؛ أي: ولي جميع المؤمنين برسله.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٩ ـ ٧٤][(٢)].

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله في كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة آل عمران برقم (٢٩٩٥)، والإمام أحمد (١/ ٤٠٠، ٤٢٩).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

يخبر تعالى عن حَسَدَ اليهود للمؤمنين وبَغْيهم إياهم الإضلال، وأخبر أنَّ وَبَالَ ذلك إنما يعود على أنفسهم، وهم لا يشعرون أنهم ممكور بهم.

ثم قال تعالى منكرًا عليهم: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴿٧٠﴾﴾؛ أي: تعلمون صدقها وتتحققون حقها ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾؛ أي: تكتمون ما في كتبكم من صفة محمد ﷺ وأنتم تعرفون ذلك وتتحققونه.

﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴿٧٢﴾﴾، هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم، وهو أنهم اشْتَوروا بينهم أن يظهروا الإيمان أول النهار ويُصلُّوا مع المسلمين صلاة الصبح، فإذا جاء آخر النهار ارتدوا إلى دينهم ليقول الجهلة من الناس: إنما رَدّهم إلى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين، ولهذا قالوا: ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

قال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد، في قوله تعالى إخبارًا عن اليهود بهذه الآية: يعني يهود، صَلَّت مع النبي ﷺ صلاة الفجر وكفروا آخر النهار، مكرًا منهم، ليُرُوا الناس أن قد بدت لهم منه الضلالة، بعد أن كانوا اتبعوه.

وقال العَوْفِي، عن ابن عباس: قالت طائفة من أهل الكتاب: إذا لقيتم أصحاب محمد أول النهار فآمنوا، وإذا كان آخره فَصَلّوا صلاتكم، لعلهم يقولون: هؤلاء أهل الكتاب وهم أعلم منا. وهكذا روي عن قتادة والسدي والربيع وأبي مالك.

وقوله: ﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ﴾؛ أي: لا تطمئنوا وتظهروا سرَّكم وما عندكم إلا لمن اتبع دينكم ولا تظهروا ما بأيديكم إلى المسلمين، فيؤمنوا به ويحتجوا به عليكم؛ قال الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ

﴿هُدَى ٱللَّهِ﴾؛ أي: هو الذي يهدي قلوب المؤمنين إلى أتم الإيمان، بما ينزله على عبده ورسوله محمد ﷺ من الآيات البينات، والدلائل القاطعات، والحجج الواضحات، وَإنْ كتمتم أيها اليهود ـ ما بأيديكم من صفة محمد في كتبكم التي نقلتموها عن الأنبياء الأقدمين.

وقوله: ﴿أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يقولون: لا تظهروا ما عندكم من العلم للمسلمين، فيتعلموه منكم، ويساووكم فيه، ويمتازوا به عليكم لشدة الإيمان به، أو يحاجوكم به عند الله؛ أي: يتخذوه حجة عليكم مما بأيديكم، فتقوم به عليكم الدلالة وتَتَركَّب الحجةُ في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: الأمورُ كلها تحت تصريفه، وهو المعطي المانع، يَمُنّ على من يشاء بالإيمان والعلم والتصور التام، ويضل من يشاء ويُعمي بصره وبصيرته، ويختم على سمعه وقلبه، ويجعل على بصره غشاوة، وله الحجة والحكمة.

﴿وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ۝٧٣ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾؛ أي: اختصَّكم ـ أيها المؤمنون ـ من الفضل بما لا يُحَد ولا يُوصَف، بما شرف به نبيّكم محمدًا ﷺ على سائر الأنبياء وهداكم به لأكمل الشرائع.

* *

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾ [آل عمران: ٧٥، ٧٦][(١)].

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

يخبر تعالى عن اليهود بأن فيهم الخونة، ويحذر المؤمنين من الاغترار بهم، فإن منهم ﴿مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ﴾؛ أي: من المال ﴿يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾؛ أي: وما دونه بطريق الأولى أن يؤديه إليك ﴿وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾؛ أي: بالمطالبة والملازمة والإلحاح في استخلاص حقك، وإذا كان هذا صنيعه في الدينار فما فوقه أولى ألا يؤديه.

وقد تقدم الكلام على القنطار في أول السورة، وأما الدينار فمعروف.

وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا سعيد بن عمرو السَّكُوني، حدثنا بَقِيَّة، عن زياد بن الهيثم، حدثني مالك بن دينار قال: إنما سمي الدينار لأنه دين ونار. وقال: معناه: أنه من أخذه بحقه فهو دينه، ومن أخذه بغير حقه فله النار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا كلامه في معنى الدينار ليس بشيء، هذا مما يتخرَّصه المتخرِّصون، أما الدينار اسم لعملة معروفة من الذهب، والدرهم كذلك اسم لعملة من الفضة، والناس لهم في تسمية العُمَل اصطلاحات فيما بينهم يسمونها بما يشتهر بينهم وبما يعرف بينهم، سواء كان ذهبًا أو فضة، لكن المقصود من هذا أن اليهود قسمان: قسم يؤدي الأمانة قليلة أم كثيرة، المؤمنون منهم لا كلام فيهم، من كان مؤمنًا بالله واليوم الآخر، ومصدقًا لمحمد عليه الصلاة والسلام، هذا إيمانه يحمله على ذلك، وتقواه لله تحمله على ذلك، ومنهم من عنده إيمان بكتبه السابقة وبالتوراة، ويحمله إيمانه الذي عنده على أداء الأمانة وإن كان كافرًا، بمحمد ﷺ وبعيسى عليه الصلاة والسلام. ومنهم: من هو خبيث العقيدة، خائن لا يؤدي لا قليلًا ولا كثيرًا؛ لكفره وعدم إيمانه.

والمقصود من هذا: تحذير الأمة المحمدية أن تتشبه بهؤلاء الخونة، وأن تكون مثلهم، وأن الواجب على المؤمن أن يؤدي الأمانة، قليلة أو كثيرة، وأن لا يتشبه بأعداء الله من اليهود الخائنين، المعرضين عن الحق، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، يقول سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝٨﴾ [المؤمنون: ٨]، هذا من أوصاف المؤمنين، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ۝٢٧﴾ [الأنفال: ٢٧]، وهذا يعم أمانات الدين وأمانات الدنيا، أمانة الدين بأن يحافظ على ما أوجب الله عليه من توحيده والإخلاص له، ومن أداء الصلاة كما شرع الله، والزكاة كما شرع الله، والصيام كما شرع الله، والحج كما شرع الله إلى غير ذلك، فهي أمانة عظمى، وأمانة الناس كذلك، ودائعهم ورهونهم، وعواريهم وغير ذلك، وديونهم يجب أن تؤدى بغاية الأمانة، وغاية الصدق والاحتياط.

وأهل الكتاب فيهم المؤمن وهم القليل، وفيهم الكافر وهم الكثير، قال تعالى في كتابه العظيم: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ يَتۡلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، يعني: طائفة، ﴿يَتۡلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ وَهُمۡ يَسۡجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]، ﴿وَمَا يَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَلَن يُكۡفَرُوهُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١١٥]، فيهم هؤلاء الأخيار، فيهم أهل الإيمان، ومنهم من أدرك النبيَّ ﷺ، كـ عبد الله بن سلام رضي الله عنه فأسلم.

فالحاصل: أن اليهود والنصارى فيهم الطوائف المؤمنة، وفيهم الكافرة، قد افترقوا على إحدى وسبعين فرقة اليهود، وافترق النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فرقة ناجية والأكثر هالكة، وهكذا هذه الأمة

(افترقت ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة)، وإذا كان الأكثر الهالكين والناجون هم القليل كان هذا مما يحفز المؤمن والمؤمنة على الحذر، إذا كان الهالكون هم الأكثر والناجين هم الأقل. فهذا يوجب على المؤمن، وعلى ذي العقل أن يهتم بالأمر، وأن يحذر أن يكون مع الهالكين، وأن يحاسب نفسه دائمًا لعله ينجو؛ لعله يستقيم حتى يكون من الطائفة الناجية السليمة، في أي مكان وفي أي عصر، لا يغفل ولا يتساهل ولا يخلف تيار الضلالة، تيار الفسق، تيار الهوى، تيار حب الدنيا؛ بل يحذر، يحذر التيارات الكثيرة؛ بل الغالبة، فإنها مهلكة. وأن يحرص على التخلق بأخلاق أهل الإيمان والاستقامة على صفاتهم الحميدة حتى يلقى ربه، ومنها أداء الأمانة، من صفات المؤمنين أهل التقوى أداء الأمانة الدينية والدنيوية، هذه من صفاتهم العظيمة ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومناسب أن يكون هاهنا الحديث الذي علَّقه البخاري في غير موضع من صحيحه، ومن أحسنها سياقة في كتاب الكفالة حيث قال: وقال الليث: حدثني جعفر بن ربيعة، عن عبد الرحمٰن بن هُرْمُز الأعرج، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ: «**أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ: ائْتِنِي بِالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ. فَقَالَ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا. قَالَ: ائْتِنِي بِالْكَفِيلِ. قَالَ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا. قَالَ: صَدَقْتَ. فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَخَرَجَ فِي الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ، ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدَمُ عَلَيْهِ لِلأَجَلِ الَّذِي أَجَّلَهُ، فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا، فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ، وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ، ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا، ثُمَّ أَتَى بِهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَسْلَفْتُ فُلانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِي كَفِيلًا فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ كَفِيلًا فَرَضِيَ بِكَ. وَسَأَلَنِي شَهِيدًا، فَقُلْتُ: كَفَى بِاللهِ شَهِيدًا فَرَضِيَ بِكَ، وَإِنِّي**

جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِي لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ، وَإِنِّي اسْتَوْدَعْتُكَهَا. فَرَمَى بِهَا فِي الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِي ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ، فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا يَجِيئُهُ بِمَالِهِ، فَإِذَا بِالْخَشَبَةِ الَّتِي فِيهَا الْمَالُ، فَأَخَذَهَا لأَهْلِهِ حَطَبًا، فَلَمَّا كَسَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ، ثُمَّ قَدِمَ الَّذِي كَانَ تَسَلَّف مِنْهُ، فَأَتَاه بِأَلْفِ دِينَارٍ، وَقَالَ: وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِي طَلَبِ مَرْكَبٍ لآتِيَكَ بِمَالِكَ، فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِي أَتَيْتُ فِيهِ. قَالَ: هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ؟ قَالَ: أَلَمْ أُخْبِرْكَ أَنِّي لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ هَذَا؟ قَالَ: فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِي بَعَثْتَ فِي الْخَشَبَةِ، فَانْصَرِفْ بِأَلْفِ دِينَارٍ رَاشِدًا».

هكذا رواه البخاري في موضعه مُعَلَّقًا بصيغة الجزم، وأسنده في بعض المواضع من الصحيح عن عبد الله بن صالح كاتب الليث عنه. ورواه الإمام أحمد في مسنده هكذا مطولًا عن يونس بن محمد المؤدب، عن الليث به، ورواه البزار في مسنده، عن الحسن بن مُدْرِك، عن يحيى بن حماد، عن أبي عَوَانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ بنحوه، ثم قال: لا يروى عن النبي ﷺ إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد. كذا قال، وهو خطأ، لما تقدم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذه من آيات الله، هذا الرجل من القسم الذي قال الله فيه: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾، هذا منهم، من بني إسرائيل الأمناء الأخيار، الذين عمرت قلوبهم بالإيمان والأمانة، هذا من حرصه على أداء الأمانة والوفاء بالوعد، حط الدراهم في الخشبة والدنانير في الخشبة وزجج عليها ومعه الصحيفة، وهو ما يظنها تصل؛ ولهذا قال: (ألم أقل لك ما وجدت مركبًا)، ما يظنها تصل، لكن مما في قلبه من الحرص على أداء الأمانة والوفاء بالوعد، وضع هذه الخشبة ووضع فيها الدنانير ووضع فيها الصحيفة، من شدة ما في قلبه من

الحرص على أداء الحق، فالله ﷻ ساقها إليه في البحر حتى وصلت إلى محل الرجل، هذا الرجل اقترض ألف دينار مثلما سمعتم، ألف دينار من شخص، فيمن قبلنا حكاها الرسول ﷺ لنا للعبرة، والعظة والذكرى، في أخبار بني إسرائيل عظة، ويحكيها النبي ﷺ لما فيها من العظات والذكرى، رجل احتاج إلى ألف دينار، فجاء إلى صاحب له وقال: سلفني ألف دينار. أعطني ألف دين. فقال له: هات شهود؟ فقال: كفى بالله شهيدًا. هات كفيل قال: كفى بالله كفيلًا. يعني: أنا إن شاء الله أديها لك ما يحتاج أبدًا. قال: كفى بالله.. فأعطاه الألف، واتفق معه على أجل يحضرها فيه، فسافر الرجل، فلما قرب الأجل التمس مركب ما وجد مركب حتى يرجع إلى بلده يؤدي الألف، هذا مما في نفسه من الحرص، والرغبة في أداء الحق أخذ خشبة ونقرها وجعل فيها ألف دينار، وجعل فيها صحيفة من فلان إلى فلان هذه دنانيرك، وزجج عليها يعني: لحم عليها بلحام قوي؛ حتى لا يفسدها الماء، حتى لا يدخلها الماء، ثم طرحها في البحر، وقال: اللَّهُمَّ إني اقترضت من فلان كذا فطلب شهود فقلت: كفى بالله شهيدًا، طلب كفيل قلت: كفى بالله كفيلًا، وإني أستودعك إياها، فألقاها، فالله، وساقها إلى صاحبها خرج صاحبها ذات يوم يلتمس حطبًا لأهله فوجد الخشبة في الميناء فأخذها وكسرها فوجد الصحيفة والمال، فلما قدم جاءه بالألف، قال: أنت بعثت إلي بشيء؟ فقال: ألم أقل لك إني ما وجدت مركب، قال: إن الله قد أدى عنك اللي بعثته إلي فارجع بألفك.

هذا فيه بيان أن الله ﷻ قد يحفظ على إنسان ماله وقد يؤدي عنه بطرق غريبة وخطيرة؛ وذلك لما في قلبه من الخير والحرص على الخير، وفي شريعتنا ما يجوز التفريط في هذا، لا يلقي في البحر شيء ولا.. ولكن هذا أخبر للنبي ﷺ لبيان أن من رزق الحرص على الأمانة أعين عليها، ومن اجتهد في أدائها يعينه الله، ويسهل الله عليه الأداء، وهذا

من جنس الحديث الصحيح الذي رواه البخاري في الصحيح يقول ﷺ: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**»، فهذا أخذها يريد أداءها فأدى الله عنه.

فليحذر المؤمن من الخيانة أو العزم عليها أو إرادتها، وليحرص على الأمانة وعلى أدائها بكل وسيلة تستطيعها مما أباحها الله والله يؤدي عنه، والديون من ذلك.

طلب الشهود في الدَّين:

• س: أحسن الله إليك! هل للمسلم أن يكتفي بما فعل الرجل عند طلب شهود أو إرسال أمانة؟

○ **الجواب**: هو بالخيار، إن فعلها لا بأس، بالخيار، إن طلب الشهود فلا بأس، وإن وثق به فلا بأس، مثلما قال ﷻ: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، إذا رضي بالأمانة لا بأس. نعم.

الشيخ: الله أكبر!

دخول المُكاتب في حديث: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها...».

كون المكاتب داخل في حديث: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها...».

مداخلة: أحسن الله إليك! هل يدخل في هذا المكاتب الذي فيه..

الشيخ: نعم.

• س: هل يدخل في هذا الحديث الذي رواه النبي ﷺ: «المكاتب الذي يريد أداء الأمانة»؟

○ **الجواب**: نعم داخل فيه المكاتب وغير المكاتب، المستدين، والمقترض، والمكاتب وغيرهم، «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها**»،

عازم، ونيته الوفاء فالله يعينه ويوفي عنه ﷻ. نعم.. حتى في الآخرة إذا عجز في الدنيا أوفى الله عنه في الآخرة، الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾؛ أي: إنما حَمَلهم على جُحود الحق أنهم يقولون: ليس علينا في ديننا حَرَج في أكل أموال الأميّين، وهم العرب؛ فإن الله قد أحلَّها لنا. قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾؛ أي: وقد اختلقوا هذه المقالة، وائتفكوا بهذه الضلالة، فَإن الله حَرم عليهم أكل الأموال إلا بحقها، وإنما هم قوم بُهْت.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: يقول هذه المقالة الطائفة التي تستحل، ما هي بالطائفة الأولى، يقول هذه المقالة (الذين إن تأمنهم بدينار لا يؤدونه)، هم الذي يقولون: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ نسأل الله العافية، يعني: أنهم ليسوا بشيء وإنا أهل علم وإنا أهل دين، هؤلاء أميون جهلة، ما علينا بأس أن نأخذ أموالهم ونأكلها، هكذا يقولون، ويفترون على الله الكذب؛ بظلمهم وخبثهم وانحرافهم عن الهدى. نسأل الله العافية..

الأسئلة:

- **س: أحسن الله إليك. هل لا زلنا أمة أمية؟**

○ **الجواب:** نعم. لا زلنا أمة أمية.

هم الأقل، نعم ونبيّنا أمي عليه الصلاة والسلام.

مداخلة: الموجود أحسن الله إليك! الموجود من اليهود الآن من أي صنف؟

الصنف الذي يندرج اليهود تحته بالنسبة للأمانة:

الغالب على اليهود المعاصرين من حيث الأمانة وعدمها:

• **س: الموجود من اليهود الآن من أي طائفة؟**

○ **الجواب**: الله أعلم. الموجود المعروف عنهم الشر الآن، ولكن لا يمتنع أن يكون فيهم من هو عنده أمانة في دينه، وقد لبس عليه، فلم يهتدِ لدين محمد عليه الصلاة والسلام.

المقصود بالأميين:

• **س: المقصود بالأميين العرب أم المسلمين من جميع الأمم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الأمي هو الذي لا يقرأ ولا يكتب، الأميين.. والمعروف عندهم مجاورهم هم العرب، نعم. الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب، لا يكتب ولا يقرأ الكتابة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال عبد الرزاق: أنبأنا مَعْمَر، عن أبي إسحاق الهمداني، عن أبي صَعْصَعَة بن يزيد؛ أن رجلًا سأل ابن عباس، قال: إنا نُصِيب في الغزو من أموال أهل الذمة الدجاجةَ والشاةَ؟ قال ابن عباس: فَتَقولون ماذا؟ قال: نقول ليس علينا بذلك بأس. قال: هذا كما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ إنهم إذا أدوا الجزية لم تَحل لكم أموالهُم إلا بِطِيب أنفسهم.

وكذا رواه الثوري، عن أبي إسحاق بنحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، إذا كانوا عندنا مؤتمنين بالأمان أو بالجزية، أو بالمعاهدة ما تحل لنا أموالهم، إلا عن طيب نفس، أو بعقد شرعي، وليس لنا أن نسرق أموالهم، ولا أن نأخذ ما خفي عليهم منها؛ بل يجب

أن نؤدي الأمانة، ولا نأكل من أموالهم إلا بحق أما إذا كان حرب، بيننا الحرب.. بيننا وبينهم الحرب والجهاد لنا أن نغتنم أموالهم، ونقتل أنفسهم، أما إذا تم بيننا وبينهم صلح أو عهد وذمة، أو جزية أو دخلوا في الأمان، فنفوسهم محرَّمة وأموالهم كذلك هم وغيرهم، اليهود والنصارى وغيرهم.

الأسئلة:

ما بيننا وبين اليهود حاليًّا بالنسبة للسلم والحرب:

الذي بيننا وبين اليهود الآن من حرب وسلم:

● **س: أحسن الله إليك! والذي بيننا وبينهم الآن هل هو سلم أم حرب؟**

○ **الجواب**: المعروف الآن أنه حرب بيننا وبين اليهود؛ لأنهم الآن ما تم بينهم وبين المسلمين صلح، ما بيننا وبينهم إلا الآن الحرب. نعم.

مسالمة الكفار إن جنحوا للسِّلم:

السلم والحرب مع الأعداء:

● **س: وإن جنحوا للسلم حفظك الله!**

○ **الجواب**: هذا يرجع إلى ولي الأمر في المصلحة، إن رأى قَبول مسالمتهم بدون جزية سالمهم بدون جزية، كما جرى في عهد النبي ﷺ في المدينة، وإن استطاع أن يأخذ الجزية أخذ الجزية، نعم.

أخذ أموال اليهود الآن:

مداخلة: من أخذ أموال يهودي الآن أو..؟

الشيخ: إذا كان بينهم وبين حرب مثل الفلسطينيين ومن معهم الآن، أما إذا جاءوا إلى بلاد.. دولة فأمَّنتهم ما يجوز أخذ أموالهم، إذا دخل يهودي أمَّنوه، رسول أو بياع وشراء، ما يؤخذ منه شيء لأنه مؤمَّن.

السلام مع الأعداء بالنسبة لتوقيته واستمراره:

السلام مع الأعداء:

مداخلة: يا شيخ!

الشيخ: نعم؟

● **س: يكون السلام دائم والَّا مؤقت؟**

○ **الجواب:** هذا يرجع إلى ولي الأمر، ولي الأمر المسلم، إذا رأى المصلحة في مهادنتهم وهادنهم إلى وقت ما، والذي ينبغي أن يكون مدة المعلومة، مثلما هادن النبي ﷺ قريشًا عشر سنين، لكن إذا رأى أقل من ذلك أو أكثر من ذلك لا بأس، الله يقول: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٦١]، إذا كان يراعي المصلحة، ما هو بالدنيا؛ بل مصلحة المسلمين.

القول بأن السلم مع الأعداء أكثر من عشر سنين فيه تعطيل الجهاد:

● **س: أحسن الله إليك! أليس في ذلك تعطيل للجهاد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم.

مداخلة: أليس في ذلك تعطيل للجهاد؟

○ **الجواب:** إذا قوي على الجهاد نبذ إليهم عهدهم، إذا قوي على الجهاد ولم يؤدوا الجزية الذي صولحوا عليها، الرب جَلَّ وَعَلَا ما حد في هذا حد، قال: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٦١]، والرسول ﷺ صالحهم على عشر سنين، ولم يقل: لا يجوز أكثر، لو رأى عشرين سنة أو ثلاثين سنة ما في مانع، على حسب قوى المسلمين وضعفهم.

نبذ العهد إلى الأعداء دون سبب عند القدرة على الجهاد:

نبذ العهد إلى الأعداء:

● **س: لكن عند القدرة على الجهاد ينبذ إليهم عهدهم بدون سبب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم.

مداخلة: عند القدرة على الجهاد ينبذ إليهم عهدهم بدون سبب؟

○ **الجواب**: لا، لا بد من مراعاة الأسباب، حتى تتم المدة إذا كان مدة، إما إذا كان ما في مدة لا بد ينظر في المصلحة؛ لأن المؤقت يستطيع كل منهما أن يتفاوضا في التحديد.

لزوم الجزية عند السلم:

كون السلم يلزم منه دفع الجزية:

مداخلة: أحسن الله إليك! السلم هذا يلزمه الجزية منهم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

● **س: السلم يلزمه الجزية منهم، بأن يدفعوا الجزية هم يدفعون الجزية؟**

○ **الجواب**: إذا استطاع المسلمون أخذوا الجزية، وإن لم يستطيعوا قاتلوا إن استطاعوا، فإن لم يستطيعوا سالموا من دون جزية ولا قتال، الأحوال مع أهل الكتاب ثلاثة أقسام: القسم الأول: دعوتهم للإسلام، فإن أبوا يُدعون إلى الجزية، فإن أبوا فالأمر الثالث هو القتال. وهكذا المجوس، على هذه الأقسام الثلاثة: أولًا: دعوتهم للإسلام فإن أبوا فالجزية، فإن أبوا فالقتال، إلا مع العجز، مع العجز لا مانع من المصالحة، ولو بدون جزية، مثلما صالحهم النبي ﷺ في أول الإسلام، وبقوا معه في المدينة بدون جزية.

إظهار الذمي شعائر دينه في بلاد المسلمين:

إظهار الذمي شعائر دينه:

● **س: يا شيخ عفا الله عنك! أهل الذمة هل يجوز لهم أن يظهروا عباداتهم في بلاد المسلمين؟**

○ **الجواب**: لا. يمنعون، مع القدرة يمنعون.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن يحيى، أخبرنا أبو الربيع الزهراني حدثنا يعقوب، حدثنا جعفر، عن سعيد بن جبير قال: لما قال أهل الكتاب: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، قال نبي الله ﷺ: «**كَذَبَ أَعْدَاءُ اللهِ، مَا مِنْ شَيءٍ كَانَ فِي الجَاهِلِيَّةِ إلا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ إلا الأَمَانَةَ، فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إِلَى الْبَرِّ وَالفَاجِرِ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مرسل، وهذا شواهده كثيرة في الأمانة نعم. وجدت صعصعة؟

مداخلة: ما ذكره ابن يزيد، ذكره ولم يذكره ابن يزيد..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا صعصعة ولا أبو صعصعة؟

مداخلة: ولا أبو صعصعة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم هذه نسخة الذي عندهم أبو صعصعة يكتب نسخة صعصعة: إيه هذه نسخة اللي عندهم أبو صعصعة يكتب نسخة صعصعة.

مداخلة: فيه ابن أبي صعصعة يا شيخ!

الشيخ: لا لا.

أبي صعصعة بن أبي يزيد، الذي عنده أبو صعصعة يكتبها نسخة صعصعة ، والذي عنده صعصعة يكتب نسخة أبو صعصعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَاتَّقَىٰ﴾؛ أي: لكن من أوفى بعهده منكم يا أهل الكتاب الذي عاهدكم الله عليه، من الإيمان بمحمد ﷺ إذا بعث، كما أخذ العهد والميثاق على الأنبياء وأممهم

بذلك، واتقى محارم الله تعالى واتبع طاعته وشريعته التي بعث بها خاتم رسله وسيد البشر ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٧٦﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أكبر الله أكبر.

الكلام على مؤتمر السلام:

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في هذه الأيام الماضية يخوض الناس في مؤتمر السلام، وهذا الخوض ما له محل، ينبغي للمؤمن في مثل هذا أن يسأل الله أن يقدر ما هو الأصلح للمسلمين؛ لأن هذه أمور فيها التباس، ولا يدرى ما عاقبتها، ولم يتولاها دولة إسلامية مستقلة، تستطيع أن تطالب بحكم الإسلام، فليس في أيدي المسلمين الآن إلا الدعاء بأن يجعل الله في هذا المؤتمر ما هو الصالح للمسلمين، وما هو الخير للمسلمين، ويكفي في هذا؛ لأن المطالبة بشيء من الأمور ما لها محل؛ لأن المسألة بين قوتين: بين قوى الشيوعية، وقوة الرأسمالية، اللي هي الولايات المتحدة والشيوعيين، ثم تتبعهم الدول الأخرى.

المقصود: أن هذا المؤتمر مآل المؤتمر لا يدري ما عاقبته إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالمطلوب من المسلم في مثل هذه الأمور أن يسأل الله الخير للمسلمين، والعاقبة الحميدة، والدمار على الكافرين، وأن يكون في ما يتم في هذا المؤتمر أن يكون فيه خير للمسلمين، ويكون فيه العاقبة الحميدة.

مداخلة: لكن أليس من الأفضل أن يكون المسلمين على علم بحقيقته؟

الشيخ: ما في أيديهم شيء الآن، أقول ما في أيديهم شيء حتى يكونوا على علم به.

مداخلة: معرفة الحق..

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أقول: معرفة الحق في هذا والموضوع فلسطين القدس.

الشيخ: إيه. ما في أيديهم شيء، ما في أيديهم إلا الدعاء أن الله يوفق المسلمين ويهديهم ويصلح حالهم، نعم. وأن الله يقدر لهم ما هو الأصلح، نعم. ليس في أيديهم الآن المساومة على شيء أو الاتفاق على شيء، ليس في يد دولة مسلمة مستقلة أن تقوم بشيء من هذا، نعم. ليس في أيدي المسلمين إلا الدعاء بالتوفيق والصلاح فقط.

الواجب على المسلمين إذا سلمت القدس لليهود:

مداخلة: أحسن الله إليك! لو سلموا القدس لليهود المفاوضون الفلسطينيون اليساريون ووقفنا نحن المسلمون من هؤلاء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا فيه؟

● **س: لو العلمانيون سلموا القدس لليهود بعد أن جعلوها المدينة الدولية؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الواجب على المسلمين أن يجتمعوا وأن يجاهدوا في سبيل الله، إذا تيسر، هذا موقفهم هذا الواجب عليهم، أسأل الله يقيم لهم دولة صالحة تقوم بالواجب؛ لأن الجهاد يحتاج إلى قوة، وإلى اجتماع وتعاون، فإذا وجد قوة تقوى على قتال اليهود، أحسن دولة نعلمها هذه الدولة السعودية، وهي لا تستطيع الآن أن تقابل هذه الأمم، نعم. فنسأل الله أن يقويها ويعينها على كل خير، ويحفظ عليها دينها، ويجعلها من الهداة المهتدين.

مداخلة: المسلمون أليس إذا دعاهم العلماء إلى الجهاد، وبيَّنوا لهم العلماء الحق، يستجيبون ويكون لديهم معرفة الحكم، يتشجعون إلى هذا ولو في المستقبل؟

الشيخ: الدعاء إلى الجهاد طيب.

مداخلة: وبيان حكمه.

الشيخ: الدعاء إلى الجهاد وأنه فرض كفاية على المسلمين طيب. أسأل الله أن يهديهم نعم.

تمثيل النصارى الفلسطينيين للمسلمين في المفاوضات:

• س: أحسن الله إليك! إذا كان من بين المفاوضين الآن نصارى يمثلون المسلمين.. مفاوضين نصارى؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا تبع الفلسطينيين، تبع أهل البلد.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾ [آل عمران: ٧٧][(١)].

يقول تعالى: إن الذين يعتاضون عما عهدهم الله عليه، من اتِّباع محمد ﷺ، وذكر صفته الناس وبيان أمره، وعن أيمانهم الكاذبة الفاجرة الآثمة بالأثمان القليلة الزهيدة، وهي عروض هذه الدنيا الفانية الزائلة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾؛ أي: لا نصيب لهم فيها، ولا حظ لهم منها ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: برحمة منه لهم، بمعنى: لا يكلمهم كلام لطف بهم، ولا ينظر إليهم بعين الرحمة ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمۡ﴾؛ أي: من الذنوب والأدناس؛ بل يأمر بهم إلى النار ﴿وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧﴾.

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم. اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمد. ليس هذا من التأويل، ولكن من باب الإيضاح، لا يكلمهم الله كلامًا، يعني: ينفعهم، كلام رضا، ولا ينظر إليهم نظر رحمة وإحسان لكفرهم وفجورهم، وإيثارهم الدنيا على الآخرة من اليهود وأشباههم، اشتروا بعهد الله وأيمانهم ثمنًا قليلًا، نقضوا عهد الله، وحلفوا الأيمان الكاذبة ليعتاضوا ثمنًا قليلًا، والشراء الاعتياض، شرى هذا الشيء اعتاضه، والمشتري هو الذي يعتاض الشيء بحق أو باطل. فاليهود وأشباههم اعتاضوا عن عهد الله الذي عهده إليهم، أو عما فعلوا من العهود للناس الكاذبة، والأيمان الباطلة ثمنًا قليلًا، عوضًا قليلًا مما يدفع إليهم من المال والرشا أو الوظائف التي تسند إليهم لكذبهم وفجورهم وعصيانهم وتكذيبهم محمد عليه الصلاة والسلام إلى غير ذلك، فالله ﷻ لا يكلمهم كلامًا ينفعهم كلام رضا، ولا ينظر إليهم أيضًا نظر رضا؛ وإلا فهو يرى الناس كلهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، هو يرى الخلائق، وينظر إلى الجميع، ولا يخفى عن علمه ولا عن نظره شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويكلم الناس يوم القيامة جميعًا كافرهم ومسلمهم تكليم، يقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ**».

وهذا من صيغ العموم، نفي بعده نكرة مؤكدة بمن «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**»، واسطة، متفق على صحته[1].

---

(١) سبق تخريجه (٣/ ٦٦١).

وهو سبحانه يرى العباد ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]، ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨ ـ ٢١٩].

فالمقصود: أنه ﷻ كل عباده بمرأى منه لا يخفى عليه شيء ﷻ، يرى مكانهم، ويسمع أصواتهم، ويعلم أحوالهم في الدنيا والآخرة، ولا تخفى عليه خافية لا في الدنيا ولا في الآخرة، هو يراهم جميعًا في هذه الدار ويوم القيامة، لكن المؤمنون يكلمون كلام رضا، وكلام محبة لهم، وكلامًا ينفعهم ويسرهم، وينظر الله إليهم نظر إحسان إليهم، ونظر رضا ومحبة، والكافرون بخلاف ذلك نسأل الله العافية؛ ولهذا قال بعده: ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾؛ يعني: لا يطهرهم؛ لأنهم رجس، بسبب كفرهم وظلمهم، وإيثارهم العاجلة على الآخرة.

• **س: أحسن الله إليك! بأي لغة يكون الكلام؟**

○ **الجواب**: ظاهر النصوص أنها اللغة العربية، ظاهر القرآن والسُّنَّة أنها اللغة العربية التي تسمعها تقرؤها، هذا ظاهر النصوص، نعم، كلهم يفهمون الذي يكلمهم به ﷻ، يجعلهم كلهم يفهمون كلامه ويعرفون كلامه، إن كان رضا فرحوا به وسرهم، وإن كان توبيخًا ضرَّهم وساءهم وأحزنهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد وردت أحاديث تتعلق بهذه الآية الكريمة فلنذكر ما تيسَّر منها:

الحديث الأول: قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا شعبة قال: علي بن مُدْرِك أخبرَني قال: سمعت أبا زُرْعَة، عن خَرَشة بن الحُر، عن أبي ذر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**». قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ خَابُوا وَخَسِرُوا أَعَادَهَا ثَلَاثًا. قُلْتُ: مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ اللهِ خَابُوا وَخَسِرُوا؟ فَقَالَ: «**الْمُسْبِلُ وَالْمَنَّانُ وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ**». أَوِ «**الْفَاجِرِ**»

ورواه مسلم، وأهل السنن، من حديث شعبة، به[١]

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

بالتشديد هنا أحسن المنفِّق هو مدرج، يعني: وهذا وعيد عظيم في الإسبال، وفي إنفاق السلعة بالحلف الكاذب، والمن في العطية، يجب الحذر من هذه الخصال، الإسبال إرخاء الثياب تحت الكعبين من الرجال، وإذا كان عن تكبر صار الأمر أعظم، وصار الإثم أكبر؛ ولهذا في اللفظ الآخر: (المسبل إزاره)، وهذا وعيد عظيم، وما ذاك إلا لأنه في الغالب والأكثر يدل على تكبر وتعاظم في نفسه؛ ولهذا في الحديث الآخر: «**مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلَاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»[٢]، «**لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَى مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ بَطَرًا**»[٣].

فليس المراد القيد، المراد بيان أنه إذا كان بهذه الصفة يكون أشد إثمًا؛ ولهذا في الأحاديث الأخرى ليس فيها قيد المسبل إزاره، وفي **الحديث الآخر** عند البخاري: «**مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ مِنَ الإِزَارِ فَفِي النَّارِ**»[٤].

الحديث الآخر حديث جابر بن سليم: «**وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ الْمَخِيلَةِ**»[٥] من الكبر، والمنفق المدرج سلعته بالحلف الكاذب، والله إنها عليّ بكذا، والله إني شريتها بكذا، والله إني شريتها بكذا، والله إنها سِيمَت بكذا وهو يكذب؛ حتى يغر الناس. والمنان فيما أعطى، أعطيتك وأحسنت إليك، لكن ما فيك خير، أنت كذا وأنت كذا، يمن عليه

---

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٦٤٣).
(٢) سبق تخريجه في (٣/ ٦٥٦).
(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ١٢٨).
(٤) سبق تخريجه في (٣/ ٦٥٦).
(٥) أخرجه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في إسبال الإزار برقم (٤٠٨٤)، والإمام أحمد (٤/ ٦٥، ٥/ ٦٣، ٦٤، ٣٧٧).

بالعطية، أحسن إليه ثم يمن، فعلت، وفعلت، وفعلت، هو يبطل العطية مع الإثم، يقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، ويقول ﷻ: ﴿قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

● **س: حديث: «إن الله لا يحبُّ المُسبِلين»؟**

○ **الجواب**: ما بلغني، ما أعرفه «**إن الله لا يحب المسبلين**» ما بلغني، ما وقفت عليه، ما أعرفه.

● **س: وحديث: «لا ينظر الله إلى صلاة المسبل إزاره»**.

الشيخ: هذا فيه ضعف، رواه أبو داود وصحَّحه النووي لكن فيه ضعف.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا إسماعيل، عن الجَريري، عن أبي العلاء بن الشِّخِّير، عن أبي الأَحْمَس قال: لقيتُ أبا ذر، فقلتُ له: بلغني عنك أنك تُحدِّث حديثًا عن رسول الله ﷺ. فقال: أما إنه لا تَخالُني أكذبُ على رسول الله ﷺ بعد ما سمعته منه، فما الذي بلغك عني؟ قلتُ: بلغني أنك تقول: ثلاثة يحبهم الله، وثلاثة يَشْنَؤهم الله ﷻ. قال: قلته وسمعته. قلت: فمن هؤلاء الذين يحبهم الله؟ قال: الرجل يلقى العدوّ في فئة فينصب لهم نَحْرَه حتى يقتل أو يفتح لأصحابه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: رجل مقدام في الجهاد يجاهد ويصبر؛ حتى يفتح عليه أو يُقتل، نعم الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والقومُ يسافرون فيطول سراهم حتى يَحنُّوا أن يمسوا الأرض فينزلون، فيتنحى أحدهم فيصلي حتى يوقظهم لرحيلهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يرصد لهم الصبح، يصلي يرصد لهم الصبح، أو وقت قيامهم، مثلما فعل النبي ﷺ مع بلال، كان في بعض نزوله يأمر يرصد الصبح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

والرجلُ يكون له الجار يؤذيه فيصبر على أذاهُ حتى يفرق بينهما موت أو ظَعْن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: حتى يرتحل أحدهما عن الآخر، أو يموت أحدهما، هذا فيه الصبر على الأذى من الجار والإحسان إليه والتحمُّل، يقول النبي ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ**»[١]، وفي اللفظ الآخر: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَى جَارِهِ**»[٢]، وفي اللفظ الثالث: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ**»[٣]، وكلها في الصحيح. فإكرام الجار، والإحسان إليه، وتحمُّل أذاه من الخصال العظيمة الطيبة، فالواجب على المؤمن أن يحرص على هذا، أن يكرم جاره، ويحسن إليه، وأن يحذر أذاه، وإن أوذي فليتحمل وليصبر وليدافع بالتي هي أحسن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(قلت): ومن هؤلاء الذين يشنأ الله؟ قال: التاجر الحلَّاف ـ أو البائع الحلاف ـ والفقير المختال، والبخيل المنان غريب من هذا الوجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يبيع بيمينه ويشتري بيمينه، كثير الأيمان، ومن كان بهذه الصفة فالغالب أنه يكذب، كما في الحديث الآخر: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ**

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٢٩٤).

(٢) سبق تخريجه في (١/ ٢٩٤).

(٣) سبق تخريجه في (١/ ٢٩٤).

يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِم وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ وَمَلِكٌ كَذَّابٌ وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ»(١)، «ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أو قال: البائع الحلاف، والفقير المختال).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: مع فقره يتكبر، الكبر محرَّم مطلقًا ولو مع غنى، ولو كان أغنى أهل الأرض، لكن مع الفقر يكون أشد، مع الفقر يكون الكبر أعظم إثمًا، ما الذي يدفعه إلى التكبر مع فقره، إلا إن هذا سجية له نعوذ بالله، شيء وقر في قلبه واستقر في قلبه، نسأل الله العافية.

مداخلة: أحسن الله إليك! عندنا المحتال.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، المختال المختال، نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: والبخيل المنان.

مداخلة: ما ذكر البخيل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: البخيل المنان؟

مداخلة: نعم

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، نسأل الله العافية، مع بخله يمن، إذا أعطى منَّ، والمن محرم مطلقًا، لكن مع البخل تجتمع خصلتان، يجتمع شران.

● **س: أحسن الله إليك! هل يجب الإحسان إلى الجار حتى ولو كان مشركًا؟**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة برقم (١٧٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ظاهر الحديث العموم؛ لأنه قال: (إلى جاره)، ما قال: إلى جاره المسلم، فالإحسان إلى جارك الكافر من أسباب هدايته للإسلام، ومن محاسن الإسلام، يعرف فضل الإسلام، وأن هذا جاره يحسن إلي وهو مسلم وأنا كافر، ومع هذا أحسن إليّ، وهذا من أسباب دخوله في الإسلام، من أسباب محبته للمسلمين.

- **س: هل يعد ذلك من الولاء؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، ما هو من الولاء، هذا من الإحسان ما هو من الولاء، الموالاة نصره على المسلمين، أو محبته له، أو حضور بدعهم وموالیدهم واجتماعاتهم الباطلة، أما الإحسان إليه والصدقة عليه ليس من الموالاة، يقول الله سبحانه في سورة الممتحنة: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ٨]، وهم كفار، أن تبروهم وتقسطوا إليهم. فالإحسان إليهم، والصدقة عليهم، ومواساة فقيرهم من أسباب دخولهم في الإسلام، إذا كان ما هو بحرب، إذا كان ما هو بوقت حرب بيننا وبينهم، وقت أمن، أو موادعة، أو عهد.

ومن هذا ما جاء في الصحيحين من حديث أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنهما قالت: (جاءت أمي في وقت الهدنة)، وقت الهدنة الذي بين النبي ﷺ وبين أهل مكة، (جاءت أمي وقت الهدنة وهي كافرة)، تريد الصلة، تريد من بنتها صلة، قلت: يا رسول الله! أفأصِلها؟ قال النبي ﷺ: «**صِليها**» وكان عمر يصل أقارب له في مكة في الهدنة.

- **س: حدود الجار؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جاء في بعض الروايات أربعين دارًا، لكن ما أعرف صحته، ما أعرف في الحديث الصحيح اللي رواه البخاري ما يدل على أن قالت: يا رسول الله! إن لي جارين فإلى أيهما أُهدي؟ قال: «**إلى أقربهما منك بابًا**»، فمن كان أقرب باب فهو أقرب في الجوار، أما التحديد بأربعين دارًا ما أذكر حال سنده لعل بعضكم يبحث وتُعلِمونا، لكن مثل هذا لعلكم تدورونه ترى ما ينحصر في أحد، من دوَّره جزاه الله خير، من دور الحديث من جابه نقول: جزاه الله خير، نعم.

• **س: وإذا كان الجار لا يصلي في المسجد، وننصحه عدة مرات ولا يصلي أبدًا في المسجد؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينصح ويهجر.

مداخلة: نصح سنوات؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يرفع أمره إلى الهيئة نعم، إلى الهيئة هيئة الأمر بالمعروف إذا كان في بلادك هيئة أو قضاء، أو أمين طيب نعم.

مداخلة: أحسن الله إليك! ما يترك البيت من أجله قربة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إذا كان فيه مضرة، إذا كان عليك مضرة منه وإلا ما هو بلزوم لعل الله يهديه بأسبابك، أما إذا كان يؤذيك لا بأس أن ترتحل.

مداخلة: إذا كان يتعلق بالجار لإفساد السمعة؟

الشيخ: كيف؟

مداخلة: كنقل النميمة إلى مكان ما.

الشيخ: من الجار؟

• **س: الجار نعم، ويفسد السمعة بكلام ما.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تنصحه إذا كان نمام أو صاحب معاصي ظاهرة، أما إن كان في السرية لا، السرية تنصحه فقط لا تفضحه، أما إن كان له معاصي ظاهرة مثل ما يصلي في الجماعة، مثل يشتغل في البنوك، مثل يسب الناس في الأسواق، يشرب الخمر علانية، يدخن علانية، هذا ينصح يرفع بأمره ما يخالف.

● **س: إذا سلَّمت عليه ما يرد.**

○ **الجواب**: سلِّم عليه ولو ما رد. لك الأجر وعليه الإثم ولو ما رد، سلِّم عليه لك الأجر وعليه الإثم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحديث الثاني: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن جرير بن حازم قال: حدثنا عَدِيّ بن عدي، أخبرني رجاء بن حَيْوة والعُرْس بن عَمِيرة عن أبيه عَدِي ـ هَو ابن عميرة الكندي ـ قال: خاصم رجل من كِنْدةَ يقال له: امرؤ القيس بن عابس رَجلًا من حَضْرَمَوْت إلى رسول الله ﷺ في أرض، فقضى على الحضرمي بالبينة، فلم يكن له بينة، فقضى على امرئ القيس باليمين. فقال الحضرمي: إن أمكنته من اليمين يا رسول الله ذهبتْ ورب الكعبة أرضى. فقال النبي ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ كَاذِبَةٍ لِيقتطِعَ بِهَا مَال أحَد لَقِيَ الله** ﷻ **وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**». قال رجاء: وتلا رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، فقال امرؤ القيس: ماذا لمن تركها يا رسول الله؟ فقال: «**الجنة**»، قال: فاشهَدْ أني قد تركتها له كلها. ورواه النسائي من حديث عدي بن عدي، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فيه فضل الجود والكرم والسماح بترك اليمين ولو كان صادقًا، إذا كان تركها لله رحمة له أو إحسانًا إليه أو دعوةً إلى الخير،

وفيه أن المدعى عليه اليمين، والمدعي عليه البينة، وأن المدعي ليس له إلا اليمين إذا كان ما عنده بينة؛ ولهذا لما قال النبي ﷺ للحضرمي: «**ألك بينة**»! قال: أمكنته من اليمين، ذهبت أرضي ورب الكعبة[١]؛ يعني: أنه يحلف، فليس له إلا ذلك، مثلما في حديث الزبير: «**شاهداك أو يمينه**» إذا ادعى دعوة ليس لديه بينة ليس له إلا اليمين. حديث ابن عباس: «**لو يُعطى الناس بدعواهم لادَّعى ناس دماء رجالهم وأموالهم، ولكن اليمين على المدَّعى عليه**»، متفق عليه، جاء في البيهقي بسند صحيح: «**البيِّنة على المدَّعي، واليمين على من أنكر**»، لكن القاضي يحذر المدعى عليه من اليمين، يبين له أنها خطيرة إن كان كاذبًا، «**من حلف على يمين صبر يقتطع مال مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان**» متفق على صحته، وفي اللفظ الآخر: «**فقد أوجب الله له النار وحرَّم عليه الجنة**»، قال: وإن كان شيء يسيرًا، قال: «**وإن كان قضيبًا من أراك**» رواه مسلم، فالأيمان الفاجرة فيها خطر عظيم، وهذا امرؤ القيس تركها له ابتغاء ما عند الله.

• **س: هل اليمين على المدعى عليه في كل الأمور أو الأمور المالية فقط، في كل دعوى مثلًا ادعى شخص؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الأمور المالية، أما غير المالية فيها خلاف بين العلماء، هل يحلف أو ما يحلف، لكن في المالية محل وفاق، أما مثل الطلاق وغيره فمحل نظر.

• **س: إن كان له حق، الأفضل أن يحلف أم يترك هذا الحق؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ينظر الأصلح، إن كان الأصلح أن الإنسان عنده شبهة، أو أن المدعي فقير ويحسن إليه ولعل الله يهديه للإسلام، ولعل الله ينقذه مما هو

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٩١).

فيه من الباطل يفعل، وإلا إذا كان يحتاج إلى ما حلف عليه، أو يخشى أنه يتهم لو تنازل، يتهم بالكذب والظلم، فالأولى له ألا يتنازل يحلف، إذا كان محتاجًا للمال المحلوف عليه وهو صادق، يعرفوا أنه صادق ليس عنده شبهة، فالأولى أن يحلف حتى لا يتهم، ولأنه بحاجة إلى هذا المال.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحديث الثالث: قال أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن شَقيق، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَى يمين هو فيها فَاجِر، لِيقْتَطِعَ بِهَا مَال امْرِئٍ مُسْلِم، لَقِيَ الله ﷻ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»[1].

فقال الأشعث: فيّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجَحَدني، فقدَّمته إلى رسول الله ﷺ فقال لي رسول الله ﷺ: «**أَلَكَ بَيِّنَةٌ**»؟[2]، قلتُ: لا. فقال لليهودي: «**احْلِفْ**»، فقلتُ: يا رسول الله، إذًا يحلف فيذهب مالي. فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلى آخر الآية: أخرجاه من حديث الأعمش.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يبيِّن أن الخصم ولو كافر، ليس لخصمه ولو كان مسلمًا إلا اليمين، الخصم المدعى عليه ولو كان كافرًا يهودي أو نصراني أو غيرهما، ليس للمدعي عليه إلا اليمين إذا لم يكن عنده بينة.

كيف يحلف الكافر؟

● **س: حلف الكافر يعني: كيف يحلف بيمين...**

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله رضي الله عنه في كتاب الأيمان والنذور، باب فيمن حلف يمينًا... بإقم (٣٢٤٣)، والترمذي في كتاب تفسير القرآن، باب ومن سورة آل عمران برقم (٢٩٩٦)، والإمام أحمد (١/ ٣٧٩، ٢١١٥).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الخصومات، باب كلام الخصوم بعضهم في بعض برقم (٢٤١٧)، ومسلم في كتاب الأيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم... برقم (١٣٩).

○ **الجواب**: بالله بالله، ما فيه حلف إلا بالله، كل الأيمان بالله ما فيها أيمان..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بركة، سم، لا حول ولا قوة إلا بالله، نستجير بالله.

● **س: لو أن تقاضي أمام محاكم تحكم بغير ما أنزل الله، الأفضل للمرء المسلم أن يترك حقه، أو يطالب به حتى ولو بقانون وضعي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا ما تيسر إلا المطالبة يطالب، لكن لا يأخذ غير حقه، لا يأخذ إلا حقه، إذا حكم الحاكم بغير حق لا يقبله، لا يأخذ إلا حقه.

● **س: هل يمكن الاستعانة باليمين على البينة مثلًا إذا لديه شاهد واحد، هل يحلف المدعي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان ما عنده إلا شاهد واحد يحلف، هذا الصحيح الذي عند جمهور أهل العلم، إذا كان عنده واحد بينة، شاهد واحد يحلف بالأموال يعني، عنده شاهد واحد أنه باع عليه هذه السلعة، أو أنه أقرضه هذا الشيء يحلف معه، النبي قضى باليمين مع الشاهد عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا يحيى بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عَيَّاش، عن عاصم بن أبي النَّجُود، عن شَقِيق بن سلمة، حدثنا عبد الله بن مسعود قال: قال رسول ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِيَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»(١).

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: =

قال: فجاء الأشْعث بن قَيْس فقال: ما يُحدِّثكم أبو عبد الرحمٰن؟ فحدثناه، فقال: فيّ كان هذا الحديث، خاصمتُ ابن عمٍّ لي إلى رسول الله ﷺ في بئر لي كانت في يده، فجَحَدني، فقال رسول الله ﷺ: «**بَيِّنَتُك أَنَّها بِئْرُكَ وَإِلَا فَيَمِينُهُ**»(١).

قال: قلتُ: يا رسول الله، ما لي بينة، وإن تجعلها بيمينه تذهب بئري؛ إنَّ خَصْمي امرؤ فاجر. فقال رسول الله ﷺ: «**مَنِ اقْتَطَعَ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لَقِيَ اللهَ** ﷻ **وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ**»، قال: وقرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝٧٧﴾.

الحديث الرابع: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غَيْلان، حدثنا رشْدين، عن زَبّان، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، عن النبي ﷺ: «**إنَّ لله تَعالى عِبادًا لا يُكَلِّمُهُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلا يَنْظُرُ إلَيهِمْ**»، قيل: ومن أولئك يا رسول الله؟ قال: «**مُتَبَرِّئٌ مَنْ وَالِدَيهِ رَاغِبٌ عَنْهُمَا، ومُتَبَرِّئٌ مِنْ وَلَدِهِ، وَرَجُلٌ أنْعَمَ عَلِيْهِ قَوْمٌ فكَفَر نعْمَتَهُمْ وتبَرَّأَ مِنْهُمْ**».

الحديث الخامس: قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثنا هُشَيْم، أنبأنا العوّام - يَعني: ابن حَوْشَبَ - عن إبراهيم بن عبد الرحمٰن - يعني: السَّكْسَكي - عن عبد الله بن أبي أوْفَى: أن رجلًا أقام سلعة له في السوق، فحلف بالله لقد أعْطَى بها ما لم يُعْطه، ليُوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾ ورواه البخاري، من غير وجه، عن العوام.

الحديث السادس: قال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا

= ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] برقم (٧٤٤٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢١٢).

الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ فَضْلَ مَاءٍ عِنْدَهُ، وَرَجُلٌ حَلَفَ عَلَى سِلْعَةٍ بَعْدَ الْعَصْرِ** - يَعْنِي: كَاذِبًا -، **وَرَجُلٌ بَايَعَ إِمَامًا فَإِنْ أَعْطَاهُ وَفَى لَهُ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ لَمْ يَفِ لَهُ»**. ورواه أبو داود، والترمذي، من حديث وكيع، وقال الترمذي: حسن صحيح[(١)].

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ٧٧][(٢)].

حَدَّثَنَا حَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ، حَدَّثَنَا أَبُو عَوَانَةَ، عَنِ الأَعْمَشِ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ يَمِينَ صَبْرٍ لِيَقْتَطِعَ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَقِيَ اللهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَصْدِيقَ ذَلِكَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ»**، قَالَ: فَدَخَلَ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ وَقَالَ: مَا يُحَدِّثُكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ؟ قُلْنَا: كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فِيَّ أُنْزِلَتْ، كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«بَيِّنَتُكَ، أَوْ يَمِينُهُ»** فَقُلْتُ: إِذًا يَحْلِف يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ وَهْوَ فِيهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللهَ وَهْوَ عَلَيْهِ غَضْبَانٌ»**[(٣)].

---

(١) المسند (٢/ ٤٨٠)، وسنن أبي داود برقم (٣٤٧٤)، وسنن الترمذي برقم (١٥٩٥).

(٢) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري ، كتاب التفسير.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾... إلخ برقم (٤٥٤٩).

حَدَّثَنَا عَلِيٌّ، هُوَ ابْنُ أَبِي هَاشِمٍ سَمِعَ هُشَيْمًا، أَخْبَرَنَا الْعَوَّامُ بْنُ حَوْشَبٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما «أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً فِي السُّوقِ، فَحَلَفَ فِيهَا: لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطَهُ؛ لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والآية عامّةٌ تعمّ كلّ من تكلّم بشيءٍ يضرّ أخذ بكلامه، كما يؤخذ بعمله؛ فاليمين الكاذبة والشّهادة الكاذبة شرّها عظيمٌ، وهكذا التدليس والغشّ في الكلام: أعطيك كذا، سِيمت منّي بكذا، شريته بكذا، وهو يكذب، كلّ هذا فيه الإثم العظيم، نسأل الله العافية. لما فيه من الغشّ والخداع.

● **س: «يمينٌ صبرٌ» أحسن الله إليك: ما المقصود بها؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الّذي يحبس نفسه عليه؛ يعني: يحبس نفسه على الظّلم؛ لأنّ الصّبر يقتطع بها مال النّاس هذه يمين الصّبر: والله إني شريته بكذا، وهو كاذبٌ، والله ما عندي له شيءٌ، وهو كاذبٌ، سُمِّيت صبرًا لأنّه يحبس نفسه عليها، يلزم نفسه بها. الصّبر: الحبس، يدَّعي عليه أنّه اقترض منّي كذا ولّا أخذ مني كذا؛ ويحلف أني ما أخذت ولا اقترضت، وهو كاذبٌ هذه يمين صبرٍ. نسأل الله العافية.

● **س: الأذان في أذن الطفل ما تقيه مسة الشّيطان هذه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: يشرع، مشروعٌ.

(من السّائل): ما تقيه مسة الشّيطان هذه؟

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾... إلخ برقم (٤٥٥١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا بعد، مسة الشّيطان قبل عند سقوطه من بطن أمّه.

● **س: الإقامة في الأذن اليسرى مشروعةٌ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء فيها بعض الآثار نعم، من فعل فلا بأس ومن ترك فلا بأس، ليست الأخبار فيها بذاك، فيها بعض الضّعف.

● **س: أحسن الله إليك: الدّعاء: «اللّهمّ جنّبنا الشّيطان وجنّب الشّيطان ما رزقتنا»، ما يجعل السّلامة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الحديث الصّحيح: «**لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**»[1]، قد يكون المسّ اليسير، هذا ما يضرّ مسّه، وإن صرخ ما يضرّه؛ لأنّ هذا أمرٌ واقعٌ للصبيان، أقول: قد يكون ما هو داخلٌ في «**لم يضره الشَّيْطَان أبدًا**»؛ لأنّه فقط كونه يصرخ شيءٌ سهلٌ ما يسمّى ضررًا.

● **س: عفا الله عنك: من قال: حتّى الأنبياء لا يمسهم الشّيطان عند الولادة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من خصائص ذرّية مريم، مريم وذريتها ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]، أخبرَ النّبيّ ﷺ أنّه ما ولد مولودٌ إلّا مسّه الشّيطان إلّا مريم وابنها، عامٌّ، ما هو بضرر هذا شيءٌ خفيفٌ، شيءٌ يسيرٌ.

ولله فيه الحكمة فإنّ صرخته يعرف الّذين حول المرأة أنّها ولدت، ينتبهون لها يلاحظون الولد، يأخذونه ويلاحظونه؛ صرخته علامة حياته، وعلامةٌ أنّه ولد، ويترتب عليه أحكامه من إرثٍ وغيره.

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا أتي أهله برقم (٦٣٨٨)، ومسلم في كتاب النكاح، باب ما يستحب أن يقول عند الجماع برقم (١٤٣٤).

المقصود: أنّه في صرخته هذه لله فيها حكمةٌ مصالح.

• س: أحسن الله إليك: ﴿وَحَصُورًا﴾ [آل عمران: ٣٩] (الّذي لا يأتي)... ولا لعلّةٍ؟

المشهور أنّه (الّذي لا يأتي النّساء) المشهور، وهو محلّ نظرٍ، محل نظرٍ، محتملٌ حتّى يرد فيه نصٌّ صحيحٌ، يحتمل تفسير ﴿وَحَصُورًا﴾ بغير ذلك، لكن المشهور (الّذي لا يأتي النّساء).

• س: على هذا كونه ﴿وَحَصُورًا﴾ ما يكون نقصًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: قد يكون ما هو بنقصٍ؛ لأنّه يكون تفرغٌ للعبادة والعمل والدّعوة إلى الله، ويكون ليس عنده شغلٌ آخر، قد يكون من أجل هذا، لو صحّ أنّ الله جعله كذلك ليكون فارغًا للأمر المهمّ المطلوب منه.

ويحتمل أن يكون (حصورًا) عن أشياء أخرى، (حصورًا) عمّا يضرّه أو عمّا يضر النّاس، محتملٌ؛ لأنّ تفسير الآية يحتاج إلى نصٍّ عن المعصوم، الجزم بالتّفسير يحتاج إلى نصٍّ عن المعصوم، وإلّا فليقل: الله أعلم.

* *

حَدَّثَنَا نَصْرُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ نَصْرٍ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ دَاوُدَ، عَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ أَنَّ امْرَأَتَيْنِ كَانَتَا تَخْرِزَانِ فِي بَيْتٍ، أَوْ فِي الْحُجْرَةِ، فَخَرَجَتْ إِحْدَاهُمَا وَقَدْ أُنْفِذَ بِإِشْفى فِي كَفِّهَا، فَادَّعَتْ عَلَى الأُخْرَى، فَرُفِعَ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ لَذَهَبَ دِمَاءُ قَوْمٍ وَأَمْوَالُهُمْ، ذَكِّرُوهَا بِاللهِ، وَاقْرَؤُوا عَلَيْهَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾ فَذَكَّرُوهَا، فَاعْتَرَفَتْ»** فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«الْيَمِينُ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ»**[١].

(١) متفق عليه من حديث ابن أبي مليكة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللّهمّ صلّ عليه وسلّم. هذا الحديث أصلٌ عظيمٌ في الدعاوى والخصومات: «**لَوْ يُعْطَى النَّاس بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ، وَلَكِن اليَمِيْن عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ**»، أصلٌ عظيمٌ في الخصومات، الله أكبر.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [آل عمران: ٧٨][(١)].

يخبر تعالى عن اليهود، عَليهم لعائن الله، أن منهم فريقًا يُحَرِّفون الكلم عن مواضعه ويُبَدِّلون كلام الله، ويزيلونه عن المراد به، ليُوهِموا الجهلة أنه في كتاب الله كذلك، وينسبونه إلى الله، وهو كذب على الله، وهم يعلمون من أنفسهم أنهم قد كذبوا وافتروا في ذلك كله؛ ولهذا قال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

وقال مجاهد، والشعبي، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ يحرفونه.

وهكذا روى البخاري عن ابن عباس: أنهم يحرفون ويزيدون وليس أحد من خلق الله يزيل لفظ كتاب من كتب الله، لكنهم يحرفونه: يتأولونه على غير تأويله.

وقال وهب بن مُنَبِّه: إن التوراة والإنجيل كما أنزلهما الله لم يغير

= باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ﴾.. إلخ برقم (٤٥٥٢)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب اليمين على المدعى عليه برقم (١٧١١).

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

منهما حرف، ولكنهم يُضِلّونَ بالتحريف والتأويل، وكتب كانوا يكتبونها من عند أنفسهم، ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ فأما كتب الله فإنها محفوظة ولا تحول.

رواه ابن أبي حاتم، فإن عَنَى وَهْب ما بأيديهم من ذلك، فلا شك أنه قد دخلها التبديل والتحريف والزيادة والنقص، وأما تعريب ذلك المشاهد بالعربية ففيه خطأ كبير، وزيادات كثيرة ونقصان، ووَهْم فاحش. وهو من باب تفسير المعبر المعرب، وفَهْم كثير منهم بل أكثرهم؛ بل جميعهم فاسد. وأما إن عَنَى كتب الله التي هي كتبه من عنده، فتلك كما قال محفوظة لم يدخلها شيء.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠](١).

قال محمد بن إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد، عن عِكْرِمة أو سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القُرَظي، حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران، عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد أن نعبدكَ كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ فقال رجل من أهل نجران نصراني يقال له الرئيس: أوَ ذاك تريد منا يا محمد، وإليه تدعوننا؟ أو كما قال. فقال رسول الله ﷺ: **«مَعَاذَ اللهِ أنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللهِ، أو أنْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِه، مَا بِذَلِك بَعَثَنِي، ولا**

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

بِذَلِكَ أَمَرَنِي»[١]. أو كما قال ﷺ، فأنزل الله ﷻ في ذلك من قولهما: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

فقوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحُكْم والنبوة أن يقول للناس: اعبدوني من دون الله؛ أي: مع الله، فإذا كان هذا لا يصلح لنبي ولا لمرسل، فلأن لا يصلح لأحد من الناس غيرهم بطريق الأولى والأحرى؛ ولهذا قال الحسن البصري: لا ينبغي هذا لمؤمن أن يأمر الناس بعبادته. قال: وذلك أن القوم كان يعبد بعضهم بعضًا ـ يعني: أهل الكتاب ـ كانوا يَتعبَّدون لأحبارهم ورهبانهم، كما قال الله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ [التوبة: ٣١].

وفي المسند، والترمذي ـ كما سيأتي ـ أن عَديّ بن حاتم قال: يا رسول الله، ما عبدوهم. قال: «**بَلَى، إِنَّهُمْ أَحَلُّوا لَهُمُ الْحَرَامَ وحَرَّمُوا عَلَيْهِمُ الْحَلالَ، فَاتَّبَعُوهُمْ، فَذَلِكَ عِبَادَتُهُمْ إِيَّاهُمْ**».

فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ، بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين، فإنما يأمرون بما أَمَرَ الله به وبلَّغتهم إياه رسله الكرام. إنما يَنْهَوْنهم عما نهاهم الله عنه وبلَّغتهم إياه رسله الكرام. فالرسل، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعينَ، هم السفراء بين الله وبين خلقه في أداء ما حُمِّلوه من

---

(١) أخرجه الطبري من طريق ابن إسحاق به وتفرد بهذا الحديث محمد بن أبي محمد وهو مولى زيد بن ثابت مجهول كما في التقريب.

الرسالة وإبلاغ الأمانة، فقاموا بذلك أتم قيام، ونصحوا الخلق، وبلَّغوهم الحق.

وقوله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾؛ أي: ولكن يقول الرسول للناسِ: كونوا رَبَّانيين. قال ابن عباس وأبو رَزِين وغير واحد: أي: حكماء علماء حلماء. وقال الحسن وغير واحد: فقهاء، وكذا رُوِي عن ابن عباس، وسعيد بن جُبير، وقتادة، وعطاء الخراساني، وعطية العوفي، والربيع بن أنس. وعن الحسن أيضًا: يعني أهل عبادة وأهل تقوى.

وقال الضحاك في قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾: حَقٌّ على من تعلم القرآن أن يكون فَقيهًا ﴿تُعَلِّمُونَ﴾؛ أي: تفهمون معناه. وقرئ ﴿تُعَلِّمُونَ﴾ بالتشديد من التعليم ﴿وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ تحفظون ألفاظه.

ثم قال: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا﴾؛ أي: ولا يأمركم بعبادة أحد غير الله، لا نبي مرسل ولا ملك مُقَرَّب ﴿أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾؛ أي: لا يَفْعَل ذلك؛ لأنَّ من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر، والأنبياء إنما يأمرون بالإيمان، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا ٱلطَّٰغُوتَ﴾ الآية [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالى إخبارًا عن الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٩].

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [آل عمران: ٨٠ ـ ٨٦][١].

في هذه الآيات بيان أخذ الله الميثاق على الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ أن كل رسول يدرك رسولًا يأتي بعده أن ينصره ويؤمن به ويؤيده، هكذا من أولهم إلى آخرهم، وأنهم قد اعترفوا بذلك وأقرُّوا والتزموا به ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وهذا يبيِّن أنه ﷻ أوصاهم بهذا وألزمهم به، وأخذ عليهم الميثاق بذلك، وفي هذا التعاون على البر والتقوى، والتعاون على إظهار الحق والتواصي به، حتى يكون الناس على بينة وبصيرة، مما تأتي به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

ومن ذلك أخذُه الميثاق على الرُّسل: إن بُعث محمدٌ ﷺ وهم أحياء أن يصدِّقوه ويؤمنوا به، قال علي وابن عباس رضي الله تعالى

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان (٤/ ٢١٧).

عنهم: **إن الله أخذ على كل نبيٍّ لئن بُعث محمدٌ وهو حي لَيُؤمِننَّ به ولَيَنصُرنَّه**(١).

وهذا في جميع الأنبياء، ولكن محمدًا ﷺ وهو خاتمهم وإمامهم وخطيبهم إذا اجتمعوا أولاهم بأن يؤخذ الميثاق على غيره بتصديقه والإيمان به؛ لأن الرسول الخاتم لجميع الأنبياء والرسل، ولأنه مبعوث إلى عامة الناس ولجميع الثَّقلَين الجِنِّ والإنسِ، وهذه من خصائصه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أن الله بعثه إلى الناس كافة، إلى الأحمر والأسود إلى الجن والإنس، إلى العرب والعجم، فمن تبع ما جاء به فله الكرامة والسعادة والعاقبة الحميدة، ومن حاد عن سبيله فله النار نعوذ بالله من ذلك! ولهذا قال ﷺ: «**كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلَّا مَنْ أَبَى**». قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: «**مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى**»(٢).

ثم يبيِّن ﷻ أن الإسلام هو دين الله وأنه لا ينبغي لأحد أن يحيد عنه فيقول: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ﴾ فهو استفهام وإنكار، وأن الواجب على جميع الثقلين الالتزام بدين الله وما جاء به الرسل فهو سبحانه المالك القاهر الذي أسلم له كل شيء؛ يعني: انقاد له كل شيء، وذَلَّ كل شيء، يقال: أسلم له؛ يعني: انقاد له وذلَّ له، وسُمِّي دين الإسلام إسلامًا لأنه ذُلٌّ لله، وانقياد له، وطاعة لأوامره، وتركٌ

---

(١) أورده ابن حاتم في تفسير سورة آل عمران عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عِمرَان: ٨١ ـ ٨٢].

(٢) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٠).

لنواهيه ﷻ، فهذا الملك العظيم القاهر القادر على كل شيء المالك لكل شيء، هو المستحق أن يُعبد ويُعظَّم، ويطاع أمره ﷻ.

ثم يأمر نبيّه ﷺ بأن يقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا﴾ إلى آخره، وفي آية البقرة: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ فهذا واجب على النبي ﷺ وعلى الأمة أن يؤمنوا بما أنْزَل الله على الأنبياء الماضين وعلى النبي ﷺ، وأن ينقادوا لذلك ولا يكذبوا بذلك، ويسلِّموا لذلك ولا يفرقوا بين الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ لهذا قال ﷻ: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ﴾، وفي سورة البقرة: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾، وفي آل عمران إسقاطها، والمعنى واحد، من باب المعطوف على ما قبله، وفي آية البقرة ﴿إِلَىٰٓ﴾ وفي آية آل عمران ﴿عَلَىٰٓ﴾ وكل ذلك معناه صحيح، أُنزل القرآن إلى كذا، وأُنزل على كذا، ووجه التعدية بـ﴿عَلَىٰٓ﴾ أنه أنزل على هذا النبي العظيم وعلى الأنبياء قبله، ووجه ﴿إِلَىٰٓ﴾ أن هذا التنزيل انتهى إلى هؤلاء الرسل كما انتهى إلى نبينا محمد ﷺ.

فالمعنى: أن الله ﷻ يأمر الأنبياء ومنهم نبينا محمد ﷺ، ويأمر أمته أن ينقادوا لهذا الوحي المنزل، وأن لا يفرقوا بين الرسل، وأن يكونوا خاضعين لذلك، وبهذا يقال لهم: أنهم مسلمون، يعني: منقادين لهذا الأمر بالتسليم والإيمان بأنه حق من عند الله ﷻ والإذعان له، كذلك ننقاد لما بعث الله به نبيّه محمدًا ﷺ ونذل له ونعتمد عليه، ونسير عليه ونتمسك به حتى نلقى ربَّنا ﷻ.

وهذا هو واجب الأمة كلِّها، أن تسلم لأمر الله، وأن تنقاد له، وأن تعظم أمر الله ونهيه، وأن تصدق الرسل جميعًا، وأن تؤمن بما

جاؤوا به من عند الله، وأنهم جاؤوا للدعوة إلى توحيد الله والإخلاص له، والإيمان به وبالآخرة وبالجزاء والحساب والجنة والنار، كل ذلك جاءت به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ.

ثم جاء خاتمهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ بالذي جاء به الأنبياء من قبله من توحيد الله والإخلاص له، وجاء بشريعة أكمل في كل شيء، صالحة لجميع العالم في زمن حضارتهم وفي زمن بداوتهم، وضعفهم وقوتهم، ومرضهم وصحتهم، واجتماعهم وافتراقهم، وغير ذلك في جميع أحوالهم، فهي صالحة لكل زمان ومكان حتى تنتهي هذه الدنيا، وحتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين سبحانه وتعالى.

والمقصود: أن الله جل وعلا أمر نبيَّه ﷺ بأن يؤمن بما أنزل على الأنبياء وبما آتاهم، وأن ينقاد لذلك وأمته، وهكذا يجب على الأمة ما وجب على نبيِّها، فهي أُمرت أيضًا بأن تؤمن بما جاءت به الرسل، ومن كذَّب واحدًا من الرسل كنوح، أو هود أو صالح...، فقد كذَّب الجميع، وهكذا من كذَّب محمدًا ـ عليه الصلاة والسلام ـ، من اليهود والنصارى فقد كذَّب الجميع. ولهذا لما بعث الله نبيّه محمدًا ﷺ ولم يؤمن به اليهود والنصارى، صاروا بهذا كفارًا بكفر آخر، كفرًا جديدًا لعدم إيمانهم بمحمد ﷺ، وإن كانت اليهود قد كفرت أيضًا بعيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، وأحدثوا من الأحداث ما أحدثوا، والنصارى كذلك، فكفروا بتثليثهم، وهكذا كان عدم الإيمان بمحمد ﷺ كفرٌ آخر، كفر مستقل نعوذ بالله من ذلك.

وفيه: بيان أن الإسلام هو دين الله، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾، كما قال عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، فالإسلام هو دين الله للجميع من آدم إلى يومنا هذا.

فالإسلام في حق نوح وأمته وما جاء به نوح ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الهدى والدين، والإسلام في حق هود وقومه كذلك، وما جاء به هود ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الهدى والتشريع، هو توحيد الله والإخلاص له والإيمان بما جاء به، وهكذا صالح، وإبراهيم، ولوط عليه السلام، وهكذا مَن بَعدَهم من الأنبياء فالإسلام في حقهم هو الإخلاص لله وتوحيده والانقياد لما جاء به النبي المبعوث إليهم والتسليم له.

ثم ختم الله الرسل بمحمد ﷺ، فكان الإسلام في حق أمته وتصديقه وتصديق من قبله من الرسل والانقياد للشريعة التي جاء بها والتسليم لها والتمسك بها هو الإسلام الذي بعث به الله نبيه محمدًا ﷺ كما بعث الأنبياء قبله، فدينهم واحد كما جاء في الحديث: «**وَالأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١).

فدين الرسل والمرسلين كلهم واحدٌ، وهو توحيد الله والإخلاص له والإيمان به وبما جاءت به رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وإن تنوعت الشرائع، قال ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

فالشرائع تتنوع بالأحكام والفروع؛ لكن الأساس واحد وهو توحيد الله والإخلاص له والإيمان به وبما جاءت به رسله ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، والإيمان بالآخرة والجنة والنار، والإيمان بكل ما أخبر به الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، مما كان وفيما يكون وفيما بقي من الزمان، وبعد قيام الساعة، فكل ذلك حق لا بد منه، فمن ابتغى والتمس غيره، وآمن بغير هذا الدين، فإنه لا يُقبل منه ذلك، وهو مع هذا خاسر هالك في الدنيا والآخرة نسأل الله العافية.

---

(١) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ برقم (٣٤٤٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب فضائل عيسى برقم (٢٣٦٥).

وبهذا يعلم أن دين الله واحد من عهد آدم إلى يومنا هذا، وهو دين الإسلام، دين الانقياد لله، دين التعظيم لله، دين الذُّل لله، ويسمّى إيمانًا لأنه إيمان بالله ورسله، وتصديق لله وما جاءت به رسله، فهو إيمان قولي وعملي.

وكذلك يُسمّى بِرًّا لِما فيه من الخير والأعمال الصالحة، والتوجيه إلى الخير، والأمر بما فيه الرشاد والهدى، والنهي عما يضر.

وسُمّي تقوى؛ لأنه يَقي أهله عذاب الله وغضبه، فهو تقوى؛ من اتِّقاء المحارم وأداء الفرائض، واتِّقاء أهلها عذاب الله وغَضبَه.

وكذلك سُمّي هُدى وصلاحًا لِما فيه من التوجيه إلى الخير، والاهتداء إلى الحق، وإصلاح الأخلاق والعقائد، فهو دين الله، وهو الإسلام، وهو الإيمان، وهو الهدى، وهو التقوى، وهو البِر.

ثم يَستبعد سُبحانه وتعالى هداية من يكفر بعد البيان وبعد الوضوح وبعد إقامة الحجة عليه، وبعد ما دخل في الإسلام وعرفه يستبعد هداية هذا، ثم يَمُنُّ سُبحانه وتعالى عليه بأنه إذا أقبل على الله ورجع إليه وتاب، فيستقبله الله سُبحانه وتعالى، فمن عرف الحق ودخل فيه ثم خرج منه فهو حري بعدم التوفيق نعوذ بالله من ذلك، ولكن من رجع إلى الله واهتدى وتاب إليه، فالله يتوب عليه جل وعلا.

وهكذا من كفر وزاد كفره ثم تاب قبل أن يموت وقَبلَ أن يُغَرْغِرَ فالله يقبل منه؛ فما دام الإنسان في هذه الحياة، وما دامت روحه في جسده وما دام يعقل، فالتوبة مقبولة، وإذا حضر أحدهم الموت وغَرْغَرَ بالروح، وغاب عن هذه الدنيا، وصار في لحظات الموت وخروج الروح، فإنه في هذه الحالة لا تُقبل منه التوبة، نسأل الله السلامة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران: ٨١، ٨٢](١).

يخبر تعالى أنه أخذ ميثاق كل نبيٍّ بعثه من لدن آدم عليه السلام، إلى عيسى عليه السلام، لَمَهْمَا آتى الله أحدَهم من كتاب وحكمة، وبلغ أيّ مبلَغ، ثم جاءه رسول من بعده، ليؤمنَنَّ به ولينصرَنَّه، ولا يمنعه ما هو فيه من العلم والنبوة من اتباع من بُعث بعده ونصرته؛ ولهذا قال تعالى وتقدَّس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾؛ أي: لمهما أعطيتكم من كتاب وحكمة ﴿ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ﴾.

وقال ابن عباس، ومجاهد، والربيع، وقتادة، والسدي: يعني: عهدي.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿إِصْرِى ۖ﴾؛ أي: ثقل ما حُمّلْتم من عهدي؛ أي: ميثاقي الشديد المؤكد.

﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: عن هذا العهد والميثاق، ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

قال علي بن أبي طالب وابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبيًّا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بَعَث محمدًا وهو حَيّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمَرَه أن يأخذ الميثاق على أمته: لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصرُنَّه.

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

وقال طاووس، والحسن البصري، وقتادة: أخذ الله ميثاق النبيِّين أن يصدِّق بعضهم بعضًا.

وهذا لا يضاد ما قاله عليّ وابن عباس ولا ينفيه؛ بل يستلزمه ويقتضيه. ولهذا رواه عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن ابن طاووس، عن أبيه مثل قول عليّ وابن عباس.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا سفيان، عن جابر، عن الشعبي، عن عبد الله بن ثابت قال: جاء عمر إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني مررتُ بأخٍ لي من قُرَيْظَة، فكتب لي جَوَامعَ من التوراة، ألا أعرضها عليك؟ قالٍ: فتغيَّرَ وَجْهُ رسول اللهِ ﷺ - قال عبد الله بن ثابت: قلت له: ألا ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: رضينا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا - قال: فسُرِّيَ عن رسول الله ﷺ وقال: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَصْبَحَ فِيكُمْ مُوسَى ثُمَّ اتَّبَعْتُمُوهُ وَتَرَكْتُمُونِي لَضَلَلْتُمْ، إِنَّكُمْ حَظِّي مِنَ الأُمَمِ وَأَنَا حَظُّكُمْ مِنَ النَّبِيِّينَ**»(١).

حديث آخر: قال الحافظ أبو بكر: حدثنا إسحاق، حدثنا حماد، عن مُجالد، عن الشعبي، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ وَقَدْ ضَلُّوا، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي**»(٢). وفي بعض الأحاديث له: «**لَوْ كَانَ مُوسَى وَعِيسَى حَيَّينِ لَمَا وَسِعَهُما إلا اتِّباعِي**».

فالرسول محمد خاتم الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه، دائمًا إلى يوم الدين، وهو الإمام الأعظم الذي لو وجد في أي عصر وجد لكان هو الواجب الطاعة المقدَّم على الأنبياء كلهم؛ ولهذا كان إمامهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا ببيت المقدس، وكذلك هو الشفيع في يوم الحشر

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٦٢، ٢٦٥).

(٢) أخرجه أبو يعلى (٤/ ١٠٢) برقم (٢١٣٥).

في إتيان الرب لِفَصْل القضاء، وهو المقام المحمود الذي لا يليق إلا له، والذي يحيد عنه أولوا العزم من الأنبياء والمرسلين، حتى تنتهي النوبة إليه، فيكونَ هو المخصوص به.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٣ ـ ٨٥][(١)].

يقول تعالى منكرًا على من أراد دينًا سوى دين الله، الذي أنزل به كتبَه وأرسل به رسلَه، وهو عبادته وحده لا شريك له، الذي ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: استسلم له من فيهما طوعًا وكرهًا، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ﴾ [الرعد: ١٥]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ يَتَفَيَّؤُا۟ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٤٨ ـ ٥٠].

فالمؤمن مستسلم بقلبه وقالبه لله، والكافر مستسلم لله كرهًا، فإنه تحت التسخير والقهر والسلطان العظيم، الذي لا يخالف ولا يمانع.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا معنى قوله سبحانه: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، الليلي ١٤٠٤هـ.

﴿طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ وله ذل وانقاد لأمره سبحانه طوعًا وكرهًا، من في السمٰوات ومن في الأرض، وفي السماوات الملائكة مطيعون لله ﷻ، وفي الأرض المسلمون مطيعون، فيستسلمون لله انقيادًا وطاعة وتعظيمًا ورغبة فيما عنده، والكافرون رغم أنوفهم؛ لأنهم مربوبون مخلوقون، ليس لهم تصرف في أنفسهم، بل الله الذي يصرف أمورهم ويدبرها ﷻ، ولهذا قال في الآية الأخرى في آية الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨]؛ يعني: حق عليه العذاب فلم يسجد لله طائعًا، وإن سجد كارهًا، يعني: خضع كارهًا وذل كارهًا، فإن الله هو المتصرف في شؤون عباده، وإن لم يرضوا بذلك، فإنه سبحانه مدبر أمورهم، ومصرف شؤونهم؛ كالمرض، والحياة، والموت، والسفر والإقامة، هو مدبر هذا ﷻ، وهو مصرف أرزاقهم، وهم خاضعون ساجدون ذليلون طوعًا له سبحانه إذا كانوا مسلمين، وكرهًا إذا كانوا غير مسلمين في ما يتكبرون عنه، أو في ما يستكبرون عنه، وفي ما يأبون، فالله ﷻ أمره غالب فيهم ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد ورد حديث في تفسير هذه الآية، على معنى آخر فيه غرابة، فقال الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن النضر العسكري، حدثنا سعيد بن حفص النُّفَيْلي، حدثنا محمد بن مِحْصَن العكاشي، حدثنا الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، عن النبي ﷺ: «﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ **أَمَّا مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ فَالْمَلائِكَةُ، وأَمَّا مَنْ فِي الأرضِ فَمَنْ وُلِدَ عَلَى الإسْلام، وأَمَّا كَرْهًا فَمَنْ أُتِي بِهِ مِنْ سَبَايا الأمَمِ فِي السَّلاسِلِ والأغْلالِ، يُقَادُونَ إلَى الْجَنَّةِ وَهُمْ كَارِهُونَ**»(١).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١١٤٧٣).

وقد ورد في الصَّحيح: «**عَجِبَ اللهُ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ فِي السَّلَاسِلِ**»[١]. وسيأتي له شاهد من وجه آخر، ولكنّ المعنى الأول للآية أقوى.

وقد قال وَكِيع في تفسيره: حدثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾، قال: هو كقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [لقمان: ٢٥].

وقال أيضًا: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ قال: حين أخذ الميثاق.

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾؛ أي: يوم المَعَاد، فيجازي كلًّا بعمله.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾؛ يعني: القرآن ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾؛ أي: من الصحف والوحي: ﴿وَٱلْأَسْبَاطِ﴾ وهم بطون بني إسرائيل المتشعبة من أولاد إسرائيل ـ هو: يعقوب ـ الإثني عشر. ﴿وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ﴾؛ يعني: بذلك التوراة والإنجيل ﴿وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ وهذا يَعُم جميعَ الأنبياء جملة ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني: بل نؤمن بجميعهم ﴿وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾. فالمؤمنون من هذه الأمة يؤمنون بكل نبيٍّ أُرسِل، وبكل كتاب أُنزِل، لا يكفرون بشيء من ذلك بل هم مُصَدِّقون بما أنزل من عند الله، وبكل نبي بعثه الله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا هو الواجب على جميع أهل الإسلام: أن يؤمنوا بجميع ما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الأسارى في السلاسل برقم (٣٠١٠).

أنزل الله من الكتب، وأن يصدقوا بكل ما أرسل الله من الرسل وبعث من الأنبياء، كما قال ﷻ: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فالمقصود: أن الواجب على أهل الأرض من الجن والإنس هو الإيمان بكل ما أنزل الله من الكتب، من عهد آدم إلى نزول القرآن، والإيمان بكل ما أرسل الله من الرسل والأنبياء، وتصديق ما جاءوا به، وأنهم بُعثوا بالحق، وأن الله أرسلهم دعاة للهدى، ونُذُرًا للعباد يدعونهم إلى توحيد الله، وإلى طاعة الله، ويبصِّرونهم بما خلقوا له من طاعة الله وعبادته، وينذرونهم من معاصيه ومخالفة أمره، ومن الشرك به سبحانه، ويبشِّروا من أطاع بالجنة والسعادة، ويُنذِروا من عصى بالنار وغضب الله ﷻ.

هذا هو الواجب على جميع المكلفين من جن وإنس: أن يؤمنوا بالرسل جميعًا، وبالكتب جميعًا، وألا يفرقوا بين أحد؛ بل يؤمنوا بهم جميعًا، وبما أنزل الله عليهم، وأنهم جاءوا بالحق والهدى، وأن خاتمهم وإمامهم هو نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام هو خاتم الأنبياء وهو أفضلهم، وكل رسول قبله، وكل نبي بعث إلى قومه خاصة، أما محمد ﷺ فرسالته عامة إلى الجميع، إلى جميع أهل الأرض من المكلفين، كما قال سبحانه: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]. ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: ٢٨]، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وهو رسول للجميع، وهكذا القرآن العظيم أنزل للجميع، ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

فالقرآن والرسول كل منهم نذير وبشير للعالمين من الجن والإنس، سواء كانوا عربًا أو عجمًا، جنًّا أو إنسًا، ذكورًا أو إناثًا، أغنياء أو

فقراء، حكامًا أو محكومين، على جميع أصنافهم، واجب عليهم طاعة هذا الرسول عليه الصلاة والسلام، والإيمان به، والانقياد لما جاء به، والإيمان بجميع المرسلين الماضين، وتصديقهم، والإيمان بكل ما أنزل الله عليهم من الكتب، وأنها حق، وأن الله أنزل فيها ما فيه الشرائع لهم، والأوامر والنواهي، والتفاصيل، والإخبار عما يكون يوم القيامة، وعما كان وما يكون، كما قال ﷻ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾ [الحديد: ٢٥]، كلهم أعطي الكتاب والميزان، فالكتاب ما يقرأ فيه الشرائع والأحكام والأخبار، والميزان: الشرائع الحكيمة العادلة التي ليس فيها جور ولا ظلم، نعم.

ولهذا قال بعده: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥] يعني: بالعدل، ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥] ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾؛ أي: من سلك طريقًا سوى ما شَرَعه الله فلن يُقْبل منه ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾، كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا، فَهُوَ رَدٌّ**»[١].

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم، حدثنا عباد بن راشد، حدثنا الحسن، حدثنا أبو هريرة، إذ ذاك ونحن بالمدينة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَجِيءُ الأَعْمَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَتَجِيءُ الصَّلَاةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّلَاةُ. فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ. فَتَجِيءُ الصَّدَقَةُ فَتَقُولُ: يَا رَبِّ أَنَا الصَّدَقَةُ. فَيَقُولُ: إِنَّكِ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ يَجِيءُ الصِّيَامُ فَيَقُولُ: أَيْ يَا رَبِّ أَنَا الصِّيَامُ. فَيَقُولُ: إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ تَجِيءُ الأَعْمَالُ عَلَى ذَلِكَ**

(١) سبق تخريجه (٢/ ٢٠١).

فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: إِنَّك عَلَى خَيْرٍ. ثُمَّ يَجِيءُ الإِسْلَامُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَنْتَ السَّلَامُ وَأَنَا الإِسْلَامُ. فَيَقُولُ اللهُ ﷻ إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ بِكَ الْيَوْمَ آخُذُ وَبِكَ أُعْطِي. فَقَالَ اللهُ ﷻ فِي كِتَابِهِ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴿٨٥﴾﴾».

تفرد به أحمد. قال أبو عبد الرحمٰن عبد الله ابن الإمام أحمد: عبَّاد بن راشد ثقة، ولكن الحسن لم يسمع من أبي هريرة[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يبيِّن لنا أن الإسلام هو دين الله لجميع المرسلين، لجميع أهل الأرض، ما هناك دين آخر ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، فهو دين آدم ومن بعده، ودين نوح وقومه، ودين هود وقومه، ودين صالح وقومه.. وهكذا إلى نبيّنا محمد عليه الصلاة والسلام، هو الدين الحق هو دين الله.

والإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والخلوص من الشرك، والانقياد للأوامر، وسمِّي دين الله إسلامًا لما فيه من الانقياد لله في أوامره ونواهيه، وإخلاص العبادة له، فالمسلم سلَّم لله، مُخلِص لله ﷻ، منقاد لأوامره، يقال: أسلم لفلان، انقاد، وسلم: خلص، فالإسلام فيه السلامة وفيه الخلوص، وفيه الذل والانقياد. والمسلمون خالصون لله، عابدون له وحده، منقادون لأوامره، أذلاء لطاعته.

فالإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والإخلاص والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، هو دين الله لجميع المرسلين من أولهم إلى آخرهم، فرض عليهم سبحانه أن يعبدوا الله وحده، وفرض على أممهم كذلك أن يعبدوا الله وحده، وأن يؤمنوا بالآخرة، والجنة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٦٢).

والنار، والجزاء والحساب، وأنه حق. ثم تنوعت الشرايع، الشرايع التي فيها الأوامر والنواهي تنوعت في ما أوجب الله على هؤلاء وهؤلاء، قال ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]. فالواجبات التي على الأمم، والمحرَّمات التي على الأمم تختلف بحسب أحوالهم وظروفهم وشؤونهم، على حسب حكمة الله ﷻ الحكيم العليم ﷻ. وأكمل هذه الشرايع وأعظمها وأتمها وأنفعها للعباد شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، هي أكمل الشرايع، وهي خاتمة الشرايع ليس بعدها شريعة؛ بل هي شريعة الله للناس إلى يوم القيامة، فما أحل الله فيها هو الحلال، وما حرم فيها هو الحرام، وما أوجب فيها فهو الواجب.

فعلى أهل الأرض جميعًا من الجن والإنس أن يلتزموها، وأن يأخذوا بها من كتاب الله وسُنَّة رسوله عليه الصلاة والسلام، وأن يثبتوا عليها حتى يلقوا الله، إلى أن ينزع هذا القرآن من الناس، وإلى ألا يبقى على وجه الأرض من يقول: لا إلٰه إلا الله، فعند ذلك تقوم الساعة على الأشرار من أهل الأرض، كلهم كفار وضلَّال لا يعرفون عن الله شيئًا، فعليهم تقوم الساعة في آخر الزمان، نسأل الله العافية.

الأسئلة:

الحكم على حديث (تجيء الأعمال يوم القيامة):

السؤال: الحديث السابق؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: الحديث هذا الذي قرأته.

○ **الجواب:** نعم، هذا لا بأس به، لولا ما قيل في الحسن، يقول: حدثنا؛ أي: فلان، فيكون من أهل المدينة، أول أمره في المدينة ثم انتقل إلى البصرة، يقول العلماء: أنه تجوَّز وحدَّث من حدَّث

أهل المدينة، ولا أعلم له شاهدًا من طريق آخر، لكن قوله: ﴿فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَسِرِينَ ۝٨٥﴾ المعنى صحيح؛ لأن.... الإسلام لا يقبل إلا هو، من مات على غيره فلا... فالصلاة على خير، والصدقة على خير، والصيام على خير، وهكذا سائر الأعمال كلها تعطى أهلها أجورها، وتكمل فرائضهم مما عندهم من النوافل، كما جاء في الأحاديث الأخرى، والإسلام... جنس دين الله، وهذه أجزاء منه الصلاة والزكاة والصيام، كلها أجزاء منه وشعب منه، والإسلام هو دين الله اللي يعمها كلها.

مداخلة: أحسن الله إليك يا شيخ. كيفية مجيء الأعمال يوم القيامة؟

• س: **بالنسبة يا شيخ! إلى الصلاة والصدقة ونحوهما يأتون يوم القيامة على صور رؤية عينية أم أنها تأتي....**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

صورة الشيء الذي أراده الله تمثل لها مثال، وأهل الصلاة وأهل الزكاة وأهل الصوم، على حسب ما يأمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

هذا إن صح فرضًا، وإلا فيه نظر، وإلا في صحته نظر، فيه بعض الخلل، نعم. والمحفوظ في الأحاديث: أن الله جَلَّ وَعَلَا يوم القيامة يقول لعباده وهم الملائكة: انظروا في أعمال العباد، فيؤتى بالصلاة فإن صلحت للعبد أفلح وأنجح، وإن فسدت فقد خاب وخسر، وإن صحت ولكن فيها نقص، قال الله جَلَّ وَعَلَا: «**انظروا هل لعبدي من تطوع، فيكمل به فرضه، قال: ثم يؤتى بالزكاة والصيام والحج بسائر الأعمال فيفعل بها كذلك**». إن صحت قبلت، وإن كان فيها نقص جبر من التنفل الذي من جنسها.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ [آل عمران: ٨٦ ـ ٨٩][(١)].

قال ابن جرير: حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع البصري، حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا داود بن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك، ثم ندم، فأرسل إلى قومه: أن سَلُوا لي رسول الله ﷺ: هل لي من توبة؟ قال: فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ وهكذا رواه النسائي، وابن حبان، والحاكم، من طريق داود بن أبي هند، به. وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه[(٢)].

وقال عبد الرزاق: أخبرنا جعفر بن سليمان، حدثنا حُمَيد الأعرج، عن مجاهد قال: جاء الحارث بن سُوَيد فأسلم مع النبي ﷺ، ثم كفر الحارث فرجع إلى قومه فأنزل الله فيه: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾، قال: فحملها إليه رجل من قومه فقرأها عليه. فقال الحارث: إنك والله ما علمتُ لصدوق، وإن رسول الله ﷺ لأصدق منك، وإن الله لأصدق الثلاثة. قال: فرجع الحارث فأسلم

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) أخرجه النسائي من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في كتاب تحريم الدم، باب توبة المرتد برقم (٤٠٦٨).

فحَسُنَ إسلامه[1].

فقوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾؛ أي: قامتْ عليهم الحُجَجُ والبراهين على صدق ما جاءهم به الرسولُ، وَوَضَح لهم الأمرُ، ثم ارتدوا إلى ظُلْمة الشرك، فكيف يستحق هؤلاء الهداية بعد ما تَلَبَّسُوا به من العماية؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

ثم قال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾﴾؛ أي: يلعنهم الله ويلعنهم خلقه ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾؛ أي: في اللعنة ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾﴾؛ أي: لا يُفتَّر عنهم العذاب ولا يُخَفَّف عنهم ساعة واحدة.

ثم قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ وهذا من لطفه وبره ورأفته ورحمته وعائدته على خلقه: أنه من تاب إليه تاب عليه.

*

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾﴾ [آل عمران: ٩٠، ٩١][2].

يقول تعالى متوعدًا ومتهدِّدًا لمن كفر بعد إيمانه ثم ازداد كفرًا؛

---

(١) أخرجه البوصيري في إتحاف المهرة، باب ما جاء فيمن علم الحق فأسلم (١/ ٢٤) برقم (١١٦).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

أي: استمر عليه إلى الممات، ومخبرًا بأنه لا يقبل لهم توبة عند مماتهم، كما قال تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٨].

ولهذا قال هاهنا: ﴿لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾﴾؛ أي: الخارجون عن المنهج الحق إلى طريق الغيِّ.

قال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن عبد الله بن بَزِيع، حدثنا يزيد بن زُرَيع، حدثنا ابن أبي هند، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أن قومًا أسلموا ثم ارتدوا، ثم أسلموا ثم ارتدوا، فأرسلوا إلى قومهم يسألون لهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ هكذا رواه، وإسناده جيد.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾؛ أي: من مات على الكفر فلن يقبل منه خير أبدًا، ولو كان قد أنفق ملء الأرض ذهبًا فيما يراه قُرْبة، كما سئل النبي ﷺ عن عبد الله بن جُدْعان ـ وكان يُقْري الضيفَ، ويَفُكُّ العاني، ويُطعم الطعام ـ: هل ينفعه ذلك؟ فقال: «**لا إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا مِن الدَّهْرِ: رَبِّ اغْفِرْ لي خَطِيئَتِي يوم الدِّينِ**» وكذلك لو افتدى بملء الأرض أيضًا ذهبًا ما قُبل منه، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَـٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقال: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَـٰعَةٌ﴾] [البقرة: ٢٥٤]، وقال: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَـٰلٌ ﴿٣١﴾﴾ [إبراهيم: ٣١]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾﴾ [المائدة: ٣٦]؛ ولهذا قال تعالى هاهنا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ فعطف ﴿وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾ على الأول، فدل

على أنه غيره، وما ذكرناه أحسن من أن يقال: إن الواو زائدة، والله أعلم.

ويقتضي ذلك ألا ينقذه من عذاب الله شيء، ولو كان قد أنفق مثل الأرض ذهبًا، ولو افتدى نفسه من الله بملء الأرض ذهبًا، بوَزْن جِبالها وتِلالها وتُرابها ورِمَالها وسَهْلها ووعْرِها وبَرِّها وبَحْرِها.

وقال الإمام أحمد: حدثنا حجَّاج، حدثني شُعْبَة، عن أبي عمران الجَوْني، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**يُقَالُ لِلرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ، أَكُنْتَ مُفْتَدِيًا بِهِ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: نَعَمْ. قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ ذَلِكَ، قَدْ أَخَذْتُ عَلَيْكَ فِي ظَهْرِ أبيك آدَمَ ألا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا، فَأَبَيْتَ إِلا أَنْ تُشْرِكَ**». وهكذا أخرجاه البخاري، ومسلم.

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا رَوْح، حدثنا حَمَّاد، عن ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنزلَكَ؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، خَيْرُ مَنزلٍ. فَيَقُولُ: سَلْ وَتَمَنَّ. فَيَقُولُ: مَا أَسْأَلُ وَلا أَتَمَنَّى إِلا أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ عَشْرَ مِرَار - لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ. وَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيَقُولُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ وَجَدْتَ مَنزلَكَ؟ فَيَقُولُ: يا رَبِّ شَرُّ مَنزلٍ. فَيَقُولُ لَهُ: تَفْتَدِي مِني بطِلاعِ الأَرْضِ ذَهَبًا؟ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، نَعَمْ. فَيَقُولُ: كَذَبْتَ، قَدْ سَأَلْتُكَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَأَيْسَرَ فَلَمْ تَفْعَلْ، فيُرَد إلى النَّارِ**».

ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ٩١﴾؛ أي: وما لهم من أحد يُنْقِذهم من عذاب الله، ولا يجيرهم من أليم عقابه.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾﴾ [آل عمران: ٩٢][1].

روى وكيع في تفسيره، عن شريك، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ﴾، قال: الجنة. وقال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا مالك، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة سمع أنس بن مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالًا، وكان أحب أمواله إليه بيرُحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان النبي ﷺ يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، قال أبو طلحة: يا رسول الله! إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ. فقال النبيُّ ﷺ: «**بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**». فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. أخرجاه[2]. وفي الصحيحين أن عمر قال: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَصَبْتُ أَرْضًا بِخَيْبَرَ، لَمْ أُصِبْ مَالًا قَطُّ أَنْفَسَ عِنْدِي مِنْهُ، فَمَا تَأْمُرُ بِهِ قَالَ: «**إِنْ شِئْتَ حَبَسْتَ أَصْلَهَا، وَتَصَدَّقْتَ بِهَا**»[3].

---

(١) من تعليقات سماحة الشيخ على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، الليلي في عام ١٤٠٤هـ.

(٢) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب برقم (١٤٦١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (٩٩٨).

(٣) متفق عليه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب =

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدل على فضل الصدقة والإحسان وصلة الرحم، وفضل الصدقة الجارية التي تنفع الإنسان في حياته وبعد وفاته، وهي الأوقاف الشرعية، التي قال فيها النبي ﷺ لعمر تصدَّق بأصلها، حَبِّس أصلها وتصدق بثمرتها. وفي هذا فضل أبي طلحة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سمع الآية: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، قال: وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**بَخْ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**». فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ. يعني: قد ربح فيه صاحبه، يعني: بسبب ما له عند الله من الأجر العظيم، وفي لفظ: «**ذلك مال رائح**»، يعني: زائل وذاهب، ويبقى للمتصدق أجره ونفعه، أو: ذلك مال رائح يروح عليك ثمره بالثواب، يعني: ثوابه وجزاؤه وعاقبته الحميدة.

ثم قال: «**وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ**»؛ يعني: يبين لنا أن الصدقة على الأقربين لها مزية، وهي اثنتان: صدقة وصلة. فالصدقة على الفقراء الأجانب صدقة، ولكن على الأقارب صدقة وصلة، كما في حديث سلمان بن عامر الضبي: «**الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»[1]، ويقول ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ**»[2]. فصلة الرحم وهم الأقارب

= الشروط في الوقف برقم (٢٧٣٧)، ومسلم في كتاب الوصية، باب الوقف برقم (١٦٣٢).

(١) سبق تخريجه (٢/ ٤٧٧).

(٢) متفق عليه من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب من =

من أفضل القربات، ولو كانوا أغنياء، فكيف إذا كانوا فقراء؟! فإن الأجر يكون أعظم، والأب والأم والأولاد والإخوة والأخوات والأخوال والخالات والأعمام والعمَّات كلهم أقارب، وهكذا أولادهم، لكن الأقرب فالأقرب، أعظمهم الآباء والأمهات، ثم الأولاد وأولادهم، ثم الإخوة وأولادهم، ثم العمومة وأولادهم، والأخوال وأولادهم، وهؤلاء هم الرحم.

في الحديث الصحيح: «قيل: يا رسول الله! من أبر؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أباك، ثم الأقرب فالأقرب**»». فعُلِم أن الأب والأم هما الأصل، وهم أعظم الناس حقًّا في البر والإحسان، ثم يليهم الأولاد، ثم الإخوة والأخوات، ثم مَن بعدهم.

قال الإمام ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا أبو الخطاب زياد بن يحيى الحسَّاني، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا محمد بن عمرو، عن أبي عمرو بن حماس، عن حمزة بن عبد الله بن عمر قال: قال عبد الله: حضرتني هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، فذكرت ما أعطاني الله، فلم أجد شيئًا أحب إليَّ من جارية لي رومية، فقلت: هي حرة لوجه الله، فلو أني أعود في شيء جعلته لله لنكحتها؛ يعني: تزوجتها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا الذي قاله ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مثل ما قال أبو طلحة في التقرب بما هو الأحب إلى الإنسان، كانت عنده جارية رومية؛ يعني: من سبي الروم، وكان يحبها كثيرًا، فلما حضرته هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ

= بسط له الرزق بصلة الرحم برقم (٥٩٨٦)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة لرحم وتحريم قطيعتها برقم (٢٥٥٧).

تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ أعتقها، فقال: هي حرة لوجه الله، ولم ير أن يتزوجها؛ خوفًا أن يكون هذا نوع من الرجوع لما أخرجه لله، ولكن الصواب: أن هذا ليس برجوع، لو تزوجها فليس هذا برجوع؛ بل هذا مما يزيدها خيرًا، وقد تصدق النبي ﷺ على صفية فأعتقها وتزوجها، عليه الصلاة والسلام، أعتق صفية وجعل عتقها صداقها، فهكذا لو أن ابن عمر كان نكحها فليس هذا برجوع، ولكن لعله لم يذكر قصة صفية أو غابت عن باله، أو أن الأثر ضعيف، يعني: ما أعرف حال أبا عمرو بن حماس هذا، لا أعرف حاله، وإن كان أبو عمرو بن حماس هذا ثقة فالسند جيد، فيكون خفي على ابن عمر قصة نكاح النبي ﷺ صفية بعدما أعتقها.

*

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ إلى: ﴿بِهِۦ عَلِيمٞ ۝٩٢﴾ [آل عمران: ٩٢](١).

حدّثنا إسماعيل، قال: حدّثني مالكٌ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة أنّه سمع أنس بن مالكٍ رضي الله عنه يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاريٍّ بالمدينة نخلًا، وكان أحبّ أمواله إليه بيرحاءٍ، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماءٍ فيها طيّبٍ، فلمّا أنزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله، إنّ الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾، وإنّ أحبّ أموالي إليّ بيرحاءٍ، وإنّها صدقةٌ لله أرجو برّها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، قال رسول الله ﷺ: «**بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ**

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

رَايِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَايِحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ»، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمّهِ»، قال عبد الله بن يوسف وروح بن عبادة: «ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ»، حدّثني يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالكٍ: «مالٌ رايحٌ»(١).

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢](٢).

هذه الآية الكريمة تدل على شرعية الإنفاق وطيب الكسب، وأنه ينبغي للمؤمن أن ينافس في الخيرات وأن يخرج من طيب كسبه من طيب ماله، يرجو ما عند الله ﷻ؛ لأن التقرب إلى الله يكون بما يناسبه سبحانه من الطيب؛ لا من الخبيث، فالنفقة عنده مضاعفة والأجر عنده مضاعف ﷻ، فلا يليق بالمؤمن أن يتقرب بالردي والخبيث، بل ينبغي له أن يبادر إلى الطيب؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ﴾ [آل عمران: ٩٢]، قال سبحانه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٨]، وقال ﷻ: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧]، ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ﴾؛ يعني: الرديء ﴿مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

في الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ**

---

(١) متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٩٢﴾ برقم (٤٥٥٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأخوين والزوج والأولاد والوالدين ولو كانوا مشركين برقم (٩٩٨).

(٢) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (ج١/ ٤٦٥).

طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ فإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ أو فصيله حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ»[1] فجدير بالمؤمن أن ينافس في الخيرات وأن يسارع بالنفقات الطيبة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ويقول ﷻ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]، ويقول ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

ولما سمع أبو طلحة رضي الله عنه هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أتى النبي ﷺ وقال: إني سمعت الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحبَّ مالي إليَّ بيرحاء، بيرحاء نخل في مستقبل المسجد كان النبي يزوره وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا، فَضَعْهَا يا رَسُول الله حَيْثُ أَرَاكَ الله، فقال له النبي ﷺ: «**بخ بخ! ذلك مالٌ رابحٌ، ذلك مالٌ رابحٌ**»، في اللفظ الآخر ذلك: «**مَالٌ رَايِحٌ**»؛ يعني: يروح عليك أجره وثوابه أو ذاهب في الدنيا لكن تربح فيه في الآخرة، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين، أشار عليه بأن يوزعها بين أقاربه فيجمع بين صلة الرحم وبين النفقة في سبيل الله فوزعه بين أقاربه رضي الله عنه، فهذا فيه الدلالة على شرعية الإنفاق في وجوه البر والإحسان إلى الأقارب والمساكين، وأن ذلك مما ينفعه الله به ويعظم أجره عند ربه ﷻ، وإذا صارت الصدقة في الأقارب المحتاجين كانت أفضل كما في الحديث الصحيح: «**الصَّدَقَةُ عَلَى المِسكِين صَدَقَةٌ وعَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**».

*

(١) سبق تخريجه في (٣/ ٦٥٢).

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلۡ صَدَقَ ٱللَّهُۗ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [آل عمران: ٩٣ ـ ٩٥][(١)].

قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عبد الحميد، حدثنا شهر قال: قال ابن عباس: حضرت عصابة من اليهود نبيَّ الله ﷺ فقالوا: حدِّثنا عن خلالٍ نسألك عنهن لا يعلمهن إلا نبي، قال: «**سلوني عما شئتم، ولكن اجعلوا لي ذمة الله وما أخذ يعقوب على بنيه؛ لئن أنا حدثتكم شيئًا فعرفتموه لتتابعُنِّي على الإسلام؟**»[(٢)]، قالوا: فذلك لك، قال: أخبرنا عن أربع خلال: أخبرنا أي الطعام حرم إسرائيل على نفسه؟ وكيف ماء المرأة وماء الرجل؟ وكيف يكون الذكر منه والأنثى، وأخبرنا بهذا النبي الأمي في النوم؟ ومن وليه من الملائكة؟ فأخذ عليهم العهد لئن أخبرهم ليتابعنه، فقال: «**أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن إسرائيل مرض مرضًا شديدًا وطال سقمه، فنذر لله نذرًا لئن شفاه الله من سقمه ليحرمنَّ أحب الطعام والشراب إليه، وكان أحب الطعام إليه لحم الإبل، وأحب الشراب إليه ألبانها؟**» فقالوا: اللَّهُمَّ نعم، فقال: «**اللَّهُمَّ اشهد عليهم، وقال: أنشدكم بالله الذي لا إله إلا هو الذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن ماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فأيهما علا كان له الولد والشبه بإذن الله، إن علا ماء الرجل ماء المرأة كان ذكرًا بإذن الله، وإن علا ماء المرأة ماء الرجل كان أنثى بإذن الله؟**»

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.
(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٧٨).

قالوا: نعم، قال: «**اللَّهُمَّ اشهد عليهم. قال: وأنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن هذا النبي الأمي تنام عيناه ولا ينام قلبه**»، قالوا: اللَّهُمَّ نعم، قال: «**اللَّهُمَّ اشهد. قال: وإن وليي جبريل، ولم يبعث الله نبيًّا قط إلا وهو وليه**»، قالوا: فعند ذلك نفارقك، ولو كان وليك غيره لتابعناك، فعند ذلك قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ الآية [البقرة: ٩٧]. ورواه أحمد أيضًا عن حسين بن محمد عن عبد الحميد به.

طريق أخرى: قال أحمد: حدثنا أبو أحمد الزبيري، حدثنا عبد الله بن الوليد العجلي، عن بكير بن شهاب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا أبا القاسم! إنا نسألك عن خمسة أشياء، فإن أنبأتنا بهن عرفنا أنك نبي واتبعناك، فأخذ عليهم ما أخذ إسرائيل على بنيه، إذ قال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ۝٢٨﴾ [القصص: ٢٨]، قال: «**هاتوا**»، قالوا: أخبرنا عن علامة النبي؟ قال: «**تنام عيناه ولا ينام قلبه**»، قالوا: أخبرنا كيف تؤنِّث المرأة وكيف تذكِّر؟ قال: «**يلتقي الماءان، فإذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرت، وإذا علا ماء المرأة أنَّثت**»، قالوا: أخبرنا ما حرَّم إسرائيل على نفسه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعنى أذْكَرت وأنَّثَت يعني: صار الولد ذكرًا وصار الولد أنثى، فإذا علا ماء الرجل صار الولد ذكرًا، وإذا علا ماؤها صار الولد أنثى، والمعنى الثاني: يعني: صار الشبه للذكر، وإذا علا ماؤه صار الشبه لها، مثل رواية: «**إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة كان الشبه له**»، فإذا سبق ماؤها ماءه عند الشهوة صار الشبه لها، والمعنيان متقاربان. وقال قوم: إنهما معنى واحد، وأن معنى أذكرت وكان الشبه لها معنى واحد، أذكرت يعني: صار الشبه للذكر، وأنثت صار الشبه للأنثى، وليس المراد كان الولد ذكرًا أو كان الولد أنثى، ولكن لا مانع من المعنى الثاني؛ فإن الله على كل شيء قدير، إذا أراد هذا وإذا أراد هذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قالوا: أخبرنا ما حرَّم إسرائيل على نفسه؟ قال: «**كان يشتكي عرق النسا، فلم يجد شيئًا يلائمه إلا ألبان كذا وكذا** ـ قال أحمد: قال بعضهم: يعني: الإبل، **فحرَّم لحومها**» ـ قالوا: صدقت، قالوا: أخبرنا ما هذا الرعد؟ قال: «**ملك من ملائكة الله** عَزَّ وَجَلَّ **موكل بالسحاب، بيده أو في يده مِخراق من نار يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله** عَزَّ وَجَلَّ»، قالوا: فما هذا الصوت الذي يسمع؟ قال: «**صوته**»، قالوا: صدقت، إنما بقيت واحدة، وهي التي نتابعك إن أخبرتنا بها، إنه ليس من نبي إلا له مَلَك يأتيه بالخبر، فأخبرنا من صاحبك؟ قال: «**جبريل** عَلَيْهِ السَّلَامُ»، قالوا: جبريل ذاك ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا، لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]، والآية بعدها. وقد رواه الترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن الوليد العجلي به نحوه، وقال الترمذي: حسن غريب. وقال ابن جريج والعوفي عن ابن عباس: كان إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يعقوب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من تعلُّلاتهم الفاسدة، فإنما أرادوا الحسد والعناد والبغي، وإلا فهم يعلمون أن جبرائيل هو ولي محمد ﷺ وولي موسى وهو ولي الأنبياء جميعًا، وهو اللي يأتي بالوحي من السماء عليه الصلاة والسلام، ولكن اليهود قوم بُهت، قوم حسد وبغي، فقد عاندوا وكابروا وتركوا الانقياد للحق وهم يعلمون، يعلمون أن محمدًا ﷺ جاء بالحق، وأنه رسول الله حقًّا، ولكن حملهم البغي والحسد والعناد وإيثار الدنيا، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن جريج والعوفي عن ابن عباس: كان إسرائيل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وهو يعقوب يعتريه عرق النسا بالليل، وكان يقلقه ويزعجه عند النوم، ويقلع الوجع عنه بالنهار، فنذر لله لئن عافاه الله لا يأكل عرقًا ولا يأكل ولد ما له عرق. وهكذا قال الضحاك والسدي كذا رواه وحكاه ابن جرير في تفسيره، قال: فاتبعه بنوه في تحريم ذلك؛ استنانًا به واقتداء بطريقه، قال: وقوله: ﴿مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ﴾؛ أي: حرم ذلك على نفسه من قبل أن تنزل التوراة.

مداخلة: لا يأكل ولد ما له عرقًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما أدري ما أعرف ما هو بظاهر، يحتمل أنه عرق يعني: عظيم لكن التعبير بأن لا يأكل عرق غلط محل نظر، والظاهر يعم لحم الإبل وغيره، يعني: لا يتعرق شيئًا. نعم ما هو بخطأ.

مداخلة: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم قال: لا يأكل؟

مداخلة: قال: لا يأكل عرقًا ولا يأكل ولد ما له عرق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولد، ولد ما له..

مداخلة: ولد ما له.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولد ما له، يعني: ولد شيء له عرقٌ.

مداخلة: ولد ما له عرق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ويحتمل، أو عرق، يعني: عظيم ما يكون فوق، العظام، ولكن

الدواب اللي ما لها عظام قليلة. نعم. محل نظر هذه الرواية، يعني: هذا مما يتلقى عن بني إسرائيل نعم، المشهور أنها لحم الإبل وألبانها، هذا اللي حرمه، كما تقدم في الحديث، لحم الإبل وألبانها.

مداخلة: النسا بالتخفيف بالكسر.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: النسا.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: النسا، عرق النسا أو النسا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المعروف أنه بالفتح، ولعله يقال فيه الكسر، ولكن المعروف أنه عرق النسا بالتخفيف، وهو المرض اللي يأخذ الإنسان من أعلى رجله إلى أسفلها، يقال له: عرق النساء، من الورك إلى القدم، القاموس حاضر؟

مداخلة: نعم.

الشيخ: القاموس؟

مداخلة: لا ما بدا.

الشيخ: نعم.

مداخلة: النسا بالكسر.

الشيخ: الذي أعرف أنا بالفتح، ويمكن أن تستعمل فيه اللغتان، يراجع القاموس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قلت: ولهذا السياق بعدما تقدم مناسبتان:

أحدهما: أن إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ حرم أحب الأشياء إليه وتركها لله، وكان

هذا سائغًا في شريعتهم، فله مناسبة بعد قوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]. فهذا هو المشروع عندنا وهو الإنفاق في طاعة الله لما يحبه العبد ويشتهيه كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ [الإنسان: ٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا أيضًا ما هو بمرفوع، مما تُلقِّيَ عن بني إسرائيل، أما في شريعة محمد ﷺ فلا يجوز تحريم ما أحل الله؛ بل هذا في شريعة إسرائيل وهو يعقوب، أما في شريعة محمد ﷺ فلا يجوز تحريم ما أحل الله؛ بل يجب ترك ذلك؛ لأن الله قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ﴾ [التحريم: ١]، كما حرَّم الظهار، فليس لأحد أن يحرم ما أحل الله لا من اللحم ولا من غيره، فإن حرَّم ذلك كفاه تكفير كفارة يمين ويأكل ما حرَّمه، لو قال: عليَّ الحرام ما آكل لحم الإبل، أو عليَّ الحرام ما آكل لحم الغنم أو لحم الحبارى أو ما أشبه ذلك أخطأ، وعليه التوبة والاستغفار، وعليه كفارة يمين إذا أكل شيئًا من ذلك، فهذا في شريعة محمد عليه الصلاة والسلام، وهي أفضل الشرائع، شريعة محمد ﷺ هل أكمل الشرائع وأتمها وأرفقها بالناس وأسمحها وأيسرها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المناسبة الثانية: لما تقدم بيان الرد على النصارى، واعتقادهم الباطل في المسيح وتبيين زيف ما ذهبوا إليه، وظهور الحق واليقين في عيسى وأمه، كيف خلقه الله في قدرته ومشيئته، وبعثه إلى بني إسرائيل يدعو إلى عبادة ربه تبارك وتعالى، شرع في الرد على اليهود قبَّحهم الله تعالى، وبيان أن النسخ الذي أنكروا وقوعه وجوازه قد وقع، فإن الله تعالى قد نصَّ في كتابهم التوراة أن نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما خرج من السفينة أباح الله له جميع دواب الأرض يأكل منها، ثم بعد هذا حرَّم إسرائيل

على نفسه لحوم الإبل وألبانها، فاتبعه بنوه في ذلك، وجاءت التوراة بتحريم ذلك، وأشياء أخرى زيادة على ذلك. وكان الله ﷻ، قد أذن لآدم في تزويج بناته من بنيه، وقد حرم ذلك بعد ذلك كله، وكان التسري على الزوجة مباحًا في شريعة إبراهيم عليه السلام، وقد فعله إبراهيم في هاجر لما تسرَّى بها على سارة، وقد حرم مثل هذا في التوراة عليهم، وكذلك كان الجمع بين الأختين سائغًا، وقد فعله يعقوب عليه السلام، جمع بين الأختين ثم حرم عليه ذلك في التوراة، وهذا كله منصوص عليه في التوراة عندهم، وهذا هو النسخ بعينه، فكذلك فليكن ما شرعه الله للمسيح عليه السلام في إحلاله بعض ما حرم في التوراة، فما بالهم لا يتبعوه؟ بل كذبوه وخالفوه.

الشيخ: فما لهم، فما لهم، فما لهم؟

القاري: [فما بالهم].

الشيخ: بالهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

فما بالهم لم يتبعوه؛ بل كذبوه وخالفوه؟ وكذلك ما بعث الله به محمدًا ﷺ من الدين القويم والصراط المستقيم، وملة أبيه إبراهيم، فما بالهم لا يؤمنون؟ ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ﴾؛ أي: كان حلًّا لهم جميع الأطعمة قبل نزول التوراة إلا ما حرَّمه إسرائيل.

ثم قال تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ فإنها ناطقة بما قلناه. ﴿فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾﴾؛ أي: فمن كذب على الله وادَّعى أنه شرع لهم السبت والتمسك بالتوراة دائمًا، وإنه لم يبعث نبيًّا آخر يدعو إلى الله تعالى بالبراهين والحجج بعد ذلك الذي بيَّناه من وقوع النسخ وظهور ما

ذكرناه، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩٤﴾. ثم قال تعالى: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾؛ أي: قل يا محمد: صدق فيم أخبر به وفيما شرعه في القرآن ﴿فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٩٥﴾؛ أي: اتبعوا ملة إبراهيم التي شرعها الله في القرآن على لسان محمد ﷺ، فإنه الحق الذي لا شك فيه ولا مِرْية، وهي الطريقة التي لم يأت نبي بأكمل منها ولا أبين ولا أوضح ولا أتم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١].

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩٧﴾ [آل عمران: ٩٦، ٩٧][(١)].

يُخْبر تعالى أن أول بيت وُضِع للناس؛ أي: لعموم الناس، لعبادتهم ونُسُكهم، يَطُوفون به ويُصلُّون إليه ويَعتكِفُون عنده ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾؛ يعني: الكعبة التي بناها إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يَزْعم كل من طائفتي النصارى واليهود أنهم على دينه ومنهجه، ولا يَحجُّون إلى البيت الذي بناه عن أمر الله له في ذلك ونادى الناس إلى حجه. ولهذا قال: ﴿مُبَارَكًا﴾؛ أي: وُضع مباركًا ﴿وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ٩٦﴾ وقد قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التَّيْميّ، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ مَسْجدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «**الْمَسْجِدُ**

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

الأَقْصَى». قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا قَالَ: «**أَرْبَعُونَ سَنَةً، ثُمَّ أَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلَاةُ بَعْدُ فَصَلِّهْ، فَإِنَّ الْفَضْلَ فِيهِ**»، وأخرجه البخاري، ومسلم، من حديث الأعمش، به(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المعنى: أن أول بيت وضع للناس للعبادة، وأول الذي بُني للعبادة هو الكعبة بناها إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام وابنه إسماعيل، ثم بُني بعدها بيت المقدس، يعني: مسجد إيليا بناه يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام، وكان بينهما أربعون عامًا بين بناء هذا وبناء هذا، والبيت الذي يحج إليه ويُستقبل هو الكعبة المشرفة، وهو بيت الله العتيق الذي بناه إبراهيم، وقد روي أن أنبياء بَنَتْه سابقًا وأن آدم بناه سابقًا، وأن الأرض معروفة لدى الأنبياء السابقين، ويقصدونها ويحجون إليها؛ إلى الكعبة المشرفة لكن الذي بناه البناية التي استمرت وبقيت حتى جددت بعد ذلك في عهد قريش هي بناية إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وإنه بناها وقد ساعده على ذلك ابنه إسماعيل ولم تزل الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام يحجون هذا البيت العتيق ويقصدونه، ثم بعث الله نبيّه محمد ﷺ، وشرع له أن يستقبله والمسلمون كذلك يستقبلونه إلى أن تقوم الساعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن محمد بن الصَّبَّاحِ، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا شَرِيك عن مُجالد، عن الشَّعْبِيّ، عن عليّ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾، قال: كانت البيوت قبلة، ولكنه كان أول بيت وضع لعبادة الله تعالى.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب برقم (٣٣٦٦)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢٠).

قال: وحدثنا أُبي، حدثنا الحسن بن الربيع، حدثنا أبو الأحْوَص، عن سِماك، عن خالد بن عَرْعَرة قال: قام رجل إلى عَليّ فقال: ألا تُحَدِّثني عن البيت: أهو أولُ بيت وُضِع في الأرض؟ قال: لا، ولكنه أول بيت وضع فيه البركة مقام إبراهيم، ومن دخله كان آمنًا. وذكر تمام الخبر في كيفية بناء إبراهيم البيت، وقد ذكرنا ذلك مُستَقصًى في سورة البقرة فأغْنَى عن إعادته.

وزعم السُّدِّي أنه أولُ بيت وضع على وجه الأرض مطلقًا. والصحيحُ قولُ علِيّ ﷺ، فأما الحديث الذي رواه البيهقي في بناء الكعبة في كتابه دلائل النبوة، من طريق ابن لَهِيعة، عن يَزيد بن أبي حَبيب، عن أبي الخير، عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا: «بَعَثَ اللهُ جِبْرِيلَ إِلَى آدَمَ وحَوَّاءَ، فَأَمَرَهُمَا بِبِنَاءِ الْكَعْبَةِ، فَبَنَاهُ آدَمُ، ثُمَّ أَمَرَ بِالطَّوَافِ بِهِ، وَقِيلَ لَهُ: أَنْتَ أَوَّلُ النَّاسِ، وهَذَا أَوَّلُ بَيْتٍ وُضِعَ للنَّاسِ»، فإِنَّهُ كَمَا تَرَى مِنْ مُفْرَدَاتِ ابْنِ لَهِيعة، وهو ضعيف. والأَشْبَهُ، والله أعلمُ، أن يكون هذا مَوْقُوفًا على عبد الله بن عَمْرو. ويكون من الزاملتين اللتين أصابهما يوم الْيَرْمُوك، من كلام أهل الكتاب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا.. وهذا هو المعروف أن الذي أول من بناه أنه إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أما ما يروى أنه بناه آدم، أو بناه غيره فليس بثابت، المحفوظ بأن أول من بناه هو إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام. اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلم، وبأمر الله ﷻ.

مداخلة: أحسن الله إليك يعني آدم كان يطوف على الأرض؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: نعم!

مداخلة: على هذا كان آدم

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

إن كان الحج شُرع لهم.. إن كان الحج شُرع لهم قبله نعم،

أقول: إذا كان الحج شرع لهم، لكن ما نعلم هل شرع لهم، أو كان مبدأ شرعيته عندما بعث الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام، أما تحريم الحرم فكان يوم خلق الله السمٰوات حرم مكة، كما جاء في الحديث الصحيح: «**إن الله حرم مكة يوم خلق السمٰوات والأرض**» الله أكبر.

مداخلة: عفا الله عنك.

الشيخ: نعم!

مداخلة: نعم هذا كان معروف عند آدم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم، التحريم ثابت في الصحيحين، نعم.

مداخلة: حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: «**إن إبراهيم حرَّم مكة وإني أحرّم المدينة**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: أظهر تحريمها، إبراهيم أظهر تحريمها إظهارًا كاملًا.

مداخلة: كان معروف عند آدم؟

الشيخ: نعم!

• **س: عند آدم من قبل إبراهيم من الأنبياء المعروف تحريمه.**

○ **الجواب**: الله أعلم أنه معروف غالب الظن أنه معروف، لكن ما عندنا شيء مما نعتمد عليه واضح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: ﴿لَلَّذِى بِبَكَّةَ﴾ بَكَّة: من أسماء مكة على المشهور، قيل: سُمِّيت بذلك لأنها تَبُكّ أعناق الظلمة والجبابرة، بمعنى: يُبَكُّون بها ويخضعون عندها. وقيل: لأن الناس يَتَبَاكّون فيها؛ أي: يزدحمون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يتباكّون يعني عند الزحام والثبات بين الناس لازدحام الناس،

والا فالمشروع أن يكن خلف الرجال في كل مكان، لكن عند الزحام قد تقع النساء أمام الرجال وعن يمينهم وعن شمالهم؛ بسبب الزحمة العظيمة لا يستطاع معها التخلص من ذلك في بعض الأحيان عند قرب الحج.

مداخلة: الصلاة أمام؟

الشيخ: لا حال عند الضرورة له حال، أما عند السعة الواجب تأخيرهن خلف الناس.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال قتادة: إن الله بَكَّ به الناس جميعًا، فيصلِّي النساء أمام الرجال، ولا يفعل ذلك ببلد غيرها.

وكذا روي عن مجاهد، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وعَمْرو بن شُعَيب، ومُقاتل بن حَيَّان.

وذكر حَمّاد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: مَكَّة من الفجّ إلى التنعيم، وبكّة من البيت إلى البطحاء.

وقال شعبة، عن المغيرة، عن إبراهيم: بَكَّة: البيت والمسجد. وكذا قال الزهري.

وقال عكرمة في رواية، وميمون بن مِهْران: البيت وما حوله بكة، وما وراء ذلك مكة.

وقال أبو صالح، وإبراهيم النّخَعي، وعطية العَوْفي ومقاتل بن حيان: بكة موضع البيت، وما سوى ذلك مكة.

وقد ذكروا لمكة أسماء كثيرة: مكة، وبكة، والبيت العتيق، والبيت الحرام، والبلد الأمين، والمأمون، وأُمَّ رُحْم، وأم القُرَى، وصلاح، والعرْش على وزن بدر، والقادس؛ لأنها تطهر من الذنوب، والمقدسة،

والناسّة: بالنون، وبالباء أيضًا، والحاطمة، والنسَّاسة، والرأس، وكُوثى، والبلدة، والبَنِيَّة، والكعبة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمشهور الأول أن مكة من أسمائها فقط، يقال: مكة، ويقال: بكة بالباء والميم أحد أسمائها كما تقدم نعم، هذا هو المشهور عند أهل العلم، نعم.

مداخلة: البَنية والا البَينية.

الشيخ: البَنية نعم.

مداخلة: بنية مشتقة؟

الشيخ: من البناء، البنية المشهورة يعني: البنية العظيمة..

مداخلة: .... عفا الله عنك مكة.

● **س: لكن يا شيخ أطلقوا عليها أم القرى، هل..؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قيل: أنها دحيت القرى منها.

○ **الجواب**: قيل: لأنها دحيت القرى منها، أو لأنها ترجع إليها القرى، نعم.

الملقي: وقوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾؛ أي: دلالات ظاهرة.

الشيخ: قف على هذا سم اللَّهُمَّ صلِّ وسلم على محمد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ﴾؛ أي: دلالات ظاهرة أنه من بناء إبراهيم، وأن الله تعالى عَظَّمه وشرفه.

ثم قال تعالى: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ يعني: الذي لَمَّا ارتفع البناء استعان به على رفع القواعد منه والجدران، حيث كان يقف عليه ويناوله

ولده إسماعيل، وقد كان ملتصقًا بجدار البيت، حتى أخّره عُمَر بن الخطاب رضي الله عنه، في إمارته إلى ناحية الشرق بحيث يتمكن الطُّوَّاف، ولا يُشَوِّشون على المصلين عنده بعد الطواف؛ لأن الله تعالى قد أمرنا بالصلاة عنده حيث قال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وقد قدمنا الأحاديث في ذلك، فأغْنَى عن إعادته هاهنا، ولله الحمد والمنة.

وقال العَوْفي عن ابن عباس في قوله: ﴿فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾؛ أي: فمنهُنَّ مقام إبراهيم والمَشْعَر.

وقال مجاهد: أثرُ قدميه في المقام آية بينة. وكذا روي عن عُمر بن عبد العزيز، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي، ومُقَاتِل بن حَيّان، وغيرهم.

وقال أبو طالب في قصيدته:

ومَوْطِئ إبراهيم في الصخر رَطْبَةٌ   على قدَميه حافيًا غير ناعلِ

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد وعَمْرو الأَوْدِي قالا: حدثنا وَكِيع، حدثنا سفيان، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾ قال: الحَرَم كله مقام إبراهيم. ولفظ عمرو: الحَجَر كله مقام إبراهيم.

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: الحج مقام إبراهيم. هكذا رأيت في النسخة، ولعله الحَجَر كله مقام إبراهيم، وقد صرح بذلك مجاهد.

وقوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾؛ يعني: حَرَمُ مكة إذا دخله الخائف يأمنُ من كل سوء، وكذلك كان الأمر في حال الجاهلية، كما قال الحسن البصري وغيره: كان الرجل يَقْتُل فيَضَع في عُنُقِه صوفَة ويدخل الحرم فيلقاه ابن المقتول فلا يُهَيِّجْهُ حتى يخرج.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأَشَجّ، حدثنا أبو يحيى

التَّيْمِيّ، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ قال: من عاذ بالبيت أعاذه البيت، ولكن لا يؤوى ولا يُطْعَم ولا يُسقى، فإذا خرج أُخذ بذنبه.

وقال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤] وحتى إنه من جملة تحريمها حُرْمة اصطياد صيدها وتنفيره عن أوكاره، وحُرْمة قطع أشجارها وقَلْع ثمارها حَشيشها، كما ثبتت الأحاديث والآثار في ذلك عن جماعة من الصحابة مرفوعًا وموقوفًا.

ففي الصَّحيحين، واللفظ لمسلم، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم الفتح فتح مكة: «**لا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ ونية، وإذَا استُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا**»[1]، وقال يوم الفتح فتح مكة: «**إنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ والأرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحرمَةِ الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا في ساعة من نهار، فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يُعْضَد شَوْكُهُ، ولا يُنَفَّرُ صَيْدُهُ، ولا يَلْتَقطْ لُقَطتَه إلا من عَرَّفها، ولا يُخْتَلى خَلاها**»، فقال العباس: يا رسول الله، إلا الإذْخِرَ، فإنه لقَيْنهم ولبُيوتهم، فقال: «**إلا الإذْخِر**».

ولهما عن أبي هريرة، مثله أو نحوه ولهما واللفظ لمسلم أيضًا عَن أبي شُرَيح العَدوي أنه قال لعَمْرو بن سعيد، وهو يبعث البعوث إلى مكةَ: ائذَنْ لي أيها الأمير أن أُحدِّثك قَولًا قام به رسول الله ﷺ الغَدَ من يوم الفتح سَمعَتْه أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين تكلم به، إنه حَمد الله

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في كتاب جزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة برقم (١٨٣٤)، ومسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها برقم (١٣٥٣).

وأثنى عليه ثم قال: «**إنَّ مَكَّةَ حَرَّمَهَا اللهُ ولَمْ يُحَرِّمْهَا النَّاسُ، فَلا يَحِلُّ لامرئ يُؤْمِنُ باللهِ والْيَوْمِ الآخر أنْ يَسْفِكَ بِهَا دَمًا، ولا يَعْضد بِهَا شَجَرةً، فَإنْ أحَدٌ تَرخَّصَ بِقِتَالِ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِيهَا فَقُولُوا له: إنَّ اللهَ أذِنَ لِرَسُولِهِ وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وإنَّمَا أذِنَ لِي فِيهَا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأمْسِ فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهدُ الغائِبَ**»(١)، فقيل لأبي شُرَيح: ما قال لك عَمْرو؟ قال: أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح، إن الحَرَم لا يُعيذ عاصيًا ولا فَارًّا بِدَمٍ ولا فارًّا بخَزْيَة.

وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يَحِلُّ لأحَدِكُمْ أنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ السِّلاحَ**»(٢) رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عَدِيّ بن الحمراء الزهري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، وهو واقف بالحَزْوَرَة في سوق مكة: «**واللهِ إنَّكِ لَخَيْرُ أرْضِ اللهِ، وأحَبُّ أرْضِ اللهِ إلَى اللهِ، ولَوْلا أنِّي أُخْرِجْتُ مِنْك مَا خَرَجْتُ**».

رواه الإمام أحمد، وهذا لفظه، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وقال الترمذي: حسن صحيح وكذا صَحَّح من حديث ابن عباس نحوه وروى أحمد عن أبي هريرة، نحوه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا بِشْر بن آدم ابن بنت أزهر السمَّان، حدثنا أبو عاصم، عن زُرَيق بن مسلم الأعمى مولى بني مخزوم، حدثني زياد بن أبي عياش، عن يحيى بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَة، في قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ﴾ قال: آمنًا من النار.

وفي معنى هذا القول الحديثُ الذي رواه البيهقي: أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عَبْدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، حدثنا

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٢٩٣).

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ٢٩٤).

محمد بن سليمان الواسطي، حدثنا سعيد بن سليمان، حدثنا ابن المُؤَمَّل، عن ابن مُحَيْصِن، عن عطاء، عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ دَخَلَ الْبَيْتَ دَخَلَ فِي حَسَنَةٍ وَخَرَجَ مِنْ سَيِّئَةٍ وَخَرَجَ مَغْفُورًا لَهُ**»(١). ثم قال: تفرد به عبد الله بن المؤمل، وليس بقوي.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ هذه آية وُجُوب الحج عند الجمهور. وقيل: بل هي قوله: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٦] والأول أظهر.

وقد وَرَدَت الأحاديثُ المتعددة بأنه أحدُ أركان الإسلام ودعائمه وقواعده، وأجمع المسلمون على ذلك إجماعًا ضروريًّا، وإنما يجب على المكلَّف في العُمْر مَرّة واحدة بالنص والإجماع.

قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا الربيع بن مسلم القُرَشيّ، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ فَحُجُّوا**». فَقَالَ رَجُلٌ: أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ**». ثُمَّ قَالَ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**» ورواه مسلم، عن زُهَير بن حرب، عن يزيد بن هارون، به نحوه(٢).

وقد روى سُفْيان بن حسين، وسليمان بن كثير، وعبد الجليل بن حُمَيد، ومحمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن أبي سنَان الدؤلي ـ واسمه يزيد بن أمية ـ عن ابن عباس قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) السنن الكبرى (٥/ ١٥٨).

(٢) أخرجه في كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر برقم (١٣٣٧).

«**يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ**». قَالَ: فَقَامَ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ فَقَالَ: أَفِي كُلِّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**لَوْ قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَعْمَلُوا بِهَا أَوْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا، الْحَجُّ مَرَّةً فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**» رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه، والحاكم من حديث الزهري، به. ورواه شريك، عن سِمَاك، عن عِكرمة، عن ابن عباس، بنحوه. وروي من حديث أسامة يزيد(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا منصور بن وَرْدَان، عن علي بن عبد الأعلى، عن أبيه، عن أبي البَخْتَرِيّ، عن علِيّ قال: لما نزلت: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ قالوا: يا رَسُولَ اللهِ أَفِي كُلِّ عَامٍ فَسَكَتَ. فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَفِي كُلِّ عَامٍ قَالَ: «**لَا، وَلَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ**». فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة: ١٠١].

وكذا رواه الترمذي، وابن ماجه، والحاكم، من حديث منصور بن وَرْدان، به. ثم قال الترمذي: حسن غريب(٢).

وفيما قال نظر؛ لأن البخاري قال: لم يسمع أبو البَخْتَرِيّ من عليّ.

وقال ابن ماجه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمَيْر، حدثنا محمد بن أبي عُبَيدة، عن أبيه، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن أنس بن مالك قال: قالوا: يا رسول الله، الحج في كل عام؟ قال: «**لَوْ قُلْتُ: نعم،**

---

(١) أخرجه النسائي في كتاب مناسك الحج، باب وجوب الحج برقم (٢٦٢٠)، والإمام أحمد (١/ ٢٥٥، ٢٩٠، ٣٧١).

(٢) أخرجه في كتاب الحج، باب ما جاء: كم فرض الحج برقم (٨١٤)، والإمام أحمد (١/ ١١٣).

لوجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لَمْ تَقُومُوا بِهَا، ولَوْ لَمْ تَقُومُوا بِهَا لَعُذِّبتُمْ»(١).

وفي الصَّحيحين من حديث ابن جُرَيْج، عن عطاء، عن جابر، عن سُراقة بن مالك قال: يا رسول الله، مُتْعَتنا هذه لعامنا هذا أم للأبد؟ قال: «**لا، بَلْ لِلأبَدِ**». وفي رواية: «**بل، لأبد أبَدٍ**».

وفي مسند الإمام أحمد، وسنن أبي داود، من حديث واقد بن أبي واقد الليثي، عن أبيه؛ أن رسول الله ﷺ قال لنسائه في حجته: «**هَذِهِ ثُمَّ ظُهُورَ الحُصْرِ**»؛ يعني: ثم الزَمْنَ ظُهور الحصر، ولا تخرجن من البيوت.

وأما الاستطاعة فأقسام: تارة يكون الشخص مستطيعًا بنفسه، وتارة بغيره، كما هو مقرر في كتب الأحكام.

قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا عَبْدُ بن حميد، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا إبراهيم بن يزيد قال: سمعت محمَّد بن عَبَّاد بن جعفر يحدث عن ابن عمر قال: قام رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: مَن الحاجّ يا رسول الله؟ قال: «**الشَّعثُ التَّفِل**»، فقام آخر فقال: سُئِلَ أَيُّ الْحَجِّ أَفْضَلُ يا رسول الله؟ قال: قَالَ: «**الْعَجُّ وَالثَّجُّ**»، فَقَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: مَا السَّبِيلُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ**»(٢).

وهكذا رواه ابن ماجه من حديث إبراهيم بن يزيد وهو الخُوزي. قال الترمذي: ولا نعرفه إلا من حديثه، وقد تكلم فيه بعض أهل العلم من قِبل حفظه. كذا قال هاهنا. وقال في كتاب الحَجّ: هذا حديث حسن ولا يشك أن هذا الإسناد رجاله كلهم ثقات سوى الخوزي هذا، وقد تكلموا فيه من أجل هذا الحديث.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب المناسك، باب فرض الحج برقم (٢٨٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الحج، باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة برقم (٨١٣)، وابن ماجه في كتاب المناسك، باب ما يوجب الحج برقم (٢٨٩٧).

لكن قد تابعه غيره، فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله العامري، حدثنا محمد بن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي، عن محمد بن عباد بن جعفر قال: جلست إلى عبد الله بن عمر قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال له: ما السبيل؟ قال: «**الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ**». وكذا رواه ابن مَرْدُويَه من رواية محمد بن عبد الله بن عُبَيد بن عمير، به.

ثم قال ابن أبي حاتم: وقد روي عن ابن عباس، وأنس، والحسن، ومجاهد، وعطاء، وسعيد بن جبير، والربيع بن أنس، وقتادة نحو ذلك.

وقد روي هذا الحديث من طُرُق أخَر من حديث أنس، وعبد الله بن عباس، وابن مسعود، وعائشة كُلها مرفوعة، ولكن في أسانيدها مقال كما هو مقرر في كتاب الأحكام، والله أعلم.

وقد اعتنى الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويه بجمع طرق هذا الحديث. ورواه الحاكم من حديث قَتَادَة عن حماد بن سلمة، عن قتادة، عن أنس؛ أن رسول الله ﷺ سئل عن قول الله: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ فقيل: ما السبيل؟ قال: «**الزَّاد والرَّاحِلَة**». ثم قال: صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

وقال ابن جرير: حدثني يعقوب، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن يُونس، عن الحسن قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾، قالوا: يا رسول الله، ما السبيل؟ قال: «**الزَّادُ والرَّاحِلَةُ**»، ورواه وَكِيع في تفسيره، عن سفيان، عن يونس، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أنبأنا الثوري، عن إسماعيل - وهو أبو إسرائيل الملائي - عن فُضَيْل - يعني: ابن عمرو - عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَعَجَّلُوا**

إِلَى الْحَجِّ - يَعْنِي: الْفَرِيضَةَ - **فَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَا يَعْرِضُ لَهُ**»[(١)]، وقال أحمد أيضًا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الحسن بن عمرو الفُقَيْمي، عن مِهْرَان بن أبي صفوان عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَرَادَ الحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ**».

ورواه أبو داود، عن مسدد، عن أبي معاوية الضرير، به.

وقد روى ابن جُبَير، عن ابن عباس في قوله: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾، قال: من مَلَك ثلاثمائة دِرْهم فقد استطاع إليه سبيلًا.

وعن عِكْرمة مولاه أنه قال: السبيل الصِّحَّة.

وروى وَكِيعُ بن الجَرّاح، عن أبي جَنَاب - يعني: الكلبي - عن الضحاك بن مُزاحِم، عن ابن عباس قال: ﴿مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ﴾ قال: الزاد والبعير.

وقوله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغير واحد: أي: ومن جَحَد فريضة الحج فقد كفر، والله غني عنه.

وقال سَعيد بن منصور، عن سفيان، عن ابن أبي نَجيح، عن عِكْرِمة قال: لما نزلت: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥] قالت اليهود: فنحن مسلمون. قال الله ﷻ فاخْصَمْهُمْ فَحَجَّهُمْ؛ يعني: فقال لهم النبي ﷺ: «**إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى الْمسلمِينَ حَجَّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْه سَبِيلا**»، فقالوا: لم يكتب علينا، وأبَوْا أن يحجوا. قال الله: ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾.

وروى ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، نَحْوَه.

وقال أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الله بن جعفر، أخبرنا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣١٣).

إسماعيل بن عبد الله بن مسعود، أخبرنا مسلم بن إبراهيم وشَاذ بن فياض قالا: أخبرنا هلال أبو هاشم الخُراساني، أخبرنا أبو إسحاق الهمداني، عن الحارث، عن علي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً وَلَمْ يَحُجَّ بَيْتَ اللهِ، فَلا يَضُرُّهُ مَاتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرانِيًّا**»، ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ قَالَ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾. ورواه ابن جرير من حديث مسلم بن إبراهيم، به.

وهكذا رواه ابنُ أبي حاتم عن أبي زُرْعة الرازي: حدثنا هلال بن فياض، حدثنا هلال أبو هاشم الخراساني، فذكره بإسناده مثله. ورواه الترمذي عن محمد بن يحيى القُطَعي، عن مسلم بن إبراهيم، عن هلال بن عبد الله مولى رَبيعة بن عَمْرو بن مسلم الباهلي، به، وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي إسناده مقال، وهلال مجهول، والحارث يضعف في الحديث.

وقال البخاري: هلال هذا منكر الحديث. وقال ابن عَدِيّ: هذا الحديث ليس بمحفوظ.

وقد روى أبو بكر الإسماعيلي الحافظ من حديث أبي عمرو الأوزاعي، حدثني إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، حدثني عبد الرحمٰن بن غَنْم أنه سمع عمر بن الخطاب يقول: من أطاق الحج فلم يحج، فسواء عليه يهوديًّا مات أو نصرانيًّا.

وهذا إسناد صحيح إلى عمر رضي الله عنه، وروى سَعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال: قال عمر بن الخطاب: لقد هممت أن أبعث رجالًا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جَدةٌ فلم يحج، فيضربوا عليهم الجِزْية، ما هم بمسلمين. ما هم بمسلمين.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧][(١)].

المراد هنا: جميع الناس، كلهم قد فرض عليهم الحج، لكن يشترط الإسلام، شرط أن يسلموا ولو حجوا قبل الإسلام لا يصح، الناس كلهم عليهم الحج، لكن المسلم عليه مع الاستطاعة لأنه قد دخل في الإسلام ويطالب بأعمال الإسلام المفروضة من صلاةٍ وزكاةٍ وصومٍ وحج، أما الكفار فعليهم أن يسلموا وعليهم أن يقوموا بهذا الواجب، فهم مخاطبون بهذه الشريعة، مخاطبون بالصلاة والصوم والحج وغير ذلك، لكن لا تصح منهم حتى يأتوا بشرطها وهو الإسلام، فالناس بغير إسلام أعمالهم باطلة، يقول ﷻ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾، فهم كلهم مخاطبون بأعمال الشريعة وفروضها وفروعها، لكن لا تصح منهم هذه الفروع حتى يأتوا بالأصل وهو الشهادتان، توحيد الله والإخلاص له وأنه مستحق العبادة، والشهادة للرسول محمد ﷺ بالرسالة وسائر النبيين والمرسلين والإيمان بأنه خاتم النبيين وبأن كل ما أخبر بالله به ورسوله حق، فلا بد من هاتين الشهادتين، الشهادة بأنه لا إلٰه إلا الله؛ أي: لا معبود حق إلا الله، هو الذي يعبد بالحق ﷻ، وما عبده الناس من أصنام أو أموات أو أشجار أو أحجار كله باطل، كما قال سبحانه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَـٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وكذلك لا بد من الشهادة بأن محمدًا رسول الله، محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي العربي المكي ثم المدني ثم لا بد من الشهادة بأنه رسول الله حق وبأنه خاتم الأنبياء، فالذي لم يأتِ بهاتين الشهادتين عن

(١) من فتاوى نور على الدرب (٢٧/ ٨١).

صدقٍ وإيمان ما تصح صلاته ولا صومه ولا زكاته ولا حجّه ولا سائر عباداته حتى يُسلِم، حتى يدخل في دين الله بالشهادتين، وبالإيمان بكل ما أخبر الله به، وبكل ما أخبر به رسوله، فإذا أسلم وجب عليه أداء هذه الحقوق من صلاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وغير ذلك، والحج مع الاستطاعة.

* *

☐ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧]**[١].

هذه الآية الكريمة فيما يتعلق بالحج، الحج أحد أركان الإسلام الخمسة وهو الركن الخامس، وهو فرض على كل المكلَّفين المستطيعين من الرجال والنساء من المسلمين مرة في العمر؛ لقوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾. فهو نعمة من الله وفضل منه ﷻ على عباده أن شرع لهم هذه العبادة العظيمة، التي فيها إقامة ذكر الله وإحياء مشاعر الحج والتأسي بالأنبياء في ذلك، مع ما في ذلك من العبادات العظيمة المتنوعة، مع ما في ذلك من جمع المسلمين كل عام يرى بعضهم بعضًا ويعرف بعضهم بعضًا ويتعاون بعضهم مع بعض ففيه مصالح كثيرة؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾، قال: ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٩٦]، والعمرة هي الزيارة للبيت يقال لها: عمرة، وإذا جمعها مع الحج فلا بأس وإن أفردها وحدها فهو أفضل، والواجب مرة في العمر؛ لقوله ﷺ لما سُئل عن ذلك قال: «**الحَجُّ مَرَّةً فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**»[٢] هذا من فضل الله ﷻ؛ لأن الحج له مشقة قد يكون بعض المسلمين في بلاد بعيدة، فمن رحمة الله

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللهُ لكتاب رياض الصالحين (٤/ ٥).
(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (١/ ٢٩٠).

أن جعله مرة في العمر وما زاد فهو فضل، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**الحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**»(١)، في اللفظ الآخر: «**تَابِعُوا بَيْنَ الحَجِّ وَالعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الكِيرُ خَبَثَ الحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ**»، قال ﷺ: «**العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ**»، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: «**مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»؛ يعني: رجع من ذنوبه؛ يعني: كفَّر الله خطاياه.

فهو أحد أركان الإسلام الخمسة التي لا يقوم بناؤه إلا عليها في حق المستطيعين، وهو مرة في العمر ولهذا قال: «**إِنَّ اللهَ ﷻ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا**» فسأله أعرابي: (**أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسولَ اللهِ؟**) قال: «**لَوْ قُلْتُ نَعَمْ لَوَجَبَتْ**» «**الحَجُّ مَرَّةً فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ**»، قال ﷺ: «**إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَن شَيْءٍ فَدَعُوهُ ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ**».

فالواجب على المكلفين امتثال أوامر الله حسب الطاقة، وترك ما نهى الله عنه؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فالأوامر يجب أن تنجز حسب الطاقة، والنواهي يجب تركها واجتنابها كلها، ولما سُئِلَ النبي ﷺ: (**أَيُّ العَمَلِ أَفْضَلُ؟**) **قَالَ**: «**إِيمَانٌ بِاللهِ وَرسولِهِ**»؛ يعني: توحيد الله والإخلاص والإيمان به وبرسله، (**قيل: ثُمَّ ماذا؟**) **قَالَ**: «**الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ**» (**قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟**) **قَالَ**: «**حَجٌّ مَبرُورٌ**»،

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب العمرة، باب وجوب العمرة وفضلها برقم (١٧٧٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة برقم (١٣٤٩).

هذا يدل على فضل الجهاد، وأنه أفضل الأعمال بعد الواجبات بعد الفرائض، وأنه مقدم على حج النافلة، وبعد الجهاد الحج المبرور؛ يعني: النافلة، المبرور هو الذي برَّ فيه صاحبه بأداء الفرائض وترك المحارم، هذا المبرور الذي برَّ فيه صاحبه بأداء ما فرض الله في الحج، وترك ما حرَّم الله من سائر الأعمال والأقوال، ومن ذلك الكسب الطيب والنفقة الطيبة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [آل عمران: ٩٨، ٩٩](١).

هذا تعنيف من الله تعالى لكَفَرة أهل الكتاب، على عنادهم للحق، وكفرهم بآيات الله، وصَدِّهم عن سبيله مَنْ أراده من أهل الإيمان بجهدهم وطاقتهم مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله، بما عندهم من العلم عن الأنبياء الأقدمين، والسادة المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وما بَشَّروا به ونوَّهُوا، من ذِكْر النبي ﷺ الأميّ الهاشمي العربي المكّيّ، سيد ولد آدم، وخاتم الأنبياء، ورسول رب الأرض والسماء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نعم، كان المقام يقتضي أن هو بما علمهم بأنه جاء بالحق، بما ويحتمل أنه صحيح. . . . ثم جاء ما جاء بالحق بالآيات التي جاء بها

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، في عام ١٤٠٤هـ.

المعجزات وبما عندهم من هذا وهذا، وهذا أبلغ بالواو أبلغ نعم، بالواو أبلغ. يعني: أنهم قد علموا. اليهود قد علموا أنما جاء به الحق من المعجزات التي ظهرت على يديه عليه الصلاة والسلام من انشقاق القمر.. انشقاق القمر وإخباره بأفعال الماضين التي جحدوها، وما حصل، ومن نبوع الماء من بين أصابعه، وما حصل من بركة الطعام في وقائع كثيرة.. إلى غير هذا من المعجزات التي علموها أو علمها غيرهم، وأنها دالة على أنه رسول الله حقًّا، وهم مع ذلك عندهم أيضًا من العلوم الماضية: علوم التوراة، وعلوم الأنبياء الماضين ما يدلهم على أنه حق عليه الصلاة والسلام، نعم. ولكن مع هذا كله حملهم البغي.. حملهم العناد والتكبر وحب الرياسة والطمع في الدنيا على أن جحدوا ما جاء به عليه الصلاة والسلام، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وما بشروا به من ذكر النبي الأمي الهاشمي العربي المكي سيد ولد آدم وخاتم الأنبياء ورسول رب الأرض والسماء، وقد توعدهم الله على ذلك وأخبرهم بأنه شهيد على صنيعهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا توبيخ لهم على أمرين: توبيخ لهم على كفرهم: ﴿لِمَ تَكْفُرُونَ﴾ وتوبيخ لهم على صدِّهم الناس عن الحق، نسأل الله العافية، وهم قد جمعوا بين الأمرين بين الكفر والصد، حيث... ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ﴾ [النحل: ٨٨] عذابًا على كفرهم وعذابًا آخر على صدهم عن الحق، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد توعَّدهم الله تعالى على ذلك وأخبر بأنه شهيد على صَنِيعهم

ذلك. وما خالفوا ما بأيديهم عن الأنبياء، ومقاتلتهم الرسول المُبشر به بالتكذيب والجحود والعناد، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون؛ وسيجزيهم على ذلك يوم لا ينفعهم مال ولا بنون.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران: ١٠٠ ـ ١٠٧](١).

هذا نداء لأهل الإيمان؛ ليستقيموا على تقوى الله، ويعتصموا بحبله ﷻ، وسبق أن ذكرنا أن القرآن الكريم من أوله إلى آخره كله توجيه إلى الخير، وكله دِلالة على أسباب النجاة، وكله تنبيه على ما فيه صالح العبد ونجاته وعاقبته الحميدة، وتحذير له مما يضره في العاجل والآجل.

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان حفظه الله (ص٢٢٨).

ولهذا أمر الله سبحانه بالتعقل والتدبر، وأوصى بذلك؛ لأن هذا الكتاب العظيم لم يُنزَّل لمجرد الحفظ أو التلاوة، ولكنه أُنزل للعمل والاستفادة، فمن أعرض عنه هلك، ومن أقبل عليه واستفاد منه، فيتدبره ويتعقله ليعمل به وليستفيد منه في العاجل والآجل، وليوجه الناس إليه فيحصل بذلك الخير العظيم والعاقبة الحميدة.

وإنما هلك من هلك بالإعراض عن هذا الكتاب العظيم، وعدم تحكيمه، وعدم التدبر له، وعدم الاستفادة مما فيه من الخير العظيم، وإنما نجا من نجا، وسعد من سعد، وفاز من فاز بالإقبال على هذا الكتاب العظيم علمًا وعملًا، وكان حظ الصحابة ﷺ وأرضاهم من هذا الكتاب هو الحظ الأوفر، فكانت علومهم منبثقةً من هذا الكتاب العظيم مع ما حفظوا من سُنَّة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ.

فجدير بطالب العلم أن يُعنى بهذا الكتاب وأن يعَضَّ عليه بالنواجذ، وأن يكون جَليسه وسَميره، وأن يُعنى بالتعقل والتدبر في كل وقت حسب الطاقة والإمكان، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ فسَّر أهل العلم: حق تقاته بالتقوى حسب الطاقة؛ أي: اتقوا الله حسب ما تُطيقون وما تستطيعون، فإنه سبحانه لا يكلف نفسًا إلا وُسْعَها ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، فالمؤمن يؤدي واجباته من خلال فهمه لهذا القرآن كما أمره الله، بعناية وإقبال وإخلاص وصدق، حتى يُطبِّقَه كما شرعه الله ﷻ حسب طاقته وإمكانه، فالصحيح على حسب حاله، والمريض على حسب حاله، والغني على حسب حاله، والفقير على حسب حاله، وهكذا في السفر والإقامة والشدة والرخاء، وغير ذلك.

﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ المعنى: استمروا على التقوى، واثبتوا عليها حتى يأتي الموت وأنتم على ذلك، وهذا من باب الأخذ بالأسباب، فالتوفيق بيد الله ﷻ فهو الموفق الهادي، وهو المثبت، ولكن

من أخذ بالأسباب هو حَرِيٌّ بالتوفيق؛ فالمعنى: استقيموا واستمروا على الخير واثبتوا عليه، واسألوا الله الثبات عليه، وخذوا بالأسباب التي هي من أسباب الثبات عليه حتى تلقوا الله ﷻ.

والتقوى: هي تعظيم الله، وتعظيم حُرُماته، ومراقبته، والإقبال عليه، والإخلاص له بأداء الفرائض وترك المحارم، والوقوف عند الحدود عن رغبة وإيمان وعن خوف وعناية وإخلاص.

فالمتقي لله هو الذي يعظِّم حُرُمات الله، والذي يخاف الله ويرجوه، والذي يؤدي فرائضه ويحذر محارمه عن خوف وعن إيمان وعن تقوى وعن إخلاص لا عن مجرد عادة، بل هو يندفع إلى هذه الأمور عن دافع قلبي وعن إخلاص ورغبة فيما عند الله.

﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ۚ﴾ (حَبْلُ الله): فُسّر بدينه، وفُسّر بالإسلام، وفُسّر بالقرآن، وكلها في المعنى متوافقة، فمن تمسَّك بالقرآن فقد تمسك بالدين، ومن تمسَّك بالدِّين فقد تمسَّك بالقرآن، ومن تمسَّك بالإسلام فقد تمسك بالقرآن، فالإسلام هو الدين. والمقصود: الحثُّ والتحريض على التمسُّك بما جاء به المصطفى ﷺ من الهدى وعدم الحَيْدِ يمينًا أو شمالًا؛ بل يلزم دين الله ويستقيم عليه ولا يحيد عنه.

ثم من أعظم المهمات: الاجتماع وعدم التفرق، فإن التفرق هو سُلَّمٌ لأعداء الله، وهو جندٌ لهم على المسلمين، فمن أعظم الأسلحة للعدو: تفرّق المسلمين وتنابزهم واختلافهم، حتى يطمع فيهم العدو وحتى يضرب بعضهم ببعض، كما يُقال عنهم: (فَرِّقْ تَسُدْ). أما الاجتماع والتعاون والصدق في ذلك والتكاتف فهو جندٌ للمسلمين على عدوهم، وهو من أسباب نصرتهم على عدوهم ومن أسباب نجاحهم، بل إن من أعظم الأسباب للنجاة والسعادة والفوز بالكرامة والنصر والعاقبة الحميدة: الاتحاد على الحق، والتعاون في نَصرِه والتكاتف في ذلك،

والحذر من أسباب الفشل التي قد يصاب بها بعض الناس حتى يضيع الحق بينهم.

ثم يُذكِّر عباده بنعمة الله عليهم، فكان الناس على فُرقةٍ واختلاف في الجاهلية وتناحر وحروب دائمة عند أتفَهِ الأسباب وأقلها، ولا سيما بين سُكان المدينة: الأوس والخزرج الذين كانت بينهم الحروب المتكررة، حتى ذهبت فيها الأرواح الكثيرة، فالله ﷻ جمعهم بهذا الخير: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأنفال: ٦٣] فصاروا إخوانًا مُتحابين في الله، متعاونين على البر والتقوى، أنصارًا للحق، دعاةً للهدى ببركة هذا الخير، وهذا الإسلام الذي دعا إليه رسول الله ﷺ.

ولهذا قال ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾، يبيِّن سبحانه الآيات والحجج والبراهين ليهتدي من قدّر الله له الهداية، وليستفيد من طَلَبُه الحق.

ثم حذَّر من الاختلاف وبيّن حال المختلفين، وما يحصل لهم من الكفر والضلال واسوداد الوجوه، وحالة المتبعين للحق والقائمين به والثابتين عليه، وما يحصل لهم من السعادة وبياض الوجوه والفوز بالجنة والرحمة، وهكذا تكون العواقب، من استقام على أمر الله وثبت على الحق فله العاقبة الحميدة، وهو مِمَّن يَبْيَضُّ وجهه يوم القيامة، ويفوز بالرحمة والسعادة، ومن كفر بالله وأعرض عن دينه، وكذّب فعاقبته النار وسوادُ الوجوه، نعوذ بالله من ذلك.

ثم يبيِّن ﷻ الآمر والناهي والداعي إلى الله، والمفلح على الحقيقة، فيقول ﷻ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فدُعاة الخير إن أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر هم أهل الفلاح على الكمال، فدل ذلك

على نقص مَن تساهلَ بهذا الأمر ولم يستقم عليه، وأنهم ليسوا من أهل الفلاح الكامل، وأن أهل الفلاح الكامل هم الدُّعاة إلى الخير عن إخلاصٍ، وعن إيمانٍ، وعن صدق، وهم الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، فهؤلاء هم ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، والله يصف أولياءه بصفات متعددة في مواضع كثيرة، فتارة يصفهم بأنهم أهل الإيمان والعمل الصالح، وتارة يصفهم بأنهم أهل التقوى، وتارةً يصفهم بأنهم أهل الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وتارة يصفهم بأنهم أهل الفلاح الذين فعلوا كذا وفعلوا كذا من الأعمال الصالحة ودعوا إلى الخير وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، فأنت إذا تأملت كتاب الله وجدته يُنوّع صفات المؤمنين ويُعددها؛ حتى يُلاحظها المؤمن، وحتى يجتهد في أن يطبق أعماله وأقواله على مقتضى هذه الصفات، فإذا رأى في موضع الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، جاهد نفسه في ذلك حتى يكون من أهل هذه الصفات الثلاث، وإذا رأى في موضع آخر الإيمان والعمل الصالح والتواصي بالحق والتواصي بالصبر جاهد نفسه في ذلك حتى يكون من أهل الإيمان ومن أهل العمل الصالح ومن أهل التواصي بالحق والصبر عليه، وإذا رأى في موضع آخر أن أولياء الله هم أهل التقوى وهم أهل القول السديد: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]، لاحظ ذلك وحفظ لسانه وجاهده حتى لا يقول إلا خيرًا، وإذا رأى في موضع آخر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، جاهد نفسه في الصدق في أقواله وأعماله، وهكذا.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٠١﴾ [آل عمران: ١٠٠، ١٠١](١).

يحذر تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن أن يطيعوا طائفة من أهل الكتاب الذين يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله، وما منحهم به من إرسال رسوله، كما قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ الآية [البقرة: ١٠٩]. وهكذا قال هاهنا: ﴿إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبيِّن لنا أن طاعة أعداء الله من أهل الكتاب اليهود والنصارى عاقبتها وخيمة، وأن طاعتهم من أسباب رد الناس إلى الكفر بالله، وفريق منهم يعني: من حسدتهم والمعاندين منهم وأهل الكيد والعلم منهم الذين يريدون بالمسلمين الدوائر، بخلاف العامة فإنه ليس عندهم بصيرة وليس عندهم العلم بما جاءت به الرسل، وإنما هم أتباع لقادتهم وكبرائهم، قال: ﴿فَرِيقًا﴾، يعني: أن أهل الكتاب فيهم من يقصد إضلالكم، ويقصد حيدكم عن الطريق وإيقاع الشر عليكم، وهناك أناس عامة ليس لهم شيء في هذا، وإنما همهم شهواتهم وأهواءهم وغير ذلك من متاع اليوم العاجل. فطاعة الكفرة عاقبتها وخيمة، ولما كان الكفرة من شأنهم العداوة للمؤمنين والبغض للمؤمنين وحب الشر لهم قال في الآية الأخرى.. عمَّم في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، فعمَّم الجميع من أهل الكتاب وغيرهم، فطاعة الكفرة وقَبول آرائهم هما من أسباب ضلال العباد وكفر العباد، ومن أسباب الخيبة والخسارة. فالواجب على المسلم الحذر من كيدهم، وإن أبدوا النصح فالواجب الحذر، ولا يقبل منهم أبدًا إلا ما عرف أنه نافع وطيب، وإلا فالواجب الحذر، نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾؛ يعني: أن الكفر بعيد منكم وحاشاكم منه فإن آيات الله تنزل على رسوله ليلًا ونهارًا، وهو يتلوها عليكم ويبلغها إليكم، وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الآية [الحديد: ٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أنه جدير بكم الإيمان أنتم أهله، وحقيق بكم أن تؤمنوا؛ لأن كتاب الله يتلى عليكم والرسول بين أظهركم يأمركم وينهاكم ويبشركم، وأنتم تشاهدون علامات النبوة ودلائل الصدق، فجدير بكم أن تؤمنوا، يعني: ويستنكر أن تكفروا، ويستبعد أن تكفروا وأنتم تتلى عليكم هذه الآيات والدلائل والمعجزات الباهرات على صدقه، وأنه رسول الله حقًّا عليه الصلاة والسلام.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكما جاء في الحديث: أن النبيَّ ﷺ قال لأصحابه يومًا: «**أي الخلق أعجب إليكم إيمانًا؟**» قالوا: الملائكة، قال: «**وما لهم لا يؤمنون وهم عند ربهم؟**»، قالوا: فالنبيون. قال: «**وما لهم لا يؤمنون والوحي ينزل عليهم؟**»، قالوا: فنحن. قال: «**وما لكم لا تؤمنون وأنا بين**

أظهُركم؟»، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**إن أعجب الخلق إليَّ إيمانًا لَقوم يكونون بعدكم يجدون صحفًا فيها كتاب يؤمنون بما فيها**»، وقد ذكرت سند هذا الحديث والكلام عليه في أول شرح البخاري(١)، ولله الحمد.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾؛ أي: ومع هذا الاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد وطريق السداد وحصول المراد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراد.. المراد.

الملقي: [وحصول المراد].

مداخلة: الحديث السابق يا شيخ؟!

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما أذكر سنده، وما كان ينبغي للمؤلف أن يقول هذا الكلام، كان ينبغي أن يذكره هنا ولا يكتفي بشرح البخاري.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢، ١٠٣](٢).

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سِنان، حدثنا عبد الرحمٰن، عن سفيان وشُعْبَة، عن زُبَيْد اليامِيّ، عن مُرَّة، عن عبد الله ـ هو: ابن

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٨/ ٣).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مسعود ـ ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، قال: أن يُطاع فلا يُعْصَى، وأن يُذْكَر فلا يُنْسَى، وأن يُشْكَر فلا يُكْفَر[1].

وهذا إسناد صحيح موقوف، وقد تابع مرة عليه عمرو بن ميمون عن ابن مسعود.

وقد رواه ابن مَرْدُويه من حديث يونس بن عبد الأعلى، عن ابن وَهْب، عن سفيان الثوري، عن زُبَيْد، عن مُرَّة، عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾: **أن يُطَاعَ فَلا يُعْصَى، وَيُشْكَرَ فَلا يُكْفَرَ، ويُذْكَر فَلا يُنْسَى**».

وكذا رواه الحاكم في مستدركه، من حديث مِسْعَر، عن زُبَيْد، عن مُرَّة، عن ابن مسعود، مرفوعًا فذكره. ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. كذا قال. والأظهر أنه موقوف والله أعلم.

ثم قال ابن أبي حاتم: ورُوي نحوهُ عن مُرة الهَمْداني، والربيع بن خُثَيم، وعمرو بن ميمون، وإبراهيم النَّخَعي، وطاووس، والحسن، وقتادة، وأبي سِنان، والسُّدِّي، نحوُ ذلك.

وروي عن أنس أنه قال: لا يتقي العبد الله حق تقاته حتى يخزن من لسانه.

وقد ذهب سعيد بن جُبَير، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، ومقاتل بن حَيّان، وزيد بن أسلم، والسُّدِّي وغيرهم إلى أن هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال علي بن أبي طَلْحة، عن ابن عباس في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾، قال: لم تُنْسخ، ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ أن يجاهدوا في سبيله حق

---

(١) أورده ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الزهد (٨/ ١٦٣) برقم (٣٨)، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير ومن تفسير سورة آل عمران (٤/ ٣١٩٧) وصححه ووافقه الذهبي والطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٩٢) برقم (٨٥٠١).

جهاده، ولا تأخذهم في الله لَوْمَة لائم، ويقوموا بالقِسْط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم.

وقوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾؛ أي: حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم لتموتوا عليه، فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فعياذًا بالله من خلاف ذلك.

قال الإمام أحمد: حدثنا رَوْح، حدثنا شُعْبة قال: سمعتُ سليمان، عن مجاهد، أنّ الناس كانوا يطوفون بالبيت، وابنُ عباس جالس معه مِحْجَن، فقال: قال رسول الله ﷺ: «﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ **وَلَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّوم قُطِرَتْ لأمَرّتْ عَلَى أَهْلِ الأرْضِ عِيشَتَهُمْ فَكَيْفَ بِمَنْ لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إلا الزَّقُّومُ**».

وهكذا رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وابن حِبَّان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، من طرق عن شعبة، به. وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: على شرط الشيخين، ولم يخرجاه[(١)].

وقال الإمام أحمد: حدثنا وَكِيع، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وَهْب، عن عبد الرحمٰن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عَمْرو قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّار وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ، فَلْتُدْرِكْهُ مَنِيَّتُهُ، وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ، ويَأْتِي إلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أنْ يُؤتَى إلَيْهِ**».

وقال الإمام أحمد أيضًا: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل موته

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول برقم (١٨٤٤).

بثلاث: «**لا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إلا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ ﷻ**». ورواه مسلم من طريق الأعمش، به(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لَهِيعة، حدثنا أبو يونس، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللهَ ﷻ قَالَ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ**»(٢).

وأصل هذا الحديث ثابت في الصحيحين من وجه آخر، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً**»(٣).

وقال الحافظ أبو بكر البزّار: حدثنا محمد بن عبد الملك القُرَشي، حدثنا جعفر بن سليمان، عن ثابت ـ وأحسبه ـ عن أنس قال: كان رجل من الأنصار مريضًا، فجاءه النبي ﷺ يَعودُه، فوافقه في السوق فسلَّم عليه، فقال له: «**كَيْفَ أَنْتَ يَا فُلانُ؟**»، قال: بخير يا رسول الله، أرجو الله أخاف ذنوبي. فقال رسول الله ﷺ: «**لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم من حديث جابر في كتاب الجنة، باب الأمر بحسن الظن بالله تعالى عند الموت برقم (٢٨٧٧).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٣٩١).

(٣) سبق تخريجه في (٢/ ٥٤١).

(٤) أخرجه الترمذي من حديث أنس رضي الله عنه في كتاب الجنائز، باب برقم (٩٨٣)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له برقم (٤٢٦١).

ثم قال: لا نعلم رواه عن ثابت غير جعفر بن سليمان. وهكذا رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه من حديثه، ثم قال الترمذي: غريب. وقد رواه بعضهم عن ثابت مرسلًا.

فأما الحديث الذي رواه الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعبة، عن أبي بِشْر، عن يوسف بن مَاهُك، عن حكيم بن حِزَام قال: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ لَا أَخِرَّ إِلَّا قَائِمًا»(١). ورواه النسائي في سُننه عن إسماعيل بن مسعود، عن خالد بن الحارث، عن شعبة، به، وترجم عليه فقال: (باب كيف يخر للسجود) ثم ساقه مثله فقيل: معناه: على ألا أموت إلا مسلمًا، وقيل: معناه: على ألا أُقتل إلا مُقبِلًا غير مُدبِر، وهو يرجع إلى الأول.

وقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ قيل: ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بعهد الله، كما قال في الآية بعدها: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢]؛ أي: بعهد وذمة وقيل: ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾؛ يعني: القرآن، كما في حديث الحارث الأعور، عن علِيّ مرفوعًا في صفة القرآن: «**هُوَ حَبْلُ اللهِ الْمتِينُ، وَصِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ**».

وقد وَرَدَ في ذلك حديث خاص بهذا المعنى، فقال الإمام الحافظ أبو جعفر الطبري: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثنا أسباط بن محمد، عن عبد الملك بن أبي سليمان العَرْزَمي، عن عطية عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**كِتَابُ اللهِ، هو حَبْلُ اللهِ الْمَمْدُودُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ**».

وروى ابن مَرْدُويَه من طريق إبراهيم بن مسلم الهَجَرِيّ، عن أبي الأحْوَص، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ**

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢٤/٢٨) برقم (١٥٣١٢).

هو حَبْلُ اللهِ الْمتِينُ، وهو النور المبين وهُوَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمةٌ لِمَنْ تَمسَّكَ بِهِ، ونَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ».

ورُوِي من حديث حذيفة وزيد بن أرقم نحو ذلك. وقال وَكِيع: حدثنا الأعمش عن أبي وائل قال: قال عبد الله: إن هذا الصراط محتضر تحضره الشياطين، يا عبد الله، بهذا الطريق هلم إلى الطريق، فاعتصموا بحبل الله فإن حبل الله القرآن.

وقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ أمَرَهُم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة، وقد وردت الأحاديثُ المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، كما في صحيح مسلم من حديث سُهَيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ وَإِضَاعَةَ الْمَالِ وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ**»(١).

وقد ضُمِنتْ لهم العِصْمةُ، عند اتفاقهم، من الخطأ، كما وردت بذلك الأحاديث المتعددة أيضًا، وخِيفَ عليهم الافتراق، والاختلاف، وقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاث وسبعين فرقة، منها فرقة ناجية إلى الجنة ومُسَلمة من عذاب النار، وهم الذين على ما كان عليه رسولُ الله ﷺ وأصحابه.

وقوله: ﴿وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾، وهذا السياق في شأن الأوْس والخَزْرَج، فإنه كانت بينهم حُروبٌ كثيرة في الجاهلية، وعداوة شديدة

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة... برقم (١٧١٥).

وضغائن، وإحَنٌ وذُحُول طال بسببها قتالهم والوقائع بينهم، فلما جاء الله بالإسلام فدخل فيه من دخل منهم، صاروا إخوانًا متحابين بجلال الله، متواصلين في ذات الله، متعاونين على البر والتقوى، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣] وكانوا على شفا حُفْرة من النار بسبب كفرهم، فأبعدهم الله منها: أنْ هَدَاهُم للإيمان. وقد امتن عليهم بذلك رسولُ الله ﷺ يوم قَسَم غنائم حُنَيْنٍ، فَعتَبَ من عتب منهم لمّا فَضَّل عليهم في القِسْمَة بما أراه الله، فخطبهم فقال: «**يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ أَلَمْ أَجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بِي، وَكُنْتُمْ مُتَفَرِّقِينَ فَأَلَّفَكُمُ اللهُ بِي، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ بِي**»(١) كلما قال شيئًا قالوا: الله ورسوله أمنّ.

وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يَسار وغيره: أن هذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، وذلك أن رجلًا من اليهود مَرَّ بملأ من الأوس والخزرج، فساءه ما هُمْ عليه من الاتفاق والأُلْفَة، فبعث رجلًا معه وأمره أن يجلس بينهم ويذكرهم ما كان من حروبهم يوم بُعَاث وتلك الحروب، ففعل، فلم يزل ذلك دأبُه حتى حميت نفوس القوم وغضب بعضهم على بعض، وتثاوروا، ونادوا بشعارهم وطلبوا أسلحتهم، وتواعدوا إلى الحرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاهم فجعل يُسكِّنهم ويقول: «**أَبِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ وأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟**» وتلا عليهم هذه الآية، فندموا على ما كان منهم، واصطلحوا وتعانقوا، وألقوا السلاح رضي الله عنهم، وذكر عِكْرِمة أن ذلك نزل فيهم حين تثاوروا في قضية الإفْك. والله تعالى أعلم.

*

(١) متفق عليه من حديث زيد بن عاصم. أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب غزوة الطائف برقم (٤٣٣٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفة قلوبهم على الإسلام... برقم (١٠٦١).

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣﴾ [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣][1].

آيتان من كتاب الله من سورة آل عمران فيهما عظة وذكرى، وفيهما تذكير بما جرى في عهده عليه الصلاة والسلام.

وما حصل من الخير العظيم بسبب التقوى والاستقامة والاعتصام بحبل الله، ولا ريب أن التذكير بنعم الله والتنبيه على ما حصل للأولين من الخير العظيم، يدعو المتأخرين إلى التمسك بذلك الخير والأخذ به والسير عليه؛ لأن ما هدى الله به الأولين هو الذي يهدي به الآخرين ﵃.

وهاتان الآيتان من أعظم آيات كتاب الله، ومن الآيات الموجهة إلى الخير والهدى والاستقامة والإعداد للآخرة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾.

الأمر بالتقوى في كتاب الله متعددٌ في آيات كثيرة، تارة يأمر بذلك المؤمنين ﵃ ليلزموا التقوى ويستقيموا عليها، وتارة يوجه الأوامر إلى الناس عمومًا ليتَّقوه سبحانه بتوحيده والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه، وهكذا بعث الرسل يوجهوا الناس إلى الخير وليأمروا أتباعهم بالاستقامة على الحق الذي جاؤوا به، فيقول هنا سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾، ويقول في آيات

(١) حديث المساء (ص٦٨) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

أخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ﴾ [النساء: ١]؛ فالجميع خُلقوا ليتقوه، وجميع الناس مؤمنهم وكافرهم خُلقوا ليتقوا الله ﷻ، فمنهم من اتَّقى، وهم الأقلون، ومنهم من لم يتق، وهم الأكثرون ولا حول ولا قوة إلا بالله: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف١٠٣]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام: ١١٦].

فهو ﷻ بعث الرسل، وأنزل الكتب، وخلق الثقلين ليُعبد وحده لا شريك له، وأقام الحجة وقطع المعذرة، ومن الناس من وفُق وقبِلَ الحق، واهتدى بالهدى، وعرف صحة ما جاءت به الرسل، وعرف الآيات الدَّالات على ذلك، فهداه الله بالهدى واستقام على الأمر، واتقى ربه وفاز بالسعادة في الدنيا والآخرة، ومن الناس من عمي عن الهدى، ولم تنفعه الآيات، ولم يتعظ بما جاءت به الرسل فباء بالخيبة والخسارة وسوء المصير، والله يذكرنا بهذه الآية، ويدعونا إلى أن نموت مسلمين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾.

والصواب: أنها غير منسوخة وأن المعنى الزموا التقوى غاية الأمر، ولا ينافي ذلك قوله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

فمن اتقى الله ما استطاع فقد اتقى الله حق تقاته، هي تفسير وإيضاح، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، ومن استقام على أمر الله وعَبَده على بصيرة، وترك النواهي، واستقام على الأوامر، يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله، ووقف عند حدوده، واستمر في ذلك الأمر حتى لقي ربه، فقد اتقى الله حق تقاته، وقد اتقى الله ما استطاع، ومن تابع الهوى والشيطان وركب رأسه في فعل المحارم وترك الأوامر، فقد عرَّض نفسه لغضب الله وعرَّضها لسوء المصير، ولهذا قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «تقوى الله حق تقاته أن يطاع ولا يعصى، وأن يُشكر ولا يُكفر، وأن يُذكر، ولا يُنسى»؛ يعني: أن هذا من تقوى الله حق تقاته من تقوى الله

«أن يطاع ولا يُعصى، وأن يُشكر ولا يُكفر، وأن يُذكر، ولا يُنسى»(١).

وتقوى الله حق تقاته كلمة جامعة تجمع الخير كله، والتقوى هي جماع الدين، فالمتقي لله هو المؤمن بالله هو المسلم حقًّا هو البر هو الصالح هو المهتدي، فكلمات مختلفات الألفاظ متقاربات المعاني في الحقيقة؛ ولهذا قال طلق بن حبيب التابعي المعروف: «تقوى الله أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تدع معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله»(٢).

وعبارات العلماء متقاربة في هذا وجِماعها أنها ترك المعاصي، وأداء الفرائض على نور وهدى وعلى بصيرة وعلى علم، عن خشية لله، وعن رغبة فيما عنده لا عن حظ عاجل ولا عن رياء وسمعة؛ ولكن يدع المعاصي ويتبع الأوامر عن رغبة فيما عند الله، وعن طلب لمرضاته وعن خوف من عذابه وسخطه بخلاف من ترك ذلك لأغراض أخرى.

فعلى الراغب في النجاة أن يتقي الله حق تقاته، أن يتقي الله عن بصيرة وعن علم فيدع المعاصي ويحذرها ويبتعد عنها وعن أسبابها ووسائلها، ويحافظ على ما أوجب الله ويقف عند حدود الله ويسارع إلى الخيرات، ويسابق إلى الطاعات، هكذا المؤمن، هكذا المتقي لله ﷻ، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ الآية [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٥].

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤٩).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٧/ ٢١٧)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٢٨٥).

فالمتقي من شأنه العناية بأوامر الله عن رغبة فيما عند الله، عن إيمان صادق عن بصيرة، ومن صفته الحذر من معاصي الله والبُعد عنها، ومن صفاته المسابقة إلى الخيرات والمسارعة إلى ما يرضي الله ﷻ.

ومتى استمر على الخير واجتهد في ذلك، توفاه الله على الإسلام هذه سُنَّته في عباده؛ فالمعنى: الزموها واستقيموا عليها وحافظوا عليها حتى يأتي الموت وأنتم على ذلك، قال تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩].

فإذا كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يُؤمر بذلك وهو سيد ولد آدم وأكرم المتقين، فهكذا مَن بعده من باب أولى أن يتقي الله ويلزم الحق حتى يأتيه الموت وهو على ذلك، ثم قال: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ تأكيدًا لما تقدم وبيانًا للمنهج الذي يسير عليه والحجة التي يستند إليها: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ﴾ استمسكوا به واستقيموا عليه، وحبل الله هو دينه الذي جاء به كتابه العظيم وسُنَّة رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام؛ فالمعنى: لتكن التقوى عن اعتصام بحبل الله ودين الله عن بصيرة، عن علم، ثم أكد هذا بقوله: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾؛ يعني: التزموا به جميعًا واصبروا عليه جميعًا واثبتوا عليه جميعًا حتى تنصروا، وحتى توفقوا، وحتى لا يطمع العدو فيكم، فإذا تفرق الناس طمع فيهم الأعداء، ثم ذكَّرهم بما هم عليه في حال الجاهلية من تفرق واختلاف وشحناء، وأنهم لو ماتوا على ذلك صاروا إلى النار، وأنهم على شفا حفرة منها، لولا أن الله هداهم ووفقهم ببعث نبيِّهم محمد عليه الصلاة والسلام، فأنقذهم من هذا البلاء، وهكذا من بعده إلى قيام الساعة إن قبلوا ما جاء به نبيِّه ﷺ واستقاموا عليه، وثبتوا عليه، واعتصموا به، نجوا من النار، وفازوا بالسعادة واهتدوا إلى الصراط المستقيم، وإن انحرفوا يمينًا وشمالًا، صاروا إلى الجحيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذه آيات الله يبيِّنها للناس، دلائل قدرته ودلائل عظمته وأنه ﷻ مصرف

لعباده بفضله للهداية وبعدله لضدها، فبيده الأمور ﷻ، فآيات كثيرة دالة على قدرته العظيمة وعلى حكمته، وعلى أنه الموفق لمن يشاء، والهادي لمن يشاء والمضل لمن يشاء، ومن تدبر آيات الله وجاهد نفسه في الله اهتدى بذلك، ومن حاد عن هذا السبيل، ولم ينظر في أوامر الله ونواهيه، ولم يتدبر آياته ضل عن السبيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ونسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يرضيه، وأن يجعلنا وإياكم ممن يلتزم التقوى ويستقيم عليها، وأن يعيذنا جميعًا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وأن يجزي أخانا فضيلة الشيخ إبراهيم عن كلمته خيرًا، وأن يزيدنا وإياكم وإياه علمًا وهدًى وتوفيقًا، وأن يحسن للجميع العاقبة إنه سمع قريب، وصلِّ اللَّهُمَّ وسلِّم على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢ ـ ١٠٣][1].

يأمر ﷻ عباده المؤمنين بأن يتقوه ﷻ حق تقاته، فسَّرها بقوله سبحانه: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، قال عبد الله بن مسعود ﵁ في هذه الآية: «تقوى الله حق تقاته أن يُطاع فلا يعصى وأن يُذكر فلا يُنسى وأن يُشكر فلا يُكفر»؛ والمعنى: الزموا حقه واستقيموا عليه حتى الموت؛ يعني: الزموا أداء الفرائض وترك المحارم والوقوف عند

---

(١) حديث المساء، (ص٧٣) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

حدود الله حتى تموتوا على ذلك، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾؛ يعني: استمروا في طاعة الله وفي تقواه بأداء حقه وترك ما نهى عنه حتى تلقوه سبحانه وتعالى ومن سُنَّته في عباده جل وعلا أن من اتقاه واستقام على أمره عن إيمان وعن إخلاص وصدق أنه عز وجل يحسن له الختام فضلًا منه وإحسانًا جل وعلا، وهذا من جنس قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمٰن: ٦٠]، فمن أحسن واستقام على أمر الله عن إيمان وصدق أحسن الله إليه بتوفيقه وهدايته وتثبيته، ثم يتبع هذا بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ المعنى: الزموا ما دلَّ عليه كتاب الله واستقيموا عليه واحذروا التفرق في ذلك؛ لأن التفرق يُضعف الحق ويعين أهل الباطل ويفرق الجماعة ويُسبب ظهور الباطل، أما الاجتماع على الحق والتعاون في نصره وتأييده، فهذا هو سبب السعادة في الدنيا والآخرة وسبب ظهور الحق واختفاء الباطل ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ وهذا في آيات كثيرات.

يقول جل وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ويقول جل وعلا: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦]. قال أهل السُّنَّة: معنى ذلك: أن تبيضَّ وجوه أهل السُّنَّة والإتباع والاستقامة، وتِسْوَدُ وجوه أهل البدع والاختلاف، فالواجب على أهل الإيمان أن يجتمعوا على الحق وأن يتعاونوا في تثبيته وإظهاره والدعوة إليه وكفاح ما خالفه، هكذا يجب على أهل الإيمان مستمرين على هذا ملتزمين به حتى الموت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ لأن العمل يجب أن يستمر ليس يوم أو يومين أو شهرًا أو شهرين أو سنة أو سنتين لا..

يجب أن يكون العمل الذي أمر الله به والكف عما حرم عنه يجب أن يستمر وأن يثبت عليه المؤمن حتى يلقى ربه عز وجل؛ لأن فيه سعادته فيه

نجاته في الدنيا والآخرة ووجب أن يستمر عليه وأن يلزمه حتى الموت.

* *

☐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢](١).

فيقول الله ﷻ في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٢﴾، في هذه الآية الكريمة يأمر الله سبحانه عباده المؤمنين أن يتقوه حق تقاته، وهذه طريقة القرآن الكريم، فإنه يأمر الناس بالتقوى عمومًا، ويأمر أهل الإيمان بالتقوى خصوصًا، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ [الحج: ١] فأمر الناس جميعًا بالتقوى، والمعنى: اتقوا غضبه واتقوا عقابه بتوحيده والإخلاص له وطاعة أوامره وترك نواهيه، هذه هي التقوى أن يُعبدَ وحده ويطاع أمره وأن ينتهي عن نهيه، وبهذا يستحق العبد الفوز بالجنة والنجاة من النار، ولهذا قال في آية أخرى ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]؛ فعبادته سبحانه هي تقواه وهي الإخلاص له في العمل وإفراده بالعبادة وترك عبادة ما سواه ﷻ ويدخل في التقوى طاعة الأوامر وترك النواهي والوقوف عند الحدود التي حدَّها الرب ﷻ، رغبة فيما عنده سبحانه وحذرًا من غضبه وعقابه.

ويقول في هذه الآية ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ والمعنى: اتقوه حق التقوى، وقد فسَّرها سبحانه في قوله ﷻ: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، فتقوى الله حق تقاته أن تطيعه حسب الطاقة

---

(١) حديث المساء (ص٦٣) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

بفعل الواجبات من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وبر الوالدين، وصلة رحم، وصدق حديث، ونحو ذلك. وأن تدع ما حرم عليك من سائر المعاصي، وأعظمها الشرك بالله ﷻ؛ فإنه أعظم الذنوب، وينافي التوحيد ويناقضه. ثم ما دون ذلك من سائر المعاصي؛ كالقتل بغير حق والزنا وشرب المسكرات، وعقوق الوالدين أو أحدهما، وقطيعة الرحم، وأكل الربا، والتعدي على الناس بالقول أو الفعل، كل هذا داخل في تقوى الله ﷻ، والمتقي لله هو الذي يعظم حرماته، وهو الذي يعظم أمره ونهيه، هو الذي يخلص له العبادة وحده سبحانه وتعالى، هو الذي يتباعد عن معاصيه وغضبه ﷻ.

قال عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه الصحابي الجليل: «تقوى الله ﷻ: أن يطاع ولا يعصى، وأن يشكر ولا يكفر، وأن يذكر، ولا ينسى»[(١)].

هذا من تقوى الله ﷻ «أن يطاع ولا يعصى، وأن يذكر، ولا ينسى»؛ لأن الغفلة تنقص الإيمان وتضعف الإيمان، ومن صفات أهل التقوى، الإكثار من ذكر الله من تسبيح وتهليل وتحميد وتكبير واستغفار ودعاء وضراعة إلى الله ﷻ، كل هذا من صفات أهل التقوى، وأن يُشكر فلا يكفر؛ يعني: يُشكر على نعمه، فإنه سبحانه هو المنعم المحسن إلى عباده، ونعمه متنوعة، نعمة الصحة، ونعمة الإسلام، ونعمة الأمن، ونعمة المال، ونعمة الزوجة، ونعمة الأولاد إلى غير ذلك، فالنعم لا تحصى، كما قال سبحانه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: ١٨].

فالواجب على المؤمن أن يشكر الله سبحانه وتعالى على هذه النعم العظيمة فهو الذي أعطاك الصحة في جميع بدنك، وإنما تعرف فضل هذه الصحة على الكمال والتمام إذا وجد المرض، فمن وجد المرض في عينه أو أذنه أو سِنِّه أو أي عضو من أعضائه عرف فضل الصحة على الحقيقة،

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٤٩).

فأوجب له ذلك شكر الله ﷻ والإنابة إليه والمسارعة إلى مراضيه ﷻ.

وهكذا نعمة الإسلام إنما يعرف عظم شأنها بمعرفة حال الكفار وما هم عليه من الباطل، فمن عرف الكفر وعاقبته الوخيمة وما أعد الله لأهله من العذاب والبلاء والعاقبة السيئة عرف فضل الإسلام وأنه أعظم نعمة وأكبر نعمة، أن هداك الله للإسلام الذي وعد أهله سبحانه الجنة والكرامة، وهو إخلاص العبادة لله وحده ومتابعة رسوله محمد عليه الصلاة والسلام، والصدق في ذلك بطاعة الأوامر وترك النواهي.

وهكذا بقية النعم، فنعمة الأمن، من وجد المخاوف عرف قدر نعمة الأمن، ومن عاش في الأمن قد يفوت عليه عظم قدر هذه النعمة، وقد يظنها نعمة عادية؛ ولكن من وجد المخاوف وعرف المخاوف عرف فضل الأمن، وأنه نعمة عظمى يستحق الله ﷻ الشكر عليها، الشكر العظيم بطاعة أوامره وترك نواهيه وسؤاله العافية والصدق في أداء ما يجب، والحذر ممَّا حرم الله ﷻ، فنعم الله كثيرة يستحق ربنا عليها الشكر ﷻ، والشكر يكون بالقلب بمحبة الرب ﷻ وتعظيمه وخوفه ورجائه والإخلاص له، ويكون باللسان بالثناء على الرب ﷻ والإكثار من ذكره ﷻ، واستغفاره ﷻ، والدعوة إلى سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كل هذا الشكر لله بالقول ثم يكون الشكر بالعمل.

كما قال ﷻ: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ: ١٣]، قال ﷻ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ﴾ [إبراهيم: ٧]

فالشكر بالعمل بأداء ما أوجب الله بالصلوات في وقتها في جماعة بخشوع وطمأنينة والإقبال عليها، وأداء الزكاة عن طيب نفس وعن إخلاص، وصرفها لمستحقيها، والصيام في وقته صيام رمضان عن إخلاص وعن عناية وإتقان وحفظ للصيام عما حرم الله، بالحج، كما

شرع الله، وبر والديك والإحسان إليهما، وصلة أرحامك وسائر أعمال الخير.

أما قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ فالمعنى: استمروا على التقوى؛ يعني: الزموها حتى تموتوا عليها، فإن من سُنَّة الله سبحانه الجميلة أن من استقام على الخير وحافظ عليه رغبة فيما عند الله؛ أن الله يحسن له الختام ويبعثه على الهدى والتقوى، فالزم يا عبد الله تقوى الله ﷻ واستقم عليها، واسأل ربك الثبات حتى تموت على ذلك، وإياك والتهاون بأمر الله، وإياك واقتراف المعاصي، فإن ذلك من أعظم الأسباب لسوء الخاتمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ومتى فرّط منك أمر يغضب الله ﷻ فبادر بالتوبة بادر بالإصلاح والرجوع إلى الله ﷻ بالندم والإقلاع من الذنب والعزم الصادق ألا تعود إليه.

هذه التوبة ندم صادق على ما مضى من السيئات، وإقلاع منها وترك لها حذرًا من الله وتعظيمًا له، وعزم صادق ألا تعود إليها، هكذا يكون التائب، يقول الله سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، والتوبة فيها الفلاح وفيها الخير وفيها العاقبة الحميدة، كما قال سبحانه في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٨] هذه عاقبة التوبة المغفرة والجنة والفلاح، فجدير بالمؤمن وجدير بالمؤمنة البدار بالتوبة إلى الله ﷻ، فكل منا خطّاء، كما في الحديث عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال: **«كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**(١).

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أنس ﵁، في كتاب صفة القيامة عن رسول الله ﷺ، باب برقم (٢٤٩٩)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة برقم (٤٢٥١).

فكلٌّ منا قد يقع في المعصية وقد يسرف على نفسه؛ ولكن يجب البدار للتوبة ويجب الإقلاع والندم والعزم الصادق على عدم العودة للسيئة، ومتى بادرت بالتوبة وصدقت في ذلك فالله ﷻ يتوب عليك ويعينك على الخير، وإذا أتبعت التوبة بالإيمان الصادق والعمل الصالح والاستكثار من الخير تاب الله عليك وجعل مكان سيئاتك حسنات.

كما قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] هذا من جوده وكرمه ﷻ لما ذكر الشرك بالله، وقتل النفس بغير حق، والزنا وما أعد الله لأهل هذه المعاصي من العقوبات العظيمة.

قال بعد ذلك: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾، فنسأل الله ﷻ أن يوفقنا وإياكم وسائر إخواننا لما يرضيه، وأن يصلح أحوال المسلمين، وأن يمنَّ عليهم بالتوبة الصادقة النصوح إنه ﷻ سميع قريب، وصلَّى الله وسلَّم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه.

*

❏ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢](١).

هذه الآية الكريمة تتعلق بالتقوى وعظم شأنها وأنها جماع الدين فعلى جميع المكلفين من الجن والإنس أن يتقوا الله وأن يراقبوه ﷻ، فإنهم خُلقوا ليعبدوا الله، وعبادة الله هي تقواه وطاعته واتباع شريعته، هذه هي عبادته ﷻ؛ ولهذا كرر الأمر بالتقوى في آيات كثيرات؛ لأن من

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ١٦٩).

اتقى الله حق التقوى فقد عبده وأطاعه، فالمتقي لله هو الذي يعبد الله ويعظم حرماته، ويخلص له العمل وينقاد لشرعه، ويقف عند حدوده، عن إخلاص له، سبحانه وعن رغبة فيما عنده، وعن تقيد بشريعته التي جاء بها نبيه محمد عليه الصلاة والسلام، هذا هو المتقي؛ ولهذا أكثر الله من ذكر التقوى في كتابه العظيم؛ ليعلم العباد عظم شأنها، وأنها الدين كله، فالدين كله يسمَّى الإسلام، ويسمَّى الإيمان، ويسمَّى الهدى، ويسمَّى التقوى، ويسمَّى البر، فالتقوى جامعة للخير كله، يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾.

المعنى: يا أيها الذين صدَّقوا الله ورسوله وانقادوا لأمره وعظَّموه اتقوا ربكم؛ يعني: الزموا التقوى؛ يعني: الزموها واستقيموا عليها؛ لأنها حقيقة الإيمان حق تقاته؛ يعني: ما اسطعتم كما قال ﷻ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل رضي الله عنه: تقوى الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر[(١)]، وهذا داخل في قوله: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ طاعته سبحانه والإكثار من ذكره وشكر نعمه، هكذا تكون التقوى، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ معناه: استقيموا على التقوى، واثبتوا عليها والزموها، حتى الموت، لا تخرجوا عنها ولا تضيعوها، بل الزموا طاعة الله ورسوله، وترك ما نهى الله عنه ورسوله، والوقوف عند حدود الله حتى تلقوا ربكم بالموت، وهذه هي التقوى، لا ينفعك أن تتقي الله اليوم ثم تخلُ في الغد، لا، لا بد أن تلزمها، لا بد أن تلزم التقوى وتستقيم عليها، حتى تلقى ربك، وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٧/ ٢٨٨)، والطبراني في المعجم الكبير (٧/ ٤٨٧)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٦٣).

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، فجعل التقوى وسيلة إلى الخروج من المضايق والشدائد إلى الرزق الحلال الطيب، والمتقي لله يطلب الحلال ويُيسرُ الله له المخارج من المضايق، والتيسير من أمور التعسير؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وقال: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [البقرة: ١٩٧]، تزوَّدوا لماذا؟ للآخرة للجنة في هذه الدار، فالناس مسافرون، وهذه الأيام والليالي مراحل حتى الأجل، مراحل، ساعاتها ودقائقها وشهورها وكل أيامها مراحل، أنت مسافر، وأنت جالس، وأنت نائم، وأنت ماشي، وأنت مسافر، فكل يوم مرحلة، ليلة مرحلة، كل ساعة مرحلة، وهكذا حتى تصل إلى نهاية الأجل الذي كتبه الله لك فعند هذا ينتهي السفر، وتستقر في القبر على ما كتب الله لك من خير وشر، هذه النهاية، القبر ثم الجنة أو النار.

ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١]؛ يعني: قولوا قولًا طيبًا، أصلحوا الجوارح، احفظوا الجوارح، الأيدي والأسماع والأبصار واللسان احفظوها حتى تستقيم على تقوى الله، وحتى تسلموا من شرها، فاليد يجب أن تحفظ، والرِّجل كذلك والسمع كذلك والبصر كذلك واللسان كذلك كلها يجب أن تحفظ من محارم الله، حتى تصل إلى شاطئ السلامة، ويقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ﴾ [الأنفال: ٢٩].

فالمتقي لله يعطيه الله نورًا وفرقانًا، حتى يتبصر وحتى يهتدي وذلك بطاعة الله ورسوله، وطلب العلم والتفقه في الدين، فالتفقه في الدين من

التقوى، والتعلم من التقوى، ومتى تفقَّهَ طالبًا للعلم مخلصًا لله راغبًا فيما عند الله أعطاه الله الفرقان والنور، ولما سئل عليه الصلاة والسلام قيل: يا رسول الله من أكرم الناس؟ قال: أتقاهم.. هذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]. نصَّ القرآن أكرم الناس من العرب والعجم والجن والإنس والذكور والإناث أكرمهم أتقاهم، مهما كان وإن كان فقيرًا، وإن كان عجميًّا، وإن كان أنثى، وإن كان مملوكًا، أكرمهم عند الله أتقاهم مهما كانت حالته؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾.

قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فنبيُّ الله يوسف ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله إسحاق ابن خليل الله إبراهيم، بيَّن عليه الصلاة والسلام أن يوسف من أتقى الناس، وأنه كريم على الله ﷻ، وهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي، أربعة مسلسلة رابعهم خليل الرحمٰن إبراهيم، وهو أفضلهم، عليه الصلاة والسلام، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: **«فَعَنْ مَعَادِنِ العَرَبِ تَسْأَلُونِي»**، وفي اللفظ الآخر: **«فَعَنْ مَعَادِنِ الناس تَسْأَلوني»**[(١)]. قالوا: نعم، قال: **«خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا»**، خيار الناس من العرب والعجم والجن والإنس خيارهم في الجاهلية هم خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، يعني فقهوا في دين الله، واستقاموا على دين الله، فهم خيار الناس سواء كانوا عربًا أو عجمًا، جنًّا أو إنسًا، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام.

معلوم أن خِيار الناس في الجاهلية هم الأجواد، هم الكرماء، هم الذين يبذلون أموالهم في منفعة الناس، في رحمة الفقير، في نصر المظلوم، في ردع الظالم، في حماية الجيران في نفوسهم وأموالهم، في

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، في الباب السابق برقم (٣٤٩٦).

حمل الكَلِّ والسبيل على القبيلة، حتى يتحمل عنها ما يضرها، هؤلاء هم أكرم الناس في الجاهلية هم الكرماء في الجاهلية، الذين ترجع إليهم القبائل في شدائدها، هم الكرماء هم الذين يتحمَّلون حاجات الضعفاء، ويواسونهم وهم الشجعان في قتال الأعداء؛ لحماية الجار؛ لحماية الذمار في نصر المظلوم في ردع الظالم، هم خيار الناس في الجاهلية، وهم خيار الناس في الإسلام أيضًا إذا فقهوا في دين الله، إذا استقاموا على دين الله، ورحموا الضعيف، ونصروا المظلوم، وردعوا الظالم، واستقاموا على دين الله وواسوا الفقير، وجاهدوا في سبيل الله واستقاموا، هم خيار الناس، كما أنهم كانوا في الجاهلية خيارًا فزادهم الإسلام خيرية وفضلًا؛ لتقواهم لله وقيامهم بأمر الله، فمن أراد أن يكون عند الله خَيِّرًا وكريما وعظيمًا فليتق الله في أموره كلها، فيما يأتي ويذر، وبذلك يكون من خير الناس ومن أفضل الناس.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾ [آل عمران: ١٠٤ ـ ١٠٩][(١)].

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، في عام ١٤٠٤هـ.

يقول تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾؛ أي: منتصبة للقيام بأمر الله، في الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾، قال الضحاك: هم خاصّة الصحابة وخاصة الرُّواة، يعني: المجاهدين والعلماء.

وقال أبو جعفر الباقر: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾، ثم قال: «**الْخَيْرُ اتِّبَاعِ الْقُرآنِ وَسُنَّتِي**» رواه ابن مردويه.

والمقصود من هذه الآية: أن تكون فرْقَة من الأمَّة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبًا على كل فرد من الأمة بحسبه، كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ**»(١)، وفي رواية: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الحديث ليس من رواية أبي هريرة هذا سبق قلم من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مع حفظه، هو من رواية أبي سعيد الخدري، لا من رواية أبي هريرة، ثم أيضًا قوله: وفي رواية: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»، توهم أنها من رواية أبي هريرة أيضًا، وليس كذلك؛ بل الرواية الأخرى: «**وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ**»، هذه من رواية ابن مسعود، رواية عبد الله بن مسعود حيث قال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان... برقم (٤٩).

وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ»(١).

هما حديثان منفصلان **أحدهما**: عن أبي سعيد، **والثاني**: عن ابن مسعود، وهو يدل على عظم شأن الأمر والنهي، وأن الواجب على جميع المسلمين أن يكونوا أمَّارين بالمعروف، نهَّائين عن المنكر؛ ولهذا قال بعض أهل العلم: إن قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾، أن من للجنس، بمعنى: كونوا جميعًا، يعني: كونوا كلكم تدعون إلى الخير، وتأمرون بالمعروف، وتنهون عن المنكر. ويحتمل ما قال المؤلف فيما تقدم أن المراد: ولتكن منكم أمة منتصبة ومتفرغة لهذا الشيء، مع كون الجميع يساعدونها في ذلك أيضًا، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر. ثم يبيِّن ﷺ أن هؤلاء القائمين بهذا الأمر هم أهل الفلاح، كأن الفلاح لهم دون غيرهم، مبالغة في بيان عظم ما هم عليه من الخير، وأنهم أهل الفلاح الكامل، وإن كان كل مؤمن مفلحًا، لكن هؤلاء المنتصبون للدعوة إلى الخير القائمون بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، هؤلاء لهم شأن عظيم، قد قاموا مقام الرسل، قاموا في إصلاح الناس، وفي إصلاح أوضاعهم، وفي دعوتهم إلى الخير، وفي نهيهم عن المنكر، وفي أمرهم بالمعروف، فلهم شأن عظيم، ولهم فضل كبير؛ لكونهم اجتهدوا في صلاح أنفسهم، واجتهدوا في إصلاح غيرهم، بالدعوة إلى الخير، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكل مجتمع يخلو من هذا الواجب، فهو على خطر عظيم من حلول العقوبات والنقمات.

وكل مجتمع يسود فيه هؤلاء ويقوى أمرهم بدعوتهم إلى الخير، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، يكون مجتمعًا صالحًا، يكون جديرًا بكل تقدير، وجديرًا بالعزة والسلامة والعافية من كل سوء، فينبغي

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان في الباب السابق برقم (٥٠).

للمؤمن أن يحرص أن يكون من هؤلاء الأخيار، وألا يحقر نفسه؛ بل يكون داعيًا إلى الخير، حسب ما عنده من العلم حسب طاقته، آمرًا بالمعروف، ناهيًا عن المنكر، لعله يكتب في سلك هؤلاء، ويحشر مع هؤلاء، فيكون من المفلحين الفلاح الكامل التام؛ بسبب أعمالهم الطيبة، واجتهادهم في الخير، وبذلهم المستطاع في إصلاح الغير، بدعوته إلى الله، وإرشاده إلى أسباب النجاة، وتحذيره من أسباب الهلاك، الله المستعان.

حكم التفرغ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة من قبل السلطة أو من قبل الذات:

• س: عفا الله عنك، قوله: تكن أمة متفرغة، يعني: متفرغة من قبل ولاة الأمور، ولّا من قبل نفسها؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هذا، وهذا، هذا، وهذا، من جهة ولاة الأمور أقوى، أقوى لها، يعني: يكون لهم سلطان وقوة، وإذا كانوا من جهة أنفسهم محتسبين، فلهم أجرهم أيضًا، ولهم نفعهم العظيم، لكن ما يكون لهم السلطان مثل المفرغ من جهة السلطان حال، ما كان مفرغ من السلطان يكون أقوى في إزالة المنكر؛ لأن له سلطانًا من جهة ولي الأمر، وأولئك قد لا يكون لهم سلطان، قد لا يستطيعون إلا الكلام.

حكم التفرغ للدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

• س: على القول بوجوب يعني: التفرغ، على القول بأن هذا يعني: يجب على هذا القول أن يتفرغ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

هو الظاهر على هذا نعم، يعني: يجب أن يكون هناك طائفة إما من جهة السلطان، أو من جهة المجتمع نفسه.

مداخلة: هل هذا الواجب يتعلق بكل أحد؟

الشيخ: أما هذه المتفرغة يكون أثرها أعظم، يكون تأثيرها في الناس وقيامها بالواجب أكمل؛ لأنها جعلت هذا هو شغلها الشاغل، وهو الهدف الذي تقوم به، فيكون تأثيرها أكثر، والآية ليست يعني صريحة في المقام؛ لأن من يمكن أن تكون للجنس، نعم، فتكون قوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. جعلهم كلهم هكذا، جعلهم جميعًا، ومثل قوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ...﴾ في الآية الآنية، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾، فالأمة كلها مأمورة بهذا، وهذا واجب عليها هذا، ولكن المعنى الذي استنبطه المؤلف ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقاله جماعة غيره: أن المراد طائفة منتصبة أو فرقة منتصبة، يكون له معنى أكثر، يعني: أقوى، وإن كانت الآية ليست صريحة.. كل الصراحة، لكنها ظاهرة فيه، الآية ظاهرة فيه؛ بل هي أظهر من القول الثاني؛ لأنه قال: (منكم) والمراد بـ(من) للتبعيض، هنا في مثل هذا.

وجه دخول الرواة والمجاهدين وأهل العلم في قوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾:

● **س: عفا الله عنك، قال: وخاصة الرواة يعني.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: هم أولى الناس بهذا، يعني: رواة الأخبار، وأهل الجهاد في سبيل الله، وأهل العلم، هم أخص الناس بهذا الأمر، وإلا فالأمر لهم ولغيرهم.

دخول المحدِّثين في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الاقتصار على رواة الحديث لا يجعل صاحبه من الطائفة المنتصبة للقيام بأمر الدعوة.

- **س: يعني: المحدِّثون.. يُعتبرون من هذه الطائفة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما يكفي، إذا قاموا بالواجب هذا، إذا قاموا بالواجب...، أما مجرد رواية الحديث ما تكفي.

مداخلة: يعني: خاصة الرواة...

الشيخ: لعل يعني: إذا قاموا بهذا الواجب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان الهاشمي، أخبرنا إسماعيل بن جعفر، أخبرني عَمْرو بن أبي عمرو، عن عبد الله بن عبد الرحمٰن الأشهلي، عن حذيفة بن اليمان، أن النبي ﷺ قال: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ**»(١)، ورواه الترمذي، وابن ماجه، من حديث عَمْرو بن أبي عمرو، به. وقال الترمذي: حسن والأحاديث في هذا الباب كثيرة مع الآيات الكريمة كما سيأتي تفسيرها في أماكنها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدل على أن التهاون بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب عدم إجابة الدعاء، فيه خطر عظيم، أن التساهل في هذا الواجب

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر برقم (٢١٦٩)، والإمام أحمد (٥/ ٣٩١).

العظيم، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أسباب أمرين: **الأمر الأول**: حلول العقوبات والنقمات العامة نسأل الله العافية، من جدب وقحط وأمراض عامة، وتسليط عدو، ونحو ذلك. **والأمر الثاني**: أنه من أسباب عدم إجابة الدعاء، وعدم النصر على الأعداء، كما في الحديث الآخر حديث عائشة أن النبي ﷺ قال: «**يقول الله ﷻ: أيها الناس! مروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر، قبل أن تدعوني فلا أستجيب لكم، وقبل أن تسألوني فلا أعطيكم، وقبل أن تستنصروني فلا أنصركم**»، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ ينهى هذه الأمة أن تكون كالأمم الماضية في تفرقهم واختلافهم، وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مع قيام الحجة عليهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا صَفْوان، حدثني أزْهَر بن عبد الله الْهَوْزَنِي عن أبي عامر عبد الله بن لُحَيٍّ قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان، فلما قدمنا مكة قام حين صلى صلاة الظهر فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ افْتَرَقُوا فِي دِينِهِمْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً وَإِنَّ هَذِهِ الأُمَّةَ سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً يَعْنِي الأَهْوَاءَ كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً وَهِيَ الْجَمَاعَةُ وَإِنَّهُ سَيَخْرُجُ فِي أُمَّتِي أَقْوَامٌ تَجَارَى بِهِمْ تِلْكَ الأَهْوَاءُ كَمَا يَتَجَارَى الْكَلْبُ بِصَاحِبِهِ لَا يَبْقَى مِنْهُ عِرْقٌ وَلَا مَفْصِلٌ إِلَّا دَخَلَهُ**».. واللهِ يَا مَعْشَرَ العَرَبِ لَئِنْ لَمْ تَقُومُوا بِمَا جاء بِهِ نَبِيُّكُمْ ﷺ **لَغَيْرُكم مِن النَّاسِ أحْرَى ألا يَقُومَ بِهِ**[(١)]، وهكذا رواه أبو

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السُّنَّة، باب شرح السُّنَّة برقم (٤٥٩٧)، والإمام أحمد (٤/ ١٠٢).

داود، عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى، كلاهما عن أبي المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به، وقد رُوي هذا الحديث من طرق.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بصاحبه، بالباء، غلط، الكَلَب هذا يسمونه عضة. . .، الداء الذي ينتشر في الإنسان إذا عضه الكلب المصاب بهذا الداء، سرى في جسمه حتى يموت ويهلك في الغالب، يعني: أن الشر يتجارى بالناس والبدع والأهواء تجاريًا كثيرًا حتى يعم الكثير، أو يعم الجميع إلا ما شاء الله؛ بسبب كثرة الداعين إلى البدع والناشرين لها، كما يتجارى الكلب بصاحبه تتجارى بهم الأهواء والبدع والاستحسان الذي ما شرعه الله، حتى تعم البدع وتكثر البدع، نسأل الله السلامة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهو حديث جيد الإسناد صحيح، وهو يدل على وجوب الحذر من البدع، وأن التفرق والاختلاف أسبابه البدع والأهواء، هذا يرى بدعة، وهذا يرى بدعة، هذا يرى كذا، وهذا يرى كذا حتى تفرقوا، ثم جرى للأمة مثل اعتزالها من معتزلة وجهمية وشيعة ومرجئة إلى غير ذلك. ثم تفرقت هذه الفرق إلى فرق أخرى، حتى بلغ هذا العدد: ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار، والثالثة والسبعون أهل السُّنَّة والجماعة الذين تمسكوا بالحق، واستقاموا على الحق، وحافظوا عليه، الله أكبر، نعم.

الأسئلة:

• **س: هل يؤخذ من الحديث أنه لن ينتصر الإسلام إلا على أيدي العرب...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يظنون بأن يعني: غيرهم. . أحرى، من باب الاجتهاد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ؛ لأن

العرب أولى بأن يقوموا بهذا الأمر، نزل القرآن بلسانهم، والنبي ﷺ منهم، هم أولى الناس وأحق الناس بأن يقوموا بهذا الأمر، وينتصبوا له ويجتهدوا في حمايته من البدع. فإن غيرهم أحرى بألا يقوم بهذا الواجب إذا ضيعوه هم، وهذا في الأغلب واقع؛ لأن الناس يتأسون بالعرب، ويقتدون بهم في الغالب، فإذا ضيعوا هذا الدين صاروا حجة على الناس، حجة على الإسلام، وصاروا من أسباب ضلال الناس الآخرين، إلا من حفظ الله، نسأل الله السلامة، اللَّهُمَّ صل عليه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، لا حول ولا قوة..

• **س: أحسن الله إليك.. يا شيخ! من العلماء الذين عدَّدوا الثلاثة وسبعين فرقة كعبد القاهر البغدادي في كتابه (الفرق) وغيرهم.**

مداخلة: يعني: الفرق هذه تتجدد في هذه الأمة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على كل حال لها أصول، لها أصولها، ترجع إلى أصولها، قد تكون ثلاثمائة وأربعمائة، لكن ترجع إلى الثنتين والسبعين، مثل: الشيعة فرق كثيرة، مثل المعتزلة فرق كثيرة، نعم، والمرجئة كذلك، والخوارج كذلك، نعم، لكن يرجعون إلى الثنتين والسبعين.

• **س: أحسن الله عملك، أهل السُّنَّة جزاهم الله خير، الآن متفرقين إلى جماعات، يعني: ينطبق عليهم هذا...؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، يضر هذا اختلاف الفروع ما يضر، المقصود الأصول، نعم.

مداخلة: ما يدل على الثنتين والسبعين...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، لا، أهل السُّنَّة والجماعة متمسكون بالكتاب والسُّنَّة، والداعون

إليهما، يجتمعون على عقيدة التوحيد وأسماء الله وصفاته، أما الخلاف في الفروع من عهد الصحابة.

مداخلة: طيب، وتفرقهم، يعني: الجماعات. . . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: هذا ما يضر، هذا ما يضر هذا.

مداخلة: ما يضر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

نعم، ما يضر هذا، إذا اتحدت العقيدة ما يضرهم، مجرد كونه ذا انتسب إلى كذا أو كذا، ما داموا متعاونين على البر والتقوى في العقيدة، مستقيمين على توحيد الله والإخلاص له، ما يضر كون هذا تسمى أنصار السُّنَّة، وهؤلاء تسموا الإخوان المسلمين، وهؤلاء تسموا. . ما داموا على العقيدة الصحيحة.

مداخلة: جزاك الله خير، يعني: ما يدخلون ضمن الفرق. . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: ما يدخلون، لا. ما يدخلون. . . .

مداخلة: الثلاثة والسبعين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما يدخلون في هذا، هم من جملة الفرقة الثالثة والسبعين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، يعني: يوم القيامة، حين تبيض وجوه أهل السُّنَّة والجماعة، وتسودّ وجوه أهل البِدْعَة والفرقة، قاله ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ قال الحسن البصري: وهم المنافقون: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦)﴾ وهذا الوصف يَعُمّ كل كافر.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (١٠٧)﴾؛

يعني: الجنة، ماكثون فيها أبدًا لا يبغون عنها حوَلا. وقد قال أبو عيسى الترمذي عند تفسير هذه الآية: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا وَكِيع، عن رَبِيع ـ وهو: ابن صَبِيح ـ وحَمَّاد بن سلمة، عن أبي غالب قال: رأى أبو أمامة رءوسًا منصوبة على دَرَج دمشق، فقال أبو أمامة: كلاب النار، شر قتلى تحت أديم السماء، خَيْرُ قتلى من قتلوه، ثم قرأ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ إلى آخر الآية. قلت لأبي أمامة: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثًا أو أربعًا ـ حتى عَدّ سبعًا ـ ما حَدّثتكموه.

ثم قال: هذا حديث حسن: وقد رواه ابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة عن أبي غالب، وأخرجه أحمد في مسنده، عن عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن أبي غالب، بنحوه. وقد روى ابن مَرْدُويَه عند تفسير هذه الآية، عن أبي ذر، حديثًا مطولًا غريبًا عجيبًا جدًّا.

ثم قال تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ﴾؛ أي: هذه آيات الله وحُجَجُه وبيِّناته ﴿نَتْلُوهَا عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿بِٱلْحَقِّ﴾؛ أي: نكشف ما الأمر عليه في الدنيا والآخرة.

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾﴾؛ أي: ليس بظالم لهم؛ بل هو الحَكَم العدل الذي لا يجور؛ لأنه القادر على كل شيء، العالم بكل شيء، فلا يحتاج مع ذلك إلى أن يظلم أحدًا من خلقه؛ ولهذا قال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: الجميع ملْك له وعبيد له. ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾﴾؛ أي: هو المتصرف في الدنيا والآخرة، الحاكم في الدنيا والآخرة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِـَٔايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَاتِ اللَّهِ ءَانَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [آل عمران: ١١٠ ـ ١١٤][١].

يبيِّن الله ﷻ حال هذه الأمة وفضلها على غيرها من الأمم، بسبب إيمانها وأمرها بالمعروف ونهيها عن المنكر، فيقول ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال أبو هريرة ﷺ: «**خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ**»[٢]؛ والمعنى: أنكم أحسنتم إلى الناس وأخرجتموهم من الظُّلمات إلى النور، وصبرتم على أسباب نجاتهم، فلهذا كنتم خير الأمة، والخَيريَّة مَبنيَّة على هذه الأسس التي بيَّنها سبحانه، وهي الإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فمن كان بهذه الصفة فله من هذه الخيرية، وهو من هؤلاء الممدوحين، ومن تخلف عنها فاته المدح، وفاته من الخير بقدر تخلُّفه، وبقدر نقص إيمانه، وبقدر نقص أمره بالمعروف، ونقص نهيه عن المنكر.

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان (٤/ ٢٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ برقم (٤٥٥٧).

فكلما كان حظ المؤمن من هذه الصفات أكمل، صار حظه من الخيرية أكمل، وكلما كان حظه من هذه الصفات أنقص، كان حظه من الخيرية أنقص.

وفي هذا تشجيع لأولي الألباب وحثٌّ لهم على هذه الصفات، وهي الاستقامة في الإيمان؛ لأن الإيمان إذا أُطلق شمل الإيمان القولي والعملي، وشمل عمل القلب وعمل اللسان وعمل الجوارح، والإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي عند أهل الحق.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الإيمان، ولكن نصَّ الله عليه لِعظَم شأنه، وإلا فهو من الإيمان، بل من أعظم شُعب الإيمان، ولكن لما كان أمره عظيمًا والمصالح المترتبة عليه عظيمة خصَّه الله بالذكر، وهذا من سُنة الله في كلامه ﷻ، يخص بعض الأعمال الصالحات من بين الإيمان للتنبيه على عظم شأنها. وهذا كثير في كتاب الله ـ جلَّ وعلا ـ، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، فالعمل الصالح داخل في الإيمان وقد نبَّه عليه ليُعلم عِظَم شأنه وأنه لا بد منه، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من ذلك الإيمان والعمل الصالح، ولكن نص عليهما لعظم شأنهما، وكذلك قوله ﷻ: ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ٧٠]؛ فالقول السديد من التقوى ومن الإيمان، ولكن نص عليه لعظم شأنه؛ لأن حفظ اللسان من أهم مهمات الإيمان والتقوى، وكذلك قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]، فذكر التواصي بالحق والتواصي بالصبر من باب تعظيم شأن هذين الأمرين، وأنهما من أهم المهمات، وإن كانا داخلين في الإيمان، وداخلين في العمل الصالح، لكن لهما شأن ينبغي أن يراعى وأن يعتنى به.

ثم قدَّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان؛ تنبيهًا

على عظم شأنهما وما يترتب عليهما من المصالح العامة للمجتمع، وفي سورة «**براءة**» وسورة «**المؤمنون**» قدَّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٧١]، فقدمهما لعظم شأنهما، وهذا بلا شك يُوجب على المؤمن العناية بهذا الأمر، وأن يجعل هذا الخُلُق من أعظم أخلاقه ومن أهم أخلاقه، وهو خلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخفى ما يترتبُ على ذلك من الخير العظيم والمصالح الكثيرة في المجتمعات الإسلامية في كل مكان، ولا يخفى أنه من التواصي بالحق والتواصي بالصبر، ولا يخفى أنه من الدعوة إلى الله ﷻ.

ثم قال بعده: ﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ﴾ يعني: لو آمنوا والتزموا بالحق، وتبعوا النبيَّ محمدًا عليه الصلاة والسلام، لكان خيرًا لهم، ولكن غلب عليهم الشر والهوى، وإيثار الباطل، والتعصب لما هم عليه من الباطل؛ ولهذا بقوا على كفرهم وضلالهم، ولا سيما اليهود، فهم أشرُّ الناس، شر الطائفتين، والنصارى ألينُ منهم، وأقرب إلى الحق، وإن كان كل منهم ضالًّا ومغضوبًا عليه، ولكن اليهود أشد شرًّا وأعظم خطرًا، وغضبُ الله عليهم أظهرُ؛ لعلمِهم الحق وعدم انصياعهم له وعملهم به.

ثم بيَّن صفاتهم، صفات اليهود، وأنه ضُربت عليهم الذلة الظاهرة والمسكنة، فهم أذلة وفقراء وإن ملكوا الدنيا، وقلوبهم مليئة بالفقر، وطلب المال والحرص عليه والجشع، والفقر ليس فقرَ المال، كما في الحديث الصحيح: «**لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ**»[(١)]، فمن لم يَغْتَنِ قلبه ولم تغتن نفسه فهو فقير، وإن ملك الدنيا،

---

(١) متفق عليه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، =

وهكذا شأن اليهود، فهم أشد الناس حرصًا على الدنيا، وأفقر الناس من جهة القلوب، ولو ملكوا ما ملكوا من الدنيا.

ثم بيَّن أسباب ضلالهم وما حصل لهم من الذلة والمسكنة والغضب من الله ﷻ؛ بسبب كفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء وعصيانهم واعتدائهم، فهم أصحاب نسب رفيع، من ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، ولكن لا يغني نسبهم شيئًا إذا تخلَّفت الأعمال، فالأنساب لا تنفع أهلها إذا تخلفت أعمالهم، كما في الحديث الصحيح: «**وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»(١).

وكما في قوله ﷻ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فقد سقط بهم خُلقهم الخبيث وانحرافهم عن الهدى، وأما نسبهم فعظيم، ولكن لم يلتزموه، بل حادوا عن النسب الرفيع؛ لأن مقتضى النسب الرفيع التخلق بأخلاق من نُسبوا إليهم والسير على منهاجهم، فإذا انحرفوا عن ذلك وحادوا عنه فلن ينفعهم ذلك النسب.

ثم بيَّن أنهم ليسوا سواءً، ففيهم الطيب وفيهم الخبيث، ولكن الغالب عليهم الخبث، قد افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهكذا النصارى افترقت على اثنين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهكذا هذه الأمة افترقت على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، فأهل الكتاب كذلك فيهم الطيب والخبيث، والخبث أكثر.

وقد قال تعالى في هذه الطائفة السليمة الطيبة: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ

= باب الغنى غنى النفس برقم (٦٤٤٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض برقم (١٠٥١).

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر برقم (٢٦٩٩).

أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾ يعني: على الحق، يعني: التهجد والعبادة، ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فهذا يبين أن فيهم أخيارًا، وأن فيهم أهل استقامة وأهل إيمان، ثم انحرفوا بعد ذلك، ولا سيما بعد عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فإنهم أنكروه إلا من شاء الله، وكذبوه وزعموا أنه ولد بغي، فكفروا بذلك واستحقوا غضب الله وعقابه، لإنكارهم الحق وهم يعلمون.

ثم جاءت بَعْثَةُ محمد ﷺ، فأنكروا ذلك أيضًا وكذبوه، فغضب الله عليهم، فباؤوا بغضب على غضب، وصاروا من أكفر الناس وأضلِّهم، وإن كانوا في الجملة هم أكثر الناس بعد هذه الأمة اتباعًا لموسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ، مع ما جرى منهم من انحرافات كثيرة، ولكن اتبع موسى عليه السلام خلق كثير، وانحرف منهم كثيرون، ثم انحرف بقيتهم إلا ما شاء الله بعد بعث عيسى عليه السلام، ثم انحرف أكثرهم، بل كلهم إلا قليلًا بعد بعث محمد ﷺ، فإنه ما آمن من اليهود إلا العدد اليسير جدًّا، وأكثرهم عاند الحق وكفر بمحمد ﷺ وما جاء به من الهدى، وهذا يدل على خبث طَوِيتِّهم، وأن العنصر الذي بقي فيهم عنصر الخبث وعنصر جحد الحق وعنصر الحسد، هذا هو الذي غلب عليهم نعوذ بالله إلى يومنا هذا، نسأل الله العافية، والله أعلم.

وهنا شيء ينبغي التنبيه عليه، وهو أن من انحرف عن الحق، وحسد أهل الحق، وترك الحق، مع العلم، فقد شابه اليهودَ تشابهًا ظاهرًا نعوذ بالله وما أكثر أشباههم من المنتسبين إلى العلم في جحد الحق وإنكاره، وفي الحسد ومخالفة الحق وهو يعلم، فهذه أخلاق موجودة قَلَّ من يَسْلَم منها ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [آل عمران: ١١٠ ـ ١١٢](١).

يخبر تعالى عن هذه الأمة المحمدية بأنهم خير الأمم فقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال البخاري: حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن مَيْسَرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ، تَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلَاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّى يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ(٢).

وهكذا قال ابن عباس، ومُجاهد، وعِكْرِمة، وعَطاء، والربيع بن أنس، وعطية العَوْفيّ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، يعني: خَيْرَ الناس للناس.

والمعنى: أنهم خير الأمم وأنفع الناس للناس؛ ولهذا قال: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، قال الإمام أحمد: حدثنا أحمد بن عبد الملك، حدثنا شريك، عن سِماك، عن عبد الله بن عُمَيرة عن زوج دُرَّةَ بنت أبي لَهَب، عن درة بنت أبي لهب قالت: قام رجل إلى النبي ﷺ وهو على المنبر، فقال: يا رسول الله،

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في فجر الأحد ١٠ ـ ١٠ ـ ١٤١٢هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ برقم (٥٥٧).

أيّ الناس خير؟ فقال: «**خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ**»[١]. ورواه أحمد في مسنده، والنسائي في سننه، والحاكم في مستدركه، من حديث سماك، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس في قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة.

والصحيح أن هذه الآية عامةٌ في جميع الأمة، كل قَرْن بحسبه، وخير قرونهم الذين بُعثَ فيهم رسول الله ﷺ، ثم الذين يَلونهم، ثم الذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾؛ أي: خيارًا ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ الآية [البقرة: ١٤٣].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله، والحمد لله، وصلَّى الله وسلَّم على رسول الله **أما بعد**:

فالحمد لله على العَود إلى مجالس العلم، ونسأل الله التوفيق والهداية للجميع.

من نعمة الله العظيمة، ومن إحسانه الجليل أن جعل هذه الأمة أمة محمد عليه الصلاة والسلام خير الأمم، من أجل أعمالها، لا من أجل مال، أو نسب، أو غير ذلك، ولكن من أجل ما تقوم به من العمل الصالح الذي يرضي الله وينفع العباد؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ ثم ذكر الأسباب، فقال: ﴿تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾؛ ولهذا قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وجماعة من السلف: المعنى: كنتم خير الناس للناس، كنتم خير الناس بأعمالكم الطيبة للناس، تنفعونهم وترشدونهم إلى الخير، وتدلونهم عليه، وتأمرونهم به، وتنهونهم عن ضده، فكنتم بهذا خير الناس للناس، وإن كان فيمن قبلنا

(١) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٤٣٢).

دعاة للخير وآمرون بالمعروف، وناهون عن المنكر، هذا أمر موجود، الرسل كلهم بعثوا بهذا، الرسل كلهم عليهم الصلاة والسلام بعثوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميعًا، ولكن هذه الأمة امتازت بمزيد عناية، بمزيد اهتمام بهذا الأمر وحرصًا عليه؛ ولهذا أثنى عليهم بقوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ فالخيرية تدل على الاشتراك، وأن هناك اشتراك، هناك أمر ونهي، في الأمم الماضين أتباع الرسل عندهم أمر ونهي، وعندهم إيمان، ولكن هذه الأمة وهي أمة محمد عليه الصلاة والسلام، المتبعة لما جاء به المنقادة لشرعه، امتازت بمزيد عناية ومزيد جهاد في هذا الأمر العظيم، ومن ذلك: أنهم يأتون بهم يقادون في السلاسل، حتى يدخلوا في الإسلام، يعني: في الجهاد، شرع الله لهم الجهاد، وفي الجهاد يأتي الأسارى، الأسارى يقادون بالسلاسل؛ حتى يهديهم الله ويقبلوا الإسلام، وينقادوا له، هم جاءوا بالسلاسل، ولكن شرح الله صدورهم، بعد الأسر شرح الله صدورهم للإسلام، ودخلوا فيه بأسباب هذه الأمة، بأسباب جهادها وصبرها؛ حتى دخل أعداء الله في الإسلام بأسبابهم، بسبب جهادهم ودعوتهم وتبصيرهم وأسرهم لهم حتى تفقهوا في الإسلام وعرفوه ودخلوا فيه.

● **س: ملازمة الخيرية لهذه الأمة، هل يكون في كل وقت؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما دامت هذه الصفة، في كل وقت ما دامت هذه الصفة فيها، فكل قرن أفضل من القرن الذي بعده في الجملة، والأشخاص كذلك يتفاوتون، فمنهم من يكون أقوى من غيره وأصبر على هذا الواجب العظيم، والبلدان كذلك تختلف في الغربة وعدم الغربة، والنشاط وعدم النشاط.

فالحاصل أن الآية عامة في كل قرن بحسبه، وهؤلاء قرون

متفاضلة، كلما كان قرن أقرب إلى القرن الأول كان أفضل في الجملة، وأفضل القرون: قرن الصحابة، ثم الذين يلونهم، وهكذا كما جاءت به السُّنَّة، والأشخاص يتفاضلون في القرن الواحد في عملهم ونشاطهم وقوتهم وصبرهم وعلمهم وفضلهم، نعم، جعل الله ﷻ يعطي كل ذي حق حقه، ويقسم فضله بين عباده بحكمه العدل العزيز سبحانه وتعالى، ولا يضيع لعامل أجره.

الحكم على حديث دُرَّة: (قام رجل إلى النبي ﷺ فقال: أي الناس خير؟).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

حديث درة هذا شاهد لما دلَّت عليه الآية الكريمة؛ لأن صلة الرحم داخلة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والقراءة، يكون أقرؤهم لأن القارئ الحقيقي هو الذي يعمل، القراء: هم العلماء العاملون يكونون داخل في الآية الكريمة، والسند فيه شريك؛ لكنه على كل حال حسن في الجملة لشواهده، من القرآن والسُّنَّة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وفي مسند الإمام أحمد، وجامع الترمذي، وسنن ابن ماجه، ومستدرك الحاكم، من رواية حكيم بن مُعَاوية بن حَيْدَة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى»**(١).

وهو حديث مشهور، وقد حَسَّنه الترمذي. ويروى من حديث معاذ بن جبل، وأبي سعيد الخدري نحوه.

وإنما حازت هذه الأمة قَصَبَ السَّبْق إلى الخيرات بنبيِّها محمد ﷺ

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣).

فإنه أشرفُ خلق الله وأكرم الرسل على الله، وبعثه الله بشرع كامل عظيم لم يُعْطه نبيًّا قبله ولا رسولًا من الرسل. فالعمل على منهاجه وسبيله، يقوم القليلُ منه ما لا يقوم العملُ الكثيرُ من أعمال غيرهم مقامه، كما قال الإمام أحمد:

حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا ابن زُهَير، عن عبد الله ـ يعني: ابن محمد بن عقيل ـ عن محمد بن علي، وهو ابن الحنفية، أنه سمع علي بن أبي طالب رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ **«أُعْطِيتُ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ»**. فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا هُوَ؟ قَالَ: **«نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ وَأُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ وَجُعِلَ التُّرَابُ لِي طَهُورًا وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الأُمَمِ»** تفرد به أحمد من هذا الوجه، وإسناده حسن(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

قوله: (بنبيِّها)، يعني: بما أعطاه الله من الشرف والفضل الذي حصل بسببه الخير لهم، فهم بنبيِّهم باتباعه والاستقامة على دينه والنشاط في ذلك، حصل لهم هذا الفضل، فهو مفضل وهم مفضلون؛ بأسباب ما جرى على يديه من الخير العظيم، فهو أشرف الرسل، وهم أشرف الأمم، لا بمجرد أنه منهم، لكن بفضله وبما جاء به، وبأعمالهم هم أيضًا، ونشاطهم واجتهادهم، فهم مفضَّلون باتباعهم له وشرفهم الذي حصل لهم باتباعهم له، وهم مفضَّلون بأعمالهم الطيبة، وإخلاصهم وصدقهم وجهادهم وصبرهم.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو العلاء الحسن بن سَوَّار، حدثنا لَيْث، عن معاوية، عن ابن أبي حُلَيْس يزيد بن مَيْسَرَةَ قال: سمعت أم الدرداء رضي الله عنها، تقول: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت أبا القاسم ﷺ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٩٨ و١٥٨)، وصحَّحه أحمد شاكر، وحسَّنه الحافظ ابن كثير، والسيوطي في الدر المنثور (٢/ ٢٩٤).

وما سمعته يكنيه قبلها ولا بعدها، يقول: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ: يَا عِيسَى، إِنِّي بَاعِثٌ بَعْدَكَ أُمَّةً، إِنْ أَصَابَهُمْ مَا يُحِبُّونَ حَمِدُوا وشَكَرُوا، وإِنْ أَصَابَهُمْ مَا يَكْرَهُونَ احْتَسَبُوا وَصَبَرُوا، وَلا حِلْمَ وَلا عِلْمَ. قال: يَا رَبِّ، كَيْفَ هَذَا لهُمْ، وَلا حِلْمَ وَلا عِلْمَ؟. قال: أُعْطِيهِمْ مِن حِلْمِي وعلمي**»(١).

● **س: ألا يمكن أن يأتي زمان هو أفضل من الذي قبله؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

بالنسبة إلى بعض الناس قد يأتي، بالنسبة إلى بعض الجهات أو بعض الأشخاص أو بعض الجهات ما هو بالزمان كله، خير أمتي مثلما قال أنس عن النبي ﷺ: «**اصْبِرُوا، فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ إِلَّا الَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنْهُ، حَتَّى تَلْقَوْا رَبَّكُمْ**»(٢)، سَمِعْتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ، لكن في الجملة هذا في الجملة.

أما بالنسبة إلى بعض الجهات، مثل زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة أفضل من الذي قبله بقرون، ومثلما وقع في بعض الجهات الأخرى وفي بعض البلدان الأخرى، يكون فيها دعاة للحق بعد أهل بدع أو شر يكون زمانهم أحسن من الذي قبله، مثل زمن عمر بن عبد العزيز أحسن من الزمن الذي قبله والذي يليه، وهكذا يعني: تفضيل خاص ما هو بعام على الزمن كله.

مداخلة: بالنسبة إلى الأمة كلها يعني؟

الشيخ: لا الكل لا، كل قرن القرن الذي قبل عمر أفضل من قرن عمر، بما فيه من العلماء والأخيار والدعاة إلى الحق.

---

(١) قال الهيثمي: رواه البزار في الكبير والأوسط ورجاله هم رجال الصحيح غير الحسن بن أحمد وسوار وأبي حلبس يزيد بن ميسرة وهما ثقتان.

(٢) أخرجه البخاري من أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في كتاب الفتن، باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه برقم (٧٠٦٨).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد وردت أحاديث يناسب ذكرها هاهنا: قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا المسعودي، حدثنا بكير بن الأخنس، عن رجل، عن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أعطيت سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب، وجوههم كالقمر ليلة البدر، قلوبهم على قلب رجل واحد، فاستزدت ربي فزادني مع كل واحد سبعين ألفًا**». فقال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فرأيت أن ذلك آت على أهل القرى ومصيب من حافات البوادي.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن بكر السلمي، حدثنا هشام بن حسان، عن القاسم بن مهران، عن موسى بن عبيد، عن ميمون بن مهران

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عن موسى بن عبيد أو عبيدة.

مداخلة: عن عبيد الله.

الشيخ: أيه، عبد الله بن بكر، حدثنا.

القاري: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن بكر السلمي، حدثنا هشام بن حسان، عن القاسم بن مهران، عن موسى بن عبيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بالدال عبيد؟ وإلا عبيدة؟ كذا عندكم في النسخة؟

مداخلة: عبيد.

الشيخ: نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

عن ميمون بن مهران عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن ربي أعطاني سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب**». فقال عمر: يا رسول الله! فهلّا استزدته؟ فقال: «**استزدته فأعطاني مع كل ألف سبعين ألفًا**»، قال عمر: فهلّا استزدته؟، قال: «**قد استزدته فأعطاني**

هكذا»، وفرَّج عبد الرحمٰن بن أبي بكر بين يديه، وقال عبد الله: وبسط باعيه، وحثا عبد الله، وقال هشام: وهذا من الله لا يدرى ما عدده.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي الرواية الأخرى: «**وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي** عَزَّ وَجَلَّ».

ثلاث حثيات، والمعنى: أن الله جَلَّ وَعَلَا زاد لعبده ورسوله محمد عليه الصلاة والسلام فيمن يخرج من النار، ويدخل الجنة من أمته ممن ليس عليهم حساب ولا عذاب، جاء في حديث ابن عباس في الإسراء: «**سبعين ألفًا كلهم يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**».

وفي هذه الروايات على ما فيها أنه استزاد ربه، وأن الله جَلَّ وَعَلَا زاده، في رواية: «**مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا**»، وفي رواية: «**قَدِ اسْتَزَدْتُهُ فَأَعْطَانِي مَعَ كُلِّ رَجُلٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**»[1]، يعني: مع كل واحد سبعين ألفًا، وهذا أعظم وأكثر، والزيادة الأخرى: وثلاث حثيات من حثيات ربي لا يعلم عددها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وهذا يبشر بخير عظيم لمن استقام على أمر الله، فمن استقام على أمر الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر واستقام على الإيمان صار من هذه الأمة التي وعدها الله الخير الكثير، ووعد هؤلاء منها دخولهم الجنة بغير حساب ولا عذاب، وما ذاك إلا لاستقامتهم، لا لأنسابهم ولا لأموالهم، ولا لوظائفهم ولا لألوانهم، ولا لعروبتهم ولا لعجمتهم، لا، ولكن لتقواهم لله وإيمانهم بالله، واستقامتهم على دين الله، فمن استقام على دين الله وحافظ على حقه وابتعد عن محارمه أدخله الله الجنة بغير حساب ولا عذاب، وصار من هؤلاء الأخيار..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن بكر، حدثنا هشام بن حسان،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ١٩٧).

عن القاسم بن مهران، عن موسى بن عبيد، عن ميمون بن مهران، عن عبد الرحمٰن بن أبي بكر؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ رَبِّي أَعْطَانِي سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، بِغَيْرِ حِسَابٍ**». فقال عمر: يا رسول الله، فهلا استزدته؟ فقال: «**اسْتَزَدْتُهُ فَأَعْطَانِي مَعَ كُلِّ رَجُلٍ سَبْعِينَ أَلْفًا**». قال عمر: فهلا استزدته؟ قال: «**قَدِ اسْتَزَدْتُهُ فأَعْطَانِي هكَذَا**». وفرَّج عبد الله بن بكر بين يديه، وقال عبد الله: وبسط باعَيه، وحثا عبد الله، قال هشام: وهذا من الله لا يُدرى ما عدده[١].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة قال: قال شريح بن عبيدة: مرض ثوبان وعليها عبد الله بن قُرْط الأزْدِي، فلم يَعُدْه، فدخل على ثوبان رجل من الكَلاعيين عائدًا، فقال له ثوبان: أتكتب؟ قال: نعم: فقال: اكتب، فكتب للأمير عبد الله بن قرط، «من ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أما بعد: فإنه لو كان لموسى وعيسى عليهما السلام، بحضرتك خَادم لعُدته»، ثم طوى الكتاب وقال له: أتبلغه إياه؟ فقال: نعم. فانطلقَ الرجلُ بكتابه فدفعه إلى ابن قرط، فلما رآه قام فَزِعًا، فقال الناس: ما شأنه؟ أحدث أمر؟ فأتى ثوبان حتى دخل عليه فعاده، وجلس عنده ساعة ثم قام، فأخذ ثوبان بردائه وقال: اجلس حتى أحدثك حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ سمعته يقول: «**لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا، لا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلا عَذَابَ، مَعَ كُلِّ أَلفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا**»[٢]، تفرد به أحمد من هذا الوجه، وإسناد رجاله كلهم ثقات شاميون حِمْصِيّون فهو حديث صحيح ولله الحمد.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٣٢ و٢٣٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٨٠ و٢٨١).

طريق أخرى: قال الطبراني: حدثنا عمرو بن إسحاق بن زِبْريق الحِمْصي، حدثنا محمد بن إسماعيل ـ يعني: ابن عَيَّاش ـ حدثنا أبي، عن ضَمْضَم بن زُرْعة، عن شُرَيح بن عبيد، عن أبي أسماء الرَّحبيّ، عن ثوبان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ رَبِّي ﷻ، وَعَدَنِي مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لا يُحَاسَبُونَ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا**». هذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبي أسماء الرحبي، بين شريح وبين ثوبان، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفيه إسماعيل بن عياش، ولكنه إذا روى عن الشاميين حديثه جيد، وهو هنا روى عن الشاميين؛ فإن ضمضم بن زرعة كان حمصي، ولهذا قال المؤلف: إنه جيد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

طريق أخرى: قال الطبراني: حدثنا عمرو بن إسحاق بن زريق الحمصي، حدثنا محمد بن إسماعيل ـ يعني: ابن عياش ـ حدثني أبي، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن ربي ﷻ وعدني من أمتي سبعين ألفًا لا يحاسبون، مع كل ألف سبعون ألفًا**»، وهذا لعله هو المحفوظ بزيادة أبي أسماء الرحبي بين شريح وبين ثوبان، الله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كذا عندك عبيد هنا، ما عليه هاء؟

مداخلة: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، هذا الصواب، هذا الصواب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر،

عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

أعِد أعِد، أعد السند، حدثنا.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: أكثرنا الحديث عند رسول الله ﷺ ذات ليلة، ثم غدونا إليه فقال: «**عُرضت علي الأنبياء الليلة بأممها، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة، والنبي ومعه العصابة، والنبي ومعه النفر، والنبي وليس معه أحد، حتى مرَّ عليَّ موسى** عليه السلام **ومعه كبكبة من بني إسرائيل فأعجبوني، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل لي: هذا أخوك موسى، ومعه بنو إسرائيل، فقلت: فأين أمتي؟ فقيل: انظر عن يمينك، فنظرت فإذا الظراب قد سد بوجوه الرجال، فقيل لي: أرضيت؟ فقلت: رضيت يا رب! قال: فقيل لي: إن مع هؤلاء سبعين ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب**». فقال النبي ﷺ: «**فداكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين ألفًا فافعلوا، فإن قصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق، فإني قد رأيت ثَمَّ أناسًا يتهاوشون**»، فقام عكاشة بن محصن فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم ـ أي: من السبعين ـ فدعا له، فقام رجل آخر، فقال: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سبقك بها عكاشة**». قال: ثم تحدثنا فقلنا: من ترون هؤلاء السبعين الألف، قوم ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئًا حتى ماتوا، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**». وهكذا رواه أحمد بهذا الإسناد وهذا السياق، ورواه أيضًا عن عبد الصمد عن هشام عن قتادة بإسناده مثله، وزاد بعد قوله: «**رضيت يا رب! رضيت يا رب! قال:**

رضيت؟ قلت: نعم. قال: انظر عن يسارك، قال: فنظرت فإذا الأفق قد سُدَّ بوجوه الرجال. فقال: رضيت؟ قلت: رضيت»، وهذا إسناد صحيح من هذا الوجه، تفرد به أحمد ولم يخرجوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

له شواهد صححها لأنهم ثقات، لكن فيه قتادة عن الحسن، وهو مدلس، والحسن عن سمرة وعن عمران وفي سماعه منه خلاف، لكن كأن المؤلف بهذا يرجح سماع الحسن من عمران، ولهذا صوب الإسناد نعم رَحِمَهُ اللَّهُ، لكن أخرجه البخاري ومسلم معناه من حديث ابن عباس في عرض الأمم عليه: **«عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ، وَالنَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَى ﷺ وَقَوْمُهُ وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ. فَنَظَرْتُ فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: انْظُرْ إِلَى الأُفُقِ الآخَرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ»**. ثمّ نهض فدخل منزله فخاض النّاس في أولئك الّذين يدخلون الجنّة بغير حسابٍ ولا عذابٍ، فقال بعضهم: فلعلّهم الّذين صحبوا رسول الله ﷺ. وقال بعضهم: فلعلّهم الّذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله. وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله ﷺ، فقال: **«مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ»**. فأخبروه فقال: **«هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ وَلَا يَسْتَرْقُونَ وَلَا يَتَطَيَّرُونَ وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»**. فقام عكّاشة بن محصنٍ فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: **«أَنْتَ مِنْهُمْ»**، ثمّ قام رجلٌ آخر، فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: **«سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ»**(١).

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب من لم يرق برقم (٥٧٥٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب برقم (٣٧٤).

ومعنى: «**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون**»، يعني: أنهم استكملوا ما أوجب الله عليهم، وابتعدوا عما حرم الله عليهم، حتى إنهم تركوا ما يرجح تركه، ما ينبغي تركه كالكي، فإن الكي هو آخر الطب، تركه أولى إذا وجد ما يغني عنه، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**الشفاء في ثلاث: كية نار، أو شرطة محجم، أو شربة عسل، وما أحب أن أكتوي**»، وفي اللفظ الآخر قال: «**وأنا أنهى أمتي عن الكي**»، خرَّجه البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

فالكي فيه شيء من العذاب، شيء من النار، فلهذا ينبغي أن يكون هو آخر الطب عند الحاجة الشديدة. وفيه أيضًا ترك التطير، والتطير هو: التشاؤم بالمرئيات أو المسموعات، وليس من صفة أهل الإيمان؛ لأنه نوع من الشرك، نوع من سوء الظن. وفيه أيضًا: «**لا يسترقون**»، يعني: لا يسألون الناس أن يرقوهم، وسؤال الناس فيه مذلة، فالأولى ألا يسأل، فإن رقاه أخوه من دون سؤال كان هذا أولى، وإن دعت الحاجة إلى السؤال فلا بأس، كما تدعو الحاجة إلى سؤال المال عند الضرورة، وقد أمر النبي ﷺ أم أولاد جعفر أن تسترقي لأولادها لما أصابتهم العين، قال: (استرقي لهم)، فتركه الاسترقاء أولى، لكن إذا دعت الحاجة إليه فلا بأس. وهكذا الكي تركه أولى، ومن صفات السبعين تركه، ولكن إذا دعت الحاجة إليه فلا بأس؛ لأن هذا من الكمالات، أعمالهم رضي الله عنهم هؤلاء السبعون استكملوا الطاعات الواجبة، وتركوا المحارم، وزادوا على هذا أنواعًا من الخير، من التطوعات والنوافل، وترك المشتبهات وترك بعض المباحات، وما ذاك إلا لكمال عنايتهم وكمال اجتهادهم في الخير، وبعدهم عن الشر وعن المكروهات، وعن بعض المباحات التي قد يكون فعلها مرجوحًا.

مداخلة: عفا الله عنك! لحاجة.

الشيخ: نعم.

مداخلة: إذا فعلها عند الحاجة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، لا بأس؛ لأن النبي ﷺ كوى بعض أصحابه، اللَّهُمَّ صلِّ عليه وسلم، وأمر بالاسترقاء لأولاد جعفر.

مداخلة: . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما يضر هذا، لكن هذا من كمالهم، هو من كمالهم.

مداخلة: . . . .

أقول: ظاهر الحديث أنه يخل بالشرط ولو. . . أولى. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا ينبغي أن يحمل على هذا؛ لأن هذا فعله السلف الصالح، وأمر به النبي ﷺ، لولا أنه أمر واسع لما أمر به ﷺ، نعم، ولا قال: «**الشفاء في ثلاث**» وأباح الكي، وكوى بعض أصحابه، نعم، خباب بن الأرت كواه كيات وغيره من الصحابة، نعم، وهم سادة السبعين.

أقوال العلماء في حكم الكي.

مداخلة: هل ورد. . . . ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المشهور عند العلماء سُنَّة فقط، هذا أحسن ما قيل، الجمهور على أنه مستحب. وقال مالك رَحِمَهُ اللَّهُ وجماعة: يتساوى طرفاه، يعني: مباح، وقال أبو حنيفة: إنه يتأكد حتى دان به الوجوب، كما نقله العلماء عنه، ولكن الأفضل قول الجمهور، أنه مستحب؛ لقول النبي ﷺ: «**عباد الله تداووا، ولا تداووا بحرام**»، والنبي ﷺ فعله، الرسول ﷺ فعل التداوي، عليه الصلاة والسلام، فعله لأصحابه، وأمر أن يفعل.

مداخلة: . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: صحيح.

مداخلة: هل ينافي التوكل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ينافي التوكل.

مداخلة: . . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كثرة يعني، والظاهر أنهم جماعة كثيرة.

مداخلة: تقسيم الناس إلى ثلاثة أقسام. . . .

الشيخ: نعم.

مداخلة: أقول: تقسيم ما أريه النبي ﷺ لما عرضوا عليه والضراب السبعون الألف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أفضلهم السبعون، تضيء وجوههم في ليلة البدر، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، يعني: أقسام، طبقات، وهم في الحقيقة ذكر النبي ﷺ بعض أصنافهم، وقد يكونوا أكثر على حسب أعمالهم وتقواهم لله، فإن التقوى والمسارعة إلى الخيرات والتزود من أنواع الطاعات يتفاوت كثيرًا، كذلك السلامة من المعاصي يتفاوت كثيرًا.

مداخلة: يعني: الذين عرضوا عليه يعني: أهل الجنة بصرف النظر عن . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الجنة، نعم.

مداخلة: . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

سواء كانوا من السبعين أو غير السبعين.

مداخلة: . . . عام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: عام.

مداخلة: . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا يحصي عدد الحثيات إلا الله سبحانه، مع كل واحد سبعين ألف كذلك شيء كثير.

مداخلة: . . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في الرواية الثانية فيها ضعف عند أهل العلم؛ لأنها رواها مسلم، انفرد بها مسلم: «**ولا يرقون**»، زيادة: «**ولا يرقون**»، قال شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وجماعة: إنها غير صحيحة، إنها غير محفوظة، والمحفوظ: «**لا يسترقون**» بالسين، يعني: لا يطلبون من الناس يرقوهم، أما كونه يرقي غيره هذا عمل صالح، ولهذا في الحديث: «**من استطاع منكم أن ينفع أخاه فلينفعه**»، فقد رقى النبي ورُقي، عليه الصلاة والسلام، رقى نفسه، ورقى أصحابه، ورقاه جبريل، فهذا ليس بمفضول؛ بل عمل صالح، ومساعدة على الخير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال أحمد بن مَنِيع: حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز، حدثنا حَمّاد، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود قال النبي ﷺ: «**عُرِضَتْ عَلَيَّ الأمَمُ بِالْمَوْسِمِ فَرَاثَتْ عَلَيَّ أُمَّتِي، ثُمَّ رَأَيْتُهُمْ فَأَعْجَبَتْنِي كَثْرَتُهُمْ وَهَيْئَاتُهُمْ، قَدْ مَلَؤوا السَّهْلَ وَالْجَبَلَ، فَقَالَ: أَرَضِيتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَإِنَّ مَعَ هَؤُلاءِ سَبْعِينَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَهُمْ الَّذِينَ لا يَسْتَرْقُونَ وَلا يَكْتَوُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**». فقام عكاشة فقال: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**أَنْتَ مِنْهُمْ**»، فقام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: «**سَبَقَكَ بِهَا عُكَاشَةُ**». رواه الحافظ الضِّياء المقْدِسيّ، قال: هذا عندي على شرط مسلم.

الأسئلة:

• **س: بعض العلماء يرى سُنية قول: رب أجرني من النار بعد الفجر وبعد المغرب سبع مرات، ما درجة الحديث الذي ورد في هذا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيه بعض اللين؛ لأن التابعي ليس بمشهور بالعدالة، ولا بأس، فسنده جيد لولا أن التابعي مستور؛ ولهذا اختلف أهل العلم في ذلك منهم من حسَّنه؛ لأن الغالب على التابعين الخير، ومنهم من قال: لا بد من التأكد من عدالته. نعم. لأنه من رواية الحارث بن مسلم أو مسلم بن الحارث، اختلفوا في اسمه وفي حاله أيضًا، نعم. والأقرب والله أعلم أنه حسن، نعم؛ لأن التابعي الذي مستور الحال لا يعرف عنه إلا الخير هو أقرب إلى العدالة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا رَوْح بن عبادة. حدثنا ابن جُرَيج، أخبرني أبو الزُّبَيْر، أنه سمع جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ، فذكر حديثًا، وفيه: «**فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، سَبْعُونَ أَلْفًا، لا يُحَاسَبُونَ ثم الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، كأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ ثُمَّ كَذَلِكَ**»(١). وذكر بقيته، رواه مسلم من حديث رَوْح، غير أنه لم يذكر النبي ﷺ(٢).

حديث آخر: قال الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم في كتاب السنن له: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن محمد بن زياد، سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٨٣)، وورد في صحيح مسلم موقوفًا كما سيأتي.
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة برقم (٣١١).

«وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ وَلَا عَذَابَ وَثَلَاثُ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِهِ»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

السنن وإلا السُّنَّة؟ لعلها السُّنَّة.

مداخلة: السُّنَّة...

بالنونين؟

مداخلة: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لكن المشهور كتاب السُّنَّة، وهو مطبوع الآن، المشهور كتاب السُّنَّة، ويجوز السنن جمع سُنَّة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذا رواه الطبراني من طريق هشام بن عمار، عن إسماعيل بن عياش، به، وهذا إسناد جيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وذلك لأن إسماعيل بن عياش هنا حمصي وروى عن الحمصيين، فإذا هو روى عن الشاميين فهو جيد، وهنا روى عن الشاميين. وهذا إسناد جيد كما قال المؤلف، وهو يدل على كثرة الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب من هذه الأمة، سبعون ألفًا مع كل ألف سبعون ألفًا مع ذلك ثلاث حثيات من حثيات الله عَزَّ وَجَلَّ، لا يحصي عددها إلا هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. الله أكبر. نعم. وما ذلك إلا بأسباب إيمانهم وتقواهم؛ لأن العبد متى استقام على أمر الله وجاهد نفسه لله ووقف عند حدود الله أدخله الله الجنة بغير حساب ولا عذاب. الله أكبر.

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبا أمامة في كتاب صفة القيامة، باب برقم (٢٤٣٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

طريق أخرى عن أبي أمامة: قال ابن أبي عاصم: حدثنا دُحَيم، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا صفوان بن عَمرو، عن سليم بن عامر، عن أبي اليمان الهوزَني واسمه عامر بن عبد الله بن لُحيّ، عن أبي أمامة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجنةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**». قال يزيد بن الأخنس: والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الذباب الأصهب في الذباب. قال رسول الله ﷺ: «**فَإِنَّ اللهَ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلفًا، وَزَادَنِي ثَلاثَ حَثَيَاتٍ**». وهذا أيضًا إسناد حسن.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إسناده حسن تابع لغيره، وإلا فيه الوليد بن مسلم عن صفوان وهو مدلس وقد عنعن، لكن ينجبر بما قبله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن خُلَيْد، حدثنا أبو تَوْبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عامر بن زيد البُكَالي أنه سمع عُتْبة بن عبْد السلمي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيرِ حِسَابٍ، ثُمَّ يَشْفَعُ كُلُّ أَلْفٍ لِسَبْعِينَ أَلْفًا، ثم يَحْثِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، بِكفيْهِ ثَلاثَ حَثَيَات**». فكبَّر عمر وقال: إن السبعين الأوَلَ يُشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم، وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر(١).

قال الحافظ الضياء المقدسي في كتابه صفة الجنة: لا أعلم لهذا الإسناد علة. والله أعلم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٥٠).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم. يقول: يحثي ويحثو، واوي ويائي، يقال: حثى يحثو وحثى يحثي، مثل: دعا يدعو ودعى يدعي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا هشام ـ يعني: الدَّستَوائي ـ حدثنا يحيى بن أبي كثير، عن هلال بن أبي ميمونة، حدثنا عطاء بن يَسَار أن رِفَاعة الجُهَنيّ حدّثه قال: أقبلنا مع رسول الله ﷺ حتى إذا كنا بالكُدَيد أو قال: بقُدَيْد فذكر حديثًا، وفيه: ثم قال: «**وَعَدَنِي رَبِّي** ﷻ، **أنْ يُدْخِلَ الْجنةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَإِنِّي لأرْجُو ألا يَدْخُلُوهَا حَتَّى تَبوؤُوا أَنتُمْ ومَنْ صَلَحَ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وذرياتكم مَسَاكِنَ فِي الْجَنَّةِ**»[1]، قال الضياء المقدسي: وهذا عندي على شرط مسلم.

حديث آخر: قال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن قتادة، عن النَّضْر بن أنس، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ الجنة مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعمِائَةِ أَلْفٍ**»[2]

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قف على هذا، اللّهم اغفر له رحمة الله عليه. اعتنى بهذه الأخبار الدالة على تواترها وكثرتها رَحِمَهُ اللَّهُ؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال أبو بكر: زدنا يا رسول الله. قال: والله هكذا، فقال عمر: حسبك يا أبا بكر. فقال أبو بكر: دعني، وما عليك أن يدخلنا الله الجنة كلنا، فقال عمر: إن شاء الله أَدْخَل خَلْقه الجنة بكفٍّ واحد. فقال النبي ﷺ: «**صَدَقَ عُمَرُ**»[3].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٦). (٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٦٥).

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٨٦ برقم ٢٠٥٥٦).

هذا الحديث بهذا الإسناد انفرد به عبد الرزاق، قاله الضياء. وقد رواه الحافظ أبو نُعيم الأصبهاني: حدثنا محمد بن أحمد بن مَخْلَد، حدثنا إبراهيم بن الْهيْثَم البَلدِي، حدثنا سليمان بن حَرْب، حدثنا أبو هلال، عن قتادة، عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**وَعَدَنِي رَبِّي أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي مِائَةَ أَلْف**»(١)، فقال أبو بكر: يا رسول الله، زدنا قال: وهكذا ـ وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك ـ قلت: يا رسول الله، زدنا. فقال عمر: إن الله قادر أن يدخل الناس الجنة بِحَفْنَةٍ واحدة. فقال رسول الله ﷺ: «**صَدَقَ عُمَرُ**». هذا حديث غريب من هذا الوجه وأبو هلال اسمه: محمد بن سُلَيْم الراسبي، بصري.

طريق أخرى: عن أنس: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محمد بن أبي بكر، حدثنا عبد القاهر بن السُّرِّي السلمي، حدثنا حُمَيد، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا**»(٢)، قالوا: زدنا يا رسول الله. قال: «**لِكُلِّ رَجُلٍ سَبْعُونَ أَلْفًا**»(٣)، قالوا: زدنا ـ وكان على كثيب ـ فقال: «**هكذا**»، وحثا بيده. قالوا: يا رسول الله، أبْعَدَ الله من دخل النار بعد هذا، وهذا إسناد جيد، رجاله ثقات، ما عدا عبد القاهر بن السري، وقد سئل عنه ابن معين، فقال: صالح.

حديث آخر: روى الطبراني من حديث قتادة، عن أبي بكر بن أنس، عن أبي بكر بن عُمَير عن أبيه؛ أن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي ثَلاثَمائة أَلْفٍ الْجَنَّةَ**»(٤)، فقال عمير: يا رسول الله، زدنا. فقال: هكذا بيده. فقال عمير: يا رسول الله، زدنا. فقال عمر:

---

(١) قال الهيثمي رواه أحمد والطبراني في الأوسط وإسناده حسن..
(٢) أخرجه أبو يعلى (٦/ ٤١٧، ح٣٧٨٣) وجود إسناده الحافظ ابن كثير رحمه الله.
(٣) أخرجه أبو يعلى (٨/ ٣٠٨ ح٣٦٨١).
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (١٧/ ٦٤ ح١٢٣).

حَسْبك، إنّ الله إنْ شاء أدخل الناس الجنة بِحفْنَةٍ ـ أو بِحَثْيَةٍ ـ واحدة. فقال نبي الله ﷺ: «**صَدَقَ عُمَرُ**».

حديث آخر: قال الطبراني: حدثنا أحمد بن خُلَيْد، حدثنا أبو تَوْبة، حدثنا معاوية بن سلام، عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني عبد الله بن عامر، أن قيسًا الكندي حَدّث، أن أبا سعيد الأنماري حدثه، أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ رَبِّي ﷻ وَعَدَنِي أنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيرِ حِسَابٍ، ويَشْفَعُ كُلُّ أَلْفٍ لِسَبْعِين أَلْفًا، ثم يَحْثِي رَبِّي ثَلاثَ حَثَيَاتٍ بِكَفَّيْهِ**». كذا قال قيس، فقلت لأبي سعيد: أنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، بأذني، ووعاه قلبي. قال أبو سعيد: فقال ـ يعني: رسول الله ﷺ ـ: «**وَذَلِكَ إنْ شَاءَ اللهُ ﷻ، يَسْتَوْعِبُ مُهَاجِرِي أمتي، ويُوَفِّي الله بقيته مِنْ أعْرَابِنَا**».

وقد روى هذا الحديث محمد بن سهل بن عسكر، عن أبي تَوْبَة الربيع بن نافع بإسناده، مثله. وزاد: قال أبو سعيد: فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ، فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعين ألف ألْف.

حديث آخر: قال أبو القاسم الطبراني: حدثنا هاشم بن مَرْثَد الطبراني، حدثنا محمد بن إسماعيل بن عَيّاش، حدثني أبي، حدثني ضَمْضَم بن زُرْعة، عن شُرَيح بن عبيد، عن أبي مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمَا وَالَّذي نَفْسُ مُحَمَّد بِيَدِهِ لَيُبْعَثَنَّ مِنْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلَى الْجَنَّةِ مِثْلَ اللَّيْلِ الأسْوَدِ، زُمْرةٌ جَمِيعُهَا يَخْبطُونَ الأرضَ، تَقُولُ الملائِكةُ: لِمَ جَاءَ مَعَ مُحَمَّدٍ أَكْثَرُ مِمَّا جَاءَ مَعَ الأنْبِيَاءِ**»؟[1]. وهذا إسناد حسن.

نوع آخر من الأحاديث الدالة على فضيلة هذه الأمة وشرفها بكرامتها على الله، وأنها خير الأمم في الدنيا والآخرة.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣/ ٣٣٧ ح٣٤٥٥).

قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا ابن جُرَيج، أخبرني أبو الزبير، عن جابر أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَنْ يَتَّبِعُنِي مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ رُبْعَ الْجَنَّةِ**». قال: فكبَّرنا. ثم قال: «**أَرْجُو أَنْ يَكُونُوا ثلثَ النَّاسِ**»[١]. قال: فكبرنا. ثم قال: «**أَرْجُو أَنْ تَكُونُوا الشَّطْرَ**». وهكذا رواه عن رَوْح، عن ابن جُرَيج، به. وهو على شرط مسلم.

وثبت في الصحيحين من حديث أبي إسحاق السَّبِيعي، عن عَمْرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»؟ فكبَّرنا. ثم قال: «**أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ تكونُوا ثُلُثَ أَهْلَ الْجَنَّةِ؟**» فكبَّرنا. ثم قال: «**إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّة**»[٢].

طريق أخرى عن ابن مسعود: قال الطبراني: حدثنا أحمد بن القاسم بن مُساور، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثني الحارث بن حَصِيرة، حدثني القاسم بن عبد الرحمٰن، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْتُمْ وَرُبْعُ الْجَنَّةِ لَكُمْ ولِسَائر الناس ثلاثة أَرْبَاعِهَا**»؟، قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**كَيْفَ أَنْتُمْ وثُلُثُهَا**»؟، قالوا: ذاك أكثر. قال: «**كَيْفَ أَنْتَمْ والشَّطْرُ لَكُمْ؟**»، قالوا: ذاك أكثر. فقال رسول الله ﷺ: «**أَهْلُ الْجَنّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، لَكُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ صَفًّا**»[٣]، قال الطبراني: تفرد به الحارث بن حَصيرة.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/٣٤٦).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب كيف الحشر (٦٥٢٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة برقم (٣٧٧).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٠/٢٠٨ ح١٠٣٥٠).

عبد العزيز بن مسلم، حدثنا ضرار بن مُرَّة أبو سَنان الشيباني، عن محارب بن دِثَار، عن ابن بُرَيْدة، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، هَذِه الأَمَّةُ مِنْ ذَلِكَ ثَمَانُون صَفًّا**»(١)، وكذلك رواه عن عفان، عن عبد العزيز، به. وأخرجه الترمذي من حديث أبي سنان، به وقال: هذا حديث حسن. ورواه ابن ماجه من حديث سفيان الثوري، عن عَلْقَمة بن مَرْثَد، عن سليمان بن بُرَيدة، عن أبيه، به.

حديث آخر: رَوَى الطبراني من حديث سليمان بن عبد الرحمٰن الدمشقي، حدثنا خالد بن يزيد البَجَلي، حدثنا سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ قال: «**أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِائَةُ صَفٍّ، ثَمَانُونَ مِنْهَا مِنْ أُمَّتِي**»، تفرد به خالد بن يزيد البَجَلي، وقد تكلم فيه ابن عَدِيّ.

حديث آخر: قال الطبراني: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا موسى بن غيلان، حدثنا هاشم بن مَخْلَد، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن أبي عمرو، عن أبيه عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٣٩ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة: ٣٩، ٤٠]، قال رسول الله ﷺ: «**أَنْتُمْ رُبُعُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ ثُلُثُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ**»(٢).

وقال عبد الرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ،**

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة أهل الجنة (٢٥٤٦)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب صفة أمة محمد ﷺ برقم (٤٢٨٩)، والإمام أحمد (٥/ ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٦١).

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠١)، وأخرجه أحمد من طريق أبي عمرو به نحوه المسند (١٥/ ٣٨ ح٩٠٨٠).

نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ، فَهَدَانَا اللهُ لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ، فَهَذَا الْيَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ، النَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ غَدًا لِلْيَهُودِ وللنصارى بَعْدَ غَدٍ»(١). رواه البخاري ومسلم من حديث عبد الله بن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ مرفوعًا بنحوه. ورواه مسلم أيضًا عن طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ**»(٢). وذكر تمام الحديث.

حديث آخر: روى الدارقطني في الأفراد من حديث عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الزهري، عن سعيد بن المسيَّب، عن عمر بن الخطاب، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الأَنْبِيَاءِ كُلُّهُمْ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الأَمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمتِي**»(٣)، ثم قال: تفرد به ابن عقيل، عن الزهري، ولم يرو عنه سواه. وتفرد به زُهير بن محمد، عن ابن عقيل، وتفرد به عَمْرو بن أبي سلمة، عن زهير.

وقد رواه أبو أحمد بن عَدِيّ الحافظ فقال: حدثنا أحمد بن

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب قول الله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥] برقم (٦٦٢٤)، ومسلم في كتاب الجمعة، باب هداية هذا الأمة ليوم الجمعة برقم (٨٥٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﵁ في كتاب الجنة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة برقم (٨٥٥).

(٣) الدارقطني في الإفراد عن عمر، قال الحافظ ابن حجر في أطرافه: وهو صحيح على شرط الحاكم. أخرجه أيضًا الطبراني في الأوسط (١/ ٢٨٩) برقم (٩٤٢)، قال الهيثمي (٦٩/ ١٠): فيه أحمد بن محمد بن الحجاج بن رشدين وهو ضعيف وللحديث أطراف أخرى منها: «**إن الجنة حُرِّمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها**»..

الحسين بن إسحاق، حدثنا أبو بكر الأعين محمد بن أبي عَتَّاب، حدثنا أبو حفص التِّنيسي ـ يعني: عمرو بن أبي سلمة ـ حدثنا صدقة الدمشقي، عن زهير بن محمد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن الزهري.

ورواه الثَّعْلَبي: حدثنا أبو عباس المَخْلَدي، أخبرنا أبو نُعْم عبد الملك بن محمد، أخبرنا أحمد بن عيسى التنيسي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، حدثنا صدقة بن عبد الله، عن زهير بن محمد، عن ابن عقيل، به.

فهذه الأحاديث في معنى قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم، كما قال قتادة: بَلَغَنَا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه في حجة حجّها رأى من الناس سُرْعة فقرأ هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، ثم قال: من سَرَّه أن يكون من تلك الأمة فَلْيؤدّ شَرْط الله فيها. رواه ابن جرير.

ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمَّهم الله بقوله: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٩]، ولهذا لما مَدح الله تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم، فقال: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾؛ أي: بما أنزل على محمد ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾؛ أي: قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل إليكم وما أنزل إليهم، وأكثرهم على الضلالة والكفر والفسق والعصيان.

ثم قال تعالى مخبرًا عباده المؤمنين ومُبشِّرًا لهم أن النصر والظَّفر لهم على أهل الكتاب الكفرة الملحدين، فقال: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى

﴿وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾﴾ وهكذا وقع، فإنهم يوم خَيْبَر أذلّهم الله وأرْغَم آنافهم، وكذلك من قبلهم من يهود المدينة بني قَيْنُقَاع وبني النَّضِير وبني قُرَيْظَة كلهم أذلهم الله، وكذلك النصارى بالشام كَسَرهم الصحابة في غير ما موطن، وسَلَبوهم مُلْك الشام أبد الآبدين ودهر الداهرين، ولا تزال عِصَابة الإسلام قائمة بالشام حتى ينزل عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهم كذلك، ويحكم عَلَيْهِ السَّلَامُ بشرع محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فيَكْسر الصَّلِيب، ويقتل الخنزير، ويَضَع الجزْية، ولا يقبل إلا الإسلام.

ثم قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: ألزمهم الله الذلة والصَّغَار أينما كانوا فلا يأمنون ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: بذمة من الله، وهو عَقْد الذمة لهم وضَرْب الجزية عليهم، وإلزامهم أحكام الملة ﴿وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: أمان منهم ولهم، كما في المُهَادَن والمعاهَد والأسير إذا أمَّنَه واحد من المسلمين ولو امرأة، وكذَا عَبْد، على أحد قولي العلماء.

قال ابن عباس: ﴿إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: بعهد من الله وعهد من الناس، وهكذا قال مُجاهد، وعِكْرِمة، وعَطَاء، والضَّحَّاك، والحسن، وقتادة، والسُّدِّي، والرَّبيع بن أنس.

وقوله: ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: أُلزموا فالتزَمُوا بغضب من الله، وهم يستحقونه ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ﴾؛ أي: أُلزِموها قَدرًا وشَرْعًا. ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ أي: وإنما حملهم على ذلك الكِبْر والبَغْي وَالْحسَد، فأعْقَبَهم ذلك الذِّلة والصَّغَار والمسكنة أبدًا، متصلًا بذلة الآخرة، ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾﴾؛ أي: إنما حَمَلهم على الكفر بآيات الله وقَتْل رُسُل الله وقُيِّضوا لذلك أنّهم كانوا يكثرون العصيان

لأوامر الله ﷻ، والغشيان لمعاصي الله، والاعتداء في شرع الله، فَعِياذًا بالله من ذلك، والله المستعان.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حَبِيب، حدثنا أبو داود الطيالسي، حدثنا شعبة، عن سليمان الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي مَعْمَر الأزدي، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: كانت بنو إسرائيل تقتل في اليوم ثلاثمائة نبيّ، ثم يقوم سُوق بَقْلهم في آخر النهار.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠][(١)].

فهذه الآيات الكريمات كلها تتعلق بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وما ذاك إلا لأن هذا الواجب به صلاح الأمة وسلامتها وبعدها عن أسباب الخطر، فإن الناس إذا استقاموا على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر صلح مجتمعهم وساد فيهم الحق واختفى فيهم الباطل واستحقوا من الله الخير الكثير والعاقبة الحميدة فضلًا منه وإحسانًا، ومتى ضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع وعُطل ظهرت المنكرات والشرور وانتشرت الرذائل واختفت الفضائل وصار ذلك من أعظم الأسباب في حلول العقوبات والنقمات، يقول الله ﷻ في كتابه العظيم: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ٣٨٦).

يعني: من قام بهذا الواجب هو المفلح حقًّا بالدعوة إلى الخير، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من قام بهذا الواجب فقد أفلح لما فيه من صلاح الأمة صلاح المجتمع وإقامة أمر الله ومحاربة ما يغضب الله ﷻ، وقال ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ يخاطب أُمة محمد عليه الصلاة والسلام المستجيبة المستقيمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾، فدل ذلك على أن صفاتها ومن أسباب خيرّتها أنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وقال ﷻ: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، فجعل هذا من صفات أهل الإيمان ذكورهم وإناثهم، من صفاتهم العظيمة ذكورًا وإناثًا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والمعروف ما أمر الله به ورسوله، والمنكر ما نهى الله عنه ورسوله.

فالواجب على المؤمنين جميعًا ذكورًا وإناثًا أن يكونوا آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر في مجتمعهم في بيوتهم في أسواقهم في جميع أحوالهم وأماكنهم، وبيَّن ﷻ في آية المائدة أنَّه لعن من ضيع هذا الواجب، فقال سبحانه: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨ ـ ٧٩]. فأخبر أنه لعنهم على هذا المنكر على هذه الإضاعة، ضيَّعوا أمر الله ﷻ ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾؛ يعني: تساكتوا وأعرض بعضهم عن بعض حتى زاد المنكر واتضح المنكر وانتشر واختفى الحق بسبب التساكت والإعراض والغفلة وعدم الأمر والنهي حتى استحقوا اللعنة، نعوذ بالله من ذلك.

وقال في سورة الأعراف: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، فدَّل ذلك على أن النجاة إنما هي

لمن نهى عن السُّوء وأنكر المنكر، أما من أعرض وغفل فهو على خطر من الهلاك، ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ﴾ من طاعة الله وأداء الواجب وترك محارمه، لما نسوا ذلك وأعرضوا أخذ الله أؤلئك القوم، إلا الذين ينهون عن السوء فقد أنجاهم.

فيجب على كل مؤمن وعلى كل مؤمنة أن ينتبه لهذا الأمر وأن يحرص عليه في بيته وفي الطريق وفي كل مكان عملًا بقول النبي ﷺ: **«مَنْ رَأى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإيمان»**[1]. فالأول باليد إذا استطاع كصاحب البيت وأهل الحسبة، وأهل الحسبة الذين عُيِّنوا لهذا الأمر، والأمراء ونحو ذلك ممن له سلطة عليهم أن ينكروا المنكر باليد بأن يتلفوا الخمور إذا وجدوها، ينكروا على من ضيع الصلاة بإلزامه بالصلاة وتأديبه على تخلُّفه، بغير هذا مما يستطيعون من إزالة المنكر، فمن عجز فباللسان يقول له: يا أخي اتق الله هذا لا يجوز هذا منكر، إذا رأى من أخيه ينكر عليه يقول: يا أخي هذا ما يجوز الواجب عليك تقوى الله. الواجب عليك كذا وكذا إذا رأى منه تخلفًا عن الصلوات أنكر عليه رآه يشتم ويلعن أنكر عليه، رآه يعق والديه يقطع أرحامه أنكر عليه بالحكمة والكلام الطيب والتوجيه إلى الخير، يتعامل بالربا أنكر عليه وحذره، يُسبل ملابسه يجرها أنكر عليه، يحلق لحيته أنكر عليه، وهكذا كلُّ ما رآه منكرًا حاسب صاحبه وأنكر عليه بالحكمة والكلام الطيب والتوجيه الحسن يرجو ثواب الله ويخشى عقاب الله.

والواجب على المُنكر عليه السمع والطاعة والدعاء لمن أنكر عليه وشكره على تنبيهه والدعاء له بالخير ولا يأنف ولا يتكبر، قال الله جلّ

---

(١) سبق تخريجه في (ص٢٧٠).

وعلا في وصف المتكبرين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، أعوذ بالله ويقول عليه الصلاة والسلام في الحديث: «**مَا مِنْ نَبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أُمَّة قَبْلِي إلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ**»؛ يعني: أنصار «**وَأَصْحَابٌ يَأخُذُونَ بِسنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرونَ**» هؤلاء خلوفٌ بعد الأنبياء، قال: «**فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَل**»[١]؛ يعني: إما اليد، وإما اللسان، وإما القلب يكره بقلبه ويفارق المنكر إذا عجز عن اليد، واللسان، يكره بقلبه يتغير وجهه، ويقوم ما يجلس معهم على المنكر، يقوم عنه إذا عجز عن الإنكار باليد واللسان.

وثبت عن الصديق ﵁ أبو بكر عن النبي عليه الصلاة والسلام؛ أنه قال: «**إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا المُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ**».

فيجب الحذر من هذه العقوبات، ويجب التواصي والتعاون في إنكار المنكر، والأمر بالمعروف في كل قرية وفي كل مدينة وفي كل قبيلة، ومتى تواصى الناس بهذا الخير وتعاونوا عليه قلَّ الشر في بلادهم وانتشر الخير وصلح المجتمع وصار ذلك من أعظم الأسباب في السلامة من عقوبة الله ﷿.

*

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان وأن الإيمان يزيد وينقص وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان برقم (٤٩).

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [آل عمران: ١١٣ ـ ١١٧][١].

قال ابن أبي نَجيح: زَعَم الحسن بن يَزيد العِجْليّ، عن ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾، قال: لا يستوي أهل الكتاب وأمَّة محمد ﷺ.

وهكذا قال السُّدِّي، ويؤيد هذا القول الحديثُ الذي رواه الإمامُ أحمدُ بن حنبل في مسنده: حدثنا أبو النَّضْر وحسن بن موسى قالا: حدثنا شَيْبان، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود قال: أخَّر رسولُ الله ﷺ صلاة العشاء، ثم خرج إلى المسجد، فإذا الناس ينتظرون الصلاة: فقال: «**أَمَا إِنَّه لَيسَ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الأدْيَانِ أَحَدٌ يَذْكُرُ اللهَ هَذِهِ السَّاعَةَ غَيْرَكُمْ**». قال: وأُنزلَت هذه الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾[٢].

والمشهور عن كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن إسحاق

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، الليلي ١٤٠٤هـ.
(٢) أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن مسعود رضي الله عنه (١/ ٣٩٦).

وغيره، ورواه العَوْفِيّ عن ابن عباس؛ أن هذه الآيات نزلت فيمن آمَنَ من أحبار أهل الكتاب؛ كعبد الله بن سَلام وأسَد بن عُبَيْد وثعلبة بن سَعْية وأسَيد بن سعْية وغيرهم؛ أي: لا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا، ولهذا قال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾؛ أي: ليسوا كلُّهم على حَدّ سواء؛ بل منهم المؤمن ومنهم المُجْرم، ولهذا قال تعالى: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ﴾؛ أي: قائمة بأمر الله، مطيعة لشَرْعه مُتَّبِعة نبيَّ الله، فهي قَائِمَةٌ، يعني: مستقيمة ﴿قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾؛ أي: يقومون الليل، ويكثرون التهجد، ويتلون القرآن في صلواتهم ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

حافظوا عليه، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكوات، وتهجدوا بالليل، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، وسارعوا في الخيرات، فهذا فيهم؛ ولهذا يأتي موسى يوم القيامة ومعه أمة كبيرة قد سدت الأفق؛ بسبب اتباعهم له. وبنو إسرائيل فيهم الضال والمغضوب عليه، وفيهم من هداه الله ودخل في الحق، ولكن أكثرهم فاسقون، نعم. الله المستعان.

مداخلة: الآن ضلال ومغضوب عليهم؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: هذا الوقت؟

الشيخ: نعم؟

القول بأن أهل الكتاب اليوم كلهم مغضوب عليهم وضالون.

- **س: الآن يا شيخ كلهم مغضوب عليهم؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الذين ما دخلوا في الإسلام فهم بقوا في غضب الله، من الذي ما دخل في الإسلام باء بغضب من الله؛ من النصارى واليهود؛ لكن قول النبي ﷺ فيهم ناس صالحون على دين موسى وعلى دين عيسى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهؤلاء هم المذكورون في آخر السورة: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ الآية [آل عمران: ١٩٩]، وهكذا قال هاهنا: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ﴾؛ أي: لا يضيع عند الله بل يجزيكم به أوفر الجزاء. ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾﴾؛ أي: لا يخفى عليه عمل عامل، ولا يضيع لديه أجر من أحسن عملًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمقصود من هذا: الحث على التأسي بهم، وأنهم جمعوا بين الخيرين، آمنوا بالماضين ثم آمنوا بمحمد ﷺ واستقاموا، وسارعوا إلى الخيرات، وأمروا بالمعروف، ونهوا عن المنكر، فينبغي أن يقتدي بهؤلاء وألا يغمط حق المحسن من أجل إساءة قومه وجماعته ونحو ذلك، فكل يؤخذ بذنبه، وكل يعطى حقه، فإذا أساء جماعتهم وكثر فيهم الفسق، فإن الله لا يضيع عمل عامل منهم ممن أصلح عمله، وهكذا إذا ساءت أعمال الأمم أو القبائل أو أهل البلد أو قرية أو نحو ذلك، فإن الله لا يضيع عمل من أحسن منهم واتقى الله، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وسارع في الخيرات، وإن كثر مخالفوه، نعم، هذا فضله وإحسانه وعدله جَلَّ وَعَلَا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى مخبرًا عن الكفرة المشركين بأنه: ﴿لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ

﴿أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾؛ أي: لا يُرَدّ عنهم بأس الله ولا عذابه إذا أراده بهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾﴾ ثم ضرب مثلًا لما ينفقه الكفار في هذه الدار، قاله مجاهد والحسن، والسُّدِّي، فقال تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾؛ أي: برد شديد، قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس وغيرهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا حالهم نعوذ بالله، هذه حالهم وكفرهم نفقاتهم تذهب هكذا، تذهب سدًى وتضيع عليهم؛ لأنها في غير الحق، كمثل الريح الشديدة التي فيها البرد الشديد والقوة العظيمة إذا أصابت الحرث والزروع أهلكت الزروع، ودمرت الخضروات وهلكت، وهكذا أعمال الكافرين مهما كثرت تكون هباءً منثورًا، وتضيع عليهم نعوذ بالله، كما قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨]، فالأعمال وإن كثرت إذا كانت ليست على أساس صالح؛ بل على الشرك، أو على الشرك والبدع صارت هباءً منثورًا نعوذ بالله، وإنما يبقى وينفع صاحبه ما كان لله من الأعمال الصالحات، وما كان موافقًا للشريعة ليس بدعة، هذا هو الذي ينفع الناس وينفع أهله، العمل الصالح: هو الموافق لشرع الله المخلص لله، الذي فعله أنفق لله في سبيل الله في طاعة الله، صلى لله فيصلي على ما شرعه الله.

وهكذا أعماله الأخرى فعلها لله على الوجه الذي شرعه الله، وهذا هو الذي ينفع أهله يوم القيامة، ولا يضيع عليهم بل يدخر لهم ويربى ويضاعف وينمى لأهله، بسبب ما فيه من الإخلاص والصدق وتحري السُّنَّة، والحذر من البدعة، أما الكفرة فأعمالهم حابطة باطلة ذاهبة،

كمثل الحرث الذي أذهبته ريح فيها صر، وهكذا العمل المبتدع يكون باطلًا يكون ذاهبًا ضائعًا: «**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ**»[(١)]، نعم، نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال عطاء: برد وجليد، قال ابن عباس أيضًا ومجاهد ﴿فِيهَا صِرٌّ﴾؛ أي: نار. وهو يرجع إلى الأول؛ فإن البرد الشديد ولا سيما الجليد يحرق الزروع والثمار كما يحرق الشيء بالنار. ﴿أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ﴾؛ أي: فأحرقته، يعني: بذلك السعفة إذا نزلت على حرث قد آن جذاذه أو حصاده فدمرته وأعدمت ما فيه من ثمر أو زرع فذهبت به وأفسدته، فعدمه صاحبه أحوج ما كان إليه، فكذلك الكفار يمحق الله ثواب أعمالهم في هذه الدنيا وثمرها، كما يذهب ثمرة هذا الحرث بذنوب صاحبه.

مداخلة: في نسخة يعني بذلك السفعة.

الشيخ: نعم؟

مداخلة: في نسخة: يعني بذلك السفعة.

الشيخ: السفعة، لعلها السعفة، يعني: السعفة توصف إذا كان فيها النار، رُمي على الزرع احترق، نسأل الله العافية، نعم، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكذلك هؤلاء بنوها على غير أصل وعلى غير أساس ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا حول ولا قوة إلا بالله، نعوذ بالله، وهذا يوجب للمؤمن دائمًا

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. أخرجه البخاري في كتاب الصلح، باب اصطلحوا على صلح جور مردود برقم (٢٦٩٧)، ومسلم في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور برقم (١٧١٨).

دائمًا أن يحرص على إخلاص الأعمال لله، وعلى اتباع السُّنَّة في كل شيء؛ حتى لا تضيع أعماله وتذهب سدى، كحال الكافرين والمبتدعين، وليحرص غاية الحرص على كل أعماله، وأن تكون نقية سليمة أراد بها وجه الله والقربة لديه، وتحرى فيها السُّنَّة الواردة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، لا يريد بها رياءً ولا سمعة ولا محمدة الناس ولا طلب الدنيا، ولا يبتدع من كيسه ويأتي من كيسه بشيء ما شرعه الله، نعم، الله المستعان.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٨ ـ ١٢٠][(١)].

يقول تبارك وتعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة؛ أي: يُطْلعونهم على سرائرهم وما يضمرونه لأعدائهم، والمنافقون بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خَبَالًا؛ أي: يَسْعَوْنَ في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن، وبما يستطيعونه من المكر والخديعة، ويودون ما يُعْنتُ المؤمنين ويخرجهم ويَشُقّ عليه.

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، الليلي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهي عامة لأهل النفاق وغيرهم، هي عامة لجميع أهل الأديان، المعنى: لا تتخذوا قومًا على غير دينكم بطانة لكم، تسرون إليهم بما لديكم من الأمور، وتطلعونهم على خفايا الأشياء؛ لأن العدو لا يؤمن، ولأن من طبيعته أنه يود الشر لعدوه، ولا يألو عدوه خبالًا، يعني: تدميرًا وإخلالًا بالأمور، ونقصًا عليه، وتسببًا لما فيه هلاكه وضرره، هذا شأن العدو؛ ولهذا قال جَلَّ: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾، يعني: من غيركم من الكفرة، سواء كانوا المنافقين وهم شر الكفار أو كانوا يهود أو نصارى أو مجوس أو غير ذلك، فجميع الكفرة هم أعداء، فلا ينبغي أن يتخذوا بطانة كالوزير والسكرتير وغير ذلك ممن يطلع على خفايا الأمور. أما استعمالهم بعيدين عن البطانة عند الحاجة هذاك شيء آخر، كما فعل النبي ﷺ مع اليهود في خيبر عند الحاجة ثم أمر بإجلائهم.

فالمقصود: أن العدو البعيد الذي يكونون في أعمال طائفة واضحة، وليس من البطانة أمره أسهل، وإن كان ينبغي إبعادهم بالكلية، لكن البطانة تكون أشد، ويكون أمرها أخطر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾؛ أي: من غيركم من أهل الأديان، وبطانة الرجل: هم خاصّة أهله الذين يطّلعون على داخل أمره.

وقد روى البخاري، والنسائي، وغيرهما، من حديث جماعة، منهم: يونس، ويحيى بن سعيد، وموسى بن عقبة، وابن أبي عتيق - عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد؛ أن رسول الله ﷺ قال: **«مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِي وَلا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَة إلا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ: بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْخيرِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالسُّوءِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ،**

وَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ»[١].

وقد رواه الأوزاعي ومعاوية بن سلام، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه فيحتمل أنه عند الزهري عن أبي سلمة عنهما. وأخرجه النسائي عن الزهري أيضًا وعلقه البخاري في صحيحه فقال: وقال عبيد الله بن أبي جعفر، عن صَفْوان بن سليم، عن أبي سلمة، عن أبي أيوب الأنصاري، فذكره. فيحتمل أنه عند أبي سلمة عن ثلاثة من الصحابة والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يفيد الحذر، إذا كان حتى الأنبياء كيف بغيرهم؟! **«ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالخير وتحثه عليه، وبطانة تأمره بالسوء وتحثه عليه، والمعصوم من عصمه الله»**. فاللي يجب على الأمراء ورؤساء الناس، وشيوخ القبائل، وكل من له حل وعقد أن يحذر البطانة السيئة، وأن يفتش عمن لديه، حتى لا يبتلى بهذه البطانة التي تأمره بالشر وتحثه عليه، وتثبطه عن الخير، وتكسله عنه، ولا حول ولا قوة إلا بالله. نعم. وقال من؟ وقال من؟

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو أيوب محمد بن الوَزَّان، حدثنا عيسى بن يونس، عن أبي حَيّان التيمي عن أبي الزِّنْباع، عن ابن أبي الدِّهْقانة قال: قيل لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن هاهنا غُلامًا من أهل الحِيرة، حافظ كاتب، فلو اتخذته كاتبًا؟ فقال: قد اتخذت إذًا بطانة من دون المؤمنين.

ففي هذا الأثر مع هذه الآية دلالة على أن أهل الذِّمَّة لا يجوز استعمالهم في الكتابة، التي فيها استطالة على المسلمين واطِّلاع على

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب بطانة الإمام وأهل مشورته برقم (٧١٩٨).

دَوَاخل أمُورهم التي يُخْشَى أن يُفْشوها إلى الأعداء من أهل الحرب؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾، وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا إسحاق بن إسرائيل، حدثنا هُشَيم، حدثنا العَوَّام، عن الأزهر بن راشد قال: كانوا يأتون أنَسًا، فإذا حَدَّثهم بحديث لا يدرون ما هو، أتَوا الحسن ـ يعني: البصري ـ فيفسِّره لهم. قال: فحدَّث ذات يوم عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تَسْتَضِيئوا بِنَارِ الْمُشْرِكِينَ، ولا تَنْقُشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبيًّا**» فلم يدروا ما هو، فأتوا الحسن فقالوا له: إن أنسًا حَدّثنا أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تَسْتَضِيئوا بِنَارِ الشِّرك ولا تَنْقُشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبيًّا**، فقال الحسن: أما قوله: «**ولا تَنْقُشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبيًّا: محمد ﷺ**». وأما قوله: «**لا تَسْتَضِيئوا بِنَارِ الشِّرك**»، يقول: لا تستشيروا المشركين في أموركم. ثم قال الحسن: تصديق ذلك في كتاب الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾. هكذا رواه الحافظ أبو يعلى رَحِمَهُ اللهُ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا فيه نظر، الشيء الحسن هذا فيه تأمل؛ لأن الاستيضاء بنارهم ليس بواضح في ما فسره به، والأقرب والله أعلم أنه أراد بذلك البعد عنهم وعن مجاورتهم، وعن مُساكنتهم ومُنازلتهم، وأن لا يكون مقيمًا بين أظهرهم، ولا مجاورًا لهم يستضيء بنارهم، أما اتخاذهم كُتَّابًا هذا أشد وأشد. وأما نقش عربيًّا نقش محمد رسول الله، فهذا ليس بواضح؛ لأن هذا ليس من البيان الواضح.

وبهذا يعلم أن هذا الحديث ضعيف؛ لأنه من رواية أزهر بن راشد هذا المجهول فلا يلتفت إليه، والمتن غريب، والراوي مجهول. . . . . .

وفي الحديث الآخر، يعني: من حديث جرير بن عبد الله البجلي أن النبي ﷺ قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين لا تراءى**

ناراهما»، هذا رواه أهل السنن نعم، أبو داود والترمذي والنسائي بإسناد جيد. فالمعنى: النهي عن تقاربهم وتصاحبهم في المنازل، لا ليبر الكافر والمسلم، المعنى: البعد عنهم، المعنى: البعد عنهم ومجانبة الاختلاط بهم خشية من شرهم. الله المستعان.

• **س: حكم السكنى في بلاد المشركين من كبائر الذنوب.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما فيه شك من الكبائر، نعم، نعم، الله أكبر. **﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾** [النساء: ٩٧]؛ ولهذا وجبت الهجرة من بلاد الشرك على المسلم، إلا إذا كان من أهل العلم، والدعوة إلى الله، أو كان عاجزًا مستضعفًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي الحديث الآخر: **«مَن جامعَ المشرك أو سكن معه فهو مثله»** فحمل الحديث على ما قاله الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فحمل، هذا الحديث: **«من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله»**، هذا رواه أبو داود لكن إسناده فيه ضعف، لكن له شواهد مثلما تقدم، قوله: **«أنا بريء من كل مسلم يقيم بين المشركين لا تراءى ناراهما»**. وحديث ثالث الذي رواه النسائي بإسناد جيد، يقول ﷺ: **«لا يقبل الله من مسلم عملًا بعدما أسلم أو يزيل المشركين»** أو يزايل، يعني: حتى يزايل، أو بمعنى حتى، أو معنى إذا. وهذا.. كل هذا يدل على وجوب مفارقتهم وعدم السكنى معهم؛ لأن السكنى معهم والمخالطة لهم وسيلة إلى ذهاب دينهم أو الرضا بما هم فيه من المعاصي الأخرى، أو التساهل بأمر الدين، فأقل أحواله أنه يتساهل بأمر الدين، ويحضر من

صلاتهم وأعيادهم وغير ذلك. نعم، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد رواه النسائي عن مجاهد بن موسى، عن هشيم. ورواه الإمام أحمد، عن هُشَيم بإسناده مثله، من غير ذكر تفسير الحسن البصري، وهذا التفسير فيه نظر، ومعناه ظاهر: «**لا تَنْقُشُوا فِي خَوَاتِيمِكُمْ عَرَبِيًّا**؛ أي: بخط عربي، لئلا يشابه نقش خاتم النبي ﷺ، فإنه كان نَقْشُه: محمد رسول الله؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أنه نهى أن يَنْقُشَ أحد على نقشه. وأما الاستضاءة بنار المشركين، فمعناه: لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونون معهم في بلادهم؛ بل تَبَاعَدُوا منهم وهَاجروا من بلادهم؛ ولهذا روى أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لا تَتَرَاءَى نَاراهُمَا**»، وفي الحديث الآخر: «**مَنْ جَامَعَ الْمُشْرِكَ أَوْ سَكَنَ مَعَهُ، فَهُوَ مِثْلُهُ**»؛ فحَمْلُ الحديث على ما قاله الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ، والاستشهاد عليه بالآية فيه نظر، والله أعلم.

ثم قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾؛ أي: قد لاح على صَفَحات وجوههم، وفلتات ألسنتهم من العداوة، مع ما هم مشتملون عليه في صدورهم من البغضاء للإسلام وأهله، ما لا يخفى مثله على لبيب عاقل؛ ولهذا قال: ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من هذا الباب قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] فبعضها تكون مثل هذه الآية العظيمة نعم، والله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾؛ أي: أنتم ـ أيها المؤمنون ـ تحبون المنافقين مما يظهرون لكم من الإيمان، فتحبونهم على ذلك وهم لا يحبونكم، لا باطنًا ولا ظاهرًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بما يظهرون لكم من الإيمان، بما يظهرون لكم من حرف من نعم، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾؛ أي: ليس عندكم في شيء منه شك ولا رَيْب، وهم عندهم الشك والرِّيَب والحَيرة.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عِكْرِمة أو سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾؛ أي: بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك، وهم يكفرون بكتابكم، فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم رواه ابن جرير ﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ والأنامل: أطراف الأصابع، قاله قتادة. وقال الشاعر:

أَوَدُّ كما ما بَلّ حَلْقِيَ ريقَتي ... وَمَا حَمَلَتْ كَفَّايَ أَنْمُلي العَشْرا

وقال ابن مسعود، والسدي، والربيع بن أنس الأنامل: الأصابع، وهذا شأن المنافقين يظهرون للمؤمنين الإيمان والمودة، وهم في الباطن بخلاف ذلك من كل وجه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ وذلك أشد الغيظ والحنق. قال الله تعالى: ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾؛ أي: مهما كنتم تحسدون عليه المؤمنين ويغيظكم ذلك منهم، فاعلموا أن الله متم نعمته على عباده المؤمنين، ومكمل دينه؛ ومُعْل كلمته ومظهر دينه، فموتوا أنتم بغيظكم. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾﴾؛ أي: هو عليم بما تنطوي عليه ضمائركم، وتكنُّه سرائركم من البغضاء والحسد والغل للمؤمنين، وهو

مجازيكم عليه في الدنيا؛ بأن يريكم خلاف ما تأملون، وفي الآخرة بالعذاب الشديد في النار التي أنتم خالدون فيها، لا محيد لكم عنها ولا خروج لكم منها.

ثم قال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ وهذه الحال دالة على شدة العداوة منهم للمؤمنين، وهو أنه إذا أصاب المؤمنين خصب ونصر وتأييد وكثروا وعز أنصارهم؛ ساء ذلك المنافقين، وإن أصاب المسلمين سَنَة؛ أي: جدب أو أديل عليهم الأعداء؛ لما لله تعالى في ذلك من الحكمة ـ كما جرى يوم أُحد ـ فرح المنافقون بذلك. قال الله تعالى مخاطبًا للمؤمنين: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ الآية. يرشدهم تعالى إلى السلامة من شر الأشرار وكيد الفجار؛ باستعمال الصبر والتقوى والتوكل على الله الذي هو محيط بأعدائهم، فلا حول ولا قوة لهم إلا به، وهو الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا يقع في الوجود شيء إلا بتقديره ومشيئته، ومن توكل عليه كفاه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه من نعم الله العظيمة، ومن نعم الله العظيمة: أن أهل الإيمان إذا صبروا واتقوا لا يضرهم كيد الكفار؛ بل سوف ينصرون عليهم ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فمتى صبر أولياء الله واتقوا ربهم، وجاهدوا في سبيله ونصروا دينه، وتكاتفوا وتعاونوا على البر والتقوى؛ أيدهم الله وكفاهم شر أعدائهم، وكفاهم مكائدهم، ولكن المصيبة تأتي من جهة تقصيرهم لأمر الله، وارتكابهم بعض المحارم، أو تفرقهم واختلافهم، كما جرى يوم أُحد حتى جرى ما جرى من الإدالة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ عَضُّوا۟ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٨ ـ ١٢٠](١).

في هذه الآيات الكريمات تحذير شديد من اتخاذ الكفرة بطانةً للمؤمنين، وبيان سُوء عاقبة ذلك، وأن الكفرة لا يألون المؤمنين خبالًا؛ أي: فسادًا وضررًا وحرصًا على كلِّ ما يكون فيه شرٌّ عليهم وبلاء.

ولهذا يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾؛ أي: الكفرة، فالذين دون المؤمنين هم الكفرة، ولهذا قال: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا﴾ يُبين الأسباب التي من أجلها جاء النهي، وأن أعداء الله لا يألون المسلمين خبالًا؛ أي: نقصًا وضررًا وإيذاءً وإدخالًا للسوء عليهم، وما ذاك إلا لأن الدين غير الدِّين، فالدين يخالف الدِّين، والعداوات التي تتعلق بالدِّين هي أشد العداوات كما يقول الشاعر:

كل العداوات قد ترجى مودَّتُها إلا عداوة من عاداك في الدين

فهم يعتقدون أنك على باطل، وأنك ضِدهم، ولهذا لا يألون خبالًا لأهل الإيمان بإدخال السوء عليهم وتربُّص الدوائر بهم، وربما مالأوا الأعداء عليهم وخامروا الأعداء عليهم عند أدنى سبب.

ثم يقول ﷻ: ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ﴾، ما: مصدرية؛ أي: وَدُّوا عنتكم؛

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ٢٤٦).

أي: وَدُّوا كلَّ ما يَشقُّ عليكم. ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ﴾؛ أي: ما يظهر من فَلَتاتِ اللِّسان، والكلمات التي قد يقولونها إذا أمنوا، أو يقولونها فيما بينهم؛ فكلُّ ذلك يَدلُّ على شدة العداوة وقصد السُّوءِ بالمسلمين.

﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾؛ أي: ما تخفي صدورهم من العداء والبغضاء وقصد السوء بالمسلمين أكبر مما يظهر وَيَبين من الألسنة. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَـٰتِ﴾؛ أي: الدلائل والحُجج ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾؛ أي: إن كان هناك عقل يميز الضار والنافع، والخير والشر، والهدى والضلال، والمصلحة والمفسدة.

ثم يبيِّن ﷻ بعد ذلك بقوله: ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾؛ أي: أنتم المسلمين قد تحبون أولئك المنافقين المشركين؛ لما قد يظهر منهم من نصح، ويزيفون من عطف وعناية، وهم كاذبون، ولا سيما أهل النفاق، شرهم أعظم من الكفار المُعلِنين، فهم يظهرون من المحبة، ويظهرون من أصل الخير والمواساة والإحسان ما يضر المؤمنين، وما يغرّنا بهم أنهم أولياء، وأنهم أحباب وأنهم ليسوا أهل نفاق، ولكن الحقائق غير ذلك. ﴿هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ فهذا هو شأن الكفرة مهما أحبهم المؤمنون وأظهروا لهم المودة، سواء كان ذلك عن نفاق من الكفرة وكان عن نقص من المؤمنين وعن ضعف؛ لأن العدوّ به شيء يخشونه، أو لغير ذلك من أسباب الجهل.

ثم قال: ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ﴾؛ أي: الكتاب الذي نزل على محمد ﷺ، هنا الكتاب؛ أي: جنس الكتاب؛ أي: جنس ما نزل على الأنبياء، فبعض أهل الكتاب يؤمن بجميع الكتب التي نزلت على جميع الأنبياء، ومن جملتها التوراة والإنجيل المُنزلان على موسى وعيسى، أما هؤلاء فلا يصدّقون بما جاء به محمد ﷺ ولا يؤمنون به، واليهود لا تؤمن بالإنجيل أيضًا، فهم وأنتم على شقاق واختلاف.

﴿وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ هذه من صفات أهل النفاق، يبيِّن ﷻ في هذا الكلام من يتظاهر بالنفاق، فالمسلمون يحبونهم لظاهر ما ادَّعَوا من الإسلام والأخوة الإسلامية الإيمانية، ولكن الواقع خلاف ذلك.

﴿وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فأهل الكفر والنفاق هذا شأنهم، فلا يليق بالمؤمنين أن يَأْمَنُوهم ولا يولُّوهم الأمور التي يخشى منها الشر على المسلمين، بل مهما أمكن فصلهم وبُعدهم عن المؤمنين وعدم أمنهم، فهو المُتحتم، وهو الواجب؛ بُعدًا عن الشر وحَذَرًا من مكائدهم الخبيثة، وقد عرف المسلمون قديمًا وحديثًا شرَّ المنافقين وممالاتهم وولاءهم لأعداء الله فيجب الحذر منهم غاية الحذر.

ويروى أن أبا موسى الأشعري ﵁ وأرضاه استكتب كاتبًا نصرانيًّا حين إمارته على الكوفة، فَقَدِم في بعض خدماته، وطلبه عُمر وكان بالمسجد أن يأتي بحسابه لكي ينظر في بعض الحساب، فقال: إنه لا يدخل المسجد، فقال: وما له؟ فعَلم أنه نصراني، فغضب عليه عمر وأنكر عليه ذلك، وقال: قاتلك الله، لمَ تُفَضّله؟ قال: إنه حاسب وإنه كذا وكذا، فَلِي عَمله وحِسابُه، وله دينه، قال: لا تأتمنهم وقد خوَّنهم الله، ولا تقرِّبهم وقد أبعدهم الله(١).

فالمقصود من هذا: أن الكافر ولو كان عنده شيء من الحساب،

---

(١) أورده البيهقي في سننه ١٢/٢ من حديث عياض الأشعري، وهذا لفظه بتمامه: أن أبا موسى ﵁ وفد إلى عمر بن الخطاب ﵄ ومعه كاتب نصراني فأعجب عمر ﵁ ما رأى من حفظه فقال: قل لكاتبك يقرأ لنا كتابًا. قال: إنه نصراني لا يدخل المسجد. فانتهره عمر ﵁ وهمَّ به وقال: لا تكرموهم إذ أهانهم الله، ولا تدنوهم إذ أقصاهم الله، ولا تأتمنوهم إذ خوَّنهم الله ﷿.

ولو كان عنده شيء من الحِذْق في الأشياء، فمهما أمكن أن يستغنى عنه بالمسلم فهو الواجب، وعملًا بما ينبغي من إبعادهم وفصلهم عن المسلمين حتى لا يضروهم من غير أن يشعروا بذلك.

﴿وَإِذَا خَلَوْاْ﴾؛ أي: خلوا عنكم وغابوا عنكم، أو خلوا بشياطينهم ﴿عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ بأطراف الأصابع من غيظهم، ومن بُغضهم لكم، ﴿قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ يعلم ما تخفي الصدور، وما تنطوي عليه القلوب من خير وشر، لا تخفى عليه خافية ﷻ.

فيجب على المؤمن أن يتق الله ﷻ، وأن يُظهر الخير، وأن يكون ناصحًا لله والعباد أينما كان، وأن يحذر غش عباد الله والخيانة لعباد الله مهما كان، فإن الله لا يخفى عليه خافية ﷻ.

ثم يُبيِّن ﷻ حالة الكفار، وأنه يَسرُّهم ما يَضرُّ المسلمين، ويحزنهم ما يفرح المسلمين وما ينفع المسلمين، ولهذا يقول ﷻ: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا﴾ هذا شأنهم، إن مَسَّ المسلمين حسنة من نصر وتأييد وعزٍّ وجَمْع كلمة وحصول خير عظيم ساءَهم ذلك. ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾؛ أي: وإن تُصِب المسلمين سيئة من هزيمة، أو جراحات، أو قتل، أو فقر، أو اختلاف فيما بينهم، أو ما أشبه ذلك يفرح الأعداء بذلك، لأنهم جُندٌ لهم على المسلمين، فيفرحون بما يؤذي المسلمين، وما يُفرق كلمتهم، وما يسبب العداوة والبغضاء فيما بينهم.

فيجب على المسلمين أن يكون عندهم من الحذر والبصيرة ما يعينهم على محاربة ما يَضرُّهم ويُفرق كلمتهم، ويعينهم على الحرص على جمع كلمتهم وتعاونهم، وأن يكونوا صفًّا واحدًا ضد عدوهم.

﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ

مُحِيطٌ﴾ هذه آية عظيمة يبيِّن فيها ﷻ أن المسلمين إذا صبروا على دينهم واتقوا الله فيما بينهم فإنه لا يضرهم عدو مهما كثر عددهم، ومهما قلَّت عِدَّة المسلمين، فإن الله ناصرهم ومؤيدهم بهذين الشرطين: الصبر والتقوى.

فالصبر: الصدق في اللقاء، والصبر على ما قد يقع من جراحات، ومن فقر، ومن حاجة، وغير ذلك.

والتقوى: كل خير، فالتقوى إعداد العُدَّة، والتدرب على السلاح، والثبات على الحق، وترك المحارم، إلى غير ذلك.

فالكلمتان جامعتان لكل خير، جامعتان للصبر على ما قد يضر المسلمين من جراحات ومن فقر ومن حاجة وما إلى ذلك، فالتقوى تكون بالعمل بكل ما يُعينهم على قتال عدوهم وجهاده من إعداد الأبدان وإعداد السلاح وإعداد النفقة وأخذ الحيطة، والبعد عن مكائدهم وعن أسباب شرهم من جميع الوجوه.

ثم يبيِّن ﷻ أنه يحيط بهم، وأنه عالم بأحوالهم، وليس يخفى عليه خافية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ فلا تخفى عليه خافية: مهما أعدُّوا، ومهما حاولوا النيل من المسلمين فإنه ﷻ لهم بالمرصاد وسوف يُبطل مكائدهم ويعين أولياءه عليهم إذا صدق أولياؤه، وإذا أدّوا ما عليهم، فإذا صدقوا في إعداد القوة في التقوى والصبر في أخذ الحذر، وفي أخذ الحيطة، واستقاموا فالله ناصرهم، كما قال ﷻ: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، ثم فسَّر المنصورين وبيَّن أعمالهم وقال: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج: ٤١]، فإقامة الصلاة عنوان الاستقامة على دين الله، فمن حفظها حفظ دينه ومن ضيّعها فهو ما سواها أضيع، ﴿وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج: ٤١] هذا فيه دلالة على أنهم مستقيمون في فعل المعروف والأمر به والنهي عن المنكر والتحذير منه،

وبهذا استحقوا النصر من الله ﷻ، واستحقوا العاقبة الحميدة، ولله عاقبة الأمور ﷻ.

وبهذا يُعلم أن ما أصاب المسلمين من تأخُّر وضعف وتفرق كلمة وتسليط عدوّ، إنما هو بأسباب إضاعتهم لهذه الصفات، وعدم قيامهم بها أو ببعضها، ولهذا حصل ما حصل من الضعف والتأخُّر وتسليط الأعداء، فإذا رجعوا إلى ما أمرهم الله به وما وَعدهم عليه النصر، واستقاموا عليه، جاءهم ما وعدهم به من النصر والتأييد ورفع من مكانتهم وعِزّهم ونصرهم على عدوهم، ونسأل الله حسن العاقبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [آل عمران: ١٢١ ـ ١٢٥][(١)].

سبق في كلامه ﷻ التحذير من اتخاذ بطانة من دون المؤمنين، وبَيّنَ سبحانه مفاسد ذلك ومَضارّه، وحِكمةَ المنع من ذلك، ثم بَيَّن هنا ﷻ ما جرى يوم أُحد ويوم بدر، وهما غزوتان عظيمتان حصلتا بين النبي ﷺ وبين المشركين، والتقى فيها حزب الله وحزب الشيطان،

---

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان حفظه الله (٤/ ٢٥٥).

وكانت الدائرة في يوم بدر وهي الغزوة الأولى التي جمع الله فيها بين نبيّه وبين عدوه على غير ميعاد كانت الدائرة فيها على أعداء الله، وجرى فيها ما جرى مما هو معروف من هزيمة أَعداء الله، وقَتْل سبعين منهم، وأَسْرِ سبعين، وانهزم الباقين، وكان هذا نصرًا مُبينًا عظيمًا، وفتحًا كبيرًا أذل رؤوس المنافقين، وعَظُم فيه أمرُ النبي ﷺ وأمرُ المسلمين، وانتشر صِيتُ هذه الغزوة بين العرب وغيرهم.

ثم دارت الدائرة على المسلمين في غزوة أُحد، فإن المشركين عظم عليهم الأمر، فعندما قُتل رؤساؤهم وعظماؤهم وصناديدهم يوم بدر شق عليهم الأمر جدًّا، وتوجهوا إلى أبي سفيان بعدما قدم بالعِير سالمًا وفيها التجارة العظيمة، فقالوا فيما بينهم: هذه التجارة تبقى لقتال محمد ﷺ وأصحابه، والاستعانة بها في إعداد غزوة يقوم بها الكفار في المدينة، فتراسلوا في هذا وتزاوروا فيه، وجرى بينهم ما جرى، واستسمحوا من لهم الأموال، وتَمَّ أمرهم على إعداد العدة لغزوة أُحد.

وكانت غزوة أُحد في شوال من العام الثالث للهجرة، وغزوة بدر في رمضان من العام الثاني للهجرة، فعلى رأس السنة جاء جيش المشركين في ثلاثة آلاف مقاتل، ونزلوا بالمدينة، واستشار النبي ﷺ الناس للخروج إليهم أو تركهم بمكانهم إن دخلوا قُتِلوا، وإن يئسوا تُركوا حتى ينقلبوا، فأشار قوم بالجلوس كعبد الله بن أُبيٍّ ابن سلول رأس المنافقين، فقال: نجلس في بلادنا، فإن دخلوا علينا قاتلناهم في الأسواق، وقاتلهم النساء والصبيان من السطوح بالحجارة وغيرها، وساروا بشرِّ حالة، وإن انشمروا انشَمروا خائبين. وقال آخرون من الشُّجعان والأبطال ومن لم يحضر يوم بدر: يا رسول الله نخرج إليهم، فلا يليق بنا أن نُقيم بالمدينة وهم حولنا، بل نخرج إليهم ونقاتلهم وجهًا لوجه، فهوي النبي ﷺ قول هؤلاء الآخرين، ودخل بيته ثم لبس لَأْمَتَهُ؛ لَأمة الحرب، وخرج إليهم ـ عليه الصلاة والسلام ـ، فكان بعضهم قال:

نخشى أن نكون أكرهنا الرَّسول ﷺ على ذلك، فقالوا: يا رسول الله إن شِئْتَ أن نبقى، قال: «**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لأْمَتَهُ ثُمَّ يَضَعُهَا حَتَّى يُقَاتِلَ**»(١).

فخرج الناس في ألف مقاتل إلى جهة أُحد، فبَدا لعبد الله ابن أُبيّ وهو في الطريق أن يرجع، وقال: أطاع رأيهم ولم يُطِعْ رأيي، وانخزل بنحو الثلث من الناس؛ أي: بنحو ثلاث مئة من الجيش، وقالوا: ليس هناك قتال، ولا نعلم قتالًا، وكانت وصمةً كبيرة على هذا الرجل ونِفاقًا ظاهرًا، فلامه الناس على ذلك وأرادوا منه الرجوع فأبى.

واستمر النبي ﷺ بوجهه في نحو سبع مئة مقاتل، وجعلوا ظهرهم إلى أُحد واستعدوا لقتال عدوِّهم، وأمر الرُّماة وهم خمسون مقاتلًا، أن يمسكوا سفح الجبل، وينضحوا خيل المشركين بالنَّبْل وأن يمنعوا أن يؤتوا من خلفهم، وحَرَّض الرُّماةَ على ذلك فقال: «**لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلَا تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلَا تُعِينُونَا**»(٢).

وكان في أمر الله ما كان ﷻ، وقد سبق في علم الله ما فيه دلالة على صدق الرسول ﷺ، وأن الحرب بينه وبين عدوه ستكون سجالًا، يُدَالُ عليهم ويُدَالُونَ عليه، فكان هذا من علامات النبوة، كما قال هرقل لما أخبره أبو سفيان بالحال التي بينه وبين محمد ﷺ وسأله عن الحرب قال: كانت سجالًا، نُدال عليه ويُدال علينا، قال في جوابه بعد ذلك: هكذا الأنبياء تُبتلى، ثم تكون لها العاقبة.

فحصل بين النبي ﷺ والمشركين يوم أُحد قتال عظيم، انهزم فيه

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى برقم (٧٦٠٠)، وذكره البخاري معلقًا في كتاب الاعتصام، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨].

(٢) أخرجه البخاري من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه في كتاب المغازي، باب غزوة أُحد برقم (٤٠٤٣).

المشركون في أول الأمر، وقُتل منهم أكثر من العشرين، ثم لما رأى الرُّماة أن المشركين انهزموا وسقطت رايتهم، ظنوا أنها الفاصلة، وأن الحرب قد انتهت، وأن المسلمين قد انتصروا، وأنه ليس هناك حاجة إلى البقاء على سفح الجبل، فذكَّرهم أميرهم عبد الله بن جبير بما قاله النبي ﷺ من لزوم المكان وإن انتصرنا، فأبى عليه القوم متأولين أن مراد النبي ﷺ الحيطة؛ لئلا يرجع الكفار، وقد انهزموا وليس هناك حاجة إلى البقاء.

وكان أمرًا مُقدَّرًا من الله ﷻ، وأمرًا مفعولًا، ولم يُعذَروا بهذا، فصارت معصية؛ لأنهم أُمروا بالبقاء، فوقع بهذا النزاع والفشل الإخلال في الموقف، فدخلت خيل الكفار على المسلمين من ورائهم، وصار القتال من الخلف ومن الأمام، واضطرب المسلمون في هذه الحال، وصار ما صار من الهزيمة والقتل العظيم، حتى قُتل من المسلمين نحو السبعين، وحصل فيهم جراحات كثيرة، وأصعدوا في الجبل، وانفرد النبي ﷺ في عشرة من المسلمين، منهم: الصديق وعمر، ومنهم: سبعة من الأنصار، ولم يزل الأنصار يُدافعون عن النبي ﷺ حتى قُتلوا جميعًا، ولم يبق إلا النبي ﷺ وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

وجرت مصيبة عظيمة؛ ليَتبيَّن ﷻ وهو الحكيم العليم الصادق من الكاذب، والصابر من غيره، والمؤمن من المنافق، وعند هذا نجم النفاق، وأظهر المنافقون كلامهم، وقالوا ما قالوا، ولكن الله فضحهم سبحانه وتعالى، وجعل هذه الوقعة تمحيصًا للمؤمنين وتكفيرًا لسيِّئاتهم وامتحانًا، واتخاذهم شهداء، فظهر نفاق المنافقين، وظهرت آية الله في عباده، وأنه يبتلي الرُّسل ويبتلي الأنبياء، ثم يجعل لهم العاقبة، والحمد لله سبحانه وتعالى.

وفي غزوة أحد دلالة ظاهرة على أن الرُّسل عباد لله ﷻ وليسوا أربابًا، وقد قُتل من الرُّسل من قُتل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ، وجرى

على النبي ﷺ ما جرى يوم أُحد من الجراحات وكَسْر الرَّباعية وكَسْرِ البَيضة على رأسه ﷺ، وجرى ما جرى على جماعة من الصحابة وهم خِيرَةُ الله من عباده بعد الأنبياء، فلو أنَّ أحدًا ينصر بمجرَّد أنه صالح، وبمجرَّد أنه نبي وبمجرَّد أنه وَليٌّ من أولياء الله، لنُصر المسلمون يوم أُحد، ولم يحدث لهم شيء؛ لأنه نصرٌ لعباد الله؛ ولأنهم خير خلق الله، ولكن الله له سُنَّة جارية في عباده، وأن من أخلَّ بالسنن الكونية والحربية ولم يُبالِ بها، فسوف يجري عليه ما جرى على أمثاله من النقص ومن الهزيمة ومن الجراح إلى غير ذلك.

فلا بد من الأخذ بالسنن الجارية، والأسباب، والحيطة، وإعداد العُدَّة، فقد لَبِسَ النبيُّ يوم أُحد درعين ظاهَرَ بين دِرعَينِ، وهذا كلُّه يَدلُّ على الحيطة والأخذ بالأسباب، وبه يُعلَم أن الرسل والأنبياء والأولياء لا يُعبَدون من دون الله، وليسوا آلهة كما يظنهم الجهال الذين اتخذوا قبورهم واتخذوا أنفسهم آلهة من دون الله، فيعبدونهم مع الله، ويسألونهم قضاء الحاجات، وتفريج الكُروب في كل مكان من قريب ومن بعيد. هذا هو الجهل العظيم، فهم وإن كانوا كُرماءَ وأشرافًا عند الله، وعند عباد الله المؤمنين، وإن كانوا أصلح عباد الله، إلا أنهم لا حق لهم في العبادة؛ فالعبادة حق الله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

وذكر سبحانه أنه أخرج نَبيَّه ليُبوِّئ المؤمنين مقاعد للقتال، ليُبيِّنَ لهم مواضع القتال ومحله كيف يقاتلون عدوهم، وبيَّن سبحانه أن طائفتين هَمَّتا أن تفشلا ثم ثبَّتَهما الله، وهاتان الطائفتان ثبت في الصحيحين من حديث جابر رضي الله عنه أنهما قبيلتا بني سَلِمَة وبني حارثة، ثم ثبَّتهُما الله فلم يفشلا، وثبتتا[١].

(١) متفق عليه، من حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب =

ثم بيَّن ﷻ ما جرى ببدر، وأنه نصرهم ببدر وهم أذلة قليلون مُستَضعَفونَ نحو الثلث من عدوهم، فنصرهم الله وأيدهم وأذل أعداءهم وهو الحكيم العليم، فمن استقام على أمره وحافظ على شرعه وأخذ بالأسباب نُصِرَ وأُيِّدَ وإن كان من الفئة القليلة ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، ومن أخَلَّ بالأسباب وحصل منه العصيان والنزاع والفشل يُنصر عليه عدُّوه، وإن كان عدوُّه أبغَضَ إلى الله منه، وإن كان عدوُّه العدوَّ اللَّدود، ولكن من أخل بسنَّة الله في الحروب، وأخلَّ بما يجب من أخذ الأسباب، وأخلَّ بما يجب من الطاعة، وباشر المعصية فهو حريٌّ بأن يُنصر عليه عدوُّه وإن كان في غاية من الفضل والطاعة، ونحو ذلك في الجملة.

ولكن إذا أخل بالأمور اللازمة في الحرب، ولم يأخذ بالحيطة، ولم يُعِدَّ العُدَّة اللازمة، فلا بُدَّ أن يُصاب بما يُصاب به أمثاله، من جراح وهزيمة وغير ذلك، حتى لا يحتج أحد، فالله قد أمر بإعداد العُدة والأخذ بالأسباب والحيطة، فإذا فرط الناس وتساهلوا وتكاسلوا فالمصيبة عليهم.

ومن أعظم المصائب: العصيان والاختلاف والنزاع، فهذه من أعظم الأسباب لتسليط الأعداء، مهما كان أولئك الأخيار، ومهما كانوا من الفضل، فإذا أَخَلُّوا وتساهلوا بما يجب، فهم على خطر من العقوبات من أعدائهم وأعداء الله، ولنا فيما وقع يوم أُحد أعظم حجة، وأعظم فائدة، وأعظم موعظة، فليس في الدنيا في ذاك اليوم ولا بعده ولا قبله، أفضل من الرسول ﷺ، وليس في الدنيا أفضل من الصحابة

= ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عِمرَان: ١٢٢] برقم (٤٠٥١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار برقم (٢٥٠٥).

بعد الأنبياء، ومع ذلك لمَّا أخلوا بالموقف وحصل العصيان والتنازع والفشل جرى ما جرى مما هو معلوم، ولنا في هذا عظة وذكرى، ولكل مسلم عظة وذكرى، ولكل دولة صالحة عاقلة عظة وذكرى، والله المستعان.

وأما ذِكْرُ الآلاف الثلاثة في الآية وذكر الخمسة كذلك، فقد اختلف أهل العلم في هذا، فقال بعضهم: إن هذا في يوم أُحد وليس في يوم بدر، وقال آخرون: في يوم بدر وهو تفسير ابن جرير وهو ظاهر السياق أنه في يوم بدر، وأن الله ﷻ أنزل من الملائكة ألفًا مُردفين، وأن هذا الإرداف يحتمل أنه ثلاثة آلاف ويحتمل أنه أكثر وهم خمسة، فيحتمل هذا وهذا.

والإرداف ليس معناه أنهم راكبون معهم، فقد يُردفون بهم وإن كانوا بعدهم، يعني: نزلوا بعدهم إلى القتال، وليس من اللازم أن يكونوا معهم في الخيل التي ركبوا عليها؛ فالإرداف يكون على الفرس ويكون تابعًا له على فرس أخرى، وفي طريق أخرى عونًا له، والله قال في آية أخرى في قصة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، وهنا قال: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُنزَلِينَ﴾، ثم قال: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾.

والتَّسويم: التعليم، يعني: جعلوا علامات على رؤوسهم أو على خيلهم. والمقصود: أن الله ﷻ أمدهم بألف من الملائكة مُردِفِينَ كما في سورة الأنفال، وهنا قال: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ﴾ فيحتمل أن هذا المَدَدَ حصل، ويحتمل أنه لم يحصل على قول من قال: إن هذا يوم بدر، أما في يوم أُحد فلم يحصل؛ لأنهم أخلُّو بالموقف وأخلُّوا بما وجب عليهم، فخُذلوا بسبب العصيان والفشل، وقد سبق لك أن المختار عند ابن جرير

والجماعة أن هذا المَدد بالثلاثة والخمسة كان يوم بدر، وأنه إرداف للسابق، والله أعلم ﷻ.

والخلاصة: أنهم في يوم بدر نُصروا مع قِلَّتِهم وضَعفِهم لما صدقوا واستقاموا واتَّحدت كلمتهم، ولم يختلفوا ولم يتنازعوا ولم يعصوا، وفي يوم أحد لما اختلفوا وتنازعوا الرُّماة ونزلوا وتركوا الموقف وعصوا، سلِّط عليهم العدو بأسباب العصيان الظاهر والاختلاف، وكان ذلك قدرًا مقدورًا، ولله فيه العظة البالغة والحجة الداحضة، وله ﷻ الآية العظمى والدلالة على صدق الرسول ﷺ وأنه رسول الله، وأنه يُبتلى وأنهم يُبتلون، ثم تكون لهم العاقبة.

وقد جاءت غزوة الخندق بعد ذلك بسنتين، في السنة الخامسة للهجرة، واجتمع رأي المشركين على حرب النبي ﷺ، واجتمعوا في نحو عشرة آلاف مقاتل، ونزلوا بالمدينة وحاصروها، واتَّخذ النبيُّ الخندق العظيم وصابرهم النبي ﷺ مدة طويلة، ولم يَجْرِ قتال إلا مناوشة.

وقُتل من المشركين عمرو بن عبد وُدّ، وأصيب سعد بن معاذ في أكحله، ثم مات بعد ذلك رضي الله عنه وأرضاه وجرى شدة بين المسلمين وبين عدوهم في ذلك الموقف العظيم، ثم أنزل الله بأسه وجنده على أعدائه، وأصابهم بالريح العظيمة والجنود الكثيرة، حتى انقلبوا خاسئين إلى بلادهم، لم ينالوا خيرًا وكفى الله المؤمنين قتالهم وشرَّهم، وصارت العاقبة حميدة. وقال رسول الله ﷺ بعد ذلك: **«الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنَا، نَحْنُ نَسِيرُ إِلَيْهِمْ»**(١).

---

(١) أخرجه البخاري من حديث سليمان بن صُرد رضي الله عنه في كتاب المغازي، باب غزوة الخندق وهي الأحزاب برقم (٤١١٠).

فصارت هي الآخرة، فلم يغزوا النبي ﷺ في المدينة؛ بل غزاهم النبي ﷺ بعد ذلك يوم الحُديبية، وجرى ما جرى من الصُّلح، ثم غزاهم في عام ثمانٍ يوم الفتح، ففتح الله عليه وانتهى أمرهم، ولله الحمد والمنة سبحانه وتعالى.

*

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم شرع تعالى في ذكر قصة أحد، وما كان فيها من الاختبار لعباده المؤمنين والتمييز بين المؤمنين والمنافقين وبيان صبر الصابرين.

□ **فقال تعالى:** ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَـٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢١ ـ ١٢٣][(١)].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

المراد بهذه الوقعة: يوم أُحد عند الجمهور، قاله ابن عباس، والحسن، وقتادة، والسدي وغير واحد. وعن الحسن البصري المراد بذلك: يوم الأحزاب. رواه ابن جرير وهو غريب لا يعول عليه وكانت وقعة أُحد يوم السبت من شوال سنة ثلاث من الهجرة. قال قتادة: لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال. وقال عكرمة: يوم السبت للنصف من شوال، فالله أعلم.

وكان سببها: أن المشركين حين قتل من قتل من أشرافهم يوم بدر وسلمت العير بما فيها من التجارة التي كانت مع أبي سفيان، فلما رجع

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

قفلهم إلى مكة قال أبناء من قتل ورؤساء من بقي لأبي سفيان: أرصد هذه الأموال لقتال محمد، فأنفقوها في ذلك، فجمعوا الجموع والأحابيش، وأقبلوا في نحو من ثلاثة آلاف، حتى نزلوا قريبًا من أُحد تلقاء المدينة، فصلى رسول الله ﷺ يوم الجمعة، فلما فرغ منها صلى على رجل من بني النجار يقال له: مالك بن عمرو، واستشار رسول الله ﷺ الناس: أيخرج إليهم أم يمكث بالمدينة، فأشار عبد الله بن أُبي بالمقام بالمدينة، فإن أقاموا أقاموا بشر محبس، وإن دخلوها قاتلهم الرجال في وجوههم، ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم، وإن رجعوا رجعوا خائبين. وأشار آخرون من الصحابة ـ ممن لم يشهد بدرًا ـ بالخروج إليهم، فدخل رسول الله ﷺ فلبس لأمته، وخرج عليهم وقد ندم بعضهم وقالوا: لعلنا استكرهنا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! إن شئت أن نمكث. فقال رسول الله ﷺ: «**لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لْأَمَتَهُ فَيَضَعُهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ**»(١)، فسار ﷺ في ألف من أصحابه، فلما كانوا بالشوط رجع عبد الله بن أُبي في ثلث الجيش مغضبًا؛ لكونه لم يرجع إلى قوله، وقال هو وأصحابه: لو نعلم اليوم قتالًا لاتبعناكم ولكنا لا نراكم تقاتلون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من أجل نفاقه وخبثه؛ لأن عبد الله بن أُبي كان منافقًا خبيثًا، فلما لم يقبل النبي ﷺ رأيه في الجلوس في المدينة وقتالهم إذا دخلوا؛

---

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب الاعتصام، باب قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨] ساقه بعد الحديث رقم (٧٣٦٨)، ووصله الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ١٢٨)، وحسنه الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣/ ٣٤١).

خرج مغضبًا ثم رجع في أثناء الطريق، ورجع معه نحو ثلث الجيش ممن يعظمه ويقدر رياسته في قومه، وبقي مع النبي ﷺ حوالي سبعمائة من المقاتلين، وكان الجيش الكافر نحو ثلاثة آلاف مقاتل، وكانوا قد نزلوا بالمدينة وبأطراف المدينة عند أُحد، فأراد الله ما أراد ﷻ بينهم وبينهم، وجرى ما جرى من القتال والجراح، وتخلف الرماة الذين أمرهم النبي أن يلزموا موقفهم، وألا يحيدوا بالموقف؛ حتى لا يدخل العدو من خلف المسلمين، فجرى ما جرى مما يأتي. نعم. ولله الحكمة البالغة ﷻ، له الحكمة البالغة في كل شيء ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

واستمر رسول الله ﷺ سائرًا حتى نزل الشعب من أُحد عدوة الوادي، وجعل ظهره وعسكره إلى أُحد، وقال: لا يقاتلن أحد حتى نأمره بقتال، وتهيأ رسول الله ﷺ للقتال وهو في سبعمائة من أصحابه، وأمَّر على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف، والرماة يومئذ خمسون رجلًا، فقال لهم: انضحوا الخيل عنا ولا نُؤتَين من قِبَلكم، والزموا مكانكم إن كانت النوبة لنا أو علينا، وإن رأيتمونا تخطفنا الطير «**إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ، فَلَا تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ**»[(١)]، وظاهرَ رسول الله ﷺ بين درعين، وأعطى اللواء مصعب بن عمير أخا بني عبد الدار، وأجاز رسول الله ﷺ بعض الغلمان يومئذ، وأرجأ آخرين حتى أمضاهم يوم الخندق بعد هذا اليوم بقريب من سنتين، وتهيأت قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائة فرس قد جنبوها، فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي جهل، ودفعوا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه برقم (٣٠٣٩).

اللواء إلى بني عبد الدار ثم كان بين الفريقين ما سيأتي تفصيله في موضعه إن شاء الله تعالى. ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾؛ أي: تنزلهم منازلهم وتجعلهم ميمنة وميسرة وحيث أمرتهم. ﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾؛ أي: سميع لما تقولون عليم بضمائركم.

وقد أورد ابن جرير هاهنا سؤالًا حاصله: كيف تقولون: إن النبي ﷺ خرج إلى أُحد يوم الجمعة بعد الصلاة وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ الآية؟ ثم كان جوابه عنه: أن غدوه ليبوأهم مقاعد إنما كان يوم السبت أول النهار.

وقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ الآية.

قال البخاري: حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله يقول: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ الآية. قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب. وقال سفيان مرة: وما يسرني أنها لم تنزل؛ لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[١].

وكذا رواه مسلم من حديث سفيان بن عيينة به، وكذا قال غير واحد من السلف: إنهم بنو حارثة وبنو سلمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾؛ أي: يوم بدر، وكان يوم الجمعة وافق السابع عشر من

---

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ برقم (٤٠٥١)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الانصار برقم (٢٥٠٥).

شهر رمضان من سنة اثنتين من الهجرة، وهو يوم الفرقان الذي أعز الله فيه الإسلام وأهله، ودمغ فيه الشرك، وخرب محله وحزبه. هذا مع قلة عدد المسلمين يومئذ، فإنهم كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلًا فيهم فارسان وسبعون بعيرًا؛ والباقون مشاة ليس معهم من العدد جميع ما يحتاجون إليه، وكان العدو يومئذ ما بين التسعمائة إلى الألف، في سوابغ الحديد والبيض، والعدة الكاملة والخيول المسومة والحلي الزائد، فأعز الله رسوله وأظهر وحيه وتنزيله، وبيَّض وجه النبي ﷺ وقبيله، وأخزى الشيطان وجيله؛ ولهذا قال تعالى ممتنًا على عباده المؤمنين وحزبه المتقين: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ أي: قليل عددكم لتعلموا أن النصر إنما هو من عند الله لا بكثرة العدد والعدد؛ ولهذا قال في الآية الأخرى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥ ـ ٢٧]

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك قال: سمعت عياضًا الأشعري قال: شهدت اليرموك وعلينا خمسة أمراء: أبو عبيدة بن الجرّاح ويزيد بن أبي سفيان وابن حسنة وخالد بن الوليد وعياضٌ، وليس عياضٌ هذا بالّذي حدّث سماكًا قال: وقال عمر: إذا كان قتالٌ فعليكم أبو عبيدة. قال: فكتبنا إليه إنّه قد جاش إلينا الموت واستمددناه فكتب إلينا إنّه قد جاءني كتابكم تستمدّوني وإنّي أدلّكم على من هو أعزّ نصرًا وأحضر جندًا الله ﷻ فاستنصروه فإنّ محمّدًا ﷺ قد نُصر يوم بدرٍ في أقلّ من عدّتكم فإذا أتاكم كتابي هذا فقاتلوهم ولا تراجعوني. قال: فقاتلناهم فهزمناهم وقتلناهم أربع فراسخ. قال: وأصبنا أموالًا فتشاوروا فأشار علينا عياضٌ أن نعطي عن كلّ رأسٍ عشرةً. قال:

وقال أبو عبيدة: من يراهنّي؟ فقال شابٌّ: أنا إن لم تغضب. قال: فسبقه فرأيت عقيصتي أبي عبيدة تنقزان وهو خلفه على فرسٍ عربيٍّ. وهذا إسناد صحيح. وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المراهنة يعني: المسابقة على الخيل، تسابق أبو عبيدة مع شاب بعد انتهاء الوقعة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث بندار عن غندر بنحوه، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه، وبدر: محلة بين مكة والمدينة تعرف ببئرها منسوبة إلى رجل حفرها، يقال له: بدر بن النارين، قال الشعبي: بدر بئر لرجل يسمى بدرًا. وقوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾؛ أي: تقومون بطاعته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم. بركة، سم. اللَّهُمَّ صل عليه.

مداخلة: يا شيخ ﴿هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ كيف يعني تفشلا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: ترجعا عن القتال، تفشلا لأن قوة العدو كثير، والمسلمون قليلون هموا أن يفشلوا ويرجعوا إلى المدينة كما فعل عبد الله بن أُبي، ثم عصمهم الله وثبتوا.

*

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤٩). قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/ ٢١٦).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢][(١)].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا سفيان قال: قال عمرٌو: سمعت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: فينا نزلت: إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ قال: «نحن الطّائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحبّ ـ وقال سفيان مرّةً: وما يسرّني ـ أنّها لم تنزل، لقول لله: ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الحمد لله: همّت ولم يقع شيءٌ، والهمّ مغفور، الحمد لله، الله أكبر.

❋

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَاثَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَافٍ مِّنَ الْمَلَآئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾ [آل عمران: ١٢٤ ـ ١٢٩][(٣)].

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) متفق عليه من حديث جابر رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ برقم (٤٥٥٨)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل الأنصار برقم (٢٥٠٥).
(٣) من تعليقات سماحته رحمه الله لتفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

اختلف المفسرون في هذا الوعد: هل كان يوم بَدْر أو يوم أُحُد؟ على قولين: **أحدهما**: أن قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ متعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ﴾، وهذا عن الحسن البصري، وعامر الشعبي، والربيع بن أنس وغيرهم، واختاره ابن جرير قال: عباد بن منصور، عن الحسن.

في قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾، قال: هذا يوم بَدْر. رواه ابن أبي حاتم، ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا وهيب، حدثنا شداد، حدثنا داود، عن عامر ـ يعني: الشعبي ـ أن المسلمين بلغهم يوم بدر أن كرز بن جابر يُمدّ المشركين، فشق ذلك عليهم، فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾، قال: فبلغت كرزًا الهزيمة، فلم يمد المشركين ولم يمد الله المسلمين بالخمسة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا أوضح، فلم يمد المشركين يعني: كرز.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الرَّبِيع بن أنس: أمد الله المسلمين بألف، ثم صاروا ثلاثة آلاف، ثم صاروا خمسة آلاف، فإن قيل: فما الجمع بين هذه الآية على هذا القول وبين قوله في قصة بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٩، ١٠].

○ **فالجواب**: أن التنصيص على الألف هاهنا لا ينافي الثلاثة الآلاف فما فوقها لقوله: ﴿مُرْدِفِينَ﴾، بمعنى: يردفهم غيرُهم ويَتْبَعهم ألوف أخر مثلهم. وهذا السياق شبيه بهذا السياق في سورة آل عمران؛

فالظاهر أن ذلك كان يوم بدر كما هو المعروف من أن قتال الملائكة إنما كان يوم بدر، والله أعلم.

وقال سعيد بن أبي عروبة: أمد الله المؤمنين يوم بدر بخمسة آلاف.

القول الثاني: أن هذا الوعد متعَلق بقوله: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١] وذلك يوم أُحُد؛ وهو قول مجاهد، وعكرمة، والضحاك، والزهري، وموسى بن عقبة وغيرهم.. لكن قالوا: لم يحصل الإمداد بالخمسة الآلاف؛ لأن المسلمين فرّوا يومئذ. زاد عكرمة: ولا بالثلاثة الآلاف؛ لقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾ فلم يصبروا بل فروا، فلم يمدوا بملك واحد. وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا﴾، يعني: تصبروا على مُصَابرة عَدُوّكم وتتقوني. وتطيعوا أمري. وقوله تعالى: ﴿وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾ قال الحسن، وقتادة، والربيع، والسدي: أي: من وجههم هذا. وقال مجاهد، وعكرمة، وأبو صالح: أي: من غضبهم هذا.

وقال الضحاك: وقال العَوْفيّ عن ابن عباس: من سفرهم هذا. ويقال: من غضبهم هذا.

وقوله: ﴿يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾﴾؛ أي: معلَّمين بالسِّيما.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بالسيم.. معلَّمين، مسومين: معلَّمين.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

[أي: معلَّمين بالسيما].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقال: مُعْلَم ومُعلَّم، الذي ينزع الشجعان والرؤساء والكبار يكون

بأيديهم علامات يعرفون بها، حتى يعرفهم خصمهم... ومن يريدهم لحاجة يعلمون الأشياء يعرفون بها من ريش النعام فوق رءوسهم، أو درع مخصوص أو ما أشبه ذلك من الأشياء التي يعرف بها الشجاع أو المقدم في الجيش، أو أمير الجيش ونحو ذلك.

وقول عكرمة يريد به الشرط الأول الذي قال فيه سبحانه: ﴿وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠]، فإن المسلمين لما التقوا بالكفار يوم أُحد انهزم الكفار، وقتل منهم جماعة كبيرة فوق العشرين، فسقطت رايتهم؛ فلما رأى الرماة الذين على الجبل الذين أمرهم النبي ﷺ أن يلزموا مكانهم وقال لا يحيدوا عن مكانهم سواء كانت الدائرة للمسلمين أو على المسلمين، فلما أنهم شافوا الموقف وصاروا إلى الغنائم دخل خيل المشركين على المسلمين من خلفهم وحصل ما حصل من الاضطراب، والمصيبة العظيمة، والهزيمة والجراح والقتال، فهذه هو السبب الذي منع الإمداد بالثلاثة، والإمداد بالخمسة في قتال يوم أحد، على هذا القول الذي قاله عكرمة وجماعة، وهو قول وجيه وظاهر في السياق؛ لأن الله جلَّ شَرَط في هذا وهذا الصبر والتقوى ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا﴾، وفي أولها قبل الدخول في القصة قال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾﴾، فالمسلمون إذا صبروا في جهاد الأعداء واتقوا الله ولزموا الحق وصابروا أعداءهم، فالله ينصرهم ويجعل لهم العاقبة الحميدة؛ كما هو وعده ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾[الحج: ٤٠، ٤١].

فالحاصل: أن النصر المعلَّق بالشروط يفوت بفوتها ويحصل

بحصولها، ولله الحكمة البالغة.. فللَّه الحكمة البالغة فيما وقع يوم أُحد ليعتبر المسلمون وغير المسلمين، وليعلموا أن النصر بيد الله ﷻ، وأن النصر ليس بأيديهم ولو كانوا خير الناس فمحمد ﷺ هو خير الناس، وأصحابه خير الناس بعد الأنبياء ولما أخلوا بالشرط وما ينبغي وقت القتال جرى ما جرى من الهزيمة وتسليط الأعداء، ويعلم بهذا أن الأنبياء لا يدفعون عن أنفسهم وليسوا آلهة؛ بل هم عبيد مكرمون بشر، إذا أراد الله بشيء نزل، ولهذا جرى على النبي ﷺ يوم أُحد من الجراحات وكسر البيضة على رأسه، وضرب شفته، وإسالة الماء على وجنتيه، ودخلت حلقات من المغفر في وجنتيه، وسقط في بعض الحفر التي هناك ولكن الله سلَّم وأنجاه ﷻ، وقُتل بعض الأنبياء قتلهم بنو إسرائيل..

كل هذا بأسباب ما يقع من التفريط، وعدم الالتزام بالواجب من أولياء الله وأنصاره، ثم ليعلم الناس أن النصر بيده، وأنه سبحانه هو الذي ينصر من يشاء، وأن القوة والكثرة والعدة كل هذه أسباب وليست هي الموجبة للنصر: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، وإنما هي أسباب، ولهذا قال: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾، فالجيش والعدة بشرى ولكن النصر ليس بموجبها بل هي أسباب، فكم من كثرة غُلِبَت وكم من قِلة غَلَبت ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، وهذا يوجب لأهل الإسلام الانكسار بين يدي الله، والذل بين يدي الله، والاعتماد عليه والثقة به ﷻ، وأن يعلموا أن ما في أيديهم كله أسباب وليس موجبًا للنصر؛ بل النصر بيد الله ﷻ، فيزدادوا إيمانًا ويزدادوا ثقة ويزدادوا تواضعًا لله، وضراعة بين يديه، وثقة به، وسؤال له النصر والمدد ﷻ، وعدم العُجب، ولما أعجبوا يوم حنين بالكثرة غُلبوا وانكسروا، ثم تراجعوا وندموا على ما فرط منهم، وقد تلاحقوا حتى نصرهم الله على عدوهم: ثقيف وهوازن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال أبو إسحاق السبيعي عن حارثة بن مضرب عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان سِيَما الملائكة يوم بدر الصوف الأبيض، وكان سيماهم أيضًا في نواصي خيولهم، رواه ابن أبي حاتم، ثم قال: حدثنا أبو زرعة، حدثنا هدبة بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في هذه الآية: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾، قال: «بالعهن الأحمر». وقال مجاهد ﴿مُسَوِّمِينَ﴾؛ أي: مُحذقة أعرافها، مُعَلَّمة نواصيها بالصوف الأبيض في أذناب الخيل. وقال العوفِي عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «أتت الملائكة محمدًا ﷺ مُسَوَّمين بالصوف، فسوَّم محمد ﷺ وأصحابه أنفسهم وخيلهم على سيماهم بالصوف». وقال قتادة وعكرمة ﴿مُسَوِّمِينَ﴾؛ أي: بسيما القتال.

وقال مكحول: مُسَوِّمِينَ بالعمائم. وروى ابن مردويه من حديث عبد القدوس بن حَبيب عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ في قوله: ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ قال: «**مُعَلَّمين، وكان سيما الملائكة يوم بدر عمائم سود، ويوم حنين عمائم حُمْر**». وروى من حديث حصين بن مخارق، عن سعيد، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر.

وقال ابن إسحاق: حدثني من لا أتهم، عن مقسم، عن ابن عباس قال: كان سيما الملائكة يوم بدر عمائم بيض قد أرسلوها في ظهورهم، ويوم حنين عمائم حمر، ولم تضرب الملائكة في يوم سوى يوم بدر، وكانوا يكونون عددًا ومددًا لا يَضْربون.. ثم رواه عن الحسن بن عمارة عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فذكر نحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يرسلون عددًا ومددًا لإخافة الأعداء من غير أن يضربوا بالسلاح، في غير بدر يعني.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا الأحمسي، حدثنا وكيع، حدثنا هشام بن عروة، عن يحيى بن عباد: أن الزبير رضي الله تعالى كان عليه يوم بدر عمامة صفراء معتجرًا بها، فنزلت الملائكة عليهم عمائم صفر. رواه ابن مردويه من طريق هشام بن عروة عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير فذكره.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا القول ليس بشيء. الصواب: أنهم كانوا يقاتلون قد قتلوا كثيرًا يوم بدر، وقد جاء في يوم حنين ما يدل على أنهم قاتلوا أيضًا نعم، الله المستعان.. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم﴾؛ أي: وما أنزل الله الملائكة وأعلمكم بإنزالهم إلا بشارةً لكم وتطييبًا لقلوبكم وتطمينًا، وإلا فإنما النصر من عند الله الذي لو شاء لانتصر من أعدائه بدونكم، ومن غير احتياج إلى قتالكم لهم كما قال تعالى بعد أمره المؤمنين بالقتال: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾[محمد: ٤ ـ ٦]. ولهذا قال هنا: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾؛ أي: هو ذو العزة التي لا تُرام، والحكمة في قَدره والأحكام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن الله ﷻ شرع الإعداد بالسلاح والجيش والقتال وغير ذلك ابتلاءً وامتحانًا، وليعلم الصادق من الكاذب، والمجاهد من غيره، والصابر في ميادين القتال وطلب الشهادة من غيره، وإلا فلو شاء

لأهلكهم بغير ذلك.. لو شاء لأهلك أعداءه بقوله لهم: موتوا، فيموتون من غير حاجة إلى أحد، ولو شاء لسلط أولياءه عليهم بأنواع من التسليط الذي به نصرهم وتأييدهم وليس هم قليلين، ولكنه يبتلي هؤلاء بهؤلاء وهؤلاء بهؤلاء، ليظهر فضله على أوليائه، ونصره لهم وإحسانه إليهم ورفع منازلهم، وليظهر غضبه على أعدائه بسبب أعمالهم الخبيثة، وعدائهم لأوليائه، وجدالهم في غير الحق.. إلى غير ذلك ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾، يعني: بما يشاء ﷻ ﴿وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤]؛ ليبتلي هؤلاء بهؤلاء وهؤلاء بهؤلاء قال ﷻ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧].

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾؛ أي: أمركم بالجهاد والجلاد لما له من ذلك من الحكمة في كل تقدير، ولهذا ذكر جميع الأقسام الممكنة في الكفار المجاهِدين فقال: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا﴾؛ أي: ليهلك أمة. ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ﴾؛ أي: يخزيهم ويردهم بغيظهم لمَّا لم ينالوا منكم ما أرادوا؛ ولهذا قال: ﴿أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾﴾؛ أي: يرجعوا ﴿خَآئِبِينَ﴾؛ أي: لم يحصلوا على ما أملوا. ثم اعترض بجملة دَلَّت على أنّ الحكمة في الدنيا والآخرة له وحده لا شريك له فقال: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾؛ أي: بل الأمر كلّه إلي، كما قال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. وقال ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

قال محمد بن إسحاق في قوله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾؛ أي: ليس لك من الحكم شيء في عبادي إلا ما أمرتك به فيهم.

ثم ذكر تعالى بقية الأقسام فقال: ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: مما هم

فيه من الكفر ويهديهم بعد الضلالة ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة على كفرهم وذنوبهم؛ ولهذا قال: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾؛ أي: يستحقون ذلك.

وقال البخاري: حدثنا حِبّان بن مُوسى، أخبرنا عبد الله، أخبرنا مَعْمَر، عن الزهري، حدثني سالم، عن أبيه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول، إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا**»، بعد ما يقول: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾[(١)]، وهكذا رواه النسائي، من حديث عبد الله بن المبارك وعبد الرزاق، كلاهما، عن مَعْمَر، به.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو النَّضْر، حدثنا أبو عقيل ـ قال أحمد: وهو عبد الله بن عقيل، صالح الحديث ثقة ـ قال: حدثنا عُمَر بن حمزة، عن سالم، عن أبيه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا، اللَّهُمَّ الْعَنِ الْحَارِثَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ الْعَنْ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، اللَّهُمَّ الْعَنْ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ**»[(٢)]. فنزلتْ هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ فَتِيبَ عليهم كلّهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يعني: هؤلاء أسلموا كلهم، الحارث بن هشام وصفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، كل هؤلاء أسلموا وحسن إسلامهم، فدل ذلك على أنه ﷺ قد يغضب على قوم ويلعنهم، ولا يستجاب له فيهم؛ لحكمة

---

(١) أخرجه البخاري من حديث سالم عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب المغازي، باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ برقم (٤٠٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران برقم (٣٠٠٤)، والإمام أحمد (٢/ ٩٣).

بالغة، ولما سبق في علم الله من كونهم سوف يهتدون ويرجعون إلى الحق، وهذا يبين أن الأمر بيد الله ﷻ في عباده، فإنما على الرسل البلاغ، على الرسل وأتباعهم البلاغ والبيان والدعوة والإرشاد، وأما الهداية بيد الله، يهدي من يشاء ويضل من يشاء سبحانه، ولهذا قال ﷻ: ﴿لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾. فهم مستحقون للعقوبة، ولكنه ﷻ يمنّ على من يشاء بالهداية ويضل من يشاء، فيبقى على حاله السيئة. نسأل الله السلامة.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقال أحمد: حدثنا أبو معاوية الغَلابي، حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا محمد بن عجْلان، عن نافع، عن عبد الله؛ أن رسول الله ﷺ كان يدعو على أربعة قال: فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾، قال: وهداهم الله للإسلام.

وقال محمد بن عَجْلان، عن نافع، عن ابن عمر قال: كان رسول الله ﷺ يدعو على رجال من المشركين يُسَمِّيهم بأسمائهم، حتى أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.

وقال البخاري أيضًا: حَدّثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن سَعْد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيَّب، وأبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يَدْعو على أحد أو يدعو لأحد قَنَتَ بعد الركوع، وربما قال إذا قال: **«سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد: اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَام وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»**[1]

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب =

يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا**». لأَحْيَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ، حتى أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا يدل على جواز لعن المُعَيَّن من الكفرة إذا كان داعية للشر والفساد جاز لعنه، كما لعن النبي ﷺ هؤلاء، ولعن الله فرعون، لعن الله إبليس، أما الفاسق المسلم فهذا فيه خلاف، والأرجح عند كثير من أهل العلم عدم جواز لعن الفاسق المعيَّن، ولكن يلعن الفسقة على العموم، لعن الله السارق، لعن الله الزاني، لعن الله العصاة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال البخاري: قال حُمَيْد وثابت، عن أنس بن مالك: شُجّ النبي ﷺ يوم أُحُد، فقال: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ**»، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا، عن أنس بن مالك.

مداخلة: نعم؟

الشيخ: غلط، عن أنس بن مالك، منقلب انقلاب. أيش عندكم، كذا عندكم؟

مداخلة: أي: نعم.

= بالتكبير حين يسجد برقم (٨٠٤)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسكين نازلة برقم (٦٧٥).

(١) أخرجه البخاري تعليقًا في كتاب المغازي، باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ۝١٢٨﴾ ساقه بعد الحديث رقم (٤٠٦٨)، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة أحد برقم (١٧٩١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، غلط، عن أنس بن مالك. نعم. انقلبت، عن أنس

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد أسند هذا الحديث الذي عَلَّقه البخاري في صحيحه.

فقال البخاري: في غزوة أُحُد: حدثنا يحيى بن عَبْد الله السلمي، حدثنا عبد الله، أخبرنا مَعْمَر، أنبأنا معمر، عن الزهري، حدثني سالم، عن أبيه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الثانية من الفجر: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا**» بعد ما يقول: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**»، فأنزل الله تعالى عليه: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾. وعن حنظلة بن أبي سفيان قال: سمعت سالم بن عبد الله قال: كان رسول الله ﷺ يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام، فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾، هكذا ذكر هذه الزيادة البخاري معلقة مرسلة، وقد تقدمت مسندة متصلة في مسند أحمد آنفًا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا هشيم، حدثنا حميد، عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أن رسول الله ﷺ كسرت رباعيته يوم أُحد، وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه، فقال: «**كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيِّهم، وهو يدعوهم إلى الله** عَزَّ وَجَلَّ؟!» فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ انفرد به مسلم، فرواه عن القعنبي عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فذكره[(١)].

(١) أخرجه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران برقم (٣٠٠٢)، والإمام أحمد (٣/ ٩٩ و١٧٨ و٢٠٦ و٢٥٣ و٢٨٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذه القصة قصة أُحد وما أصاب النبي ﷺ فيها من الجراحات وما أصاب أصحابه من القتل والجراحات دلالة على أن الله ﷻ هو المتصرف في الكون، وأنه هو الذي يعز من يشاء ويذل من يشاء، بيده كل شيء، وأن الأنبياء وإن كانوا أفضل الناس، وهكذا خاتمهم نبيّنا محمد ﷺ وإن كان أفضل الناس، لا يدفعون عن أنفسهم شيئًا، بشر يصيبهم ما يصيب الناس من القتل والجراحات والهزائم؛ ليعلم الناس أن الأمر بيد الله، وأنه هو اللي ينصر من يشاء ويذل من يشاء، ويهدي من يشاء ويضل من يشاء، وأن الأولياء والأنبياء لا يدفعون عن أنفسهم، وليس لهم شيء من العبادة؛ بل هي حق الله ﷻ، وأنهم لا يعلمون الغيب، كل شيء بيد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حتى ينقطع تعلق العباد بهم، وحتى يكمل التوحيد والإخلاص لله وحده، والإيمان بأنه مصرِّف الأمور ومدبِّرها، وأن العز والذل بيده والنصر بيده، لا بيد غيره سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ حتى تتوجه القلوب إلى الله، وتؤمن بأنه على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وحتى لا تعبد سواه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. والله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا الحسين بن واقد، عن مطر، عن قتادة قال: أصيب النبي ﷺ يوم أُحد وكسرت رَباعيته، وفرق حاجبه، فوقع وعليه درعان والدم يسيل، فمر به سالم مولى أبي حذيفة، فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق، وهو يقول: «**كيف بقوم فعلوا هذا بنبيِّهم، وهو يدعوهم إلى الله** عَزَّ وَجَلَّ**؟!**» فأنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ الآية. وكذا رواه عبد الرزاق عن معمر عن قتادة بنحوه، ولم يقل: فأفاق، ثم قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: الجميع ملك له، وأهلهما عبيد بين يديه ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾؛ أي: هو المتصرف فلا مُعقّب

لحكمه، ولا يسأل عما يفعل وهم يسألون، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾﴾.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨](١).

حدّثنا حبّان بن موسى، أخبرنا عبد الله، أخبرنا معمرٌ، عن الزّهريّ، قال: حدّثني سالمٌ، عن أبيه، أنّه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الرّكوع في الرّكعة الآخرة من الفجر يقول: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا، بَعْدَ مَا يَقُولُ: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]»(٢).

حدّثنا موسى بن إسماعيل، حدّثنا إبراهيم بن سعدٍ، حدّثنا ابن شهابٍ، عن سعيد بن المسيّب وأبي سلمة بن عبد الرّحمن، عن أبي هريرة ﷺ «أنّ رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحدٍ، أو يدعو لأحدٍ، قنت بعد الرّكوع، فربّما قال إذا قال: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، وَاجْعَلْهَا سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ» يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: «اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا**»، لأحياءٍ من العرب، حتّى أنزل الله: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآيَةَ(٣).

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري من حديث سالم عن أبيه رضي الله عنهما في كتاب التفسير، باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ برقم (٤٥٥٩).

(٣) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في التفسير، باب ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ برقم (٤٥٦٠)، ومسلم في كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة إذا نزلت بالمسلمين نازلة برقم (٦٧٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والثّلاثة هم: صفوان بن أميّة، وسهيل بن عمرٍو، والحارث بن هشامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، هؤلاء الّذين لعنهم، ـ ثلاثةٌ ـ وهداهم الله وتابوا وأسلموا وحسن إسلامهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وكان لهم نشاطٌ في الكفر فهداهم الله.

● **س: «أحياء» ممنوعٌ من الصَّرف؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [آل عمران: ١٨٩].

● **س: يُقَال: «أحياءَ من العرب»، ولَّا «أحياءٍ من العرب»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: أحياءٌ مصروف، ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، جمعُ حيٍّ، والحيُّ واحد الأحياءِ من القبائلِ.

ماذا قال الشّارح؟ تعرَّض له بشيءٍ؟ الّذي أعرفه أنّه مصروفٌ بنصّ القرآن، ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: تكلّم على النّسخ أو شيئًا، نسخ الدّعاء القنوت تكلّم العيني أو الحافظ: هل يقتضي النّسخ أو لا يقتضي: «فنزلت»؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٢٢٧)]: «قوله: **(وَكَانَ يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ فِي صَلَاةِ الْفَجْرِ)**: كأنّه يشير إلى أنّه لا يداوم على ذلك.

قوله: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا لِأَحْيَاءٍ مِنَ الْعَرَبِ**»: وقع تسميتهم في رواية يونس عن الزّهريّ عند مسلمٍ بلفظ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا وَذَكْوَانَ وَعُصَيَّةَ**»[1].

---

(١) أخرجه مسلم عن خُفاف بن إيماء الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب المساجد، باب استحباب القنوت في جميع الصلاة، برقم (٦٧٩).

قوله: (**حَتَّى أَنْزَلَ الله**: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾) تقدّم استشكاله في غزوة أحدٍ، وأنّ قصّة رعل وذكوان كانت بعد أحدٍ، ونزول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ كان في قصّة أحدٍ فكيف يتأخر السّبب عن النّزول؟! ثمّ ظهر لي علّة الخبر، وأنّ فيه إدراجًا، وأنّ قوله: (**حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ**). منقطعٌ من رواية الزّهريّ عمّن بلغه؛ بيّن ذلك مسلمٌ في رواية يونس المذكورة فقال هنا: قال ـ يعني: الزّهريّ ـ ثمّ بلغنا أنّه ترك ذلك لمّا نزلت. وهذا البلاغ لا يصحّ لما ذكرته، وقد ورد في سبب نزول الآية شيءٌ آخر لكنّه لا ينافي ما تقدّم بخلاف قصّة رعلٍ وذكوان، فعند أحمد ومسلم من حديث أنسٍ ﵁: أنّ النّبيّ ﷺ كُسرت رَباعيته يوم أحدٍ وشجّ وجهه حتّى سال الدّم على وجهه؛ فقال: «**كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ؟!**» فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية. وطريق الجمع بينه وبين حديث ابن عمر أنّه ﷺ دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته؛ فنزلت الآية في الأمرين معًا فيما وقع له من الأمر المذكور وفيما نشأ عنه من الدّعاء عليهم، وذلك كلّه في أحدٍ، بخلاف قصّة رعلٍ وذكوان فإنّها أجنبيّةٌ، ويحتمل أن يقال: إنّ قصّتهم كانت عقب ذلك وتأخّر نزول الآية عن سببها قليلًا، ثمّ نزلت في جميع ذلك، والله أعلم». [انتهى كلامه].

* *

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ

وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٠ـ ١٣٦][(١)].

يقول تعالى ناهيًا عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافًا مضاعفة، كما كانوا في الجاهلية يقولون: إذا حلَّ أجل الدَّين إما أن تقضي وإما أن تُربي، فإن قضاه وإلا زاده في المدة وزاده الآخر في القدر، وهكذا كل عام، فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيرًا مضاعفًا. وأمر تعالى عباده بالتقوى لعلهم يفلحون في الأولى والأخرى، ثم توعَّدهم بالنار.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا معنى ﴿أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾، يعني: هذا من طريقهم في الجاهلية، أن يكون الربا أضعافًا مضاعفة، ولا هو شرط، فإن الله حرم الربا مطلقًا كما في سورة البقرة، فهو حرام، وهو ممحوق، وإن كان مجرَّد مرة، كما لو باع درهم بدرهمين أو صاعًا بصاعين أو ما أشبه ذلك، فهو ربا، ولكن هذا الذي أضعاف مضاعفة يكون أكثر شرًّا وأكثر إثمًا، فإذا باعه شيء إلى أجل.. باعه هذه السلعة بألف ريال إلى أجل معلوم فحلَّ الأجل يقول: إما أن تقضي وإما أن تربي، فإما أن يقضيه حقه وإما أن يزيد هذا في المال، ويزيد هذا في الأجل، فيقول اللي عليه المال: أنا معسر، فيقول: اجعل الألف ألف ومائة، أو ألف وخمسين إلى كذا وكذا أجل آخر، فيزيد هذا المال وهذا يزيد الأجل، وهكذا في المرة الأخرى إذا حل ولم يكن عنده وفاء زاده أيضًا في الدراهم وزاد هذا في الأجل، وهكذا حتى تكون الأموال مضاعفة؛ بسبب العسر

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ، الليلي ٢٦ ـ ٦ ـ ١٤٠٤هـ.

وبسبب الزيادة في الآجال، وهذا نوع من أنواع الربا في الجاهلية، وهو ربا النسيئة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم توعدهم بالنار وحذرهم منها، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبيِّن لنا أن طاعة الله ورسوله ﷺ سبب الرحمة، طاعة الله الرب عَزَّ وَجَلَّ هي سبب الرحمة، والمعاصي هي سبب النار والغضب، وتقوى النار تكون بطاعة الله ورسوله ﷺ، والإقدام على المعاصي هو سبب النار وطريق النار، نسأل الله العافية، فالواجب على أهل الإسلام أن يتقوها بطاعة الله ورسوله ﷺ والبعد عما نهى الله عنه ورسوله ﷺ، فهذه هي التقوى التي يباعد الله بها العباد عن النار ويحصل لهم بها الرحمة. نعم. والله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم ندبهم إلى المبادرة إلى فعل الخيرات والمسارعة إلى نيل القربات، فقال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾؛ أي: كما أعدت النار للكافرين. وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾: تنبيهًا على اتساع طولها، كما قال في صفة فرش الجنة: ﴿بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾ [الرحمٰن: ٥٤]؛ أي: فما ظنك بالظهائر؟ وقيل: بل عرضها كطولها؛ لأنها قبة تحت العرش.

والشيء المقيب والمستدير عرضه كطوله، وقد دل على ذلك ما ثبت في الصحيح: «**إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى**

الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفجر أنهار الجنة، وسقفها عرش الرحمٰن»(١).
وهذه الآية كقوله في سورة الحديد: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ الآية [الحديد: ٢١].

وقد روينا في مسند الإمام أحمد: أن هرقل كتب إلى النبي ﷺ: إنك دعوتني إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض، فأين النار؟ فقال النبي ﷺ: «**سبحان الله! فأين الليل إذا جاء النهار**»؟ وقد رواه ابن جرير فقال: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب، أخبرني مسلم بن خالد، عن أبي خيثمة، عن سعيد بن أبي راشد، عن يعلى بن مرة قال: (لقيت التنوخي رسول هرقل إلى رسول الله ﷺ بحمص شيخًا كبيرًا قد فسد، فقال: قدمت على رسول الله ﷺ بكتاب هرقل، فتناول الصحيفة رجل عن يساره، قال: قلت: من صاحبكم الذي يقرأ؟ قالوا: معاوية، فإذا كتاب صاحبي: إنك كتبت تدعوني إلى جنة عرضها السمٰوات والأرض، فأين النار؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «**سبحان الله! فأين الليل إذا جاء النهار**»؟ وقال الأعمش وسفيان الثوري وشعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب: أن ناسًا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السمٰوات والأرض، فأين النار؟ فقال لهم عمر: أرأيتم إذا جاء النهار أين الليل، وإذا جاء الليل أين النهار؟ فقالوا: لقد نزعت مثلها من التوراة). رواه ابن جرير عن ثلاثة طرق.

الشيخ: من ثلاث، من ثلاث.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: حدثنا أحمد بن حازم، حدثنا أبو نعيم، حدثنا جعفر بن برقان، أنبأنا يزيد بن الأصم أن رجلًا من أهل الكتاب قال: يقولون: ﴿وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾ فأين النار؟ فقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ: أين

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب درجات المجاهدين برقم (٢٧٩٠).

يكون الليل إذا جاء النهار، وأين يكون النهار إذا جاء الليل؟. وقد روي هذا مرفوعًا، فقال البزار: حدثنا محمد بن معمر، حدثنا المغيرة بن سلمة أبو هشام، حدثنا عبد الواحد بن زياد، عن عبيد الله بن عبد الله بن الأصم، عن عمه يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أرأيت قوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ فأين النار؟ قال: «**أرأيت الليل إذا جاء لبس كل شيء، فأين النهار؟**»، **قال: حيث شاء الله، قال:** «**وكذلك النار تكون حيث شاء الله ﷻ**»[1]. وهذا يحتمل معنيين:

أحدهما: أن يكون المعنى في ذلك: أنه لا يلزم من عدم مشاهدتنا الليل إذا جاء النهار ألا يكون في مكان وإن كان لا نعلمه، وكذلك النار تكون حيث شاء الله ﷻ، وهذا أظهر، كما تقدم في حديث أبي هريرة عن البزار.

الثاني: أن يكون المعنى: أن النهار إذا تغشى وجه العالم من هذا الجانب فإن الليل يكون من الجانب الآخر، فكذلك الجنة في أعلى عليين فوق السمٰوات تحت العرش، وعرضها كما قال الله ﷻ: ﴿كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، والنار في أسفل سافلين، فلا تنافي بين كونها كعرض السمٰوات والأرض وبين وجود النار. والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وكلا هذا حق؛ فإن الجنة عرضها عرض السمٰوات والأرض، فهي أعلى شيء، وسقفها عرش الرحمٰن، وبيَّنت الآية الكريمة والحديث الشريف أن الجنة بعضها فوق بعض، وأنها مقببة، ولهذا قال: «**إذا**

---

(١) كشف الأستار بزوائد البزار (ح٢١٩٦)، وابن حبان (الإحسان ١/ ٣٠٦ ح٢١٠٣)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٦١)، وصححه ووافقه الذهبي، قال الهيثمي رواه البزار ورجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد ٦/ ٣٣٠).

سألتم الله فاسألوه الفردوس؛ فإنه أعلى الجنة، وأوسط الجنة». فإن أعلى الشيء وأوسطه لا يكون إلا للتقبيب، فأوسطه هو أعلاه، ثم هكذا يتسع من كل جانب. فهكذا أهل الجنة في الغرف والمنازل... بعضها فوق بعض، ولا يعلم سعة هذه الجنات وهذه الغرف وهذه الخيرات العظيمة إلا الذي خلقها ﷻ، حتى جاء في الحديث الصحيح: «**إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق الشرقي أو الغربي**»؛ لتباعد ما بينهم في المنازل من جهة ما بينهم من الدرجات والأعمال الصالحات، والنار أسفل سافلين تحت ذلك، فلا منافاة بين هذا وبين هذا، فهذه في أعلى وسقفها عرش الرحمٰن، ومكانها معروف، وعرضها عرض السمٰوات والأرض، وطولها كعرضها؛ لأن المقبب الذي كلما ارتفع صار ما تحته أوسع، فيكون عرضه كطوله، والنار تحت ذلك وأسفل من ذلك في أبعد مكان وأسفل مكان، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

والمقصود من هذا: بيان سعتها، وأنها واسعة جدًّا، وأنها كافية لأهلها، ويبقى فيها فضل، كما جاء في الحديث: «**ينشئ الله لها أقوام فيدخلهم الجنة**»، نعم. والنار موعودة ملئها ثم تطبق على أهلها. نسأل الله العافية.

الحكم على حديث: «سبحان الله! فأين الليل إذا جاء النهار».

مداخلة: صحة الحديث....

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

بعضها في سنده ضعف، وبعضها لا بأس به. نعم، في الرواية الأولى فيها مسلم بن خالد الزنج، لكن هذه الطرق يشد بعضها بعضًا، ولا منافاة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم ذكر تعالى صفة أهل الجنة، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ

﴿وَٱلضَّرَّآءِ﴾؛ أي: في الشدة والرخاء، والمَنْشَط والمَكْرَه، والصحة والمرض، وفي جميع الأحوال، كما قال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [البقرة: ٢٧٤]. والمعنى: أنهم لا يشغلهم أمْر عن طاعة الله تعالى والإنفاق في مَرَاضِيه، والإحسان إلى خلقه من قراباتهم وغيرهم بأنواع البر.

وقوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: إذا ثار بهم الغيظ كظموه، بمعنى: كتموه فلم يعملوه، وعَفَوْا مع ذلك عمن أساء إليهم، وقد ورد في بعض الآثار: «**يقول الله تعالى: ابنَ آدَمَ، اذْكُرْنِي إذَا غَضِبْتَ، أَذْكُرْكَ إذَا غَضِبْتُ، فَلا أُهْلِكُكَ فيمن أَهْلِكَ**»، رواه ابن أبي حاتم.

وقد قال أبو يعلى في مسنده: حدثنا أبو موسى الزّمن، حدثنا عيسى بن شُعَيب الضَّرِير أبو الفضل، حدثنا الربيع بن سليمان الجيزي، عن أبي عمرو بن أنس بن مالك، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَفَّ غَضَبَهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ عَذَابَهُ، وَمَنْ خزَنَ لِسَانَهُ سَتَرَ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنِ اعْتَذَرَ إلَى اللهِ قَبِلَ عُذْرَهُ**» وهذا حديث غريب، وفي إسناده نظر(١).

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الرحمٰن، حدثنا مالك، عن الزهري، عن سعيد بن المسيَّب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، قال: «**لَيْسَ الشَّديدُ بِالصُّرَعة، وَلَكِنَّ الشَّدِيدَ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**». وقد رواه الشيخان من حديث مالك(٢).

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٧/ ٣٠٢، رقم ٤٣٣٨)، قال الهيثمي (١٠/ ٢٩٨): فيه الربيع بن سليمان الأزدي وهو ضعيف، والضياء (٦/ ٨١، رقم ٢٠٦٦). وأخرجه أيضًا: البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣١٥، رقم ٨٣١١)، والرافعي (٢/ ٣٧٠).

(٢) سبق تخريجه في (٢/ ٤٧٩).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني: البخاري ومسلم رحمهما الله تعالى، يقال لهما: الشيخان، البخاري ومسلم؛ لشهرتهما وهما شيخا الحديث رحمة الله عليهما.

والمعنى: أن الشديد في الحقيقة هو التأثير العظيم والسلامة من شر عظيم هو الذي يملك نفسه عند الغضب، ليس الشديد الذي يصرع الناس يطرح الناس بقوته الجسمية في الحقيقة، وإن كان قويًا، وإن كان شديدًا، لكن أقوى منه وأشد منه وأفضل منه الذي يملك نفسه عند الغضب، وهذا مثل الحديث الآخر: «**ليس المسكين بهذا الطوَّاف الذي ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يُفطَن له فيُتصدَّق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس**»، يعني: متعفف، يعني: أولى الناس بالمسكنة أولى الفقراء بالمسكنة هو المتعفف، وإن كان السائل الشحاذ الفقير يسمى مسكين إذا كان ما عنده شيء، أو عنده شيء يسير، لكن أولى منه بهذا الاسم وأحق منه بالصدقة المتعفف، الذي ليس عنده شيء ويستحي أن يقوم فيسأل الناس، ولا يفطن له الناس حتى يعطوه، فهذا جدير بأن يعطى إذا عرفه جاره وقريبه ونحو ذلك؛ لحيائه وعدم تعرضه للسؤال، هكذا الصرعة، الصُّرَعة فُعَلة مثل هُمَزة، الذي يصرع الناس، الذي يطرح الناس بقوته، إذا صرعهم طرحهم صرعهم، هذا يسمى شديد، ولكن في الحقيقة الشديد غير، الشديد من هو خير منه، وهو الذي يملك نفسه عند الغضب يصرعها عند الغضب لا ينفذ الغضب؛ بل يقهرها عند الغضب؛ حتى لا ينفذ ما يسببه الغضب من طلاق أو قتل أو ضرب أو سب أو نحو ذلك.

مداخلة: ما ذكره.

الشيخ: ما ذكره، ولا أبو عمير.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم

التَّيْميّ، عن الحارث بن سُوَيد، عن عبد الله، هو ابن مسعود ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟**». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: «**فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ**»[١]، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**مَا تَعُدُّونَ فِيكُمُ الصُّرَعَةَ؟**». قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا يَصْرَعُهُ الرِّجَالُ. قَالَ: قَالَ: «**لَا وَلَكِنِ الصُّرَعَةُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»[٢]. قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا تَعُدُّون فِيكُمُ الرَّقُوبَ؟**». قَالَ: قُلْنَا: الَّذِي لَا وَلَدَ لَهُ. قَالَ: «**لَا وَلَكِنِ الرَّقُوبُ الَّذِي لَمْ يُقَدِّمْ مِنْ وَلَدِهِ شَيْئًا**»[٣]. أخرج البخاري الفصل الأول منه وأخرج مسلم أصل هذا الحديث من رواية الأعمش، به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يبيِّن لنا أن الخلق أكثرهم ـ إلا من قلَّ ـ مثل ما قال النبي ﷺ: «**مال الورثة أحب إليه**»، الناس المعروف عنهم أن مال وارثهم أحب إليهم من مالهم، وكيف؟ لأنهم يبخلون بالنفقة ويدعون المال للورثة، فتكون المصلحة للورثة لا لهم، إلا من رزقه الله أن يقدم من ماله؛ ولهذا قال ﷺ: «**أيكم ماله أحب إليه من ماله؟**»، قالوا: يا رسول الله! ما منا من أحد إلا وماله أحب إليه من مال وارثه، فقال: «**إن مال أحدكم ما قدَّم، وإن مال وارثه ما أخَّر**»، فمالك يا عبد الله! ما قدمته للآخرة، ما قدمته لربك، ما أنفقته في طريق الخير في سبل الخير، هذا مالك في الحقيقة، تجده يوم القيامة ينفعك في موازين حسناتك، أما ما قد أخَّرته وراءك فليس مالك، ولكنه مال الورثة ينفقونه فيما شاءوا، وأما ما قدَّمته في دنياك فهذا هو مالك إذا قدَّمته لله.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما قدَّم من ماله فهو له برقم (٦٤٤٢).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٨٢).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٨٢).

ثم قال: «**ما تعدُّون الرقوب فيكم؟**»، قالوا: من ليس له ولد ـ أي: من لم يولد له ـ قال: «**لكن الرقوب** ـ يعني: العقيم ـ **الذي ما قدم من ولده شيئًا**»، يعني: ما مات له أحد، ما قدم صغارًا؛ لأن الصغار يشفعون لوالديهم؛ ولهذا في الحديث الصحيح: «**ما من أحد يموت له ثلاثة أفراط لم يبلغوا الحنث إلا كانوا له حجابًا عن النار**»، قالوا: يا رسول الله! أو اثنين؟، قال: «**أو اثنين**»، فهذا يدل على أن من تُقدِّم من الأولاد لا تندم فيه ولا تحزن، هو ينفعك يوم القيامة، الأولاد الصغار قبل البلوغ ينفعون والديهم المسلمين. وفي اللفظ الآخر: «**ما تعدُّون المفلس فيكم؟**»، قالوا: من لا درهم له ولا متاع، ما عنده دراهم ولا عنده أمتعة أموال قال: «**لكن المفلس الذي يأتي يوم القيامة بأعمال** ـ يعني: عظيمة من صلاة وصوم وصدقة ـ **ويأتي وقد ضرب هذا وشتم هذا، وقذف هذا وأخذ مال هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، ويعطى هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته** ـ ولم يقض ما عليه ـ **أخذ من سيئاتهم فطرح عليه ثم طرح في النار**»، هذا هو المفلس الذي قدم أعمالًا أخذها غيره، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوة إلا بالله.

وهنا قال: «**ما تعدُّون الصرعة فيكم؟**»، قالوا: الذي لا تصرعه الرجال ـ لا يطرحونه لقوته ـ قال: «**لكن الصرعة الذي يملك نفسه عند الغضب**»، إذا غضب جاهدها وملكها؛ حتى لا يقتل لا يضرب، لا يسب، لا يشتم، لا يطلق إلى غير هذا، يعني: يملك نفسه يجاهدها ويكظم الغيظ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شُعْبة، سمعت عُرْوة بن عبد الله الجَعْفِيّ يحدث عن أبي حصبة، أو ابن حصبة، عن رجل شهد النبي ﷺ يخطب فقال: «**تَدْرُونَ مَا الرَّقُوبُ؟**». قالوا: الّذي لا ولد له. فقال: «**الرَّقُوبُ كُلُّ الرَّقُوبِ الرَّقُوبُ كُلُّ الرَّقُوبِ**

الرَّقُوبُ كُلُّ الرَّقُوبِ الَّذِي لَهُ وَلَدٌ فَمَاتَ وَلَمْ يُقَدِّمْ مِنْهُمْ شَيْئًا». قال: «**تَدْرُونَ مَا الصُّعْلُوكُ؟**». قالوا: الّذي ليس له مالٌ. قال النّبيّ ﷺ: «**الصُّعْلُوكُ كُلُّ الصُّعْلُوكِ الصُّعْلُوكُ كُلُّ الصُّعْلُوكِ الَّذِي لَهُ مَالٌ فَمَاتَ وَلَمْ يُقَدِّمْ مِنْهُ شَيْئًا**». قال: ثمّ قال النّبيّ ﷺ: «**مَا الصُّرَعَةُ؟**». قال: قالوا: الصّريع، قال: فقال رسول الله ﷺ: «**الصُّرَعَةُ كُلُّ الصُّرَعَةِ الصُّرَعَةُ كُلُّ الصُّرَعَةِ الرَّجُلُ يَغْضَبُ فَيَشْتَدُّ غَضَبُهُ وَيَحْمَرُّ وَجْهُهُ وَيَقْشَعِرُّ شَعَرُهُ فَيَصْرَعُ غَضَبَهُ**»(١).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا ابن نُمَيْر، حدثنا هشام ـ هو: ابن عروة ـ عن أبيه، عن الأحنف بن قيس، عن عمٍّ له يقال له: جَارية بن قُدامة السعدي؛ أنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، قل لي قولًا ينفعني وأقْلِل عليّ، لعلي أعيه. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تَغْضَبْ**». فأعاد عليه حتى أعاد عليه مرارًا، كل ذلك يقول: «**لا تَغْضَبْ**»(٢)، وكذا رواه عن أبي معاوية، عن هشام، به. ورواه أيضًا عن يحيى بن سعيد القطان، عن هشام، به؛ أن رجلًا قال: يا رسول الله، قل لي قولًا وأقْلِل عليَّ لَعَلّي أعقِله. قال: «**لا تَغْضَبْ**». الحديث انفرد به أحمد.

حديث آخر: قال أحمد: حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا مَعْمَر، عن الزهري، عن حُمَيد بن عبد الرحمٰن، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: قال رجل: يا رسول الله، أوصني. قال: «**لَا تَغْضَبْ**». قَالَ: قَالَ الرَّجُلُ: فَفَكَّرْتُ حِينَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَا قَالَ فَإِذَا الْغَضَبُ يَجْمَعُ الشَّرَّ كُلَّهُ. انفرد به أحمد(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٦٧).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٧٣).
(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٧٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا داود بن أبي هِنْد، عن ابن أبي حَرْب بن أبي الأسود، عن أبي الأسود، عن أبي ذَرّ قال: كان يسقي على حوض له، فجاء قوم قالوا: أيكم يورد على أبي ذر ويحتسب شعرات من رأسه فقال رجل: أنا. فجاء الرجل فأورد عليه الحوض فدقه، وكان أبو ذر قائمًا فجلس، ثم اضطجع، فقيل له: يا أبا ذر، لم جلست ثم اضطجعت؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**إِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ قَائِمٌ فَلْيَجْلِسْ فَإِنْ ذَهَبَ عَنْهُ الْغَضَبُ وَإِلَّا فَلْيَضْطَجِعْ**»(١). ورواه أبو داود، عن أحمد بن حنبل بإسناده، إلا أنه وقع في روايته: عن أبي حرب، عن أبي ذر، والصحيح: ابن أبي حرب، عن أبيه، عن أبي ذر، كما رواه عبد الله بن أحمد، عن أبيه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم بن خالد، حدثنا أبو وائل الصَّنْعَاني قال: كنا جلوسًا عند عرْوة بن محمد إذ دخل عليه رجل، فكلمه بكلام أغضبه، فلما أن غضب قام، ثم عاد إلينا وقد توضأ فقال: حدثني أبي، عن جدي عطية ـ هو: ابن سعد السعدي، وقد كانت له صحبة ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ**»(٢)، وهكذا رواه أبو داود من حديث إبراهيم بن خالد الصنْعَاني، عن أبي وائل القاص المُرَادي الصَّنْعَاني: قال أبو داود: أراه عبد الله بن بَحير.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب برقم (٤٧٨٢ ـ ٤٧٨٣)، والإمام أحمد (٥/ ١٢٥).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب برقم (٤٧٨٤)، والإمام أحمد (٤٢٢٦).

نوح بن جَعْوَنة السُّلَمي، عن مقاتل بن حَيَّان، عن عطاء، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ وَقَاهُ اللهُ مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ أَلَا إِنَّ عَمَلَ الْجَنَّةِ حَزْنٌ بِرَبْوَةٍ ثَلَاثًا أَلَا إِنَّ عَمَلَ النَّارِ سَهْلٌ بِسَهْوَةٍ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُقِيَ الْفِتَنَ. وَمَا مِنْ جُرْعَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ يَكْظِمُهَا عَبْدٌ مَا كَظَمَهَا عَبْدٌ لِلَّهِ إِلَّا مَلأَ اللهُ جَوْفَهُ إِيمَانًا»**(١).

انفرد به أحمد، إسناده حسن ليس فيه مجروح، ومتنه حسن.

حديث آخر: قال أبو داود: حدثنا عقبة بن مكرم، حدثنا عبد الرحمٰن ـ يعني: ابن مهدي عن بشر ـ يعني: ابن منصور ـ عن محمد بن عجلان، عن سويد بن وهب، عن رجل من أبناء أصحاب النبي ﷺ عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه ملأ الله جوفه أمنًا وإيمانًا، وَمَنْ تَرَكَ لُبْسَ ثَوْبِ جَمَالٍ وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ»**. قَالَ بِشْرٌ: أَحْسِبُهُ قَالَ: **«تَوَاضُعًا كَسَاهُ اللهُ حُلَّةَ الْكَرَامَةِ، وَمَنْ زَوَّجَ لِلَّهِ تَعَالَى تَوَّجَهُ اللهُ تَاجَ الْمُلْكِ»**(٢).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن يزيد قال: حدثنا سعيد، حدثني أبو مرحوم، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: **«مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ ﷻ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ»**(٣).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٤٩ و١٥١).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب برقم (٤٧٧٨).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب من كظم غيظًا برقم (٤٧٧٧)، والترمذي في كتاب صفة القيامة، باب برقم (٢٤٩٣)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحلم برقم (٤١٨٦)، والإمام أحمد (٣/ ٤٤٠).

ورواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من حديث سعيد بن أبي أيوب به، وقال الترمذي: حسن غريب.

حديث آخر: قال عبد الرزاق: أنبأنا داود بن قيس، عن زيد بن أسلم، عن رجل من أهل الشام يقال له: عبد الجليل، عن عم له، عن أبي هريرة رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾ أن النبي ﷺ قال: «**من كظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله جوفه أمنًا وإيمانًا**».

حديث آخر: قال ابن مردويه: حدثنا أحمد بن محمد بن زياد، أنبأنا يحيى بن أبي طالب، أنبأنا علي بن عاصم أخبرني يونس بن عبيد، عن الحسن، عن ابن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تجرَّع عبد من جرعة أفضل أجرًا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله**». رواه ابن جرير، وكذا رواه ابن ماجه عن بشر بن عمر عن حماد بن سلمة عن يونس بن عبيد به، وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ﴾؛ أي: لا يعملون غضبهم في الناس؛ بل يكفون عنهم شرهم، ويحتسبون ذلك عند الله عز وجل.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يدل على فضل ذلك وأن من أفضل الخصال الحميدة كظم الغيظ، كثير من الناس إذا غضب نفذ غضبه وتعدَّى بالضرب والقتل والسب وغير ذلك، لكن أهل التقوى والإيمان وأهل البصائر يوفقون لكظم الغيظ، ويعينهم الله على كظم الغيظ ويتحمَّلون ويصبرون، فلا ينفذون مقتضى غيظهم وغضبهم ويتحملون ذلك ابتغاء وجه الله ويتصبرون، والله وعدهم في هذه الأحاديث الكثيرة المتعددة الطرق التي يشد بعضها بعضًا وعدهم فيه خيرًا كثيرًا، أن الله يكف عنهم عذابه، وأنه يملأ القلوب أمنًا وإيمانًا، وأنه يخير في الحور العين أيها شاء يوم القيامة، هذه فضائل وكرامات وجزاءات متنوعة لهذا الأمر العظيم، فينبغي للمؤمن أن يجاهد نفسه في ذلك وألا ينفذ غضبه، ولا سيما إذا

كان غضبه في غير طاعة الله ولغير الله؛ بل لحظِّ نفسه وهواه، أما إذا كان لله فليتأمل وليتثبت حتى لا ينفذ إلا ما يرضي الله، ولا يزيد على حد الله وشرعه، أما إذا كان لحظِّ نفسه وهواه على ولد أو زوجة أو جار أو قريب أو غير ذلك، فليحذر تنفيذ الغضب، وليتحمل وليتصبر، لعل الله ﷻ يرزقه هذا الخير العظيم، من كونه يكف عنه عذابه يوم القيامة، ويكف عنه غضبه يوم القيامة، ويملأ قلبه أمنًا وإيمانًا، ويخيره في الحور العين أيها شاء، وهذا فضل عظيم وخير كبير. الله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وبهذا يكون هذا الإسناد لا بأس به، حسن في نفسه ومع ذلك له طرق أخرى.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حتى يخيره في الحور العين أيها شاء عن أبي مرحوم عن سهل بن معاذ عن أبيه.

مداخلة: عن سهل بن سعد عن أبيه قال: من كظم غيظًا وهو قادر على أن ينفذه دعاه الله على رؤوس الخلائق حتى يخيره من أي الحور شاء.

الشيخ: من أي الحور، نعم، نعم ماشي. الله أكبر.

مداخلة: ما علاقته يا شيخ بزبان إذا كان هو ضعيف؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

زبان ضعيف، لكن هذا من غير طريق زبان من غير طريقه، هذا من طريق أبي مرحوم.

مداخلة: يقول: فيما رواه عنه، مش فيما رواه هو عنه.

الشيخ: يعني: زبان روى عن سهل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾؛ أي: مع كف الشر يعفون عمن ظلمهم في أنفسهم، فلا يبقى في أنفسهم موجدة على أحد، وهذا أكمل الأحوال، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾، وهذا من مقامات الإحسان، وفي الحديث: «**ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا كله يدل على أن من مقامات الإحسان ومن صفات المحسنين الإنفاق في السراء والضراء، يعني: في الشدة والرخاء، في العلن والسر مع كظم الغيظ والعفو عن الناس، فالصفح والعفو هذا كله من خصال المحسنين، ومن صفات الكرماء والأجواد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروى الحاكم في مستدركه من حديث موسى بن عقبة، عن إسحاق بن يحيى بن أبي طلحة القرشي، عن عبادة بن الصامت، عن أُبي بن كعب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُشْرَفَ لَهُ الْبُنْيَانُ، وتُرْفَعَ لَهُ الدَّرَجَاتُ، فلْيَعْفُ عَمَّنْ ظَلَمَهُ، ويُعْطِ مَنْ حَرَمَهُ، وَيَصِلْ مَنْ قَطَعَهُ**»(٢)، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أورده ابن مردويه من حديث علي وكعب بن عجرة وأبي هريرة وأم سلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بنحو ذلك، وروي عن طريق الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال

---

(١) أخرجه مسلم جزء منه في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو التواضع برقم (٢٥٨٨).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران ج٤ برقم (٣١٩٩) طبعة دار الميمان.

رسول الله ﷺ: «**إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ يقول: أين العافون عن الناس؟ هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم، وحق على كل امرئ مسلم إذا عفا أن يدخل الجنة**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومن خصال أهل السُّنَّة ومن علامات أهل البر أن يصل العبد من قطعه، ويعطي من حرمه، ويعفو عمن ظلمه، يرجو ثواب الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾؛ أي: إذا صدر منهم ذنب أتبعوه بالتوبة والاستغفار. قال الإمام أحمد: حدثنا يزيد، حدثنا همام بن يحيى عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، عن عبد الرحمٰن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ رَجُلًا أَذْنَبَ ذَنْبًا فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي أَذْنَبْتُ ذَنْبًا، أَوْ قَالَ: عَمِلْتُ عَمَلًا ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ** عَزَّ وَجَلَّ: **عَبْدِي عَمِلَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي، ثُمَّ عَمِلَ ذَنْبًا آخَرَ أَوْ أَذْنَبَ ذَنْبًا آخَرَ، فَقَالَ: رَبِّ إِنِّي عَمِلْتُ ذَنْبًا فَاغْفِرْهُ، فَقَالَ: عَلِمَ عَبْدِي أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِهِ قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَعْمَلْ مَا شَاءَ**».

أخرجه في الصحيحين من حديث إسحاق بن أبي طلحة بنحوه(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدلل على أن التوبة متى وقعت محا الله بها الذنوب،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ برقم (٧٥٠٧)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة برقم (٢٧٥٨).

التوبة الصادقة يمحو الله بها السيئات ويغفر بها الذنوب ﷻ، ولو تكررت من العبد ما دام غير مصر ولم يصر، ولكنه يبتلى، يتوب ويبتلى ثم يتوب ويبتلى، فما دامت التوبة تحصل منه بشروطها صادقًا نادمًا مقلعًا من ذنوبه تاركًا لها، عازمًا ألا يعود فيها، فإن الله يتوب عليه ﷻ.

مداخلة: سلَّمك الله فليعمل ما شاء؟

الشيخ: نعم؛ أي: ما دام بهذه الحالة يتوب فإنه لا يضره ذلك، ليس من باب الإذن ولكن من باب البيان، من باب بيان أنه ما دام على هذه الصفة فإنه مغفور له، ما دام كلما أذنب بادر بالتوبة الصادقة ولم يصر على ذنبه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو النضر وأبو عامر قالا: حدثنا زهير، حدثنا سعد الطائي، حدثنا أبو المدله مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا إِذَا رَأَيْنَاكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ وَإِذَا فَارَقْنَاكَ أَعْجَبَتْنَا الدُّنْيَا وَشَمَمْنَا النِّسَاءَ وَالأَوْلَادَ. قَالَ: **«لَوْ تَكُونُونَ** - أَوْ قَالَ: **لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ - عَلَى كُلِّ حَالٍ عَلَى الْحَالِ الَّتِي أَنْتُمْ عَلَيْهَا عِنْدِي لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ بِأَكُفِّهِمْ وَلَزَارَتْكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ كَيْ يَغْفِرَ لَهُمْ»**. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ حَدِّثْنَا عَنِ الْجَنَّةِ مَا بِنَاؤُهَا قَالَ: **«لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الأَذْفَرُ وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ وَيَخْلُدُ لَا يَمُوتُ لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ، ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ الإِمَامُ الْعَادِلُ وَالصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ وَتُفْتَحُ لَهَا أَبْوَابُ السَّمٰوَاتِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ** ﷻ: **وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ**

حِينٍ»[١]. ورواه الترمذي وابن ماجه من وجه آخر من حديث سعد به.

ويتأكد الوضوء وصلاة ركعتين عند التوبة لما رواه الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا وكيع، حدثنا مسعر وسفيان الثوري، عن عثمان بن المغيرة، عن علي بن ربيعة، عن أسماء بن الحكم الفزاري، عن علي رضي الله عنه قال: (كنت إذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثًا نفعني الله بما شاء منه، وإذا حدَّثني عنه غيره استحلفته، وإذا حلف لي صدَّقته، وإن أبا بكر رضي الله عنه حدثني ـ وصدق أبو بكر ـ أنه سمع رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنب ذنبًا فيتوضأ ويحسن الوضوء**» قال مسعر: «**فيصلي**»، وقال سفيان: «**ثُم يُصَلّي رَكْعَتَيْن فيستغفر الله عز وجل إلا غَفَرَ اللهُ لهُ**»[٢]. وهكذا رواه علي بن المديني والحميدي وأبو بكر بن أبي شيبة وأهل السنن، وابن حبان في صحيحه والبزار والدارقطني من طرق عن عثمان بن المغيرة به.

وقال الترمذي: هو حديث حسن، وقد ذكرنا طرقه والكلام عليه مستقصى في مسند أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبالجملة فهو حديث حسن، وهو من رواية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، عن خليفة النبي ﷺ أبي بكر رضي الله عنهما.

ومما يشهد بصحة الحديث ما رواه مسلم في صحيحه عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال: «**ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ـ أو: فيسبغ ـ الوضوء ثم يقول.. ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، إلا فُتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء**».

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في كتاب صفة الجنة، باب ما جاء في صفة الجنة ونعيمها برقم (٢٥٢٦)، والإمام أحمد (٢/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الصلاة، باب ما جاء في أن الصلاة كفارة برقم (١٣٩٥)، والإمام أحمد (١/ ٢، ٦٠).

وفي الصحيحين عن أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ: أنه توضأ لهم وضوء النبي ﷺ، ثم قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلَّى ركعتين لا يحدِّث فيهما نفسه، غُفر له ما تقدم من ذنبه**»، فقد ثبت هذا الحديث من رواية الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، عن سيد الأولين والآخرين ورسول رب العالمين.

كما دل عليه الكتاب المبين من أن الاستغفار من الذنب ينفع العاصين. وقد قال عبد الرزاق: أخبرنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس بن مالك ﷺ قال: بلغني أن إبليس حين نزلت هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ﴾ الآية، بكى.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا محرز بن عون، حدثنا عثمان بن مطر، حدثنا عبد الغفور، عن أبي نضرة، عن أبي رجاء، عن أبي بكر ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «**عليكم بلا إله إلا الله والاستغفار، فأكثروا منهما فإن إبليس قال: أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء، وهم يحسبون أنهم مهتدون**». عثمان بن مطر وشيخه ضعيفان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

بالأهواء يعني: بالبدع، زين لهم البدع؛ لأنهم لا يتوبون منها، يحسبون أنهم على هدى، فلهذا زين لهم البدع حتى لا يتوبوا منها نسأل الله العافية، يظنون أنهم على إصابة وعلى تقوى ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وروى الإمام أحمد في مسنده من طريق عمرو بن أبي عمرو وأبي الهيثم العتواري عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «**قال إبليس: يا رب!**

وعزتك لا أزال أغوي بني آدم ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الله تعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني». وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المثنى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: قف على البزار.

مداخلة: الحديث المتقدم؟ حديث أبي هريرة. إذا رأيناك رقت قلوبنا....

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ومعناه جاء ثابت من حديث حنظلة عند الحاكم وأحاديث أخرى، وأخبر في صحيح مسلم وغيره، أن النبي ﷺ قال: «أنهم قالوا للرسول ﷺ هذا المعنى: إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، حتى كأنا نشاهد الآخرة، فقال: **لو كنتم....**» إلى آخره، فسنده لا بأس به، فالسند هنا لا بأس به.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال عليه؟

مداخلة: أبو المدله بضم الميم وكسر المهملة، وتشديد اللام مولى عائشة يقال: اسمه عبد الله، مقبول من الثالثة، الترمذي وابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا شاهد لا بأس به نعم، لكن في ما هو أصح منه.

مداخلة: أحسن الله إليك! حفظك الله قال في حديث أبي هريرة: قال: «قلنا: يا رسول الله! إذا رأيناك رقت قلوبنا، وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك عاجلتنا الدنيا، وشممنا النساء والأولاد».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

جاء معناه من حديث حنظلة عند الحاكم وغيره نعم، والصدِّيق نقل له هذا الكلام، وقال عمر كذلك.

المقصود: أنهم كانوا إذا اجتمعوا بالنبي ﷺ وذكّرهم الآخرة رقت

قلوبهم، حتى كأنهم يشاهدون الآخرة رأي العين، فإذا انصرفوا إلى نسائهم وأولادهم وضيعاتهم نسوا كثيرًا مما سمعوا من النبي ﷺ، فقال لهم ما قال عليه الصلاة والسلام: «**أما إنكم لو كنتم على ما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة... ولكن يا حنظلة ساعة وساعة**»، يعني: ساعة للدنيا وأمور المعيشة والضيعات، وساعة للآخرة والعمل الصالح، في بعض العامة من أهل المعاصي ساعة وساعة، يعني: ساعة للمعاصي، هذا غلط منكر، ولكن ساعة وساعة؛ أي: ساعة لهموم الدنيا والحاجات الدنيوية، من البيع والشراء وإصلاح الزراعة وأشباه ذلك نعم، والأنس بالعائلة والضحك معهم ونحو ذلك وتارة للعمل الصالح.

مداخلة: . . . إذا . . . في المنام. . .؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قد وقد، هذا قد وقد، قد يرى رؤية صالحة ويتأثر بها، وقد لا يراه الرؤية المشهورة قد يكون شُبِّه له. نعم.

• س: المعلوم يا شيخ! أن إبليس أبى أن يسجد لله، ومع ذلك لا يقسم دائمًا إلا بعزة الله؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لعلمه بهذا بأن الله ربه وأن عزته عظيمة، ولكن الله أنظره لحكمة بالغة، قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾﴾ [ص: ٨٢]، يعرف ويخشى العقوبة لو خالف الأمر بعد ذلك بعدما طرده الله وأبعده، نعم، فلهذا لما غرَّ الناس في بدر، ورأى نصر الله نكص على عقِبَيه هرب. نعم.

مداخلة: . . . . . في الحديث الماضي أبي حفصة وإلا أبي حفص؟

الشيخ: ما أدري عنه حتى الآن.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عمر بن أبي خليفة، سمعت أبا بدر يحدث عن ثابت، عن أنس قال: جاء رجل فقال: يا رسول الله! إني أذنبت ذنبًا، فقال رسول الله ﷺ: «**إذا أذنبت فاستغفر ربك**». وقالها في الرابعة وقال: «**استغفر ربك حتى يكون الشيطان هو المحسور**»، وهذا حديث غريب من هذا الوجه. . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن الإنسان لا يمل من الاستغفار ولا ييأس من رحمة الله ولا يقنط؛ بل لا يزال يستغفر حتى يطمئن قلبه، وحتى يكون الشيطان هو المحسور، هو الذي يصيبه المشقة وتصيبه الحسرة عند توبة ابن آدم؛ لأن الشيطان يفرح أن يبقى العبد على معاصيه وسيئاته حتى يكون إلى النار، فإذا تاب العبد وندم ساء هذا الشيطان وندم الشيطان واستحسر الشيطان؛ لأنه رأى العبد نجا من ذنبه وهو لم ينجو من ذنبه بل استمر على طغيانه وعناده وكفره وصار. . . إلى النار، نعوذ بالله، فالعبد بتوبته لله واستغفاره لربه وتكراره الاستغفار يرضي ربه ويؤلم الشيطان ويحزن الشيطان، نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾؛ أي: لا يغفرها أحد سواه. كما قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا سلام بن مسكين والمبارك عن الأسود بن سريع أن النبي ﷺ أتي بأسير فقال: اللَّهُمَّ إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد. فقال النبي ﷺ: «**عرف الحق لأهله**». وقوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾؛ أي: تابوا من ذنوبهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن التوبة إلى الله؛ لأنه كان كافرًا والكافر قد أتى أعظم

الذنوب وأعظم الشرور فالتوبة من هذا تكون إلى الله ﷻ، ولهذا قال: اللَّهُمَّ إني أتوب إليك ولا أتوب إلى محمد، قال النبي: «**عرف الحق لأهله**»، فالحق في التوبة لله ﷻ هو الذي يُتاب إليه، ويُستغفر ﷻ، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ ﷻ. أما إذا كان حق المخلوق إذا كان ظلمه وتعدى عليه فمن تمام التوبة أن يستسمح هذا الرجل ويطلب منه العفو عن حقه، أما الذنوب التي لا حق... فيها كلها لله وحده المغفرة لله وحده، حق الله يتاب إليه فيه ﷻ، حق المخلوق لا بد أن يستسمح منه؛ لأن له حقه إذا ظلمه بقتل أو ضرب أو أخذ ماله فلا بد في التوبة مع التوبة إلى الله ومع اللجأ إلى الله واستغفاره، لا بد في هذا أيضًا من استسماح المخلوق وإرضائه أو طلب عفوه حتى يسقط حقه بالسماح أو بالمعاوضة.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾؛ أي: تابوا من ذنوبهم، ورجعوا إلى الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية ويصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرر منهم الذنب تابوا عنه، كما قال القاضي أبو يعلى الموصلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مسنده: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل وغيره قالوا: حدثنا أبو يحيى عبد الحميد الحماني، عن عثمان بن واقد، عن أبي نضرة، عن مولى لأبي بكر، عن أبي بكر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما أصرَّ من استغفر وإن عاد في اليوم سبعين مرة**»، ورواه أبو داود والترمذي والبزار في مسنده من حديث عثمان بن واقد وقد وثقه يحيى بن معين...، وشيخه أبو نصر المقاسطي واسمه: سالم بن عبيد وثقه الإمام... الإمام أحمد وابن حبان، وقول علي بن المديني والترمذي ليس إسناد هذا الحديث بذاك، فالظاهر إنما هو؛ لأجل جهالة مولى أبي بكر، ولكن جهالة مثله لا تضر؛ لأنه تابعي كبير، ويكفيه نسبته إلى أبي بكر، فهو حديث حسن، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ليس بجيد، ليس بجيد من المؤلف كونه منسوب إلى أبي بكر ما... أنه ثقة، قد يكون نسب إلى أبي بكر وقد يختل حفظه قد تختل عدالته بعد موت أبي بكر، هذا غلط ليس بجيد، نسبته إلى أنه مولى أبي بكر أو مولى عمر أو مولى عثمان ما يكفي للتوثيق حتى يعلم حاله وأنه ثقة وأنه ضابط لما يروي.. ليس بكثير غلط ولا بمغفل، فهذه زلة من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ...

مداخلة:.... كبار التابعين...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا كونه من كبار التابعين ما يكفي...

مداخلة:.. أنه يكون صحابي يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا ثبت أنه صحبهم ما هو بلازم.

مداخلة:... لأن أبو بكر عمَّر بعد رسول الله ﷺ سنة وقليل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولو ما يلزم، هو ما يلزم أن يكون صحابي نعم، قد ملكه من السبايا الأخيرة أو اشتراه بعد موت النبي ﷺ وليس بصحابي.

وقال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى في هذا: أن الإنسان إذا لم يصر على الذنوب ما ضرَّته الذنوب، مضرَّتها إذا أصر عليها، أما إذا تاب وأقلع وأناب إلى الله جل وعلا فإن الله يعفو عنه، وهو الذي يغفر الذنوب سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢]، فما أصر من استغفر، والله يقول: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ﴾، يعني: يقيموا على المعاصي، والمصيبة الإقامة عليها

وعدم التوبة، أما من تاب منها وأقلع وندم فإنها لا تضره بل يغفرها الله . . . ﷻ.

وهذه من كماله، ولا الأحاديث الصحيحة ليس فيها شرط، هذا من كمالها و. . .، ولهذا قال. . . في الآية الأخرى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، وقال: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وأطلق، قول النبي ﷺ: «**التوبة تجبُّ ما قبلها**».

مداخلة: عفا الله عنك. . . التردد على. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

لكن من كمالها إتباعها بالأعمال الصالحة.

مداخلة: كثير التردد على المعاصي وكذلك التوبة؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا بينه وبين ربه إذا كان يتوب التوبة تمحو ما قبلها.

وقوله تعالى: ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾، قال: مجاهد وعبد الله بن عبيد بن عمير ﴿وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥﴾، أن من تاب تاب الله عليه. وهذا كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة: ١٠٤]، وقوله: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ١١٠]، ونظائر هذا كثيرة جدًّا.

وقال الإمام أحمد: حدثنا، يزيد أنبأنا جرير، حدثنا حبان هو ابن زيد الشرعبي، عن عبد الله بن عمرو، عن النبي ﷺ أنه قال وهو على المنبر: «**ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، واغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ، وَيْلٌ لأَقْمَاعِ الْقَوْلِ، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ**». تفرد به أحمد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يمر في أذنه ولا يستفيد، نسأل الله العافية، يعني: يسمع ولا

ينتفع، الأذن قمع إذا مر بها القول ولكن ما يستفيد توبة ولا ندم ولا إقلاع فهو مصر، نسأل الله العافية، ويل لهم، بخلاف الذي إذا سمع أناب وتاب وندم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

ثم قال تعالى بعد وصفهم بما وصفهم به: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ﴾؛ أي: جزاؤهم على هذه الصفات مغفرة من الله وجنات: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾؛ أي: من أنواع المشروبات: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾؛ أي: ماكثين فيها: ﴿وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ يمدح تعالى الجنة...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا جزاء من تاب، من تاب صادقًا واستغفر صادقًا جزاءه الجنة والمغفرة، والأنهار العظيمة الجارية، وفوز كبير بسبب توبته الصادقة وعمله الصالح، بخلاف من أصر وثبت على المعاصي فهو متوعَّد بالنار وغضب الجبار، نسأل الله السلامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٣٠ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ١٣٢﴾ [آل عمران: ١٣٠ ـ ١٣٢][(١)].

ينهى سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عباده عن أكل الربا، ويخاطب أهل الإيمان بذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا مُّضَٰعَفَةٗۖ﴾، فتارة يخاطب

(١) الفوائد العلمية من الدروس البازية، جمع الدكتور: عبد السلام السليمان (٤/ ٢٦٨ إلى ٢٧٥).

ربنا ﷻ في كتابه العظيم الناس جميعًا؛ لأنهم خُلقوا ليعبدوا الله، ولأن الرسل بُعِثَتْ إليهم جميعًا؛ للتعليم والتوجيه والإرشاد.

وتارة يخاطب أهل الإيمان؛ لأنهم أهل الامتثال على الكمال، ولأنهم أهل البصيرة والتقدير لأوامر الله ورسوله، ولأنهم قد علموا من الله ومن رسوله - عليه الصلاة والسلام - ما لم يعلمه غيرهم، فكان في خطابهم مزيد من التأكيد في كونهم فهموا ما لم يفهم غيرهم، وعلموا ما لم يعلم غيرهم

وتارة يخاطب نبيّه ﷺ فيقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ [الأنفال: ٦٤]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ [المائدة: ٤١]، والمراد أمره وأمْرُ غيره، فإنَّ أمْرَ الرسول ﷺ بشيء أو نهيه عن شيء أمْرٌ للأمة، ونهي للأمة ما لم يأت ما يدل على التخصيص.

ففي أوامر الله ورسوله، سواء كانت مُوَجَّهَة للناس، أو لأهل الإيمان أو للنبي بالخصوص - عليه الصلاة والسلام - أوامر للجميع، والواجب على الجميع امتثالها، وإن كانت نواهي فالواجب على الجميع الانتهاء عنها، يقول سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَـٰفًا مُّضَـٰعَفَةً﴾ فكان من عادة أهل الجاهلية أكل الربا أضعافًا مضاعفة، وكان الغالب عليهم ربا النسيئة، ولهذا جاء في الحديث: «**إِنَّمَا الرِّبَا فِي النَّسِيئَةِ**»(١). لأنها كانت هي الغالبة بينهم.

فالمعاملة الربوية غالبًا في النسيئة، وقد يقع الربا في الفضل وفي البيوع المعجَّلة، ولكن ذلك هو الأقل، وإنما الغالب والكثير في المعاملات الربوية التي فيها آجال وفيها نسيئة.

وقد قال عليه الصلاة والسلام في الأحاديث الصحيحة: «**لَا تَبِيعُوا**

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه في كتاب المُساقاة، باب بيع الطعام مثلا بمثل برقم (١٥٩٦).

الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ وَلَا الْوَرِقَ بِالْوَرِقِ إِلَّا وَزْنًا بِوَزْنٍ مِثْلًا بِمِثْلٍ سَوَاءً بِسَوَاءٍ»[١]، وفي رواية أخرى عن أبي سعيد: «**فَمَنْ زَادَ أَوِ اسْتَزَادَ فَقَدْ أَرْبَى**»، وهكذا في حديث عبادة، فهذا في ربا الفضل. وجاء النهي منه عليه الصلاة والسلام أيضًا عن النسيئة: «**الْوَرِقُ بِالذَّهَبِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالْبُرُّ بِالْبُرِّ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالشَّعِيرُ بِالشَّعِيرِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ، وَالتَّمْرُ بِالتَّمْرِ رِبًا إِلَّا هَاءَ وَهَاءَ**»[٢].

و«**نَهَى عَنْ بَيْعِ الْوَرِقِ بِالذَّهَبِ دَيْنًا**»[٣] وما ذاك إلا لأن بيعها دينًا يفضي إلى مضار كثيرة، ويفضي أيضًا إلى ظلم الفقير والزيادة عليه وتراكم الأموال في ذمته بسبب حاجته إلى الْغَنِيِّ، فيكون الربا عليه أضعافًا مضاعفة كلما حل ولم يتيسر له الوفاء. وذلك مما يجره إلى النسيئة فيكون ربا النسيئة هو الغاية وهو المقصود، ولأن الناس في الغالب طبقات منهم الغني، ومنهم المتوسط، ومنهم المحتاج، فإذا سُمِحَ بربا النسيئة ظَلَم بعضهم بعضًا، وأضر بعضهم ببعض، فكان من رحمة الله أن منعهم من ذلك حتى يكون بينهم التعاون، بالقرض الذي ليس فيه ربًا، أو البيوع التي ليس فيها ربًا، أو البيوع التي ليس فيها إلا الأرباح المعقولة من باب بيع المؤجل، أو من باب بيع السلم أيضًا، كل ذلك واقع.

---

(١) متفق عليه، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الفضة بالفضة برقم (٢١٧٧)، ومسلم في كتاب المُساقاة، باب الربا برقم (١٥٨٤).

(٢) متفق عليه، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع التمر بالتمر برقم (٢١٧٠)، ومسلم في كتاب المساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا برقم (١٥٨٦).

(٣) متفق عليه، من حديث البراء بن عازب وزيد بن أرقم رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب بيع الورق بالذهب نسيئة برقم (٢١٨٠)، ومسلم في كتاب المُساقاة، باب الصرف وبيع الذهب بالورق نقدًا برقم (١٥٨٩).

الحاصل: أن قوله: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ ليس المراد منه إباحة الربا الذي ليس فيه أضعاف مضاعفة، ولكن المقصود نهيهم عما هو واقع بينهم، وتحذيرهم مما هو سائد بينهم، من الربا المضاعف الذي يجر بعضه إلى بعض، ويسوق بعضه إلى بعض بسبب بقاء عسر المعسر وجشع الغني، فيتركب من جشع هذا وعسر هذا وضعفه، هذه المضاعفة في الربا.

وكان من عادتهم إذا حلَّ الدَّيْن أن يقول الغني للفقير: إما أن تُرْبي، وإما أن تَقْضي؛ أي: إما أن تؤدي الحق الذي عليك من الديون، وإما أن تُربي بأن تزيد في المال، وأنا أزيدك في الأجل، فإذا كان المال مئة، وقد حلَّت ولم يتيسر له القضاء، قال له صاحب الحق: إما أن تبادر بالقضاء وتسعى في القضاء، وإلا تزيد في المال، وأنا أزيدك في الأجل، فيكون المال مئة وعشرة أو مئة وعشرين بدل مِئَةٍ، ثم يجدد أجلًا آخر إلى كذا وإلى كذا.

هذا معنى: ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾؛ أي: ضعفًا بعد ضعف، أو زيادة بعد زيادة، فكلما حل أجلٌ زِيدَ في المال، وزيد في الأجل؛ لأن الغالب أن الفقير لا تزيده هذه الزيادة إلا فقرًا، ولا تزيده إلا عسرًا، فكلما حلَّ الدَّيْن فإن عسره باقٍ، وفقره حاضر، فيحتاج إلى المزيد من المال، وإلى المزيد في الأجل، فتبقى الديون متراكمة متضاعفة إلى ما لا يحصى من الزيادات، فحرَّم الله ذلك، وأوجب الإنظار.

فإذا حلَّ الدَّيْن ولم يتيسر للمدين الوفاء وجب على صاحب المال الإنظار والإمهال وعدم الزيادة، وأنزل في هذا ﷻ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] فوجب الإنظار على الغني صاحب المال للمُعسر الذي هو المدين، ونهى الله عن ذلك الرِّبا الذي ساد في الجاهلية، وقال ﷻ لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ

ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩]؛ أي: فاعلموا بحرب من الله ورسوله. ثم قال: ﴿وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾، فأباح لهم سبحانه أخذ رؤوس الأموال، وحذرهم من الرِّبا، وأخبرهم أن استمرارهم فيه إيذانٌ بحرب الله ورسوله، نسأل الله السلامة والعافية.

قوله ـ سبحانه ـ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠] بَيَّنَ ﷻ أن الفلاح في تقوى الله، والفلاح: هو الظَّفر والفَوزُ والحصول على النجاة والسَّعادة، فدَلَّ ذلك على أن الفلاح في ترك معاصي الله، وأنه في فعلها الهلاك والدمار.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]؛ أي: أُرصِدَتْ وهُيِّئَت لأعداء الله، فهي مُعَدَّة لهم، يقيمون فيها أبد الآباد، وإن كان العاصي قد يشارك في ذلك، فقد يدخلها، لكنها لم تُعَدَّ له، وإنما أُعِدَّت لغيره، والعاصي يدخلها من باب التأديب والتطهير، ثم يُخْرَجُ، فدخوله للتَّطهير لا للإقامة فيها، بخلاف الكافر، فإنها مُعدَّة له، وهو مقيم فيها أبد الآباد، كما أن المؤمن مقيم في الجنة أبد الآباد، فالجنة لأهلها على وجه التأبيد، والنار لأهلها على وجه التأبيد، نعوذ بالله من حالها وحال أهلها.

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢] بَيَّنَ ﷻ أن الرحمة في طاعة الله ورسوله، والمعنى: أنه في عصيان الله ورسوله ضد الرحمة، وهو النقمة والعذاب، فمن أراد الرحمة والخير والفلاح والظفر في كل ما يَسُرُّه، فعليه بتقوى الله وطاعة الله ورسوله، ومن أراد الهلاك والدمار والنقمة والعذاب فعليه بمعاصي الله وركوب محارمه، نعوذ بالله من ذلك.

*

❑ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦][(١)].

يأمر الله ﷻ عباده بالمسارعة إلى ما فيه نجاتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وذلك بالعمل الذي يرضي الله ﷻ ويقرب لديه، والنهاية حصول المغفرة ودخول الجنة التي أعدها الله للمتقين، والمتقون هم أولياء الله، وهم أهل طاعته، وهم المؤمنون، وهم الصالحون، وهم عباد الرحمٰن، وهم الرسل وأتباعهم، هؤلاء هم المتقون، سمَّاهم الله المتقين لأنهم اتقوا عذاب الله واتقوا عقابه بطاعته ﷻ والاستقامة على ما يرضيه والابتعاد عما نهاهم عنه سبحانه وتعالى.

فلهذا سمَّاهم الله متقين وسمَّاهم مؤمنين لإيمانهم به وأدائهم حقه، وسمَّاهم صالحين لقيامهم بالحق الذي عليهم، فصاروا بذلك صالحين، فهم أولياء الله وهم عباد الرحمٰن، ولهذا قال: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾؛ يعني: سارعوا إلى أسبابها وما جعلها الله محصلًا لها من طاعته واتباع شريعته ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾؛ يعني: أعدَّها الله لعباده المتقين، ثم ذكر بعض صفاتهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾.

---

(١) حديث المساء، (ص٧٥) ط٣ ١٤٣٦هـ.

هذه أربع صفات من صفات المتقين، وجماعها أنهم اتقوا الله بفعل ما أَمر به وترك ما نهى عنه والمسارعة إلى ما يرضيه فصاروا بهذا متقين مستحقين لكرامته ﷻ، والفوز بجنته وغفران الذنوب وحط الخطايا. ومن أعمالهم الإنفاق في السراء والضراء هذه من أعمال المتقين الإنفاق؛ أي: الإحسان والجود والكرم في مشاريع الخير في الشدة والرخاء، بمواساة الفقراء والمحاويج، بصلة الرحم، تعمير المساجد المدارس إلى غير هذا مما ينفع المسلمين، إصلاح الطرق إيجاد الجسور والكباري على الأنهار وعلى الطرقات المحتاجة إلى غير ذلك، هذه النفقات مما يأجر الله عليها ويخلف ما أنفقه المُنفق: ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

ولهذا قال: ﴿فِى ٱلسَّرَّآءِ﴾؛ والضراء في حال الرخاء والعافية وفي حال الشدائد نفقتهم دائمة مستمرة في وجوه الخير وأعمال الخير عند الشدة والرخاء، وما ذاك إلا لكمال إيمانهم وكمال تقواهم وثقتهم بما عند الله ورغبتهم فيما لديه ﷻ، ثم مع ذلك يكظمون الغيظ قد يؤذون وقد يتعرض لهم بعض الناس فيما يكدرهم ولكنهم يكظمون الغيظ لا ينفذون ولا يؤذون ولا ينتقمون، بل يصفحون ويعفون: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ أهل الإيمان والخيرات قد يؤذيهم بعض أهل الشر وقد يتعرض لهم بعض أهل السوء بما يضرهم أو بما يكدرهم ويحزنهم، ولكنهم مع ذلك يكظمون الغيظ لكمال التقوى والإيمان وانشراح صدورهم بما عند الله ﷻ، فيكظمون الغيظ ولا ينفذون لا ينتقمون بل يعفون، ولهذا قال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾.

يقول الله ﷻ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧] ويقول

النبي ﷺ: «**ما زاد الله عبدًا بعفوٍ إلا عزًّا**»[(١)]؛ فالمؤمن والمتقي لله ماله مبذول في ما يرضي الله، ويقرب لديه بمواساة فقير وصلة رحم وإقامة مشروع خيري، وتعمير ما ينفع المسلمين من مساجد ومدارس ومعاهد للخير وغير ذلك، ومع ذلك ينفعون الناس ولا يضرونهم يؤذون ويعفون ويصلحون ويكظمون، ثم ذكر صفة خامسة عظيمة فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾.

هذا من كمال إيمانهم وتقواهم متى زلّت القدم ووجد منهم سيئة بادروا بالتوبة والإصلاح، بادروا بالندم والإقلاع وإصلاح الأمور والعمل الصالح لكمال إيمانهم وتقواهم، فلا يصرّون على السيئة، المؤمن غير الرسل ليس معصومًا قد يقع منه الزلة وتقع منه خطيئة ثم يبادر بالتوبة يبادر بالإصلاح يبادر باستغفار الله ﷻ، والإقلاع من ذنبه وعدم الإصرار عليه ويصدُق في ذلك فيتوب الله ﷻ عليه.

ثم يجزيه المغفرة ويجزيه الجنة والكرامة، هكذا ينبغي للمؤمن أينما كان أن يكون بهذه الصفات يرجو ما عند الله ويخشى عقابه ويخلص له في العمل، والله ﷻ يضاعف له المثوبة ويغفر له الذنوب، ومع ذلك يُخلف عليه ما أنفق، يُنفق من هنا ويأتي الخلف من هناك، فيبارك له فيما بقي وتأتيه الأرزاق من حيث لا يحتسب: ﴿...وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع رقم (٢٥٨٨)، والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في التواضع برقم (٢٠٢٩)، والإمام أحمد (٢/ ٢٣٥)، ومالك في الموطأ في كتاب الصدقة، باب التعفف عن المسألة برقم حديث الباب (١٢).

مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣]، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠]، ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩] والأجر عنده عظيم والخلف في الدنيا حاصل، هذا فضله وجوده ﷻ.

*

❐ **فيقول الله ﷻ في كتابه العظيم**: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ **[آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦]**(١).

هذا جزاء المسارعين للخيرات، والمسابقين للطاعات التي هي أوصاف المتقين جاء جزاؤهم بالمغفرة والجنَّة والكرامة.

يقول سبحانه: ﴿وَسَارِعُوٓا۟﴾؛ يعني: سابقوا وبادروا إلى المغفرة والجنَّة، المعنى: إلى أعمالها وأسبابها التي هي أوصاف المتقين فإن أسباب دخول الجنة وأعمال أهل الجنة هي التي وصف الله بها المتقين من أداء الفرائض وترك المحارم والمسارعة إلى كل خير، والابتعاد من كل شر، والتوبة من الذنوب، هذه أسباب المغفرة والجنة، وهكذا قوله ﷻ: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ

(١) حديث المساء، (ص٧٩) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١]

فالمؤمنون هم أهل التقوى، المؤمنون الذين أعدّ الله لهم الكرامة والسعادة هم أهل التقوى المذكورون في قوله ﷻ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وسمَّى الله المؤمنين متقين وسمَّاهم مؤمنين وسمَّاهم صالحين وسمَّاهم محسنين؛ لأعمالهم الطيبة وأخلاقهم الكريمة التي اتقوا بها غضب الله واتقوا بها عقابه وصدقوا بها رسله وسابقوا بها إلى مرضاته ﷻ، وأحسنوا بها إلى أنفسهم وإلى عباد الله، فلهذا قيل لهم: متقون، وقيل لهم: مؤمنون، وقيل لهم: صالحون، وقيل لهم: محسنون، وقيل لهم: مهتدون، وقيل لهم: مفلحون بأسباب أعمالهم الطيبة فمن أراد المغفرة وأراد الجنة، فعليه بهذه الأخلاق عليه بأخلاق المتقين، وهي أخلاق المؤمنين، هي أخلاق الصالحين، وهي أخلاق المفلحين، وهي أخلاق المهتدين، وقد بيَّنها الله في القرآن: هي طاعته وطاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام، هي الانقياد لأمره والتباعد عن أسباب غضبه.

هذه أسباب النجاة والسعادة وهي أوصاف المتقين وهي أخلاق المؤمنين توحيدٌ لله وإخلاصٌ لله في العمل وأداءٌ لفرائضه وتركٌ لمحارمه، ووقوف عند حدوده عن إخلاص له سبحانه وعن محبة وعن رغبة فيما عنده، وعن رهبة مما توعد به أهل معصيته، ثم مع ذلك عندهم أخلاق أخرى علاوة على أداء الواجب ينفقون في السراء والضراء؛ يعني: عندهم جود وكرم وإنفاق في سبيل الله غير الزكاة، ينفقون في السراء والضراء، في السراء الرخاء وفي الضراء الشدة؛ يعني: أنهم يصرفون الأموال فيما ينفع العباد وفيما يرضي الله ﷻ في السراء والضراء، لا يكفيهم مجرد الزكاة بل يجودون ويحسنون من أموالهم في السراء والضراء في مواساة الفقير، في صلة الرحم، في تعمير المساجد، وتعمير المدارس إصلاح الطرقات، إصلاح الجسور

المحتاجة إليها إلى غير هذا من وجوه الإحسان، ينفقون في السراء والضراء.

ثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه مر على أُحُد مع بعض أصحابه فقال له: «**هل ترى أُحدًا؟**» قال: نعم، قال: «**مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا لي ذَهَبًا يَأْتِي عَلَيَّ لَيْلَةٌ أَوْ ثَلَاثٌ عندي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هَكَذَا وَهَكَذَا وَهَكَذَا**» عن يمينه وعن شماله ومن أمامه ومن خلفه[1]؛ يعني: ينفقه ما يحب أن يكون له مثل أُحُد هذا الجبل العظيم ذهب تمر عليه ثلاثة أيام وعنده منه دينار إلا قد أنفقه ووزعه في وجوه البر والخير، إلا دينار يرصده لأصحاب الدين إذا كان عليه دين، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّ الأَكْثَرِين هُمُ الأَقَلُّونَ يوم القيامة، الأكثرون مالًا هم الأقلون يوم القيامة إِلَّا مَنْ قَالَ هَكَذَا وَهَكَذَا**»؛ يعني: إلا من أنفق أمام وخلف وعن يمين وعن شمال؛ يعني: في وجوه الخير والإحسان، وهذا معنى قوله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ ومع ذلك يكظمون الغيظ لا يفرحون بالانتقام من الناس ولو أُسيء إليهم يسمحون يعفون ويصفحون ولا يفرحون بالانتقام ولا يحرصون على الانتقام والقصاص؛ بل عندهم رغبة في كتم الغيظ والعفو عن الناس لكمال أخلاقهم وطيب نفوسهم ورغبتهم فيما عند الله ﷻ، وهذا خُلق النبي عليه الصلاة والسلام.

﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ هذه من أخلاقهم العظيمة كتم غيظ وصبر وعفو عمن أساء إليهم مع الإنفاق في السراء والضراء، هكذا أولياء الله المتقون، هكذا أصحاب المغفرة والجنات هؤلاء

(١) متفق عليه، من حديث أبي ذر ﷺ، أخرجه البخاري في كتاب الاستقراض، باب أداء الديون برقم (٢٣٨٨)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الترغيب في الصدقة برقم (٩٤) ساقه بعد حديث رقم (٩٩١).

أصحاب الإحسان، ينفق ويحسن ويُساءُ إليه ويكتم الغيظ ولا يبالي ويعفو ويصفح، يقول النبي ﷺ: **«ما زاد الله عبدًا بعفو إلا عزًّا»**(١).

والله يقول ـ سبحانه ـ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، فهذه صفة المتقين وهذه صفة الأخيار، وهذه صفة المحسنين فليتنافس فيها المتنافسون وليسارع إليها أهل النفوس الزكية العالية وليبتعدوا عن ضدها من الأخلاق الذميمة والصفات المرجوحة، هكذا يكون المؤمن رفيع الهمة عليَّ الهمة يسارع إلى كل خير، ويبتعد عن كل شر، وأمَّا قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً﴾ فهذه الآية لها درس آخر.

*

□ **فقد سبق الكلام على قوله** ﷻ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦](٢).

سبق أن الله ﷻ أعدَّ الجنة لأهل التقوى، والتقوى هي طاعة الله ورسوله، وبعبارة أخرى هي الإيمان بالله ورسوله، وأداء فرائضه وترك

---

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ في كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع برقم (٢٥٨٨).

(٢) حديث المساء، (ص٨٣) ط٣ ـ ١٤٣٦هـ.

محارمه والوقوف عند حدوده فهي جماع الدين، وهي الخلاصة بالإيمان بالله واليوم والآخر، وهي حقيقة الإسلام، والمعنى: أن الله أعد الجنة لمن اتقاه بفعل أوامره وترك نواهيه عن إخلاص له، ومحبة ورغبة، ورهبة وانقياد للشريعة واتباع لما جاء به المصطفى عليه الصلاة والسلام، ثم بيَّن من أعمال المتقين إنفاقهم في السراء والضراء وكظمهم للغيظ وعفوهم عن النَّاس، هذه من أعمالهم لكمال إيمانهم وكمال تقواهم، من جملة أعمالهم الإنفاق في السراء والضراء علاوة على الزكاة وعلى الواجبات؛ يعني: من تقواهم لله ومن كمال إيمانهم أنهم ينفقون في السراء والضراء؛ يعني: يواسون النَّاس في الشدة والرخاء ويقيمون المشاريع الخيرية النافعة في السراء والضراء، أموالهم مبذولة ومع ذلك يكظمون الغيظ ويعفون إذا أُسيء إليهم، من طبيعة الناس أن كل صاحب خير وإحسان وصاحب معروف لا بد أن يُبتلى من الناس الآخرين كما ابتليت الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن طبيعة المتقين ومن أخلاقهم العظيمة الصبر على الأذى، والإنفاق في السراء والضراء كالرسل عليهم الصلاة والسلام كُل نعمة لها حاسد، كل صاحب خير له من يؤذيه ويحسده فأهل الخير والاستقامة، من أهل التقوى ينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ، ويعفون عن النَّاس من صفاتهم عدم الانتقام وعدم تنفيذ الغيظ والغضب إلا ما شاء الله من ذلك.

ثم قال بعد ذلك: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ هذه من أخلاقهم العظيمة؛ لأنَّ الإنسان غير معصوم، كل بني آدم خطاء، فالخطأ يقع من الناس والذنب يقع.

ومن **صفات المتَّقين** البدار بالتوبة والإصلاح إذا زلَّت القدم وحصلت النكبة وطاعة الهوى والشيطان في بعض الأمور، بادَروا بالتوبة، هكذا أهل الإيمان هكذا أهل التقوى، ليسوا يصرُّون ويستمرون

على المعصية لا، بل متى وقعت منهم الزلّة بادروا بالتوبة، ولهذا قال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً﴾؛ يعني: المعصية ذكروا الله، ذكروا عظمته وذكروا نعمه عليهم وذكروا عظيم انتقامه، وذكروا أيضًا ما أعده الله لأهل المعصية والاقتراف للمنكرات؛ فعند ذلك يُبادروا بالتوبة والإصلاح ولهذا قال: ﴿فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ ذكروا قبح الجريمة، وذكروا قبح عاقبتها وذكروا عظمة الله ﷻ، وعظيم حقه عليهم وأن الواجب عليهم احترام جنابه ﷻ، والحذر من غضبه فعند ذلك يبادروا بالتوبة والندامة.

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾؛ يعني: بسبب المعاصي ذكروا الله أنابوا إليه وذكروا عظمته فبادروا بالتوبة والاستغفار والإنابة، يعلمون ويؤمنون بأنه سبحانه هو الذي يغفر الذنوب لا أحد غيره يغفر الذنوب ﷻ هو غفار الذنوب ليس هناك من يغفر الذنوب ويستر الخطايا ويثيب المحسنين ثوابًا يُجزيهم به الجنة والنجاة من النار سواه ﷻ.

﴿وَلَمْ يُصِرُّوا﴾ ولم يقيموا على المعصية الإصرار الإقامة عليها، وعدم المبادرة بالتوبة، هذه حال المتقين أعمال صالحه واجتهاد في الخير، وإنفاق في السراء والضراء وأداء للفرائض وترك للمحارم وصبر عن الأذى فيكظمون الغيظ، ويعفون ولكن متى وقعت الزلّة بادروا بالتوبة ليسوا معصومين، مهما كانت حال الرجل من التقوى والإيمان، فقد يأخذه الشيطان ببعض الزلات، فقد يميله إلى شيء من الباطل فالنفس أمارة بالسوء إلا ما رحم الله، وأسباب الشر كثيرة فمتى وقعت الزلة بادر المؤمن بالتوبة والإصلاح، بادر بالرجوع إلى الله، بادر بالاستغفار ولم يصر ولم يُقِم على المعصية، بل يبادر ويسارع إلى الندم والاستغفار والعزم الصادق ألا يعود في ذلك مع الإقلاع منها والحذر منها خوفًا من الله وتعظيمًا له.

قال تعالى: ﴿أُوْلَئِكَ﴾؛ يعني: الذين هذه صفتهم وهذه أعمالهم:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ هذا جزاؤهم على أعمالهم الطيبة، وعلى توبتهم الصادقة جزاؤهم على الأعمال العظيمة الصالحة الطيبة التي منها إنفاقهم في السراء والضراء ومنها: كظمهم للغيظ وعفوهم عن النَّاس مع أداء الفرائض وترك المحارم، جزاؤهم المغفرة والجنَّة والكرامة، فجدير بالمؤمن أن يكون بهذه الصفة، وجدير بالمؤمن أن يحذر صفات المجرمين المُصِرِّين المقيمين على المعاصي، وهم يعلمون، جدير بالمؤمن أن يحذر ذلك، وأن يتخلَّق بأخلاق المتقين من الاستقامة على طاعة الله، والثبات على الحق وكظم الغيظ والعفو عن الناس مع المبادرة والمسارعة إلى التوبة مما قد تزلُّ به القدم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤][(١)].

هذه الآية الكريم تدل على شرعية الحِلم والأناة والرفق في الأمور، وكظم الغيظ والصبر والتحمل؛ لأن بذلك تكثر الخيرات وتحسن العاقبة وتقل الشحناء ويضعف سلطان الشيطان، وبالانتقام والشدة. وعدم الصبر تكثر الشرور وتكثر الشحناء، فينبغي للمؤمن أن يتعود الحِلم والأناة والرفق في الأمور، وكظم الغيظ والتصبر والتحمل حتى يدرك الخير بتوفيق الله، بأسباب تحرِّيه هذه الأخلاق الكريمة، وهذه أخلاق النبيِّ عليه الصلاة والسلام: الحلم والأناة والصبر والتحمل، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم: ٤] اللَّهُمَّ صلِّ عليه، كان خُلُقه

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٤٤١).

القرآن، يمتثل أوامر القرآن، وينتهي عن نواهي القرآن، ويتصف بالصفات التي مدحها الله في كتابه، ويبتعد عن الصفات التي ذمها وعابها الله سبحانه وتعالى، ومن هذا قوله: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾، يصف المتقين، وصف الله المتقين بأنهم ينفقون في السراء والضراء ويكظمون الغيظ ويعفون عن الناس، هذه من صفاتهم العظيمة، وقال لنبيِّه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، هذا من الأخلاق الكريمة أخذ العفو وبما تيسر من أخلاق الناس والأمر بالخير والإعراض عن الجاهلين: التحلم والصبر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢].

وهكذا من الأخلاق الحميدة دفع السيئة بالحسنة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]، قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، فالمؤمن يجتهد في دفع السيئة بالحسنة ومقابلة الإساءة بالإحسان، يرجو ما عند الله من الخير والعاقبة الحميدة، هكذا يقول سبحانه: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]، ويقول ﷻ: ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أن النبي ﷺ قال لأشج عبد القيس: «**إِنَّ فيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ**». قال أشجُّ عبد القيس، قال: يا رسول الله أنا أتخلّق بهما أم الله جبلني عليهما قال: «**بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا**». قال: الحمد لِلَّهِ الّذي جبلني على خلّتين يحبّهما الله ورسوله.

الحلم في محله والأناة وعدم العجلة في الأمور، بل تؤديها برفق وأناة، والتثبت والنظر إلى العواقب لا بالعجلة والطيش.

هكذا قوله ﷺ: «**إنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه**»[(١)]، في اللفظ الآخر: «**إنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ، وَيُعْطي عَلَى الرِّفق مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ**»[(٢)]، في اللفظ الآخر: «**إنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ في شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»[(٣)]، يُشرع للمؤمن أن يكون رفيقًا في أموره، في أمره ونهيه وعطائه ومنعه وسائر شؤونه، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ**»[(٤)].

فالمؤمن يتحرَّى الرفق مع أهله مع أولاده مع خدمه مع عماله مع جيرانه مع أصدقائه، ويبتعد عن العنف مهما أمكن، وبذلك تحصل له المحبة والوئام مع إخوانه، ويثنى عليه وتقضى حوائج شؤونه وتُقضى حوائج غيره، أما مع العنف والشدة فيكثر الخصوم ويقلُّ الأصدقاء وتكثرُ الشحناء وتسوء العاقبة إلا من رحم الله.

*

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله برقم (٦٠٢٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم برقم (٢١٦٥).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب البر والصلة والأداب، باب فضل الرفق برقم (٥٢٩٣).

(٣) المصدر السابق برقم (٢٥٩٤).

(٤) أخرجه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم برقم (١٨٢٨).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧ ـ ١٤٣](١).

يقول تعالى مخاطبًا عباده المؤمنين لما أصيبوا يوم أُحد، وقتل منهم سبعون: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾؛ أي: قد جرى نحو هذا على الأمم الذين كانوا من قبلكم من أتباع الأنبياء، ثم كانت العاقبة لهم والدائرة على الكافرين؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾. ثم قال تعالى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾، يعني: القرآن فيه بيان الأمور على جليتها، وكيف كان الأمم الأقدمون مع أعدائهم. ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ﴾، يعني: القرآن فيه خبر ما قبلكم. ﴿وَهُدًى﴾ لقلوبكم. ﴿وَمَوْعِظَةٌ﴾؛ أي: زاجر عن المحارم والمآثم..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على محمد، وهذا البيان وهذه العبر لمن تدبر القرآن وأقبل عليه وعني به، فإن فيه العظة والذكرى وفيه العبر، فإن في قصص الأولين وفي أخبارهم الكثيرة، وما جرى على أعداء الرسل من

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

أنواع الانتقام، وما جرى لأولياء الرسل وأتباعهم من الانتصار والعاقبة الحميدة فيها عظة وذكرى. وكذلك ما قصَّه الله عن الماضين من أخبار أهل التقوى، من أخبار الرسل وأهل الاستقامة، وما حصل لهم من الخير العظيم والنصر المبين والعواقب الحميدة فيها عظة وذكرى، وفيها تشجيع للمؤمنين، وتوجيه لهم إلى أسباب النجاة وأسباب السعادة. وفيه زجر للكافرين وتحذير لهم من عواقب أعمالهم الخبيثة، فإنها تفضي بهم إلى ما يضرهم وما يغضب الله عليهم كما جرى لمن قبلهم، ولهذا قال: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ﴾. بيَّن الله فيه أحوال الأمم، بيَّن الله فيه أحكامه، بيَّن الله فيه أسباب السعادة، بيَّن الله فيه أسباب الهلاك، بيَّن فيه أسباب النصر وأسباب الهزيمة، أسباب غضب الله وأسباب رضاه، بيَّن فيه ﷻ صفات الأبرار وصفات الأشرار وصفات المتقين وصفات المجرمين، صفات أهل الجنة، صفات أهل النار ليتعظ طالب النجاة، ليتأسى بمن مضى قبله من أهل الإيمان والتقوى، وليحذر من عواقب الذنوب وشرها وما أصاب أهلها فيما مضى من الأمم. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى مسليًّا للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا﴾؛ أي: لا تضعفوا؛ بسبب ما جرى. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾؛ أي: العاقبة والنصرة لكم أيها المؤمنون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى أنهم الأعلون: أن الله وعدهم النصر وإن جرى عليهم هزائم وجراح فالعاقبة لهم، فالعلو ثابت لهم، ولو جرى عليهم ما جرى فلهم العلو عند الله وعند المؤمنين، ولهم العاقبة الحميدة، ولهم السعادة في الدنيا والآخرة، هم الأعلون إن كان المؤمنين كيفما كانت الحال فهم

الأعلون؛ لأنهم فائزون برضا الله، فائزون بأسباب السعادة، صابرون على ما أصابهم، فلهم العلو المعنوي والحسي الحقيقي إذا صبروا واحتسبوا واستقاموا فلهم العاقبة، ولهذا نصرهم الله بعد ذلك، وصارت لهم العاقبة الحميدة، وصار على أعدائهم الذل والهوان والهزائم. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠] إلى أمثال هذه الآيات.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾؛ أي: إن كنتم قد أصابتكم جراح وقتل منكم طائفة فقد أصاب أعداءكم قريب من ذلك من قتل وجراح. ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: نديل عليكم الأعداء تارة، وإن كانت لكم العاقبة لما لنا في ذلك من الحكمة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال ابن عباس في مثل هذا: لنرى من يصبر على مناجزة الأعداء. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، يعني: يقتلون في سبيله ويبذلون مهجهم في مرضاته ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾؛ أي: يكفر عنهم من ذنوبهم، إن كان لهم ذنوب وإلا رُفِعَ لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به، وقوله: ﴿وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾؛ أي: فإنهم إذا ظفروا بَغَوا وبَطروا فيكون ذلك سَبَبَ دمارهم وهلاكهم ومَحْقهم وفنائهم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا من حكمه العظيمة يداول الأيام بين الناس، فينصر هؤلاء تارة وهؤلاء تارة، ينصر حزبهم تارة وينصر أعداؤهم تارة؛ بأسباب ما قد يقع من حزبه من النقص والمعصية والتفريط ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هو يعلم كل شيء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قبل أن يقع، علمه سابق لكل شيء، لكن معنى العلم هنا يعلمه خارجيًا، يعلمه

موجودًا في الخارج، ولهذا قال ابن عباس: لنرى، يعني: ليوجد المعلوم معلولًا؛ أي: الناس، فإنه سبحانه لا يؤاخذ بالعلم ولكن يؤاخذ بعمل العاملين، هو يعلم الشقي من السعيد، الصالح من الطالح ولكنه لا يؤاخذ بهذا العلم حتى يوجد، حتى يخرج إلى الوجود، حتى يعمل المؤمنون أعمالهم الطيبة فيؤجرون عليها، وحتى يعمل أعداؤهم أعمالهم الخبيثة فيستحقون العقاب عليها. ﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، يعني: وليتخذ منكم شهداء؛ ليميز بين الخبيث والطيب ويتبين الصابر من غير الصابر والصادق من الكاذب، والله ﷻ يختار لهم شهداء يفوزون بجنته وكرامته والمنازل العالية ﷻ وإن كانوا أحباءه وأولياءه فقد يصطفي منهم شهداء قد بذلوا مُهجهم في سبيل الله ونفوسهم في طاعة الله فيعجلون إلى الجنة والكرامة، ويكونوا قدوة لغيرهم في الشجاعة والإقدام والصبر والاحتساب. الله المستعان..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾؛ أي: أحسبتم أن تدخلوا الجنة ولم تبتلوا بالقتال والشدائد، كما قال تعالى في سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ الآية [العنكبوت: ١، ٢]، ولهذا قال هاهنا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾؛ أي: لا يحصل لكم دخول الجنة حتى تُبتلوا ويرى الله منكم المجاهدين في سبيله، والصابرين على مقاومة الأعداء.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾﴾؛ أي: قد كنتم أيها المؤمنون! قبل هذا اليوم تتمنون لقاء العدو وتحترقون عليه، وتودُّون مناجزتهم ومصابرتهم، فها

قد حصل لكم الذي تمنيتموه وطلبتموه، فدونكم فقاتلوا وصابروا.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ الْعَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْجَنَّةَ تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ وَمُجْرِيَ السَّحَابِ وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ**»[1].

ولهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ﴾، يعني: الموت شاهدتموه وقت حد الأسنة واشتباك الرماح وصفوف الرجال للقتال. والمتكلمون يعبرون عن هذا بالتخييل، وهو مشاهدة ما ليس بمحسوس كالمحسوس كما تتخيل الشاة صداقة الكبش وعداوة الذئب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

والمعنى: أنهم مشاهدون أسبابه، ودلائل وقوعه، والمسببات لحصوله من اشتباك الصفوف، وتداخل بعضها في بعض، والرمي بين الجميع، والقذائف بين الجميع، والمناجزة بالسيوف وبالرماح وغير ذلك هذه مشاهدة للموت، مشاهدة لأسباب حصوله وأسباب وقوعه بينهم، وهذا صريع، وهذا مجروح، وهذا قد خرجت روحه، وهذا على خطر أن يصاب، فقد شاهدوا أسبابه ودلائل وقوعه وموجبات حصوله فليبادر ويشمر كل راغب في النجاة وراغب في السعادة في أخذ نصيبه من هذه الأشياء التي كتبها وقدرها ﷻ. الله المستعان.

*

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب كان النبي ﷺ إذا لم يقاتل أول النهار أخّر القتال حتى تزول الشمس برقم (٢٩٦٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب كراهية تمني لقاء العدو والأمر بالصبر عند اللقاء برقم (١٧٤٢).

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤ ـ ١٤٨](١).

لما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أُحد، وقُتل من قُتل منهم نادى الشيطان: ألا إن محمدًا قد قُتل! ورجع ابن قميئة إلى المشركين وقال لهم: قتلت محمدًا، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فشجَّه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله ﷺ قد قُتل، وجوَّزوا عليه ذلك كما قصَّ الله عن كثير من الأنبياء ﵈، فحصل ضعف ووهن وتأخر عن القتال؛ ففي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾؛ أي: له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه.

قال ابن أبي نجيح عن أبيه: أن رجلًا من المهاجرين مرَّ على رجل من الأنصار وهو يتشحَّط في دمه فقال له: يا فلان! أشعرت أن محمدًا ﷺ قد قتل؟ فقال الأنصاري: إن كان محمد قد قتل فقد بلَّغ فقاتلوا عن دينكم، فنزل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾،

(١) من تعليقات سماحته ﵀ على تفسير الحافظ ابن كثير ﵀، ١٤٠٤هـ.

رواه الحافظ أبو بكر البيهقي في دلائل النبوة. ثم قال تعالى منكرًا على من حصل له ضعف ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾؛ أي: رجعتم القهقرى، ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾؛ أي: الذين قاموا بطاعته، وقاتلوا عن دينه، واتبعوا رسوله حيًّا وميتًا. وكذلك ثبت في الصحاح والمسانيد والسنن وغيرها من كتب الإسلام من طرق متعددة تفيد القطع، وقد ذكرت ذلك في مسندي الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أن الصدِّيق رضي الله عنه تلا هذه الآية لما مات رسول الله ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا بيان من الله عز وجل للناس بأن سُنَّة الله في الأنبياء وغيرهم الموت لا بد منه؛ ومن لم يقتل مات، فهل للمؤمن إذا مات النبي ﷺ، أو قُتل النبي ﷺ أن ينقلب على عقبيه؟ بل يجب على أتباع الأنبياء أن يثبتوا على ما جاء به الأنبياء، وأن يستقيموا على ما جاء به الأنبياء من الهدى ودين الحق، سواء كان النبي بينهم أو قُتل أو مات، فإنه إنما عليه البلاغ وعلى الأمة المتابعة والقيام بالأمر، والله عليه الحساب جل وعلا. فيبيِّن سبحانه وتعالى أنه لا يجوز التأثر بموت النبي، أو بقتل النبي ﷺ في ترك الدين والانقلاب عن الدين، والرضا بالحظ العاجل، ولكن يجب المقاتلة عن الدين، وأن يُتمسَّك بالدين، وأن يدعى إليه في حياة الأنبياء وفي مماتهم؛ لأن عليهم البلاغ، وعلى الأمم الاستقامة والاتباع، والصدق في اتباع الحق والجهاد دونه في حياة الأنبياء وفي موت الأنبياء. ولما مات النبي ﷺ وحصل ما حصل من الاضطراب بين الناس؛ هل مات أو لم يمت؟ خطبهم الصديق رضي الله عنه وأرضاه، وقال: أما بعد: أيها الناس! فإن محمدًا بشر قد مات، وإن الله حيٌّ ولا يموت، أما بعد: أيها الناس! من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا بشر قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم قرأ قوله تعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾، يعني: إنما يضر نفسه وإنما يُهلك نفسه إذا انقلب وارتد، وإلا فهو لا يضر الله شيئًا ولكن عليه تبعة ذلك، وما يحصل بسبب ذلك من الضعف، والانكسار، والتفرق والاختلاف، والله يبتلي عباده بالسرَّاء والضرَّاء؛ يبتليهم بالموت موت الأنبياء، وبقتل الأنبياء، وبالمرض وبتسليط الأعداء وبغير ذلك، ثم يتبين بعد هذا أهل الثبات وأهل الصدق، وأهل اليقين وأهل المسارعة إلى الخيرات، وأهل الجلد والصبر، ويتبينوا من هو بخلاف ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال البخاري: حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني أبو سلمة أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرته أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أقبل على فرس من مسكنه بالسنح.

الشيخ: بالسُّنح. . بالسُّنح.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

بالسنح حتى نزل فدخل المسجد، ولم يكلم الناس حتى دخل على عائشة، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغطى بثوب حِبَرة، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه وقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي والله لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كُتبت عليك فقد متَّها. وقال الزهري: وحدثني أبو سلمة، عن ابن عباس أن أبا بكر خرج وعمر يكلم الناس وقال: اجلس يا عمر، قال أبو بكر: أما بعد! من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ إلى قوله: ﴿وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾، قال: فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلاها منه الناس كلهم، فما

أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها. وأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعرفت حتى ما تقلني رجلاي وحتى هويت إلى الأرض.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا عمرو بن حماد بن طلحة القناد، حدثنا أسباط بن نصر، عن سماك بن حرب، عن عكرمة، عن ابن عباس؛ أن عليًّا كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: ﴿أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾، والله لا ننقلب على أعقابنا بعد إذ هدانا الله، والله لئن مات أو قتل لأقاتلن على ما قاتل عليه حتى أموت، والله إني لأخوه ووليه وابن عمه ووارثه، فمن أحق به مني؟.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾؛ أي: لا يموت أحد إلا بقدر الله وحتى يستوفي المدة التي ضربها الله له، ولهذا قال: ﴿كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾؛ كقوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [فاطر: ١١]، وكقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ﴾ [الأنعام: ٢]. وهذه الآية فيها تشجيع للجبناء وترغيب لهم في القتال؛ فإن الإقدام والإحجام لا ينقص من العمر ولا يزيد فيه كما قال ابن أبي حاتم: حدثنا العباس بن يزيد العبدي قال: سمعت أبا معاوية، عن الأعمش، عن حبيب بن ظبيان قال: قال رجل من المسلمين وهو حجر بن عدي: ما يمنعكم أن تعبروا إلى هؤلاء العدو هذه النطفة يعني: دجلة، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾، ثم أقحم فرسه دجلة فلما أقحم أقحم الناس، فلما رآهم العدو قالوا: ديوان؛ فهربوا، وقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾؛ أي: من كان عمله للدنيا فقط ناله منها ما قدره الله له ولم يكن له في الآخرة من نصيب ومن قصد بعمله الدار الآخرة أعطاه الله منها وما قسم له في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ

لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٨، ١٩]. ولهذا قال هاهنا: ﴿وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾؛ أي: سنعطيهم من فضلنا ورحمتنا في الدنيا والآخرة بحسب شكرهم وعملهم.

ثم قال تعالى مسليًا للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أُحد: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾، قيل: معناه: كم من نبي قتل وقتل معه ربيون من أصحابه كثير، وهذا القول هو اختياره اختيار ابن جرير فإنه قال: وأما الذين قرأوا: ﴿قُتِلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ فإنهم قالوا: إنما عنى بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم وإنما نفى الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل، قال: ومن قرأ قاتل فإنه اختار ذلك؛ لأنه قال: لو قتلوا لم يكن لقول الله: ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾، وجه معروف؛ لأنه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنئوا.

الشيخ: لم يهنوا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا ثم اختار قراءة من قرأ ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾؛ لأن الله عاتب بهذه الآية والتي قبلها من انهزم يوم أُحد، وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمدًا قد قتل. فعذلهم الله على فرارهم وتركهم القتال فقال لهم: ﴿أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ﴾، أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم ﴿ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾. وقيل: وكم من نبي قُتل بين يديه من أصحابه ربيون كثير، وكلام ابن إسحاق في السيرة يقتضي قولًا آخر فإنه قال: وكأين من نبي أصابه القتل ومعه ربيون؛ أي: جماعات، فما وهنوا بعد نبيّهم وما ضعفوا عن عدوهم، وما استكانوا لما أصابهم في الجهاد عن الله وعن دينهم وذلك الصبر،

﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾. فجعل قوله: ﴿مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ حالًا، وقد نصر هذا القول السهيلي وبالغ فيه، وله اتجاه لقوله: ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ﴾ الآية. وكذا حكاه الأموي في مغازيه عن كتاب محمد بن إبراهيم، ولم يحك غيره وقرأ بعضهم: ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾، قال سفيان الثوري، عن عاصم، عن زر، عن ابن مسعود ﴿رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾؛ أي: ألوف، وقال ابن عباس، ومجاهد، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والحسن، وقتادة، والسدي، والربيع، وعطاء الخرساني: الربيون الجموع الكثيرة. وقال عبد الرزاق عن معمر عن الحسن؛ أي: علماء كثير، وعنه أيضًا علماء صبر؛ أي: أبرار أتقياء، وحكى ابن جرير عن بعض نحاة البصرة أن الرِّبِّيين هم الذين يعبدون الرب ﷻ، وقال: وردَّ بعضهم عليه، فقال: لو كان كذلك لقيل: الرَّبيون بفتح الراء. وقال ابن زيد: الربيون الأتباع والرعية، والربانيون الولاة.

﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ﴾، قال قتادة، والربيع بن أنس: ﴿وَمَا ضَعُفُواْ﴾ بقتل نبيهم، ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ﴾، يقول: فما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبي الله حتى لحقوا بالله. وقال ابن عباس: ﴿وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ﴾ تخشعوا، وقال ابن زيد: وما ذلوا لعدوهم، وقال محمد بن إسحاق، والسدي، وقتادة؛ أي: ما أصابهم ذلك حين قتل نبيهم ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ١٤٧﴾؛ أي: لم يكن لهم هِجِّيرى إلا ذلك. ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا﴾؛ أي: النصر والظفر والعاقبة ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْأٓخِرَةِۗ﴾؛ أي: جمع لهم ذلك مع هذا، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٤٨﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: أن الله ﷻ أعطاهم هذا وهذا، لما لم يضعفوا بل صبروا، وقاتلوا، وجاهدوا جمع الله لهم الخيرين ثواب الدنيا وحسن ثواب

الآخرة، فأعطاهم النصر في الدنيا والمنازل العالية في الآخرة في الجنة، وأجاب دعاءهم وغفر ذنوبهم بسبب صبرهم، وتقواهم، وقيامهم بأمر الله، وعدم استكانتهم للأعداء؛ فمن قتل ففي سبيل الله وإلى الجنة والكرامة، ومن عاش قاتل، وصابر، وثبت على الحق حتى ينصر دينه، وحتى يحصل ما أراد من هزيمة الأعداء، ومن نصر دين الله ﷻ، وإقامة الحق، وهكذا يكون أولياء الله وأنصاره صُبُرٌ دائمًا وإن قتل معهم من قتل، فهم صُبر دائمًا في القتال يجاهدون في سبيل الله كيف ما كان الحال، الله المستعان.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ ۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُواْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩ ـ ١٥٣](١).

يحذِّر تعالى عباده المؤمنين عن طاعة الكافرين والمنافقين فإن طاعتهم تورث الرَّدى في الدنيا والآخرة؛ ولهذا قال: ﴿إِن تُطِيعُواْ

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، الليلي ١٤٠٤هـ.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾، ثم أمرهم بطاعته وموالاته، والاستعانة به، والتوكل عليه، فقال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾، ثم بشَّرهم بأنه سَيُلقي في قلوب أعدائهم الخوف منهم والذلة لهم، بسبب كفرهم وشركهم، مع ما ادَّخره لهم في الدار الآخرة من العذاب والنَّكال، فقال: ﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًاۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾﴾.

وقد ثبت في الصَّحيحين عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي، نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا تحذير من الله ﷻ من طاعة الكفار والمنافقين؛ لأن في طاعتهم الدمار والخسار، وهذه الآية أعم من الآيات السابقة قبلها، قوله تعالى في أول الجزء الرابع: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، فهذه في أهل الكتاب، وهذه الآية أعم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾﴾، وفي أهل الكتاب

(١) متفق عليه من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في كتاب التيمم، باب قول الله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٦] برقم (٣٣٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، برقم (٥٢١).

وغيرهم، سواء كانوا أهل كتاب، أو مجوس، أو وثنيين وسائر أنواع الكفرة؛ لأنهم ضد المسلمين وأعداء للمسلمين، فهم فيما يشيرون وينصحون ويدعون في الغالب، إنما يدعون إلى ما يضر المسلمين؛ ولهذا حذر الله من طاعتهم اتقاءً لشرِّهم، وحذَّر من مكرهم وكيدهم، فالواجب التثبت فيما يقولون، وفيما يريدون، وفيما ينصحون، وفيما يشيرون، وأن لا يُقبل منهم شيء في ذلك إلا ما عُرف أنه حق وأنه صواب من غير كلامهم، الله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾، يعني: هو أحق بالطاعة، وأحق بالامتثال، وأحق بالخشية، وهو الذي بيده النصر؛ ولهذا قال: ﴿وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ١٥٠﴾ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالواجب طاعته، والتقرب إليه، والحذر مما يسخطه، والنصر بيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٢٤٩﴾.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن أبي عَدِيّ عن سليمان ـ يعني: التيمي ـ عن سَيّار، عن أبي أمامة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**فَضَّلَنِي رَبِّي عَلَى الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ** ـ أَوْ قَالَ: **عَلَى الأُمَمِ ـ بِأَرْبَعٍ. قَالَ: أُرْسِلْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً وَجُعِلَتِ الأَرْضُ كُلُّهَا لِي وَلأُمَّتِي مَسْجِدًا وَطَهُورًا فَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي الصَّلَاةُ فَعِنْدَهُ مَسْجِدُهُ وَعِنْدَهُ طَهُورُهُ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ يَقْذِفُهُ فِي قُلُوبِ أَعْدَائِي، وَأُحِلَّ لَنَا الْغَنَائِمُ**»(١)، ورواه الترمذي من حديث سليمان التيمي، عن سَيَّار القُرَشي الأموي مولاهم الدمشقي ـ سكن البصرة ـ عن أبي أمامة صُدَيّ بن عَجْلان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، به. وقال: حسن صحيح.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/٢٤٨)، والترمذي (١٥٥٣).

وقال سعيد بن منصور: أخبرنا ابن وَهْب، أخبرني عمرو بن الحارث: أن أبا يونس حدثه، عن أبي هريرة؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ عَلَى الْعَدُوِّ**»، ورواه مسلم من حديث ابن وهب.

وروى الإمام أحمد: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن أبي بُرْدَة، عن أبيه أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «**أُعْطِيتُ خَمْسًا بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِمَنْ كَانَ قَبْلِي وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ شَهْرًا وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَلَيْسَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ سَأَلَ شَفَاعَةً وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ شَفَاعَتِي ثُمَّ جَعَلْتُهَا لِمَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ شَيْئًا**»، تفرد به أحمد(١).

وروى العَوْفيّ، عن ابن عباس في قوله: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾، قال: قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب، فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَدْ أَصَابَ مِنْكُمْ طَرَفًا، وَقَدْ رَجَعَ، وَقَذَفَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الرُّعْبَ**». رواه ابن أبي حاتم.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ قال ابن عباس: وعدهم الله النصر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: بسبب إشراكهم، الباء باء السببية، يعني: بسبب إشراكهم وكفرهم يلقي في قلوبهم الرعب من المؤمنين؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**نُصرت بالرعب مسيرة شهر**»، فالله يلقي في قلوب الأعداء الرعب من المؤمنين إذا استقام المؤمنون وصدقوا، وتكاتفوا ضد الباطل فالله يعينهم ويثبتهم، ويلقي في قلوب أعدائهم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٤١٦).

الرعب منهم حتى يذلوا، وحتى يخضعوا في مطالب المؤمنين، وحتى ينهزموا إن لم ينيبوا إلى دعوة المؤمنين نعم. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد يستدل بهذه الآية على أحد القولين المتقدمين في قوله: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران ١٢٤، ١٢٥] أن ذلك كان يوم أُحد؛ لأن عدوهم كان ثلاثة آلاف مقاتل، فلما واجهوهم كان الظفر والنصر أول النهار للإسلام، فلما حصل ما حصل من عصيان الرُّماة وفشل بعض المقاتلة، تأخر الوعد الذي كان مشروطًا بالثبات والطاعة؛ ولهذا قال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾؛ أي: أول النهار ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾؛ أي: تقتلونهم ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾؛ أي: بتسليطه إياكم عليهم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾، وقال ابن جريج: قال ابن عباس: الفشل الجبن، ﴿وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم﴾ كما وقع للرماة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾ وهو الظفر منهم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا﴾ وهم الذين رغبوا في المغنم حين رأوا الهزيمة ﴿وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ﴾ ثم أدالهم عليكم ليختبركم ويمتحنكم ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾؛ أي: غفر لكم ذلك الصَّنيع، وذلك ـ والله أعلم ـ لكثرة عَدد العدو وعُدَدهم، وقلة عَدد المسلمين وعُدَدهم.

قال ابن جريج: قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ﴾ قال: لم يستأصلكم. وكذا قال محمد بن إسحاق، رواهما ابن جرير ﴿وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لله الحكمة البالغة، فكان الكفار أربعة أضعاف المسلمين، كان

المسلمون سبعمائة لما انخزل عبد الله بن أُبي ومن معه، فكان الباقون سبعمائة مع النبي ﷺ، وكان الكفار ثلاثة آلاف بعدتهم وعددهم وحنقهم وكبريائهم، وغير ذلك فنصر الله المسلمين عليهم وأيدهم، وانهزم الكفار في أول الأمر وسقطت رايتهم حتى لم يحملها إلا امرأة، ثم لما حصل الفشل والنزاع وإخلال الرماة بالموقف، حتى دخل الكفار من خلف المسلمين صار ما صار من الهزيمة والجراح والقتل، ابتلاء وامتحان؛ ليعلم الله الصادقين والصابرين من غيرهم؛ وليظهر ما جعله الله علامة على نبوة الأنبياء من أنهم ينصرون تارة ويدال عليهم عدوهم تارة ابتلاء وامتحان ثم تكون لهم العاقبة.

وبهذا يكون جاء الخبر بإلقاء الرعب في قلوب الكفار، ونصر الله لهم بالرعب من حديث جابر في الصحيحين، ومن حديث أبي أمامة عند أحمد بسند جيد هذا السند، وعند أحمد أيضًا من حديث أبي هريرة بسند جيد، وعند أيضًا أحمد من طريق أبي موسى حديث الأشعري من طريق هؤلاء الصحابة الأربعة إخبار النبي أن الله ينصرهم بالرعب.. ينصر المسلمين بالرعب الذي وقع في قلوب العدو، من طريق هؤلاء جابر عند الشيخين وأبي هريرة عند مسلم وأحمد وأبي أمامة في المسند كما تقدم بسند جيد، ومن طريق أبي موسى الأشعري أيضًا.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا سليمان بن داود، أخبرنا عبد الرحمٰن بن أبي الزناد، عن أبيه، عن عُبَيد الله عن ابن عباس أنه قال: ما نَصَرَ الله في مَوْطِن كما نصره يوم أُحد. قال: فأنكرنا ذلك، فقال ابن عباس: بيني وبين من أنكر ذلك كتابُ الله، إن الله يقول في يوم أُحد: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾، يقول ابن عباس: والحَسُّ: القتل ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم

مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾﴾ وإنما عنى بهذا الرماة، وذلك أن النبي ﷺ أقامهم في موضع، ثم قال: «**احْمُوا ظُهُورَنَا فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلَا تَنْصُرُونَا وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلَا تَشْرَكُونَا**»(١).

فلما غنم النبي ﷺ وأباحُوا عسكر المشركين أكبّت الرُّماة جميعًا ودخلوا في العسكر ينهبون، ولقد التقت صفوف أصحاب رسول الله ﷺ، فَهُم هكذا ـ وشبك بين يديه ـ وانتشبوا، فلما أخل الرماة تلك الخلة التي كانوا فيها، دخلت الخيل من ذلك الموضع على أصحاب رسول الله ﷺ، فضرب بعضهم بعضًا والتبسوا، وقُتل من المسلمين ناس كثير، وقد كان لرسول الله ﷺ وأصحابه أول النهار، حتى قُتِل من أصحاب لواء المشركين سبعة أو تسعةٌ، وجال المسلمون جَوْلَةً نحو الجبل ولم يبلغوا ـ حيث يقول الناس ـ الغار، إنما كان تحت المِهْراس، وصاح الشيطان: قُتل محمد، فلم يُشَك فيه أنه حق، فما زلنا كذلك ما نَشُك أنه حق، حتى طلع رسول الله ﷺ بين السعدين، نعرفه بتلفته إذا مشى ـ قال: ففرحنا حتى كأنه لم يصبنا ما أصابنا ـ قال: فَرَقِيَ نحونا وهو يقول: «**اشتد غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْم دَمَّوْا وَجْهَ رَسُولِ اللهِ**». ويقول مرة أخرى: «**اللَّهُمَّ إنه ليس لَهم أنْ يَعْلُونَا**». حتى انتهى إلينا، فمكث ساعة، فإذا أبو سفيان يصيح في أسفل الجبل: اعْلُ هبل، مرتين، يعني: إلٰهه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: الصنم الذي في مكة، أعلُ يا هبل! يعني: إلٰهنا؛ لأنك نصرتنا، هذا من الجهل. الله المستعان.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٨٧)، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران برقم (٣٢٠١) ووافقه الذهبي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

أين ابن أبي كَبْشة؟ أين ابن أبي قحَافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: يا رسول الله، ألا أجيبه؟ قال: «**بلى**» قال: فلما قال: اعل هبل. قال عمر: «**الله أعلى وأجل**». فقال أبو سفيان: قد أنعمت عينها فعَادِ عنها أو: فَعَالِ! فقال: أين ابن أبي كبشة؟ أين ابن أبي قُحَافة؟ أين ابن الخطاب؟ فقال عمر: هذا رسول الله، وهذا أبو بكر، وها أنا ذا عمر. قال: فقال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، الأيام دُوَل، وإن الحرب سِجَال. قال: فقال عمر: لا سواء، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار. قال: إنكم تزعمون ذلك، لقد خِبْنا إذًا وخَسِرْنا، ثم قال أبو سفيان: إنكم ستجدون في قتلاكم ولم يكن ذلك على رأي سراتنا. قال: ثم أدركَتْه حَمِيَّة الجاهلية فقال: أما إنه إن كان ذلك لم نَكْرهْه.

هذا حديث غريب، وسياق عجيب، وهو من مرسلات ابن عباس، فإنه لم يشهد أُحدًا ولا أبوه.

وقد أخرجه الحاكم في مستدركه عن أبي النَّضْر الفقيه، عن عثمان بن سعيد، عن سليمان بن داود بن علي بن عبد الله بن عباس، به. وهكذا رواه ابن أبي حاتم والبيهقي في دلائل النبوة، من حديث سليمان بن داود الهاشمي، به ولبعضه شواهد في الصحاح وغيرها.

فقال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا حماد، حدثنا عطاء بن السائب، عن الشعبي، عن ابن مسعود قال: إن النساء كن يوم أُحد، خلْف المسلمين، يُجْهِزْن على جَرْحى المشركين، فلو حَلَفت يومئذ رجوت أن أبَر: أنه ليس أحد منا يريد الدنيا، حتى أنزل الله ﷻ: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾، فلما خالف أصحاب النبي ﷺ وعَصَوا ما أمروا به، أفرد رسول الله ﷺ في تسعة: سبعة من الأنصار، ورجلين من قريش، وهو عاشرهم، فلما رهقُوه قال: «**رَحِمَ اللهُ رجلًا رَدَّهُمْ عَنَّا**». قال: فقام

رجل من الأنصار فقاتل ساعة حتى قتل، فلما رَهقُوه أيضًا قال: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا رَدَّهُمْ عَنَّا**». فلم يزل يقول ذا حتى قُتِل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبه: «**مَا أَنْصَفْنَا أَصْحَابَنَا**». فقال ﷺ: «**قُولُوا: اللهُ أَعْلَى وأَجَلُّ**». فقالوا: الله أعلى وأجل. فقال أبو سفيان: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلانَا، وَالْكَافِرُونَ لا مَوْلَى لَهُم**». ثم قال أبو سفيان: يومٌ بيوْم بَدْر:

يومٌ علينا ويوم لنا ويوم نُسَاءُ ويوم نُسَر

حَنْظَلَةَ بِحَنْظَلَةَ، وفلان بفلان، وفلان بفلان، فقال رسول الله ﷺ: «**لا سَوَاء. أَمَّا قَتْلانَا فَأَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ، وَقَتْلاكُمْ فِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ**». قال أبو سفيان: قد كان في القوم مَثُلَةٌ، وإنْ كانَتْ لَعَنْ غير مَلأ منَّا، ما أمرتُ ولا نَهَيْتُ، ولا أحْبَبْتُ ولا كَرِهتُ، ولا ساءني ولا سرَّني. قال: فنظروا فإذا حمزةُ قد بُقِرَ بَطْنُه، وأخذتْ هنْد كَبده فلاكَتْها فلم تستطع أن تأكلها، فقال رسول الله ﷺ «**أَكَلَتْ شَيْئًا؟**»، قالوا: لا. قال: «**مَا كَانَ اللهُ لِيُدْخِلَ شَيْئًا مِنْ حَمْزَةَ فِي النَّارِ**».

قال: فوضع رسول الله ﷺ حمزة فَصَلَّى عليه، وَجِيء برجل من الأنصار فَوُضِع إلى جنبه فصلَّى عليه، فَرُفِعَ الأنصاري وتُرِكَ حمزة، ثم جِيء بآخر فوضعَه إلى جنب حمزة فصلى عليه ثم رُفِعَ وتُرِكَ حمزة، حتى صلَّى عليه يومئذ سبعين صلاة. تفرد به أحمد أيضًا.

وقال البخاري: حدثنا عُبَيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق: عن البراء قال: لقينا المشركين يومئذ، وأجْلَس النبي ﷺ جَيْشًا من الرُّماة، وأمَّر عليهم عبد الله ـ يعني: ابن جُبَيْر ـ وقال: «**لا تَبْرَحُوا إنْ رأيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلا تَبْرَحُوا، وإنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلا تُعِينُونَا**». فلما لقيناهم هربُوا، حتى رأينا النساء يَشْتَدِدْنَ في الجبل، رَفَعْنَ عن سُوقهن، وقد بدت خَلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمةَ الغَنيمة. فقال عبد الله: عَهدَ إليّ النبيّ ﷺ ألا تَبْرَحُوا. فأبَوْا، فلما أبَوْا صَرَفَ

وجوههم، فأُصِيب سبعون قتيلًا فأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال: «**لا تجيبوه**». فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: «**لا تُجِيبُوهُ**». فقال: أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قد قُتِلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا. فلم يملك عُمَرُ نفسه فقال: كَذَبْتَ يَا عَدَوَّ اللهِ، قد أبقى الله لك ما يُحزِنكَ، فقال أبو سفيان: اعْل هُبَل. فقال النبي ﷺ: «**أَجِيبُوهُ**». قالوا: ما نقول؟ قال: «**قُولُوا: الله أَعْلَى وأَجَلُّ**». فقال أبو سفيان: لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم. فقال النبي ﷺ: «**أَجِيبُوهُ**». قالوا: ما نقول؟ قال: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلانَا، وَلا مَوْلَى لَكُمْ**». قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سِجَال، وتجدون مَثُلَةً لم آمر بها ولم تسؤني. تفرد به البخاري من هذا الوجه، ثم رواه عن عَمْرو بن خالد، عن زُهَير بن معاوية، عن أبي إسحاق، عن البراء، بنحوه وسيأتي بأبْسط من هذا.

وقال البخاري أيضًا: حدثنا عُبَيد الله بن سعيد، حدثنا أبو أسامة، عن هشام بن عُرْوة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: لَمَّا كان يوم أُحد هُزِم المشركون، فصَرخَ إبليس: أيْ عباد الله، أخْرَاكم. فَرَجعت أولاهم فاجْتَلَدَتْ هي وأخراهم، فَبَصُرَ حُذَيفة فإذا هو بأبيه اليمان، فقال: أيْ عباد الله، أبي أبي. قال: قالت: فوالله ما احْتَجَزُوا حَتَّى قَتَلُوه، فقال حذيفة: يغفر الله لكم. قال عروة: فوالله ما زَالَتْ في حذيفة بقية خير حتى لقي الله عز وجل.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني يحيى بن عَبَّاد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن جَده أن الزبير بن العوام قال: والله لقد رأيتني أنظر إلى خَدَم هند وصواحباتها مُشَمِّرات هوارب ما دون أخْذهن كثير ولا قليل ومالت الرُّماة إلى العسكر حين كَشَفْنا القوم عنه، يريدون النهب وَخَلَّوا ظهورنَا للخيل فأتتنا من أدبارنا، وصرخ صارخ: ألا إنَّ محمدًا قد قُتل. فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصَبْنا أصحاب اللواء، حتى ما يدنو منه أحد من القوم.

قال محمد بن إسحاق: فلم يزل لواء المشركين صريعًا، حتى أخذته عَمْرَة بنت علقمة الحارثية، فدفعته لقريش فلاثوا به. وقال السُّدِّي عن عبد خير قال: قال عبد الله بن مسعود قال: ما كنتُ أرى أن أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ يريد الدنيا حتى نزلت فينا ما نزل يوم أُحد: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الجواب محذوف، يعني: هزمتم وسلطوا عليكم ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ حذف الجواب، والتقدير: هزمتم أو سلطوا عليكم أو نحو هذا، هذا جواب إذا، دل عليه السياق، حذفه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ لأن السياق يدل عليه ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾، يعني: نفذ ما وعدكم به من تأييدكم ونصركم على عدوكم لما استقمتم في قتالكم، وأقبلتم على عدوكم، وامتثلتم أمر الرسول ﷺ، ولزمتم ولزم الرماة موقفهم سلط عليهم المسلمون حتى قتلوهم قتلًا ذريعًا، قتلوا منهم فوق العشرين وسقطت رايتهم وانهزموا جميعًا وتبعهم المسلمون، فلما رأى الرماة هذا الأمر وأن المشركين انهزموا تركوا الموقف، ولم يزل بهم أميرهم يقول لهم: اثبتوا كما أمركم الرسول ﷺ.. لا.. لا تدَعوا الموقف، ولو.. قال الرسول ﷺ لهم: «**ولو رأيتم تخطفنا الطير**» لا تتركوا الموقف سواء كانت لنا الدائرة أو علينا الزموا؛ فظنوا أن هذا الأمر ليس بلازم لما رأوا انهزام الكفار، وكان فيهم من هو حريص على الغنيمة؛ فلهذا دخل الكفار دخلت خيل الكفار خلف المسلمين ورجع أولهم على آخرهم واضطربوا فصارت الهزيمة، وصارت الجراح وصارت القتال بأسباب ما جرى من المعصية والفشل والاختلاف ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ تنازعوا الرماة مع أميرهم واختلفوا، وخشي بعض الناس على القتال؛ لما رأى الاضطراب ودخول الخيل من خلف ﴿وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا

تُحِبُّونَۚ﴾، يعني: من بعد ما أراكم ما تحبون من النصر جرت المعصية في عدم طاعة الأمير، وعدم لزوم الموقف فجرى ما جرى من الهزيمة.

وهذا يدل على أن المسلمين ولو كانوا خير الناس، ولو كانوا أفضل الناس، ولو كانت فيهم الرسل إذا عصوا واختلفوا يسلط عليهم العدو، هذا ولو كانوا خير الناس فإن الصحابة خير الناس.. الصحابة هم خير الناس بعد الأنبياء، وهم أفضل الناس بعد الأنبياء، وفيهم الخلفاء الراشدون، وفيهم نبيّهم وهو أفضل الأنبياء عليه الصلاة والسلام، ومع هذا لما أَخَلُّوا بسُنَّة الله، وأخلُّوا بطاعة الله في هذا المقام سلَّط عليهم كفار قريش ومن معهم، حتى جرى ما جرى من القتل والجراحات الكثيرة والهزيمة، ويوم بدر وهم قليل لما صدقوا ولم يختلفوا ولم يتنازعوا نُصِروا على عدوهم، وانهزم عدوَّهم وولوا الأدبار، وقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين، ولم يقتل منهم إلا بضعة عشر؛ هذا يدل على أن الثبات في الجهاد، والصدق في الجهاد، وطاعة الأمير، وعدم الاختلاف، وعدم النزاع من أسباب النصر، والاختلاف على الأمير، وركوب المحارم والمعاصي من أسباب تسليط الأعداء مهما كان الجيش، ولو كان الجيش أفضل الناس متى وقع فيه المعصية، متى وقع فيه الاختلاف والنزاع والاضطراب يسلط العدو، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد رُوي من غير وَجْه عن ابن مسعود، وكذا رُوي عن عبد الرحمٰن بن عَوْف وأبي طلحة، رواهن ابن مَرْدُويَه في تفسيره.

وقوله: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْۖ﴾ قال ابن إسحاق: حدثني القاسم بن عبد الرحمٰن بن رافع، أحدُ بني عديّ بن النجار قال: انتهى أنسُ بنُ النَّضر، عَمّ أنس بن مالك، إلى عمر بن الخطاب وطلحة بن

عُبَيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، قد أَلْقَوْا بأيديهم فقال: ما يخليكم؟ فقالوا: قُتِلَ رسولُ الله ﷺ. قال: فما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه. ثم استقبل القومَ فقاتل حتى قُتِل.

وقال البخاري: حدثنا حسان بن حسان، حدثنا محمد بن طلحة، حدثنا حُمَيد، عن أنس بن مالك: أن عمه ـ يعني: أنس بن النضر ـ غاب عن بدر فقال: غِبْتُ عن أول قتال رسول الله ﷺ، لَئِنْ أشْهدني الله مع رسول الله ﷺ لَيَرَيَنّ الله ما أُجدّ فلقي يومَ أُحد، فهُزم الناسُ، فقال: اللَّهُمّ إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني: المسلمين ـ وأبرَأ إليك مما جاء به المشركون، فتقدم بسيفه فَلقي سعدَ بن مُعَاذ فقال: أينَ يا سعد؟ إني أجدُ ريح الجنة دون أُحد. فمضى فَقُتِل، فما عُرف حتى عَرَفته أخته ببنانه بشامة وبه بضع وثمانون من طَعْنة وضَرْبة ورَمْية بسَهْم. هذا لفظ البخاري وأخرجه مسلم من حديث ثابت عن أنس، بنحوه.

وقال البخاري أيضًا: حدثنا عبدان، أخبرنا أبو حَمْزَةَ، عن عثمان بن مَوْهَب قال: جاء رجل حج البيت، فرأى قومًا جلوسًا، فقال: من هؤلاء القُعُودُ؟ قالوا: هؤلاء قريش. قال: من الشيخ؟ قالوا: ابن عُمَر. فأتاه فقال: إني سائلك عن شيء فحدثني. قال: أنْشُدُك بحرمة هذا البيت أتعلم أنَّ عثمان بن عفان فر يوم أُحد؟ قال: نعم. قال: فَتَعْلَمُه تَغَيَّب عن بدر فلم يشهدها؟ قال: نعم. قال: فتعْلم أنه تخلف عن بيعة الرّضْوان فلم يشهَدْها؟ قال: نعم. قال: فكبَّر، فقال ابن عمر: تَعَالَ لأخبرَكَ ولأبيِّن لك عما سألتني عنه. أما فراره يوم أُحد فأشهد أن الله عفا عنه، وأما تَغَيُّبه عن بدر فإنه كان تحتَه بنتُ النبي ﷺ، وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «**إِنَّ لَكَ أَجْرَ رَجُلٍ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا وَسَهْمَه**». وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعزّ ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث عثمانَ، فكانت بيعة الرضوان بعد ما ذهب عثمان إلى مكة. فقال النبي ﷺ بيده اليمنى: «**هِذِهِ يَدُ عُثْمَان**». فضرب

بها على يده، فقال: «**هٰذِهِ يَدُ عُثْمَان**» اذْهَبْ بِهَا الآنَ مَعَكَ.

ثم رواه البخاري من وجه آخر عن أبي عَوانة، عن عثمان بن عبد الله بن موهب.

وقوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾؛ أي: صرفكم عنهم ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾؛ أي: في الجبل هاربين من أعدائكم.

وقرأ الحسن وقتادة: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾؛ أي: في الجبل ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾؛ أي: وأنتم لا تلوون على أحد من الدَّهَش والخوف والرعب ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾؛ أي: وهو قد خلفتموه وراء ظُهوركم يدعوكم إلى تَرْك الفرار من الأعداء، وإلى الرجعة والعودة والكَرَّة.

قال السُّدِّي: لما شَدّ المشركون على المسلمين بأُحد فهزموهم، دخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها، فجعل الرسول ﷺ يدعو الناس: «**إليّ عباد الله، إليَّ عباد الله**» فذكر صعودهم إلى الجبل ثم ذكر دعاء النبي ﷺ فقال: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾.

وكذا قال ابنُ عباس، وقتادة والربيع، وابن زيد.

وقد قال عبد الله بن الزِّبَعْرى يذكر هزيمة المسلمين يوم أُحد في قصيدته ـ وهو مشرك بعد لم يسلم ـ التي يقول في أولها:

يا غُرابَ البَيْنِ أسْمَعْتَ فَقُل   إنما تَنْطقُ شيئًا قَدْ فُعلْ
إنّ للخير وللشر مَدى   وكلا ذلك وجْه وقَبلْ

إلى أن قال:

لَيْتَ أشياخي ببدر شهدوا جَزَعَ
الخزرج من وقع الأسَلْ
حين حَكَّت بقُباء بَرْكها واستحرَّ

الـقـتـل فـي عـبـد الأشـل
ثم خَفّوا عنْدَ ذَاكُم رُقَّصا رقص
الـحَفَّـان يـعـلـو فـي الـجَـبَـل
فقتلنا الضعف من أشرافهم وعَدَلنا
مَـيْـل بـدر فـاعـتـدَل

الحفان: صغار النعم.

وقد كان النبي ﷺ قد أفرد في اثني عشر رجلًا من أصحابه، كما قال الإمام أحمد: حدثنا حسن بن موسى، حدثنا زُهَير، حدثنا أبو إسحاق أن البراء بن عازب قال: جعل رسول الله ﷺ على الرماة يوم أُحد ـ وكانوا خمسين رجلًا ـ عبد الله بن جُبير قال: ووضعهم موضعًا وقال: «**إنْ رَأَيْتُمُونَا تَخطَّفَنَا الطَّيْرُ فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إلَيْكُمْ، وَإنْ رَأيْتُمُونَا ظَهَرنَا عَلَى الْعَدُوّ وأوَطأناهُمْ فَلا تَبْرَحُوا حَتَّى أُرسِلَ إلَيْكُمْ**»، قال: فهزموهم. قال: فأنا والله رأيت النساء يَشْتددن على الجبل، وقد بدت أسْوُقُهنّ وخَلاخلُهُن رافعات ثيابهُن، فقال أصحاب عبد الله: الغَنِيمة أي قوم الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنتظرون؟ قال عبد الله بن جبير: أنسيتم ما قال لكم رسول الله ﷺ؟ فقالوا: إنا والله لَنَأتيَن الناس فَلنُصِيبَنَّ من الغنيمة. فلما أتوهم صُرفت وجوههم فأقبلوا منهزمين، فذلك الذي يدعوهم الرسول في أخراهم، فلم يبق مع رسول الله ﷺ غير اثني عشر رجلًا فأصابوا منا سبعين، وكان رسول الله ﷺ وأصحابُه أصابوا من المشركين يوم بَدْر أربعين ومائة: سبعين أسيرًا وسبعين قتيلًا. قال أبو سفيان: أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ أفي القوم محمد؟ ـ ثلاثًا ـ قال: فنهاهم رسولُ الله ﷺ أن يجيبوه، ثم قال: أفي القوم ابن أبي قُحَافة؟ أفي القوم ابن أبي قحافة؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ أفي القوم ابن الخطاب؟ ثم أقبل على أصحابه فقال: أما هؤلاء فقد قتلوا، قد كُفيتُمُوه.

فما ملك عُمَر نفسَه أن قال: كذبتَ والله يا عدو الله، إن الذين عَدَدْتَ لأحياء كلهم، وقد بَقى لك ما يسوؤك. فقال: يوم بيوم بدر، والحرب سِجَال، إنكم ستجدون في القوم مَثُلَةً لم آمر بها ولم تسؤني ثم أخذ يرتجز، يقول: اعلُ هُبَلْ. اعل هُبَلْ. فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تُجِيبُوه؟**»، قالوا: يا رسول الله، ما نقول؟ قال: «**قُولُوا: الله أعلى وأجل**». قال: لنا العُزَّى ولا عزَّى لكم. فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تُجِيبُوهُ؟**»، قالوا: يا رسول الله، وما نقول؟ قال: «**قُولُوا: اللهُ مَوْلانَا وَلا مَوْلَى لَكُمْ**». وقد رواه البخاري من حديث زُهَير بن معاوية مختصرًا، ورواه من حديث إسرائيل، عن أبي إسحاق بأبسط من هذا، كما تقدم. والله أعلم.

وروى البيهقي في دلائل النبوة من حديث عمارة بن غَزِيَّة، عن أبي الزُّبَير، عن جابر قال: انهزم الناس عن رسول الله ﷺ يوم أُحد وبقي معه أحد عشر رجلًا من الأنصار، وطلحة بن عبيد الله وهو يصعد الجبل، فلقيهم المشركون، فقال: «**ألا أحَدٌ لِهَؤُلاءِ؟**» فقال طلحة: أنا يا رسول الله، فقال: «**كمَا أنْتَ يَا طَلْحَةُ**». فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه، وصعد رسول الله ﷺ ومن بقي معه، ثم قُتل الأنصاري فلحقوه فقال: «**ألا رجُلٌ لِهؤُلاءِ؟**»، فقال طلحة مثل قوله، فقال رسول الله ﷺ مثل قوله، فقال رجل من الأنصار: فأنا يا رسول الله، فقاتل عنه وأصحابه يصعدن، ثم قتل فلحقوه، فلم يزل يقول مثل قوله الأول فيقول طلحة: فأنا يا رسول الله، فيحبسه، فيستأذنه رجل من الأنصار للقتال فيأذَنُ له، فيقاتل مثل من كان قبله، حتى لم يبق معه إلا طلحة فَغشَوْهما، فقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ لِهَؤلاءِ؟**»، فقال طلحة: أنا. فقاتل مثْل قتال جميع من كان قبله وأصيبت أنامله، فقال: حس، فقال رسول الله: «**لوْ قُلْتَ: بِاسْمِ اللهِ، وذَكرت اسْمَ الله، لَرَفَعَتْكَ الملائِكَة**

والنَّاسُ يَنْظُرونَ إلَيْكَ، حَتَّى تلجَ بِكَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ»، ثم صعد رسول الله ﷺ إلى أصحابه وهم مجتمعون.

وقد روى البخاري، عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن وَكِيع، عن إسماعيل، عن قَيْس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي ﷺ ـ يعني: يوم أُحد.

وفي الصحيحين من حديث مُعْتَمر بن سليمان، عن أبيه، عن أبي عُثمان النَّهْدِي قال: لم يبق مع رسول الله ﷺ في بعض تلك الأيام، التي قاتل فيهن رسول الله ﷺ غَيْرُ طلحةَ بن عبيد الله وسعد، عن حَديثهما وقال حماد بن سلمة، عن علي بن زيد وثابت، عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله ﷺ أفرد يوم أُحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رَهِقُوه قال: «**مَنْ يَرُدُّهُمْ عَنَّا وَلَهُ الْجَنَّةُ** ـ أو: **وهو رفيقي في الجنة؟**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضًا، فقال: «**من يردهم عنا وله الجنة؟**»، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل. فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه: «**ما أنْصَفْنَا أصْحَابنا**». رواه مسلم عن هُدبة بن خالد، عن حماد بن مسلمة به نحوه.

وقال الحسن بن عرفة: حدثنا ابن مروان بن معاوية، عن هاشم بن هاشم الزهري، قال سمعت سعيد بن المسيَّب يقول: سمعت سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه يقول: نَثل لي رسول الله ﷺ كنانته يوم أُحد قال: «**ارْمِ فِدَاكَ أبِي وأُمِّي**». وأخرجه البخاري، عن عبد الله بن محمد، عن مروان بن معاوية.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني صالح بن كيسان، عن بعض آل سعد، عن سعد بن أبي وقاص؛ أنه رمى يوم أُحد دونَ رسول الله ﷺ، قال سعد: فلقد رأيت رسول الله ﷺ يناولني النَّبْلَ ويقول: «**ارْمِ فِدَاكَ أبِي وأُمِّي**» حتى إنه ليناولني السهم ليس له نصل، فأرمي به.

وثبت في الصحيحين من حديث إبراهيم بن سعد عن أبيه، عن جده، عن سعد بن أبي وقاص قال: رأيت يوم أُحد عن يمين النبي ﷺ وعن يساره رجلين، عليهما ثياب بيض، يقاتلان عنه أشد القتال، ما رأيتهما قبل ذلك اليوم ولا بعده، يعني: جبريل وميكائيل عليهما السلام.

وقال أبو الأسود، عن عروة بن الزبير قال: كان أُبَيُّ بن خَلَف، أخو بني جُمَح، قد حلف وهو بمكة لَيَقْتُلَن رسول الله ﷺ، فلما بلغتْ رسولَ الله ﷺ حَلْفَتُه قال: «**بَلْ أَنَا أَقْتُلُهُ، إنْ شَاءَ الله**». فلما كان يوم أُحد أقبل أُبَي في الحديد مُقَنَّعًا، وهو يقول: لا نَجَوْتُ إن نجا محمد. فحمل على رسول الله ﷺ يريد قتْله، فاستقبله مُصْعَب بن عُمَير، أخو بني عبد الدار، يقي رسول الله ﷺ بنفسه، فقتل مصعب بن عمير، وأبصر رسولُ الله ﷺ تَرْقُوَة أُبي بن خلف من فَرْجةَ بين سابغة الدرع والبيضة، وطعنه فيها بحربته، فوقع إلى الأرض عن فرسه، لم يخرج من طعنته دم، فأتاه أصحابه فاحتملوه وهو يخور خُوار الثور، فقالوا له: ما أجزعك إنما هو خدش؟ فذكر لهم قول رسول الله ﷺ: «**أنا أَقْتُلُ أُبيًّا**». ثم قال: والذي نفسي بيده لو كان هذا الذي بي بأهل ذي المَجَاز لماتوا أجمعون. فمات إلى النار، فسحقًا لأصحاب السعير. وقد رواه موسى بن عُقْبة في مغازيه، عن الزُّهْري، عن سعيد بن المسيّب بنحوه.

وذكر محمد بن إسحاق قال: لما أَسْنِدَ رسول الله ﷺ في الشعب، أدركه أُبي بن خَلَفَ وهو يقول: لا نجوتُ إن نجوتَ، فقال القوم: يا رسول الله، يَعْطف عليه رجل منا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**دَعُوُه**»، فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث بن الصِّمَّة، فقال بعض القوم ما ذكر لي: فلما أخذها رسول الله ﷺ منه انتفض بها انتفاضة، تطايرنا عنه تطاير الشّعْر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله رسول الله ﷺ فطعنه في عنقه طعنة تدأدَأ منها عن فرسه مرارًا.

وذكر الواقدي، عن يونس بن بُكَير، عن محمد بن إسحاق، عن

عاصم بن عمرو بن قتادة، عن عبد الله بن كعب بن مالك، عن أبيه نحو ذلك.

قال الواقدي: كان ابن عمر يقول: مات أُبَيّ بن خلف ببطن رَابِغ، فإني لأسير ببطن رابغ بعد هويٍّ من الليل إذا أنا بنار تتأجّج فهبتها، فإذا رجل يخرج منها في سلسلة يجتذبها يهيج به العطش، وإذا رجل يقول: لا تسقه، فإن هذا قتيل رسول الله ﷺ، هذا أُبيّ بن خلف.

وثبت في الصحيحين، من رواية عبد الرزاق، عن مَعْمَر، عن هَمَّام بن مُنَبِّه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى قَوْم فَعَلُوا بِرَسُولِ اللهِ** ـ وهو حينئذ يشير إلى رَباعيته ـ **اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى رَجُلٍ يَقْتُلُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي سَبِيلِ اللهِ**». ورواه البخاري أيضًا من حديث ابن جُرَيج، عن عَمْرو بن دينار، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس قال: اشتد غضب الله على من قتله رسول الله ﷺ بيده في سبيل الله، اشتد غضب الله على قوم دَمَّوا وجه رسول الله ﷺ. وقال محمد بن إسحاق بن يسار رحمه الله: أصيبت رَبَاعِية رسول الله ﷺ وشُجَّ في وَجْنَته، وكُلِمَت شَفَتُه وكان الذي أصابه عتبة بن أبي وقاص.

فحدثني صالح بن كَيْسان، عمن حدثه، عن سعد بن أبي وقاص قال: ما حَرَصْتُ على قتل أحد قَط ما حرصت على قتل عُتْبة بن أبي وقاص وإن كان ما علمته لسيئ الخلُق، مُبْغَضًا في قومه، ولقد كفاني فيه قول رسول الله ﷺ: «**اشْتَدَّ غَضَبُ اللهِ عَلَى مَنْ دَمَّى وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ**».

وقال عبد الرزاق: أنبأنا معْمَر، عن الزهري، عن عثمان الجزَري، عن مقْسَم؛ أن رسول الله ﷺ دعا على عُتْبَةَ بن أبي وقاص يوم أُحُد حين كَسر رَبَاعيتَه ودَمى وجهه فقال: «**اللَّهُمَّ لا تحل عَلَيْهِ الْحَوْل حَتَّى يموتَ كَافِرًا**». فما حال عليه الحولُ حتى مات كافرًا إلى النار.

ذكر الواقدي عن ابن أبي سبرة، عن إسحاق بن عبد الله بن أبي

فَرْوة، عن أبي الحُويرث، عن نافع بن جبير قال: سمعتُ رجُلًا من المهاجرين يقول: شهدت أُحدًا فنظرت إلى النَّبْل يأتي من كل ناحية، ورسول الله ﷺ وسطها، كُلٌّ ذلك يُصْرَف عنه، ولقد رأيت عبد الله بن شهاب الزهري يقول يومئذ: دُلّوني على محمد، لا نَجوتُ إن نجا، ورسول الله ﷺ إلى جنبه ليس معه أحد، ثم جاوره فعاتبه في ذلك صَفْوان، فقال: والله ما رأيته، أحلف بالله إنه منا ممنوع. خرجنا أربعة فتعاهدنا وتعاقدنا على قتله، فلم نخلص إلى ذلك.

قال الواقدي: الثَّبْتُ عندنا أن الذي رمى في وَجْنَتي رسول الله ﷺ ابن قَميئة والذي دَمى شفته وأصاب رباعيته عتبة بن أبي وقاص.

وقال أبو داود الطيالسي: حدثنا ابن المبارك، عن إسحاق بن يحيى بن طلحة بن عبيد الله، أخبرني عيسى بن طلحة، عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قالت: كان أبو بكر رضي الله عنه، إذا ذكر يوم أُحد قال: ذاك يوم كُله لطلحة، ثم أنشأ يحدث قال: كنت أول من فَاء يوم أُحد، فرأيت رجلًا يقاتل مع رسول الله ﷺ دونه ـ وأراه قال: حَميَّة فقال فقلت: كن طَلْحَةَ، حيث فاتني ما فاتني، فقلت: يكون رجلًا من قومي أحب إلي، وبيني وبين المشركين رجل لا أعرفه، وأنا أقرب إلى رسول الله ﷺ منه، وهو يخطف المشي خطفًا لا أحفظه فإذا هو أبو عبيدة بن الجراح، فانتهينا إلى رسول الله ﷺ، وقد كسرت رَبَاعِيتُه وشُجّ في وجهه، وقد دخل في وَجْنَته حلقتان من حِلَق المِغْفَر، قال رسول الله ﷺ: **«عَليكُما صَاحِبَكُما»**. يريد طلحة، وقد نزف، فلم نلتفت إلى قوله، قال: وذهبت لأن أنزع ذلك من وجهه، فقال أبو عبيدة: أقسمت عليك بحقي لما تركتني. فتركته، فكره أن يتناولها بيده فيؤذي النبي ﷺ، فَأزَمَّ عليها بِفِيهِ فاستخرج إحدى الحلقتين، ووقعت ثَنِيَّته مع الحلقة، ذهبت لأصنع ما صنع، فقال: أقسمت عليك بحقي لما تركتني، قال: ففعل مثل ما فعل في المرة الأولى، فوقعت ثنيته

الأخرى مع الحلقة، فكان أبو عبيدة ﷺ، أحسن الناس هَتْمًا، فأصلحنا من شأن رسول الله ﷺ، ثم أتينا طلحة في بعض تلك الجفار، فإذا به بضع وسبعون أو أقل أو أكثر من طعنة ورَمْيَة وضربة، وإذا قد قُطعَتْ إصبعه، فأصلحنا من شأنه.

ورواه الهيثم بن كُلَيب، والطبراني، من حديث إسحاق بن يحيى به. وعند الهيثم: فقال أبو عبيدة: أنشدك يا أبا بكر إلا تركتني؟ فأخذ أبو عبيدة السّهم بفيه، فجعل يُنَضْنِضَه كراهيةَ أن يؤذي رسول الله ﷺ، ثم اسْتل السهم بفيه فبدرت ثنية أبي عبيدة.

وذكر تمامه، واختاره الحافظ الضياء المقدسي في كتابه وقد ضَعّف علي بن المديني هذا الحديث من جهة إسحاق بن يحيى هذا، فإنه تكلم فيه يحيى بن سعيد القطان، وأحمد، ويحيى بن معين، والبخاري، وأبو زُرعة، وأبو حاتم، ومحمد بن سعد، والنسائي وغيرهم.

وقال ابن وَهْب: أخبرني عَمْرو بن الحارث: أن عُمَر بن السائب حدثه: أنه بلغه أن مالكًا أبا أبي سعيد الخُدْري لمَّا جرح النبي ﷺ يوم أُحد مَصّ الجرح حتى أنقاه ولاح أبيض، فقيل له: مُجَّه. فقال: لا والله لا أمجه أبدًا. ثم أدبر يقاتل، فقال النبي ﷺ: «**من أراد أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظُرْ إلى هذا**» فاستشهد.

وقد ثبت في الصحيحين من طريق عبد العزيز بن أبي حازم عن أبيه، عن سَهْل بن سَعْد أنه سئل عن جُرح رسول الله ﷺ فقال: جُرح وجه رسول الله ﷺ، وكسِرت رَبَاعِيتُه، وهُشِمَت البَيْضة على رأسه، فكانت فاطمة بنت رسول الله ﷺ تغسل الدم، وكان عَلِي يسكب عليها بالمِجَنّ فلما رأت فاطمة ﷺ أن الماء لا يزيدُ الدم إلا كثرة، أخذت قطعةَ حَصِير فأحرقته، حتى إذا صار رمادًا ألصقته بالجُرْح، فاستمسك الدم.

وقوله: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾؛ أي: فجازاكم غَمًّا على غَم كما تقول العرب: نزلتُ ببني فلان، ونزلتُ على بني فلان.

قال ابن جرير: وكذا قوله: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي: على جذوع النخل.

قال ابن عباس: **الغم الأول**: بسبب الهزيمة، وحين قيل: قتل محمد ﷺ، **والثاني**: حين علاهم المشركون فوق الجبل، وقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ لَيْسَ لَهُمْ أَنْ يَعْلُونا**».

وعن عبد الرحمٰن بن عوف: **الغم الأول**: بسبب الهزيمة، **والثاني**: حين قيل: قُتِلَ محمد ﷺ، كان ذلك عندهم أعظم من الهزيمة.

رواهما ابن مَرْدُويَه، وروي عن عمر بن الخطاب نحو ذلك. وذكر ابن أبي حاتم عن قتادة نَحْوَ ذلك أيضًا.

وقال السُّدِّي: **الغم الأول**: بسبب ما فاتهم من الغنيمة والفتح، **والثاني**: بإشراف العدو عليهم.

وقال محمد بن إسحاق: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾؛ أي: كَرْبًا بعد كرب، قَتْل مَنْ قُتل من إخوانكم، وعُلُو عدوكم عليكم، وما وقع في أنفسكم من قول من قال: «قُتل نبيّكم» فكان ذلك متتابعًا عليكم غمًّا بغم.

وقال مجاهد وقتادة: **الغم الأول**: سماعهم قتل محمد، **والثاني**: ما أصابهم من القتل والجراح. وعن قتادة والربيع بن أنس عكسُه.

وعن السُّدِّي: **الأول**: ما فاتهم من الظَّفَر والغنيمة، **والثاني**: إشراف العدو عليهم، وقد تقدم هذا عن السدي.

قال ابن جرير: وأولى هذه الأقوال بالصواب قولُ من قال: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ فأثابكم بغَمكُم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم

غنيمةَ المشركين والظَّفر بهم والنصرَ عليهم، وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ ـ بعد الذي أراكم في كل ذلك ما تحبون ـ بمعصيتكم ربكم، وخلافكم أمر النبي ﷺ، غَم ظنكم أن نبيّكم قد قتل، وميل العدو عليكم بعد فُلولكم منهم.

وقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ﴾؛ أي: على ما فاتكم من الغنيمة بعدوكم ﴿وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ﴾ من القتل والجراح، قاله ابن عباس، وعبد الرحمٰن بن عوف، والحسن، وقتادة، والسدي ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]**(١).

وهو تأنيث آخركم، وقال ابن عبّاسٍ: ﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]: فتحًا، أو شهادةً.

حدّثنا عمرو بن خالدٍ، حدّثنا زهيرٌ، حدّثنا أبو إسحاق قال: سمعت البراء بن عازبٍ رضي الله عنهما قال: «جعل النّبيّ ﷺ على الرّجّالة يوم أحدٍ عبد الله بن جبيرٍ، وأقبلوا منهزمين، فذاك: إذ يدعوهم الرّسول في أخراهم، ولم يبق مع النّبيّ ﷺ غير اثني عشر رجلًا»(٢).

* *

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.
(٢) أخرجه البخاري من حديث البراء في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ برقم (٤٥٦١).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾ [آل عمران: ١٥٤، ١٥٥][(١)].

يقول تعالى ممتنًا على عباده فيما أنزل عليهم من السكينة والأمنة: وهو النعاس الذي غشيهم وهم مستلئمو السلاح في حال همِّهم وغمِّهم، والنعاس في مثل تلك الحال دليل على الأمان، كما قال في سورة الأنفال في قصة بدر: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

وقال الإمام أبو محمد عبد الرحمٰن بن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو نعيم وكيع عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، عن عبد الله بن مسعود قال: النعاس في القتال: النعاس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان.

وقال البخاري: قال لي خليفة: حدثنا يزيد بن زُرَيْع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن أبي طلحة رضي الله عنه، قال: كنت فيمن تَغَشاه النعاس يوم أُحُد، حتى سقط سيفي من يدي مرارًا، يسقط وآخذه،

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، الليلي ١٤٠٤هـ.

ويسقط وآخذه[١]، هكذا رواه في المغازي معلقًا. ورواه في كتاب التفسير مُسْنَدًا عن شيبان، عن قتادة، عن أنس، عن أبي طلحة قال: غَشينا النعاس ونحن في مَصَافنا يوم أُحد. قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه.

وقد رواه الترمذي والنسائي والحاكم، من حديث حَمَّاد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن أبي طلحة قال: رفعت رأسي يوم أُحد، وجعلت أنظر وما منهم يومئذ أحد إلا يميد تحت جَحَفَتِه من النعاس. لفظ الترمذي، وقال: حسن صحيح.

ورواه النسائي أيضًا، عن محمد بن المثنى، عن خالد بن الحارث، عن أبي قتيبة، عن ابن أبي عدي، كلاهما عن حميد، عن أنس قال: قال أبو طلحة: كنت فيمن ألقي عليه النعاس ـ الحديث. وهكذا رُوي عن الزبير وعبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كذا عندك: وقال لي خليفة.

وبهذا غير معلق متصل، وقال لي خليفة، ليس بمعلق، لعله نسخة المؤلف ما فيها: لي، قال لي خليفة، في نسخ أخرى؟

مداخلة: أي نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

كلكم عندكم: لي؟

مداخلة: قال لي؟

الشيخ: نعم.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ برقم (٤٥٦٢).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

تحت حجفته.

مداخلة: أي نعم.

الشيخ: حجفته، حجف الترس الترس.

القاري: لفظ الترمذي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، أخبرني أبو الحسين محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن إسحاق الثقفي، حدثنا محمد بن عبد الله بن المبارك المخزومي، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا شيبان، عن قتادة، حدثنا أنس بن مالك؛ أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أُحد، فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه، قال: والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم هَمٌّ إلا أنفسهُم، أجبن قوم وأرعنه، وأخْذَله للحق ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ كَذَبَةَ، أهل شك وريب في الله عَزَّ وَجَلَّ.

هكذا رواه بهذه الزيادة، وكأنها من كلام قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ، وهو كما قال الله؛ فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾، يعني: أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله عَزَّ وَجَلَّ سينصر رسوله، وينجز له مأموله؛ ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾، يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾، كما قال في الآية الأخرى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح: ١٢] إلى آخر الآية.

وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها

الفيصلة، وأن الإسلام قد باد وأهله، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور الفظيعة تحصل لهم هذه الظنون الشنيعة. ثم أخبر تعالى عنهم أنهم ﴿يَقُولُونَ﴾ في تلك الحال: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ﴾. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾، ثم فسر ما أخفوه في أنفسهم بقوله: ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾؛ أي: يسرون هذه المقالة عن رسول الله ﷺ.

قال ابن إسحاق: فحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير قال: قال الزبير: لقد رأيتني مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا، أرسل الله علينا النوم، فما منا من رجل إلا ذقنه في صدره، قال: فوالله إني لأسمع قول مُعْتَب بن قشَير، ما أسمعه إلا كالحلم، يقول: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ فحفظتها منه، وفي ذلك أنزل الله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ لقول مُعتَب. رواه ابن أبي حاتم.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾؛ أي: هذا قدر مقدر من الله ﷻ، وحكم حَتْم لا يُحاد عنه، ولا مناص منه.

وقوله: ﴿وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ﴾؛ أي: يختبركم بما جرى عليكم، وليميز الخبيثَ من الطيب، ويظهر أمْرَ المؤمن والمنافق للناس في الأقوال والأفعال، ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾﴾؛ أي: بما يختلج في الصدور من السرائر والضمائر.

ثم قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾؛ أي: ببعض ذنوبهم السالفة، كما قال بعض

السلف: إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وإن من جَزَاء السيئةَ السيئة بعدها.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾؛ أي: عمّا كان منهم من الفرار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾﴾؛ أي: يغفر الذنب ويحلُم عن خلقه، ويتجاوز عنهم، وقد تقدم حديث ابن عمر في شأن عثمان رضي الله عنه، وتوليه يوم أُحد، وأن الله قد عفا عنهم، عند قوله: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ ومناسب ذكره هاهنا.

قال الإمام أحمد: حدثنا معاوية بن عَمْرو، حدثنا زائدة، عن عاصم، عن شقيق، قال: لقي عبدُ الرحمٰن بن عوف الوليد بن عقبة فقال له الوليد: ما لي أراك جفوتَ أمير المؤمنين عثمانَ؟ فقال له عبد الرحمٰن: أبلغه أني لم أفر يوم عَيْنَيْن - قال عاصم: يقول يوم أُحد - ولم أتخلف عن بدر، ولم أترك سُنة عمر. قال: فانطلق فَخَبر ذلك عثمان، قال: فقال: أما قوله: إني لم أفر يوم عَيْنَيْن فكيف يعَيرني بذَنْب قد عفا الله عنه، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾، وأما قولُهُ: إني تخلفت يوم بدر فإني كنت أمرِّض رقَيَّة بنت رسول الله ﷺ حتى ماتت، وقد ضرب لي رسول الله ﷺ بسهم، ومن ضرب له رسول الله ﷺ بسهم فقد شهِد. وأما قوله: «إني لم أترك سُنَّة عمر» فإني لا أطيقها ولا هو، فأتاه فحدثه بذلك، والله أعلم.

الأسئلة:

- **س: هذا يوم أُحد، عفا الله عنك! يوم أُحد ولا يوم حنين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الصواب: يوم أُحد.

مداخلة: هنا يقول: يوم حنين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا هذه الرواية خطأ يعني: يوم أُحد، والمراد يوم أُحد؛ لأن القصة في أُحد، أما يوم حنين ففيها كلام آخر، تراجعوا. الظاهر وهم من بعض الرواة.

• **س: معنى قول ابن مسعود: (إن النعاس في القتال من الله، وفي الصلاة من الشيطان).**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم. أَمَنَةٌ من الله في الجهاد، يبتليهم بالنعاس حتى تطمئن قلوبهم، ولا يكون فيها شيء من الجزع والهم؛ بل تطمئن القلوب، وإبقائها على طمأنينة.

• **س: لكن ثبوت أن النعاس في الصلاة من الشيطان؟!**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما أدري.. قال النبي ﷺ: «**إذا نعس أحدكم فلينم**»، فإن الشيطان يأتيه فيخيل إليه أشياء وربما استمر معه الحال حتى يأخذه النوم.

مداخلة: لكن النعاس ما يندرج في النوم؟

الشيخ: هو النعاس، النعاس: النوم الخفيف.

الطالب: ما ورد في الحديث: «**إن الله يضحك من رجل لو يعرف رجلًا نام ساجدًا ما نام قبل الفجر**» معنى الحديث؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ما يمنع، إن صح ما يمنع مثل أن يكون نعاسه من الشيطان.

اختلاف النسخ في لفظه (عينين) و(حنين) الواردة في يوم تخلف عثمان.

● **س: يا شيخ! الذي عندنا عينين بدل حنين؟**

الشيخ: نعم.

مداخلة: عينين بدل حنين.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يمكن، عينين أقرب، وعينين قطعًا..... موضع في أُحد.. موضع أُحد يقال له: عينين، عندكم حطه نسخة عينين.

يعني: نسخة عينين يراجع المسند ما رواه في المسند في مسند عبد الرحمٰن ومسند عثمان يراجع، عينين أقرب؛ لأن حنين ما لها محل هنا الظاهر: حنين بعيد.

الطالب: عفا الله عنك!

الشيخ: نعم: فإني لا أطيقها يعني: سُنَّة عمر.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول عثمان: ما أطيقها إن فعلها عمر، وعمر أقوى منه، فإن صلابة عمر على المشركين وعلى المنافقين وصلابته على الناس وقوته في أمر الله، أنا أضعف... نعم... هو أقرب للمعنى.

الشيخ: اللَّهُمَّ ارض على الجميع، والله أعلم.

المقصود: بسُنَّة عمر التي قال عنها عثمان: لا أطيقها.

● **س: المقصود من سُنَّة عمر.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الطريقة الذي سار عليها في خلافته.

*

□ **تفسير قوله تعالى: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤][1].**

● **س: أخراكم تأنيث: آخر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هو الظّاهر، آخر: أخرى، ما ذكره المؤلّف محلّ الإشكال، محتملٌ أنّ آخر وآخره تأنيثه آخره بالهاء أوّل وآخر: آخرة مؤنث. ماذا قال عليه الشّارح؟

[قال الحافظ ابن حجرٍ رحمه الله في «الفتح» (٨/ ٢٢٧)]: «وله باب قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾: وهو تأنيث آخركم، كذا وقع فيه وهو تابعٌ لأبي عبيدة؛ فإنّه قال: أخراكم آخركم وفيه نظرٌ؛ لأنّ أخرى تأنيث آخر بفتح الخاء لا كسرها، وقد حكى الفرّاء أنّ من العرب من يقول في أخراتكم بزيادة المثنّاة». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: العينيّ زاد شيئًا؟

(القارئ): [قال الإمام العينيّ رحمه الله في «عمدة القاري» (١٨/ ١٥١)]: «آخركم؛ أي: (أخراكم) الّذي في الآية، وهو: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾ في أخراكم تأنيث آخركم بكسر الرّاء، وليس كذلك، وإنّما آخركم بالكسر ضد الأول، وأمّا الأخرى فهو تأنيث الآخر، بفتح الخاء لا بكسرها، والبخاريّ تبع في هذا أبا عبيدة فإنّه قال: أخراكم آخركم، وذهل فيه، وقد حكى الفراء أن من العرب من يقول: في أخراتكم، بزيادة التّاء المثنّاة من فوق». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: مثل كلام الحافظ.

*

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [آل عمران: ١٥٦ ـ ١٥٨](١).

ينهى تعالى عباده المؤمنين عن مشابهة الكفار في اعتقادهم الفاسد الدال عليه قولهم عن إخوانهم الذين ماتوا في الأسفار والحروب: لو كانوا تركوا ذلك لما أصابهم ما أصابهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ﴾؛ أي: عن إخوانهم. ﴿إِذَا ضَرَبُواْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: سافروا للتجارة ونحوها. ﴿أَوْ كَانُواْ غُزًّى﴾؛ أي: كانوا في الغزو. ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا﴾؛ أي: في البلد. ﴿مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾؛ أي: ما ماتوا في السفر، وما قتلوا في الغزو. وقوله تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِى قُلُوبِهِمْ﴾؛ أي: خلق هذا الاعتقاد في نفوسهم؛ ليزدادوا حسرة على موتاهم وقتلاهم. ثم قال تعالى ردًّا عليهم: ﴿وَٱللَّهُ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾؛ أي: بيده الخلق وإليه يرجع الأمر، ولا يحيا أحد ولا يموت أحد إلا بمشيئته وقدره، ولا يزاد في عمر أحد ولا ينقص منه شيء إلا بقضائه وقدره. ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾؛ أي: علمه وبصره نافذ في جميع خلقه لا يخفى عليه من أمورهم شيء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا كله من الجهل العظيم، هذا نشأ عن الجهل من أولئك الكفرة حتى قالوا هذه المقالة القبيحة: ﴿لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى، ١٤٠٤هـ.

هيهات هيهات، فإن الموت مكتوب على العباد، ومتى جاء الأجل لم يمنعه مانع لا إقامته بين أهله ولا سفره إلى أي مكان ولا تحصُّنه بالجنود والحصون، فالموت ماض على العباد وعلى غيرهم حسب ما قدَّره الله ﷻ؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]. قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. البروج المشيدة وهي: الحصون والحرس الكثير والقوات المتنوعة وغير ذلك كل هذا لا يمنع الموت، ولكن من جهل هؤلاء الكفرة قالوا: ﴿لَّوْ كَانُوا۟ عِندَنَا مَا مَاتُوا۟ وَمَا قُتِلُوا۟﴾، يعني: لو كان ما سافروا ولا غزوا كان حصلت لهم الحياة، وهذا من الجهل العظيم، فإن الله ﷻ مُنفذ أمره في عباده أينما كانوا، فقد يموت الموجود بين أهله ويسلم الغازي، وقد يقدم المسافر ويموت المقيم، فليس الأمر بأيديهم ولكنه بيد الله سبحانه وتعالى.

وإنما الواجب عند نزول المصائب أن يقول المؤمن: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ قدَّر الله وما شاء فعل. ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا﴾ [التوبة: ٥١]؛ ولهذا قال الرب ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. المعنى: إنا ملكه، ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾، يعني: ملك لله يتصرف فينا كيف يشاء سبحانه وتعالى. ﴿وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]، يعني: إليه المآب والمصير فإما إلى الجنة وإما إلى النار. وقال النبي ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِم تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا. إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا»**(١).

قالت أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها: لما مات أبو سلمة وقلت هذه

---

(١) سبق تخريجه في (٢/ ٤١٨)..

المقالة، قلت في نفسي: من يكون خيرًا من أبي سلمة؟ فقدر الله وتزوجها الرسول بعده عليه الصلاة والسلام. فأخلف الله لها خيرًا من أبي سلمة بأضعاف كثيرة. فالإنسان يقول الدعاء ويسأل ربه خيرًا والله يقدر ما يشاء سبحانه وتعالى. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ تضمن هذا أن القتل في سبيل الله والموت أيضًا وسيلة إلى نيل رحمة الله وعفوه ورضوانه وذلك خير من البقاء في الدنيا وجميع حطامها الفاني، ثم أخبر بأن كل من مات أو قتل فمصيره ومرجعه إلى الله عز وجل، فيجزيه بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر فقال: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يدل على أن الموت في سبيل الله له شأن عظيم، كالقتل في سبيل الله ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾﴾، يعني: ما يحصل للميت في سبيل الله والمقتول في سبيل الله من المغفرة والرحمة خير من الدنيا كلها وما جمعه أهلها؛ لأنها زائلة مهما جمع صاحبها من الأموال فهو زائل عنها أو هي زائلة عنه، ولكن ليس له إلا ما قدم من الأعمال الصالحة، التي يجد ثوابه عند ربه ويجد عاقبتها لا تنتهي بل نعيم دائم وخير دائم أبد الآباد. وقد جاء في بعض الروايات أن الموت في سبيل الله شهادة كالقتل في سبيل الله، وهذا يدل على فضل الموت في سبيل الله وأن فيه خيرًا عظيمًا إن أخلص لله نيته كالقتل في سبيل الله. الله المستعان.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩ ـ ١٦٤][(١)].

يقول تعالى مخاطبًا رسوله ممتنًّا عليه وعلى المؤمنين فيما ألان به قلبه على أمته المتَّبعين لأمره التاركين لزجره وأطاب لهم لفظه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ﴾؛ أي: أي شيء جعلك لهم لينًا لولا رحمة الله بك وبهم؟ وقال قتادة: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ﴾ يقول: فبرحمة من الله لنت لهم، وما: صلة، والعرب تصلها بالمعرفة كقوله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥] وبالنكرة كقوله: ﴿عَمَّا قَلِيلٍ﴾ [المؤمنون: ٤٠]، وهكذا ههنا قال: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ﴾؛ أي: برحمة من الله. وقال الحسن البصري: هذا خُلُق محمد ﷺ بعثه الله به.

وهذه الآية الكريمة شبيهة بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حَيْوة، حدثنا بَقِيَّة، حدثنا محمد بن

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، الليلي ١٤٠٤هـ.

زياد، حدثني أبو راشد الحُبْراني قال: أخد بيدي أبو أمَامة الباهلي وقال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ فقال: «**يَا أَبَا أُمامَةَ، إنَّ مِنَ الْمُؤْمِنينَ مَنْ يَلِينُ لِي قَلْبُه**». انفرد به أحمد(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه الآية تعم مخاطبته للكفار ومخاطبته للمؤمنين، وأن الله بعثه لينًا رحيمًا عطوفًا محسنًا، ولهذا لا يفر الناس منه بل يقربون ويسمعون لما يقول، ويتعظ من سبقت له الهداية ويتذكر ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ فالآية عامة. ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾، وإن كان السياق يقتضي أنه في أهل الإيمان، ولهذا قال: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ لكن المعنى يعم؛ ولهذا جعله الله لينًا رؤوفًا رحيمًا يخاطب الناس بما بعثه الله به ويدعوهم إلى الخير وينذرهم من الشر ويصبر على أذاهم، مثل ما قال الله في قصة موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]، والنبي ﷺ كان يلين القول، ويجادل بالتي هي أحسن، كما قال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]. قال: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، لكنه مع أهل الإيمان أكثر لينًا وأكثر عناية ورأفة ورحمة بأهل الإيمان، تقديرًا لإيمانهم واتباعهم له وترغيبًا لهم في الخير وتقوية لإيمانهم، وجبرًا لمصابهم إذا نزل بهم مصيبة إلى غير ذلك.

فهو يرعاهم ويعتني بهم، ويلطف بهم عليه الصلاة والسلام ويرحمهم ويعفو ويصفح ويشاور عليه الصلاة والسلام، كل ذلك للتأليف والتقريب وجمع القلوب وإبعاد الوحشة والتنفير حتى يسمع القوم وحتى ينتفعوا بما يراد من وعظهم وتذكيرهم، وحتى يروا سيرته ويتأسوا به عليه الصلاة

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٦٧).

والسلام، إلى غير هذا من المصالح التي كان يرعاها عليه الصلاة والسلام.

وهكذا ينبغي للدعاة بعده خلفائه والدعاة بعده إلى الخير والهدى ومعلمي الناس الخير أن يتأسوا بما كان عليه عليه الصلاة والسلام حتى يذكروا الناس من حولهم، وحتى يسمع الناس قولهم، وحتى ينتفعوا بدعوتهم وإرشادهم. الله المستعان..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾، والفظ الغليظ المراد به ههنا غليظ الكلام لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ﴾؛ أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك وألان جانبك لهم تأليفًا لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: إنه ليس بفظٍّ ولا غليظٍ ولا سخّابٍ بالأسواق ولا يدفع السّيّئة بالسّيّئة ولكن يعفو ويصفح[(١)].

وقال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي: أنبأنا بشر بن عبيد، حدثنا عمار بن عبد الرحمٰن، عن المسعودي، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله أمرني بمداراة الناس كما أمرني بإقامة الفرائض**»[(٢)] حديث غريب. ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾، ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث؛ تطييبًا لقلوبهم ليكون أنشط لهم في ما يفعلونه كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: «يا رسول الله! لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ برقم (٤٨٣٨).

(٢) أخرجه الديلمي (١/ ١٧٦، رقم ٦٥٩).

إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب فنحن معك وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هكذا يكون الصدق وحسن الاتباع، بنو إسرائيل قالوا لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، وهذا من سوء الأدب ومن سيئ القول. أما أصحاب النبي عليه الصلاة والسلام فلما شاورهم قالوا: لا نقول كما قال بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتلا فإنا معكما مقاتلون عن يمينك وعن شمالك وبين يديك ومن خلفك رضي الله عنهم وأرضاهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وشاورهم أيضًا أين يكون المنزل حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم أمام القوم، وشاورهم في أُحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهورهم بالخروج إليهم فخرج إليهم، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ، فأبى ذلك عليه السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة فترك ذلك، (وشاورهم يوم الحديبية في أن يميل على ذراري المشركين، فقال له الصديق: إنا لم نجئ لقتال أحد وإنما جئنا معتمرين) فأجابه إلى ما قال. وقال ﷺ في قصة الإفك: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، فِي قَوْمٍ أَبَنُوا أَهْلِي مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَأَبَنُوهُمْ بِمَنْ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلا تَغَيَّبْتُ قَطُّ إِلا وَهُوَ مَعِي، وَلا دَخَلَ بَيْتِي قَطُّ إِلا وَأَنَا شَاهِدٌ**»[١].

(١) أخرجه الطبراني في الكبير وسيأتي الحديث عن مشاورته ﷺ لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في سورة النور آية ١١.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اتهموهم، أبنوهم اتهموهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأبنوهم بمن والله ما علمت إلا خيرًا. واستشار عليًّا وأسامة في فراق عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا، فكان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها. وقد اختلف الفقهاء هل كان ذلك واجبًا عليه، أو من باب الندب تطييبًا لقلوبهم؟ على قولين. وقد روى الحاكم في مستدركه: أنبأنا أبو جعفر محمد البغدادي، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف بمصر، حدثنا سعيد بن أبي مريم، أنبأنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ قال: أبو بكر وعمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[١].

وكذا رواه الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال: نزلت في أبي بكر وعمر وكانا حواريي رسول الله ﷺ ووزيريه وأبوي المسلمين. وقد روى الإمام أحمد: حدثنا وكيع، حدثنا عبد الحميد، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمٰن بن غنم؛ أن رسول الله ﷺ قال لأبي بكر وعمر: «**لَوِ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ مَا خَالَفْتُكُمَا**»[٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: في الأمور المشتبهة التي ليس فيها نص، وهذا السند فيه ضعف؛ لأن شهرًا فيه كلام إذا انفرد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا الحديث الذي رواه الحاكم سنده جيد، من سعيد بن أبي مريم وما بعده على شرط الشيخين، لكن شيخ المؤلف الحاكم وشيخ شيخه محل نظر..

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٣/ ٧٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٢٧).

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروى ابن مردويه، عن علي بن أبي طالب قال: سئل رسول الله ﷺ عن العزم؟ قال: «**مشاورة أهل الرأي، ثم اتباعهم**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال: هم أبو بكر، يعني: يشاوروا، هم أخص الناس أخص المشاورين وأفضل المشاورين. وليس المراد تخصيصهما، لو صح الحديث المراد، يعني: أنهم أولى الناس بالمشاورة..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يحيى بن بكير، عن سفيان، عن عبد الملك بن عمير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**»[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا سند عظيم جيد. رحمهم الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ورواه أبو داود والترمذي وحسنه، والنسائي من حديث عبد الملك بأبسط من هذا، ثم قال ابن ماجه: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أسود بن عامر، عن شريك، عن الأعمش، عن أبي عمرو الشيباني، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**» تفرد به. وقال أيضًا: حدثنا أبو بكر، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة وعلي بن هاشم، عن ابن أبي ليلى عن أبي الزبير عن جابر قال: قال

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في المشورة برقم (٥١٢٨)، والترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في معيشة أصحاب النبي ﷺ برقم (٢٣٦٩)، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب المستشار مؤتمن برقم (٣٧٤٥)، والإمام أحمد (٥/ ٢٧٤).

رسول الله ﷺ: «**إِذَا اسْتَشَارَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُشِرْ عَلَيْهِ**»(١). تفرد به أيضًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذه المشورة أيضًا جعلها الله من صفات المؤمنين ومن خصالهم الحميدة، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى: ٣٨]، فهو من صفات أهل الإيمان؛ لأن العقل الواحد قد يخطئ كثيرًا، فإذا ضُمَّت إليه عقول من أهل التجارب والإيمان والبصائر صار ذلك أقرب إلى الحق؛ ولهذا شرع الله لولاة الأمور من الملوك والأمراء وكل من يلي أمور الناس أن يشاور في الأمور التي قد تشتبه وقد يخفى أمرها. أما ما فيه النص وما حكم به النص فليس فيه المشاورة، فليس هناك مشاورة في إقامة الحد على من يجب عليه الحد، ولا في من يجب عليه القصاص، ولا في أداء الفرائض، ولا في ترك المحارم، وإنما المشاورات في أمور قد يخفى أمرها.. قد تخفى عاقبتها، أو يساء تطبيقها، أو ما أشبه ذلك من الأمور التي قد يخفى بعض شأنها، فتكون فيها المشاورة حتى يجتمع الرأي على ما هو الأولى والأفضل والأحسن والأصلح، كما يصير في وقت الحرب، وقت القتال أول النهار أو آخر النهار أو في الليل أو في النهار، وكالتشاور في الأمور التي ليس فيها نص، فيها اشتباه وليس فيها نص من القرآن ولا من السُّنَّة واضح فيشاور أهل العلم، يشاور ولي الأمر أهل العلم وأهل البصائر والتجارب في هذه الأشياء التي اشتبه أمرها.

وهذا الذي وقع من النبي ﷺ من هذا الجزء، فإن التشاور يوم الأحزاب؛ لأن الكفار حاصروا المدينة، وضيَّقوا على المدينة يوم الأحزاب، وكانوا عشرة آلاف مقاتل والمسلمون أقل منهم، وتحصَّنوا في

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الأدب برقم (٣٧٤٦).

الخندق، وكان مكيدة عظيمة نفع الله بها المسلمين فخاف النبي ﷺ أن يكون هذا فيه مشقة على الناس ولا سيما الأنصار وهم أهل البلد، فشاورهم أن يرد هؤلاء عنهم بشيء من المال إلى وقت آخر يفتح الله على المسلمين بقوة أكثر فأبى السعدان: سعد بن معاذ وسعد بن عبادة وهما رؤساء الأنصار، وهم ما كانوا يطمعون في تمرة من تمرها قبل هذا إلا عن ضيافة أو بالثمن فكيف نعطيهم أموالنا؟ ليس لهم منا إلا السيف، فصبروا ففتح الله عليهم، وأذل المشركين وسلط عليهم الريح العظيمة وجنودًا من عنده حتى رجعوا عن آخرهم خاسئين لم ينالوا خيرًا، وكفى الله المؤمنين القتال، وسلط الله عليهم الريح حتى قلعت خيامهم وأكفأت قدورهم وأدخلت... في أنفسهم، حتى انصرفوا راجعين إلى مكة، والمسلمون في غاية من السلامة والعافية. ثم لم يغزو بعد هذا، أذلهم الله فلم يغزو المدينة بعد ذلك؛ بل غزاهم النبي بعد هذا عليه الصلاة والسلام عام الحديبية؛ لقصد العمرة فلم يقدر ذلك وتم الصلح، ثم غزاهم النبي ﷺ عام الفتح سنة ثمان ففتح الله عليهم مكة ودخل أهل مكة في دين الله أفواجًا، وتبعهم الناس فدخلوا في دين الله أفواجًا وانتهت الحروب بينه وبينهم. ولله الحمد والمنة. نعم.

الحكم على حديث: «بعثت لمداراة الناس»:

مداخلة: شيخ! الحديث المتقدم قال فيه: غريب، ما المراد؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: ما المراد بالغريب في الحديث المتقدم؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

كأنه ليس له طرق، يعني: متن فيه غرابة: «**بعثت لمداراة الناس**»، ليس له شواهد.

مداخلة: ما يكون ضعيف يا شيخ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، قد يكون ضعيف بعد النظر في سنده، ليس كل غريب ضعيف، قد يكون غريبًا وهو صحيح مثل حديث: «**إنما الأعمال بالنيات**»، غريب وهو صحيح. حديث: «**نهى عن بيع الولاء هبته**»، غريب وهو صحيح.

مداخلة: سند الحديث المرفوع؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تأملت يحتاج إلى تأمل.

مداخلة: أبو إسماعيل الترمذي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا صاحب النوادر، ويسمى الحكيم.

مداخلة: الحديث الذي رواه الإمام أحمد في... رواه ابن ماجه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تأملته.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾؛ أي: إذا شاورتهم في الأمر، وعزمت عليه فتوكل على الله فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾. وقوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾﴾: وهذه الآية كما تقدم من قوله: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ثم أمرهم بالتوكل عليه، فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وفي هذه الآية الكريمة الدلالة على أن النصر من عنده سبحانه، وأن الخلائق لو اجتمعوا على أن ينصروا أحدًا والله خاذله لن ينصروه، ولو اجتمعوا على أن ينصروه والله خاذله لن ينصروه، ولو اجتمعوا على أن يخذلوه والله ناصره كذلك.

المقصود: أنه ﷻ هو الناصر لعباده المؤمنين، وهو الخاذل لأعدائه، ولهذا قال ﷻ: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾. والمعنى: الحث على التوكل عليه والاستقامة على أمره، والأخذ بالأسباب التي شرع، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].. ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، يكرر ﷻ أن النصر بيده سبحانه وتعالى حتى تعلق القلوب به ﷻ، وحتى تطمئن إليه وتتوكل عليه وتعتمد عليه، وتأخذ بالأسباب التي شرعها سبحانه وتعالى، وحتى تقطع التعلق بغيره كائنًا من كان، ولهذا قال هنا: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾؛ أي: فتوكلوا عليه وعظموه واستنصروا به وخذوا بما شرع، واستقيموا على ذلك فهذا هو طريق النصر: ﴿وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ﴾، لو اجتمع الناس على نصركم والله خاذلكم لن ينصروكم. وبهذا تطمئن قلوب المؤمنين وتنصرف إلى ما شرع، وتبتعد عما يغضبه سبحانه وتعالى، وتعلم أن كل الأمور بيده ﷻ، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه سبحانه وتعالى. نعم. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد: ما ينبغي لنبي أن يخون. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا المسيب بن واضح، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سفيان بن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: فقدوا قطيفة يوم بدر، فقالوا: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ﴾؛ أي: يخون.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، حدثنا عبد الرحمٰن بن زياد، حدثنا خصيف، حدثنا مقسم، حدثني ابن عباس؛ أن هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل الرسول ﷺ أخذها فأكثروا في ذلك، فأنزل الله: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾. وكذا رواه أبو داود والترمذي جميعًا عن قتيبة عن عبد الرحمٰن بن زياد به. وقال الترمذي: حسن غريب(١)، ورواه بعضهم عن خصيف عن مقسم، يعني: مرسلًا.

ورواه ابن مردويه من طريق أبي عمرو بن العلاء عن مجاهد، عن ابن عباس قال: (اتهم المنافقون رسول الله ﷺ بشيء فُقِد، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾. وروي من غير وجه عن ابن عباس نحو ما تقدم. وهذا تنزيه له صلوات الله وسلامه عليه من جميع وجوه الخيانة في أداء الأمانة، وقسم الغنيمة وغير ذلك.

وقال العوفي عن ابن عباس: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾؛ أي: بأن يقسم لبعض السرايا ويترك بعضًا وكذا قال الضحاك. وقال محمد بن إسحاق ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ﴾ بأن يترك بعض ما أنزل إليه فلا يبلغه أمته، وقرأ الحسن البصري وطاوس ومجاهد والضحاك: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يُغَلَّ﴾ بضم الياء؛ أي: يُخان، وقال قتادة والربيع بن أنس: نزلت هذه الآية يوم بدر، وقد غل بعض أصحابه.

ورواه ابن جرير عنهما، ثم حكى بعضهم أنه فسر هذه القراءة، بمعنى: أن يتهم بالخيانة. ثم قال تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الحروف والقراءات، باب أول كتاب الحروف برقم (٣٩٧١)، والترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة آل عمران برقم (٣٠٠٩) وقال: حسن غريب.

ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد، وقد وردت السُّنَّة بالنهي عن ذلك أيضًا في أحاديث متعددة.

قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الملك، حدثنا زهير ـ يعني: ابن محمد ـ عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن عطاء بن يسار، عن أبي مالك الأشجعي، عن النبي ﷺ قال: **«أَعْظَمُ الْغُلُولِ عِنْدَ اللهِ ذِرَاعٌ مِنَ الأَرْضِ تَجِدُونَ الرَّجُلَيْنِ جَارَيْنِ فِي الأَرْضِ أَوْ فِي الدَّارِ فَيَقْتَطِعُ أَحَدُهُمَا مِنْ حَظِّ صَاحِبِهِ ذِرَاعًا فَإِذَا اقْتَطَعَهُ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»**[1].

وفي الصحيحين عن سعيد بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ»**[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى على القراءة ﴿يَغُلَّ﴾ وهي المشهورة والمعروفة أنه ما كان ينبغي له، ولا يصلح منه أن يغل شيئًا أُمر بعدم أخذه أو نُهي عن أخذه، وإنما يأخذ ما شرع الله له أخذه من الغنائم، ومن غير الغنائم ما شرع الله له أن يأخذه ويتصرف فيه فإنه يأخذه ويتصرف فيه، وما لا فلا، فهو أبعد الناس عن كل خُلق ذميم من غلول وغير غلول، فهو أسبق الناس إلى كل خير وأقربهم بكل حق، وأبعدهم عن كل خُلق لا يليق، والغلول من الأخلاق الذميمة: وهي الأخذ من الغنائم أو من الزكوات أو من بيت

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٠٢).

(٢) متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها. أخرجه البخاري في كتاب النظالم، باب إثم من ظلم شيئًا من الأرض برقم (٢٤٥٣)، ومسلم في كتاب المساقات، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها برقم (١٦١٢).

المال بغير حق على سبيل الاختلاس والخيانة، فنزه نبيّه ﷺ أن يتولى شيئًا من ذلك، وأن يفعل شيئًا من ذلك، وإنما يأخذ ما أباح الله له، وما شرع له عليه الصلاة والسلام ويدع ما سوى ذلك، ولهذا كان يحذر من الغلول، ويأمر من تولى شيئًا من أمور المسلمين أن يأتي بكل شيء بقليله وكثيره، وألا يغل منه شيئًا.. اللَّهُمَّ صل عليه..

حال محمد بن إسحاق ورتبته في التفسير:

مداخلة: محمد بن إسحاق...

الشيخ: محمد. نعم له عناية بالتفسير؛ ولهذا إذا نقل شيئًا من أخبار المغازي اعتنى بهذا تفسير هذا الكلام يعني، من الأئمة الكبار العلماء الأخيار رحمهم الله.

مداخلة: الخُمس؟

الشيخ: والخُمس هذا للمسلمين.

مداخلة: الخُمس المقصود أنه ما يؤخذ منه الغلول؟

الشيخ: الذي لم يشرع الله له أَخْذَه اللَّهُمَّ صل عليه.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا موسى بن داود، حدثنا ابن لهيعة، عن ابن هبيرة والحارث بن يزيد، عن عبد الرحمٰن بن جبير قال: سمعت المستورد بن شداد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ وَلِيَ لَنَا عَمَلًا وَلَيسَ لَهُ مَنْزِلٌ فَلْيَتَّخِذْ مَنْزِلًا، أَوْ لَيْسَتْ لَهُ زَوْجَةٌ فَلْيَتَزَوَّجْ، أَوْ لَيسَ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَتَّخِذْ خَادِمًا، أَوْ لَيْسَتْ لَهُ دَابَّةٌ فَلْيَتَّخِذْ دَابَّةً، وَمَنْ أَصَابَ شَيْئًا سِوَى ذَلِك فَهُوَ غَالٌّ**»(١). هكذا رواه الإمام أحمد.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢٢٩).

وقد رواه أبو داود بسند آخر وسياق آخر فقال: حدثنا موسى بن مروان الرقي، حدثنا المُعافى، حدثنا الأوزاعي، عن الحارث بن يزيد، عن جبير بن نفير، عن المستورد بن شداد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَنْ كَانَ لَنَا عَامِلًا فَلْيَكْتَسِبْ زَوْجَةً، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ خَادِمٌ فَلْيَكْتَسِبْ خَادِمًا، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَسْكَنٌ فَلْيَكْتَسِبْ مَسْكَنًا**»، قَالَ: قَالَ أَبُو بَكْرٍ أُخْبِرْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اتَّخَذَ غَيْرَ ذَلِكَ فَهُوَ غَالٌّ أَوْ سَارِقٌ**»[(١)].

قال شيخنا الحافظ المزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رواه أبو جعفر محمد الفريابي عن موسى بن مروان فقال: عن عبد الرحمٰن بن جبير بدل جبير بن نفير وهو أشبه بالصواب.

حديث آخر: قال ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا حفص بن بشر، حدثنا يعقوب القمي، حدثنا حفص بن حميد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء، ينادي: يا محمد! يا محمد! فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك، ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملًا له رُغاء، يقول: يا محمد! يا محمد! فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك، ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قسمًا من أدم، ينادي: يا محمد! يا محمد! فأقول: لا أملك لك من الله شيئًا قد بلغتك**» لم يروه أحد من أهل الكتب الستة.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لا أعرفن) نعم يحذر، نهي.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(لا أعرفن)

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج، باب في أرزاق العمال برقم (٢٩٤٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

في اللفظ الآخر: (لا ألفين).. الله المستعان.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قسمًا كذا عندك، قسمًا؟

مداخلة: نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لكن أصله في الصحيح من غير هذا الوجه نعم، بلفظ: «**لا أُلفِيَنَّ أحدًا منكم يحمل يوم القيامة شاة لها ثغاء، جملًا له رغاء، ورقاع تخفق، شيء صامت.. فيقول: يا محمد! يا محمد! فأقول: قد بلغتك لا أملك لك من الله شيئًا**».

والمقصود: التحذير من الغلول، وأن الغال يأتي بما غل يوم القيامة، ولو كان حيوانًا نسأل الله السلامة، وتقدم في الأرضين في الصحيحين من حديث عائشة وسعيد بن زيد وغيرهما: «**مَنْ ظَلَمَ قِيدَ شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ طُوِّقَهُ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ**». فالغلول والخيانة من الظلم وعواقبها وخيمة نسأل الله العافية.

مداخلة: عفا الله عنك ظاهر الحديث السابق الإذن في اتخاذ المسكن والخادم والزوجة..؟

الشيخ: نعم.

مداخلة: ......

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

من دخل بيت المال، من دخل الذي يتولاه هو؛ لأن هذا يعينه على المهمة.

مداخلة: أو من المرتب الذي يعطاه؟

الشيخ: المرتب ما فيش فيه كلام؛ لأنه من بيت المال المسلمين الذي تحت يده يعني.

مداخلة: بدون إذن يعني؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم. أما الزيادة إذا احتاج إلى زيادة هذا إلى ولي الأمر نعم يستأذنه. نعم.

مداخلة: هذا عفا الله عنك! أقول.. يعني ما ينضبط..

الشيخ: نعم.

مداخلة: ما ينضبط هذا الأمر مع قد يتوسع الناس في مثل هذا.

الشيخ: على كل حال هذا يرجع إلى الأمانة؛ أمانة الرجل ودينه وحالة عمله، هذا كله بعد العناية بالسند وسلامته من العلل نعم نعم، وظاهر الثاني يجبر الأول لأن فيه ابن لهيعة، وعلى كل يحتاج إلى جمع طرقه والنظر فيه.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن الزهري سمع عروة يقول: أخبرنا أبو حميد الساعدي قال: اسْتَعْمَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَزْدِ عَلَى صَدَقَاتِ بَنِي سُلَيْم يُدْعَى ابْنَ الأُتْبِيَّةِ فَلَمَّا جَاءَ حَاسَبَهُ قَالَ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ حَتَّى تَأْتِيَكَ هَدِيَّتُكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا**». ثُمَّ خَطَبَنَا فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَى الْعَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا مَالُكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيَتْ لِي. أَفَلَا جَلَسَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ حَتَّى تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا، وَاللَّهِ لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْهَا شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللهَ تَعَالَى يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فَلأَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا لَهُ رُغَاءٌ أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ أَوْ شَاةً تَيْعِرُ**» ثُمَّ رَفَع

يَدَيْهِ حَتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ ثُمَّ قَالَ: **«اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ»**. بَصُرَ عَيْنِي وَسَمِعَ أُذُنِي. واسألوا زيد بن ثابت. أخرجاه من حديث سفيان بن عيينة، وعند البخاري: وسألوا زيد بن ثابت، ومن غير وجه عن الزهري، ومن طرق عن هشام بن عروة كلاهما عن عروة(١).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن يحيى بن سعيد، عن عروة بن الزبير، عن أبي حميد أن رسول الله ﷺ قال: **«هَدَايَا الْعُمَّالِ غُلُولٌ»**(٢).. وهذا الحديث من أفراد أحمد وهو ضعيف الإسناد، وكأنه مختصر من الذي قبله. والله أعلم.

حديث آخر: قال أبو عيسى الترمذي في كتاب الأحكام: حدثنا أبو كريب، حدثنا أبو أسامة، عن داود بن يزيد الأودي، عن المغيرة بن شبل، عن قيس بن أبي حازم، عن معاذ بن جبل قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فلما سرت أرسل في أثري فرُدِدت، فقال: **«أَتَدْرِي لِمَ بَعَثْتُ إِلَيْكَ: لَا تُصِيبَنَّ شَيْئًا بِغَيْرِ إِذْنِي فَإِنَّهُ غُلُولٌ لِهَذَا دَعَوْتُكَ فَامْضِ لِعَمَلِكَ»** ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

وفي الباب عن عدي بن عميرة وبريدة والمستورد بن شداد وأبي حميد وابن عمر(٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن علية، حدثنا

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الهبة، باب من لم يقبل الهدية برقم (٢٥٩٧)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال برقم (١٨٣٢).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٢٤)، وضعفه الحافظ ابن كثير وابن حجر «الفتح» (٥/ ٢٢١).
(٣) أخرجه الترمذي في كتاب الأحكام، باب ما جاء في هدايا الأمراء برقم (١٣٣٥).

أبو حيان يحيى بن سعيد التيمي عن أبي زرعة عن ابن عمر وابن جرير، عن أبي هريرة: قام فينا رسول الله ﷺ يومًا، فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «**لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي. فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ. لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا قَدْ أَبْلَغْتُكَ**» أخرجاه من حديث أبي حيان به(١).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن سعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، حدثني قيس، عن عدي بن عميرة الكندي قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أيها الناس! من عمل لنا منكم عملًا فكتمنا منه مخيطًا فما فوقه فهو غل يأتي به يوم القيامة**»، قال: فقام رجل من الأنصار أسود ـ قال مجاهد: هو سعد بن عبادة كأني أنظر إليه ـ فقال: يا رسول الله! اقبل مني عملك، قال: «**وما ذاك؟**» قال: سمعتك تقول كذا وكذا، قال: «**وأنا أقول ذلك الآن، من استعملناه على عمل فليجئ بقليله وكثيره، فما أوتي منه أخذه وما نهي عنه انتهى**»(٢)، وكذا رواه

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٢٦).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٩٢).

مسلم، وأبو داود من طرق عن إسماعيل بن أبي خالد به[١].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو معاوية، حدثنا أبو إسحاق الفَزَاري، عن ابن جُرَيج، حدثني منبوذ، رجل من آل أبي رافع، عن الفضل بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبي رافع قال: كان رسول الله ﷺ إذا صلّى العصر رُبَّما ذهب إلى بني عبد الأشهل فيتحدث معهم حتى ينحدر المغرب، قال أبو رافع: فبينا رسولُ الله ﷺ مسرعًا إلى المغرب إذ مر بالبقيع فقال: «**أُفٍّ لَكَ أُفٍّ لَكَ**». مَرَّتَيْنِ فَكَبُرَ فِي ذَرْعِي وَتَأَخَّرْتُ وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يُرِيدُنِي فَقَالَ: «**مَا لَكَ امْشِ**». قَالَ: قُلْتُ: أَحْدَثْتُ حَدَثًا يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**وَمَا ذَاكَ**». قُلْتُ: أَفَّفْتَ بِي. قَالَ: «**لَا وَلَكِنَّ هَذَا قَبْرُ فُلَانٍ بَعَثْتُهُ سَاعِيًا عَلَى بَنِي فُلَانٍ فَغَلَّ نَمِرَةً فَدُرِّعَ الآنَ مِثْلَهَا مِنْ نَارٍ**»[٢].

حديث آخر: قال عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثنا عبد الله بن سالم الكوفي المفلوج وكان بمكة، حدثنا عُبَيْدة بن الأسود، عن القاسم بن الوليد، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ناجد، عن عبادة بن الصامت، أن النبي ﷺ كَانَ يَأْخُذُ الْوَبَرَةَ مِنْ جَنْبِ الْبَعِيرِ مِنَ الْمَغْنَمِ فَيَقُولُ: «**مَا لِي فِيهِ إِلَّا مِثْلُ مَا لأَحَدِكُمْ مِنْهُ، إِيَّاكُمْ وَالْغُلُولَ فَإِنَّ الْغُلُولَ خِزْيٌ عَلَى صَاحِبِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَدُّوا الْخَيْطَ وَالْمَخِيطَ وَمَا فَوْقَ ذَلِكَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى الْقَرِيبَ وَالْبَعِيدَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، إِنَّهُ لَيُنَجِّي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ، وَأَقِيمُوا حُدُودَ اللهِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ وَلَا يَأْخُذْكُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ**»[٣]، وقد روى ابنُ ماجه بَعْضَه عن المفلوج، به.

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الامارة، باب تحريم هدايا العمال برقم (١٨٣٣).
(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٩٢).
(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣٣٠).

حديث آخر: عن عَمْرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جدِّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَدُّوا الْخِيَاطَ وَالْمَخِيطَ فَإِنَّ الْغُلُولَ عَارٌ وَنَارٌ وَشَنَارٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

حديث آخر: قال أبو داود: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن مُطَرِّف، عن أبي الجَهْم، عن أبي مسعود الأنصاري قال: بعثني رسول الله ﷺ ساعيًا ثم قال: «**انْطَلِقْ أَبَا مَسْعُودٍ وَلَا أُلْفِيَنَّكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَجِيءُ عَلَى ظَهْرِكَ بَعِيرٌ مِنْ إِبِلِ الصَّدَقَةِ لَهُ رُغَاءٌ قَدْ غَلَلْتَهُ**». قَالَ: إِذًا لَا أَنْطَلِقُ. قَالَ: «**إِذًا لَا أُكْرِهُكَ**». تفرد به أبو داود(٢).

حديث آخر: قال أبو بكر بن مَرْدُويَه: أنبأنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، أنبأنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، أنبأنا عبد الحميد بن صالح، أنبأنا أحمد بن أبان، عن علقمة بن مَرْثَد، عن ابن بُرَيدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْحَجَرَ لَيُرْمَى بِهِ فِي جَهَنَّمَ فَيَهْوِي سَبْعِينَ خَرِيفًا مَا يَبْلُغُ قَعْرَهَا، وَيُؤْتَى بِالْغُلُولِ فَيُقْذَفُ مَعَهُ، ثم يُقَالُ لَمَنْ غَلَّ ائْتِ بِهِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ**: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾»(٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا عِكْرِمة بن عمار، حدثني سماك الحَنفي أبو زُميل، حدثني عبد الله بن عباس، حدثني عُمَر بن الخطاب قال: لما كان يومُ خَيْبَر أقبل نَفَر من أصحاب النبي ﷺ فقالوا: فلان شهيد، وفلان شهيد. حتى أَتَوْا على رجل فقالوا: فلان شهيد؟ فقال رسول الله ﷺ: «**كَلَّا إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَوْ عَبَاءَةٍ**». ثم قال رسول الله ﷺ: «**يَا ابْنَ الْخَطَّابِ**

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث عبادة بن الصامت في كتاب الجهاد، باب الغلول برقم (٢٨٥٠)، والإمام أحمد (٥/ ٣١٦، ٣٢٦، ٣٣٠).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الخراج، باب في غلول الصدقة برقم (٢٩٤٧).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٧٤).

اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ»[(١)]، وكذا رواه مسلم، والترمذي من حديث عكرمة بن عمار به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

حديث آخر: قال ابن جرير: حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن سعيد، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ بعث سعد بن عُبَادة مُصدقًا، فقالَ: «**إِيَّاكَ يَا سَعْدُ أَنْ تَجِيء يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِبَعِيرٍ تَحْمِلُهُ لَهُ رُغَاءٌ**»، قَالَ: لا آخذه ولا أجيء به. فأعفاه. ثم رواه من طريق عُبَيد الله عن نافع، به، نحوه[(٢)].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا أبو سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد، حدثنا صالح بن محمد بن زائدة، عن سالم بن عبد الله، أنه كان مع مَسْلَمة بن عبد الملك في أرض الروم، فوُجِد في متاع رجل غُلُول. قال: فسأل سالمَ بْنَ عبد الله فقال: حدثني أبي عبدُ الله، عن عمر بن الخطاب ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ وَجَدْتُمْ فِي مَتَاعِهِ غُلُولًا فَأَحْرِقُوهُ**». قَالَ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «**وَاضْرِبُوهُ**». قَالَ: فَأَخْرَجَ مَتَاعَهُ فِي السُّوقِ قَالَ: فَوَجَدَ فِيهِ مُصْحَفًا فَسَأَلَ سَالِمًا، فَقَالَ: بِعْهُ وَتَصَدَّقْ بِثَمَنِهِ[(٣)]. وهكذا رواه علي بن المديني، وأبو داود، والترمذي من حديث عبد العزيز بن محمد الأَنْدَرَاوَرْدي ـ زاد أبو داود: وأبو إسحاق

---

(١) أخرجه مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم الغلول وأنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون برقم (١١٤).

(٢) أخرجه الطبري بسنده ولفظه، وصححه أحمد شاكر رقم (٨١٦٣)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي في المستدرك (١/ ٣٩٩).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في عقوبة الغال برقم (٢٧١٣)، والإمام أحمد (١/ ٢٢)، والترمذي في كتاب الحدود، باب ما جاء في الغال برقم (١٤٦١) وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

الفزاري ـ كلاهما عن أبي واقد الليثي الصغير صالح بن محمد بن زائدة، به.

وقد قال علي بن المديني رَحِمَهُ اللَّهُ، والبخاري وغيرهما: هذا حديث منكر من رواية أبي واقد هذا. وقال الدارقطني: الصحيح أنه من فتوى سالم فقط، وقد ذهب إلى القول بمقتضى هذا الحديث الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، ومن تابعه من أصحابه، وخالفه أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، والجمهور، فقالوا: لا يحرق متاع الغالّ؛ بل يعزَّر تعزيرَ مثلِه. وقال البخاري: وقد امتنع رسولُ الله ﷺ من الصلاة على الغال، ولم يحرق متاعه، والله أعلم.

طريق أخرى عن عمر: قال ابن جرير: حدثنا أحمد بن عبد الرحمٰن بن وهب، حدثنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث: أن موسى بن جُبَير حدثه: أن عبد الله بن عبد الرحمٰن بن الحباب الأنصاري حدثه: أن عبد الله بن أنيس حدثه: أنه تذاكر هو وعمر بن الخطاب يومًا الصدقة فقال: ألم تسمع رسول الله ﷺ حين ذكر غلول الصدقة: «**مَنْ غَلَّ مِنْهَا بَعِيرًا أَوْ شَاةً، فإِنَّهُ يَحْمِلُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»؟ قال عبد الله بن أنيس: بلى. ورواه ابن ماجه، عن عمرو بن سَوّاد، عن عبد الله بن وهب، به[1]، ورواه الأموي عن معاوية، عن أبي إسحاق، عن يونس بن عبيد، عن الحسن قال: عقوبة الغال أن يُخرج رحله ويُحرق على ما فيه.

ثم روي عن معاوية، عن أبي إسحاق، عن عثمان بن عطاء، عن أبيه، عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: الغال يُجمع رحله فيُحرق ويُجلد دون حد المملوك، ويُحرم نصيبه، وخالفه أبو حنيفة ومالك والشافعي والجمهور

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزكاة، باب ما جاء في عمال الصدقة برقم (١٨١٠).

فقالوا: لا يحرق متاع الغال؛ بل يعزَّر تعزير مثله، وقد قال البخاري: وقد امتنع رسول الله ﷺ من الصلاة على الغال ولم يحرق متاعه، والله أعلم.

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسود بن عامر، أنبأنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن خُمَيْر بن مالك قال: أُمر بالمصاحف أن تُغَيَّرَ قال: فقال ابن مسعود: من استطاع منكم أن يَغُلَّ مصحفًا فلْيغُلَّه، فإنه من غَلَّ شيئًا جاء به يوم القيامة، ثم قال: قرأت من فم رسول الله ﷺ سبعين سورة، أفأترك ما أخذتُ من في رسول الله ﷺ[(١)]، وروى وَكِيع في تفسيره عن شريك، عن إبراهيم بن مهاجر، عن إبراهيم، قال: لما أمر بتحريق المصاحف قال عبد الله: يا أيها الناس، غُلُّوا المصاحف، فإنه من غَلّ يأت بما غَلّ يوم القيامة، ونِعم الغُل المصحف، يأتي به أحدكم يوم القيامة.

وقال أبو داود عن سَمُرَة بن جُنْدُب قال: كان رسول الله ﷺ إذا غنم غنيمة أمر بلالًا فينادي في الناس، فَيَجيئُون بغنائمهم يخمسه ويُقسمه، فجاء رجل يومًا بعد النداء بزمام من شعر فقال: يا رسول الله، هذا كان مما أصبنا من الغنيمة. فقال: «**أَسَمِعْتَ بِلالًا يُنَادِي ثلاثًا؟**»، قال: نعم. قال: «**فَمَا مَنَعَكَ أنْ تَجِيء بِهِ؟**» فاعتذر إليه، فقال: «**كَلا أَنْتَ تَجِيءُ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَنْ أَقْبَلَهُ مِنْكَ**»[(٢)].

وقوله: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾﴾؛ أي: لا يستوي من اتبع رضوان الله فيما شرعه، فاستحق رضوان الله وجزيل ثوابه وأُجِير من وَبِيل عقابه، ومن استحق

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤١٤).
(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الغلول إذا كان يسيرًا الإمام لا يحرق رحله برقم (١٧١٢).

غضب الله وألزم به، فلا محيد له عنه، ومأواه يوم القيامة جهنم وبئس المصير.

وهذه لها نظائر في القرآن كثيرة كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]، وكقوله: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١].

ثم قال: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق: يعني: أهل الخير وأهل الشر درجات، وقال أبو عبيدةَ والكسائي: منازل، يعني: متفاوتون في منازلهم ودرجاتهم في الجنة ودركاتهم في النار، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ الآية [الأنعام: ١٣٢]؛ ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾؛ أي: وسَيُوفيهم إياها، لا يظلمهم خيرًا ولا يزيدهم شرًّا؛ بل يجازي كلًّا بعمله.

وقوله: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾؛ أي: من جنسهم ليتمكنوا من مخاطبته وسؤاله ومجالسته والانتفاع به، كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١]؛ أي: من جنسكم. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]؛ وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، فهذا أبلغ في الامتنان أن يكون الرسل إليهم منهم، بحيث يمكنهم مخاطبته ومراجعته في فَهْم الكلام عنه، ولهذا قال: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾، يعني: القرآن ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾؛ أي: يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر لتزكُوَ نفوسهم وتطهر من الدَّنَسِ والخَبَث الذي كانوا متلبسين به في حال شركهم وجاهليتهم ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾، يعني:

القرآن والسُّنَّة ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾؛ أي: من قبل هذا الرسول ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾؛ أي: لفي غَي وجهل ظاهر جليّ بيِّن لكُل أحد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يدل على عظم شأن الغلول، وأن من وليَ على أمر من الغنيمة أو بيت المال أو الزكاة أو غير ذلك، الواجب أن يأتي بقليله وكثيره، وأن يصون ذلك ويحفظه، فما أعطي من ذلك عن عمله أخذه وما نهي عنه انتهى، ولهذا قال: فليجئ بقليله وكثيره. وفي اللفظ الآخر: فكتم مخيطًا فما فوقه، المخيط: الإبرة المعروفة، كونه يأتي به غلولًا يوم القيامة، فهذا يدل على عظم الأمر، وخطورته، وأن الواجب على الأمين أن يؤدي الأمانة، وأن يحذر الخيانة مهما قلَّت؛ لقوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧]. قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]. قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المؤمنون: ٨]، يعني: يرعونها حتى يؤدوها وحتى يصونوها. قوله سبحانه: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا﴾ الآية [الأحزاب: ٧٢].

فالغلول من هذا الباب، فإذا غل شيئًا من الأمانات التي تحت يديه منها الغنيمة ومنها الفيء ومنها غير ذلك، فإنه يجيء يوم القيامة بما غل، قلَّ أو كثر، سواء كان حيوانًا يحمله، أو نقدًا من الذهب والفضة يحمله، أو عروضًا يحملها يفتضح بها يوم القيامة، يخزى بها يوم القيامة. ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾، يعني: يحملها على رءوس الأشهاد يراه الناس يروه به، وهناك علامة أخرى يوم القيامة للغال والغادر، في الحديث الصحيح: «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ يَوْمَ القيامة**»[1]، يعني: يراه الناس عند مقعدته عند أليته، نسأل الله السلامة.

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إثم الغادر للبر والفاجر =

مداخلة: يا شيخ! عام في الجباة والكل عليه؟

الشيخ: نعم؟

● **س: الحديث عام في الجباة الذين يُبعثون..**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نعم، عام، كل من ولَّاه ولي الأمر على شيء واستعمله على شيء، فعليه أن يأتي بقليله وكثيره، وليس له أن يغل منه شيئًا، فما أعطي من الأجرة والمساعدة أخذ، وما نهي عنه انتهى كما قال النبي ﷺ. من ولي شيئًا فيحق له التصرف فيما وليه.

● **س: إذا خرجت سرية مثلًا للتدريب، ومعهم بعض النفقات وبعض المواد، فيوزعها مثلًا قائد السرية على..**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم؟

مداخلة: أقول: يوزعها قائد السرية على الذين يستحقونها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان فوّض في هذا فعلى ما فوض.

مداخلة: هي من بيت مال المسلمين طبعًا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان مفوض يوزعها عليهم على ما قاله ولي الأمر، يوزعها على من قال ولي الأمر لا يأخذ منها شيء، لا يأخذ منها لنفسه شيء ولا لأصدقائه وأصحابه، يوزعها كما أمر نفقةً لهم أو مساعدةً لهم، أما يأخذها ويغلها ويعطيهم إياه لا.

مداخلة: لا، صفتها بقيت، ما هم مُرجِعينها لبيت المال توزع منها لبعض الأقارب؟

= برقم (٣١٨٧)، ومسلم في كتاب بالجهاد والسير، باب تحريم الغدر برقم (١٧٣٨).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

على حسب العرف الذي عرف بينهم وولي الأمر، إذا كان العرف اللي أمر البقية لهم، وأنه أعطاهم البقية يعطيهم الشيء، ويقال البقية: لكم، لا بأس نعم أما إذا كان يعطونها على أن ينفقوا بالقصد والباقي يردونه يردونه.

* *

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩][(١)].

هذه الآية فيها الحث على الاستخارة والمشاورة في الأمور كلها؛ يعني: التي يكون فيها اشتباه وعدم ظهور المصلحة يستخير ربه ويستشير إخوانه، قد أمر الله نبيه بذلك وقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ ومدح الله المؤمنين وقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]. فالتشاور فيه مصالح عظيمة فينبغي عند اشتباه الأمور التشاور حتى يسلك الطريق الأمثل، وحتى تعرف وجوه الشر ووجوه الخير، وتجتنب وجوه الشر، وتُحصل وجوه الخير.

وفي **حديث جابر** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الاستخارة كان النبيُّ ﷺ **(يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ)**[(٢)]؛ يعني: التي فيها اشتباه عليهم، أما الشيء الذي ليس فيه اشتباه، ما فيه استخارة، لا يستخير أن يصلي أو ما يصلي لا يستخير، هل يصوم رمضان أو لا يصوم

---

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٣/ ٩٧).

(٢) أخرجه البخاري من حديث جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى برقم (١١٦٢)، وفي كتاب الاستخارة، باب الدعاء عند الاستخارة برقم (٦٣٨٢).

رمضان لا يستخير، يؤدي الزكاة أو ما يؤدي الزكاة، هذه أمور مفروغة معلومة إنما الاستخارة في الشيء الذي قد يشتبه أمره أو في وسيلة كالزواج، أو المعاملة مع أحد من الناس، وشراء حاجة فيها خطر أو السفر في أوقات الخوف، وما أشبه ذلك.

فإذا هَمَّ بأمر ودعت الحاجة إلى الاستخارة فيه فإنه يصلي ركعتين من غير الفريضة نافلة ثم بعد ما يصلي، يدعو ربه بهذا الدعاء: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيْمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ**» يسمي هذا الزواج هذا السفر هذه المعاملة وما أشبه ذلك «**خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي**» أَوْ قَالَ: «**عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لِي فِيهِ. وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ** ـ ويسمِّيه بعينه ـ **شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي**» أَوْ قَالَ: «**عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ**؛ شك في الراوي ـ كله حسن ـ **فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي** ـ يعني: من الحاضر والمستقبل ـ **فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ**» قَالَ: «**وَيُسَمِّيْ حَاجَتَهُ**». كان يعلِّم هذا الدعاء كما يعلِّم السُّورَةَ مِنَ القُرْآنِ، وهو دعاء عظيم جامع في أمور الاستخارة قد جمع الخير والسلامة من الشر، ويستحب أن يرفع يديه بهذا الدعاء؛ لأنه دعاء مهم، ورفع اليدين من أسباب الإجابة، كما في الحديث: «**إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا**»[١]. وليكن بقلب حاضر بصدق وطمأنينة وتوفيق، والله ﷻ

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب الدعاء برقم (١٤٨٨) من حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه، والترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله ، باب برقم (٣٥٥٦) وقال: حديث حسن غريب.

قد وعد عباده بالإجابة ادعوني أستجب. ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] إذا دعا العبد ربه بصدق وإخلاص، وإقبال على الله كان هذا من أسباب الإجابة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَٰنِ يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران: ١٦٥ ـ ١٦٨](١).

يقول تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ﴾ وهي ما أصيب منهم يوم أُحد من قتل السبعين منهم ﴿قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا﴾، يعني: يوم بَدْر، فإنهم قتلوا من المشركين سبعين قتيلًا وأسروا سبعين أسيرًا ﴿مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾؛ أي: من أين جرى علينا هذا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾.

قال ابن أبي حاتم: ذكره أبي، أنبأنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا قُراد أبو نوح، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا سِمَاك الحنفي أبو زُميل، حدثني ابن عباس، حدثني عُمَر بن الخطاب قال: لما كان يومُ أُحد من العام المقبل، عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفِدَاء، فقتل منهم سبعون وفَرَّ أصحاب رسول الله ﷺ عنه، وكُسرت رَبَاعِيتُه وهُشمَت البَيْضَة على رأسه، وسال الدم على وجهه، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ بأخذكم الفداء.

وهكذا رواه الإمام أحمد عن عبد الرحمٰن بن غَزْوان، وهو قُرَاد أبو نوح، بإسناده ولكن بأطول منه، وكذا قال الحسن البصري.

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا الحسين، حدثنا إسماعيل بن عُلَيَّة، عن ابن عوْن، عن محمد، عن عَبيدة ح قال سُنَيد ـ وهو حسين ـ: وحدثني حجاج عن جَرير، عن محمد، عن عَبيدة، عن علي ﷺ، قال: جاء جبريل ﵇، إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، إن الله قد كَرِه ما صنع قومُك في أخذهم الأسارى، وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين، إما أن يُقدموا فتضرب أعناقهم، وبين أن يأخذوا الفداء، على أن يُقْتَل منهم عدّتهم. قال: فدعا رسولُ الله ﷺ الناسَ فذكر ذلك لهم، فقالوا: يا رسول الله، عشائرنا وإخواننا، ألا نأخذ فداءهم فَنتَقوّى به على قتال عدونا، ويستشهد منا عدّتهم، فليس في ذلك ما نكره؟ قال: فقتل منهم يوم أُحد سبعون رجلًا عدة أسارى أهل بدر.

وهكذا رواه الترمذي والنسائي من حديث أبي داود الحَفْري، عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن سفيان بن سعيد، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، به. ثم قال الترمذي: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن أبي زائدة. وروى أبو أسامة عن هشَام نحوه. وروى عن ابن سِيرِين عن عبيدة، عن النبي ﷺ مرسلًا[1].

وقال محمد بن إسحاق، وابن جريج، والربيع بن أنس، والسُّدِّي: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾؛ أي: بسبب عصيانكم رَسُول الله ﷺ حين

(١) أخرجه الترمذي في كتاب السير، باب ما جاء في قتل الأسرى والفداء برقم (١٥٦٧)، والنسائي في الكبرى في كتاب السير، باب قتل الأسرى برقم (٨٦٦٢).

أمركم أن لا تبرحوا من مكانكم فعصيتم، يعني بذلك الرماة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾﴾؛ أي: ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، لا مُعَقبَ لحكمه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن الله جل وعلا قضى وقدَّر أن يصاب منهم هذا العدد؛ بسبب إخلال الرماة بموقفهم، والواجب على الجيش هو الامتثال والطاعة والحذر من المعصية، فلما حصل ما حصل من الخلل بالموقف والفشل والتنازع أصابهم ما أصابهم من دخول جيش الكفار عليهم من ورائهم، وصار الجيش من ورائهم ومن أمامهم واضطرب الناس، واختلط الناس، فحصل ما حصل من الهزيمة وقتل السبعين.

وهذا يبين أن الواجب على المؤمنين وإن كانوا أتقى أهل الأرض أن يأخذوا بالأسباب التي شرعها الله، وأن يحتاطوا ويحذروا النزاع والفشل والمعصية؛ فإن ذلك من أسباب تسليط الأعداء، ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]، المعنى: سُلِّطوا عليكم وجرى ما جرى.

وهنا قال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا﴾؛ أي: من أين أصابنا هذا؟ ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾، يعني: أصابكم بأسباب أعمالكم التي فعلتم، يعني: فعلها منكم العصاة، الذين لم يثبتوا في مكانهم الذي أُمروا به وتنازعوا، حصل ما حصل؛ بأسبابهم وتخلفهم عن موقفهم. نعم. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: فراركم بين يدي عدوكم وقتلهم لجماعة منكم وجراحتهم لآخرين، كان بقضاء الله وقدره، وله الحكمة في ذلك. وقوله: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾﴾؛

أي: الذين صبروا وثبتوا ولم يتزلزلوا ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ قَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّٱتَّبَعْنَـٰكُمْ ۗ﴾، يعني بذلك: أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول الذين رجعوا معه في أثناء الطريق، فاتبعهم من اتبعهم من المؤمنين يحرضونهم على الإياب والقتال والمساعدة؛ ولهذا قال: ﴿أَوِ ٱدْفَعُوا۟ ۖ﴾ قال ابن عباس، وعكرمة، وسعيد بن جُبَير، والضحاك، وأبو صالح، والحسن، والسُّدِّي: يعني كَثروا سواد المسلمين. وقال الحسن بن صالح: ادفعوا بالدعاء. وقال غيره: رابطوا. فتعلَّلوا قائلين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۗ﴾ قال مجاهد: يعنون لو نعلم أنكم تلقون حربًا لجئناكم، ولكن لا تلقون قتالًا.

قال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، ومحمد بن يحيى بن حبان، وعاصم بن عمر بن قتادة، والحصين بن عبد الرحمٰن بن عمرو بن سعد بن معاذ، وغيرهم من علمائنا، كُلهم قد حدَّث قال: خَرَجَ رسول الله ﷺ، يعني: حين خرج إلى أُحد في ألف رجل من أصحابه، حتى إذا كان بالشَّوط ـ بين أُحد والمدينة ـ انحاز عنه عبد الله بن أُبي ابن سلول بثلث الناس، وقال: أطاعهم فخرج وعصاني، ووالله ما ندري علام نقتُل أنفسنا هاهنا أيها الناس، فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه أهل النفاق وأهل الريب، واتبعهم عبد الله بن عَمرو بن حرام أخو بني سَلمة، يقول: يا قوم، أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوكم، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال. فلما استعصوا عليه وأبَوْا إلا الانصراف عنهم، قال: «**أبعدكم الله أعداء الله**»، فسيُغْني الله عنكم. ومضى رسول الله ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَـٰنِ ۚ﴾ استدلوا به على أن الشخص قد تتقلب به الأحوال، فيكون في حال أقرب إلى الكفر، وفي حال أقرب إلى الإيمان؛ لقوله: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ

مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِۚ﴾، ثم قال: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۗ﴾، يعني: أنهم يقولون القول ولا يعتقدون صحته، ومنه قولهم هذا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْۗ﴾ فإنهم يتحققون أن جندًا من المشركين قد جاؤوا من بلاد بعيدة، يتحرقون على المسلمين بسبب ما أصيب من سراتهم يوم بدر، وهم أضعاف المسلمين، أنه كائن بينهم قتال لا محالة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ۝١٦٧﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أن قولهم: ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْۗ﴾ كلام فاسد باطل، وهم يعرفون أن هناك قتالًا وهؤلاء ما جاؤوا... ليأكلوا ويشربوا، ما جاؤوا معزومين للغداء والعشاء جاؤوا للقتال،... ولكن حملهم النفاق والشك والريب والحقد، نسأل الله العافية. نعم. لأن عبد الله بن أُبي رئيسهم منافق معروف، فحمله نفاقه وخبث طويته على أن دعا قومه للخذلان والتخلف، فافتضحوا وظهر نفاق من طاوعه منهم؛ ولهذا قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٦٦ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُواْۚ﴾، يعني: هذه المصيبة.

وهذه المحنة لها أسباب، ولها حكم وأسرار، من جملتها: الدلالة على أن المعاصي من أسباب الخذلان، ومن أسباب تسليط الأعداء. ومن الحكم: فيها تمييز المؤمنين، وإظهار شرفهم وفضلهم وثباتهم عند القتال وصبرهم، وأن إيمانهم يحملهم على الصبر والثبات عند الزعازع والمحن، وتخلف الكثير عن الأمر العظيم الحاضر. ومنها: إظهار نفاق المنافقين وتمييزهم، وبيان جزعهم وخورهم وضعفهم وعدم صبرهم عند المحن. فله فيها حكم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وله جَلَّ وَعَلَا الحجة البالغة، فصار في هذه المصيبة وهذا القتال فوائد وحكم وأسرار متعددة: منها: أن يعرف الناس أن المعاصي عواقبها وخيمة، وأن شرها عظيم؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا في الآية الأخرى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾

[الشورى: ٣٠]. وقال ﷻ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ﴾ [النساء: ٧٩].

وقال هنا: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ﴾. ثم بيَّن بعد هذا أن هذا عن قضاء وقدر؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، يعني: قد سبق في علم الله، وقد قدَّره الله؛ لِحِكَم وأسرار واقعة معلومة له ﷻ، ظهرت وبانت بوجود هذه المحنة وهذه المصيبة. والعقوبات والمصائب قد تتنوع أسبابها، وتعدد أسرارها وحكمها، يعرفها أهل الإيمان والبصائر، ويأخذوا منها العبرة والعظة.

ومن فوائدها أيضًا: أن يعلم المؤمنون أن النصر ليس بالكثرة ولا بالسلاح، ولا بمجرد الإيمان بغير عمل؛ بل لا بد من الأخذ بالأسباب؛ لأن الله قال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١]. فلا بد من الأخذ بالأسباب، ولا يكفي أن يكون مؤمنًا وخصمه كافرًا، لا يكفي؛ بل لا بد من أخذ الأهبة والحيطة والعدة، وأخذ الحذر عند مقابلة الأعداء، ولو كان أحد ينصر بمجرد إيمانه وبمجرد تقواه لله من غير أخذ بالأسباب، ومن غير ترك لما يوجب الهزائم لكان رسول الله أولى الناس بهذا عليه الصلاة والسلام، ولكان أصحابه أولى الناس بهذا، فهو ﷺ أفضل الخلق، وأفضل الأنبياء، وأصحابه أفضل الناس بعد الأنبياء، وهم أولياء الله، ومع هذا أصابهم ما أصابهم؛ ليعلم الناس أنه لا بد من أخذ الحيطة، ومن العمل بالأسباب التي شرعها الله، ومن إعداد القوة، ومن ترك النزاع والفشل، ومن جمع الكلمة، واتحاد الصف ضد العدو. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾﴾، ثم قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُوا۟ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ۗ﴾؛ أي: لو سمعوا من مشورتنا عليهم في القعود وعدم الخروج ما قُتلوا مع من قُتل. قال الله تعالى: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُوا۟ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾؛ أي: إن كان القُعود يَسْلَم به الشخص من القتل والموت، فينبغي، أنكم لا تموتون، والموت لا بد آت إليكم ولو كنتم في بروج مُشَيّدة، فادفعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين. قال مجاهد، عن جابر بن عبد الله: نزلت هذه الآية في عبد الله بن أُبي ابن سلول وأصحابه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن الخور والضعف والجبن والخوف من الأعداء لا يدفع الموت، الموت مقدر لا بد آت، ولن يدفعه عنك خورك وضعفك وخذلانك أصحابك في مواطن القتال.. القتل في سبيل الله أشرف وأفضل، والموت لا بد منه، فمن تخلف عن القتال؛ لئلا يموت فسوف يموت حتف أنفه بالقدر الذي قدره الله، ولن يفوتَ الله عَجَّلَ هذا الشخص أو هؤلاء الأشخاص الذين تخلفوا؛ ولهذا قال: ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُوا۟ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١٦٨﴾ إن كان الجبن والخور والضعف يدفع الموت فينبغي ألا تموتوا، والأمر ليس كذلك؛ بل ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، ومهما كان الإنسان ذي قوة ومن تحصَّن في بروج مشيدة، أو بحرس شديد، أو بغير هذا فالموت آت عليه، ولن يرده راد.

فينبغي للعاقل أن يموت موتًا شريفًا، وأن يأخذ بأسباب النصر وأسباب القوة، وأن يحقق إيمانه وتقواه لله بالقتال في سبيله، وبالأخذ بالأسباب التي شرعها سبحانه، وبالحزم والقوة والشجاعة والإقدام في مواطنها، هذا هو الذي ينبغي للمؤمن أينما كان، والموت آت، إن كان مقدرًا لك في هذه الغزوة، أو في هذه السرية، أو في هذا اليوم وقع، وإلا تأخر إلى وقته وموعده، فصار لك الشرف والفضل والأجر لما

حضرت من قتال، وبما فعلت من أسباب يرضاها المولى سبحانه وتعالى. والله المستعان.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧٥][(١)].

يخبر تعالى عن الشهداء بأنهم وإن قتلوا في هذه الدار فإن أرواحَهم حية مرزوقة في دار القرار.

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن مرزوق، حدثنا عُمَر بن يونس، عن عِكْرِمة، حدثنا ابن إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك في أصحاب النبي ﷺ الذين أرسلهم نبي الله ﷺ إلى أهل بئر معونة قال: لا أدري أربعين أو سبعين، وعلى ذلك الماء عامر بن الطُّفَيل الجعفري، فخرج أولئك النَّفَر من أصحاب رسول الله ﷺ، حتى أتَوْا غارًا مُشْرِفًا على الماء فقعدوا فيه، ثم قال بعضهم لبعض: أيكم يُبَلِّغ رسَالَة رسول الله ﷺ أهْلَ هذا الماء؟ فقال ـ أرَاه ابن ملْحان الأنصاري ـ: أنا

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

أبلِّغ رسالة رسول الله ﷺ. فخَرَج حتى أتى حيًّا [منهم] فاختبأ أمام البيوت، ثم قال: يا أهل بئر مَعُونة، إني رسولُ رسول الله إليكم، إني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فآمنوا بالله ورسوله.

فخرج إليه رَجُل من كسر البيت برُمْح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر. فقال: الله أكبر، فُزْتُ ورب الكعبة. فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه في الغار فقتلهم أجمعين عامرُ بن الطفيل. وقال إسحاق: حدثني أنس بن مالك: أن الله تعالى أنزل فيهم قرآنًا: بَلِّغُوا عنا قَوْمَنا أنَّا قد لقينا رَبَّنا فَرَضي عَنَّا ورَضينا عَنْه، ثم نُسخت فرفعت بعد ما قرأناه زَمَنًا وأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾.

وقد قال الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري في صحيحه: حدثنا محمد بن عبد الله بن نُمَير، حدثنا أبو معاوية، حدثنا الأعمَشُ، عن عبد الله بن مُرَّةَ، عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، فقال: أما إنَّا قد سألنا عن ذلك فقال: «**أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ اطِّلاعَةً فَقَالَ: هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ فَقَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا**». وقد روي نحوه عن أنس وأبي سعيد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذا من لطف الله جل وعلا ومن إظهاره فضل الشهداء، وقد عوِّضوا

عن أجسامهم أجسام طيور خضر، تحمل أرواحهم وتسرح بها في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة تحت العرش، وأظهر الله هذا؛ ليشتاق المؤمنون إلى الشهادة في سبيل الله، وليعرفوا فضل الشهادة وما لها من العاقبة الحميدة، وهذا شأن الشهداء، أما المؤمنون فإن نفس أرواحهم تكون طيرًا في الجنة تسرح حيث شاءت في الجنة، نفس الروح تكون طيرًا تسرح في الجنة حتى ترد إلى جسدها، كما في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد وغيره عن طريق الشافعي عن مالك عن ابن كعب بن مالك عن أبيه فيه: «أن أرواح المؤمنين طائر يعلق بشجر الجنة، حتى يرده الله إلى جسده»، وهذا أيضًا من نعيم الله المعجل لأرواح المؤمنين.

وقد صح أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما من نفس له خير عند الله يتمنى أن يرجع إلى الدنيا إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرجع إليها فيقتل عشر مرات؛ لما يرى من فضل الشهادة»**(١)، الله أكبر. والنبي ﷺ قال: **«أنه عليه الصلاة والسلام يحب أن يقتل في سبيل الله، ثم يحيا ثم يقتل ثم يحيا ثم يقتل في سبيل الله ﷻ»**. اللَّهُمَّ صل على محمد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثنا حَمَّاد، حدثنا ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: **«مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ، لَهَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا إِلا الشَّهِيدُ فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ»**. انفرد به مسلم من طريق حماد.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا علي بن عبد الله المديني، حدثنا سفيان، عَن محمد بن علي بن رَبيعة السلمي، عن عبد الله بن

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الشهادة في سبيل الله تعالى برقم (١٨٧٧).

محمد بن عقيل، عن جابر قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**أما عَلِمْتَ أَنَّ اللهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَقَالَ لَهُ: تَمَنَّ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ: أُرَدُّ إِلَى الدُّنْيَا، فَأُقْتَلُ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالَ: إِنِّي قَضَيْتُ الْحُكْمَ أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ**». انفرد به أحمد من هذا الوجه وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما أن أبا جابر ـ وهو عبد الله بن عَمْرو بن حَرام الأنصاري ﷺ قتل يوم أُحد شهيدًا.

قال البخاري: وقال أبو الوليد، عن شعبة عن ابن المُنْكَدِر قال: سمعت جابرًا قال: لما قُتِل أبي جعلتُ أبكي وأكشفُ الثوب عن وجهه، فجعل أصحاب رسول الله ﷺ ينْهَوني والنبي ﷺ لم يَنْه، وقال النبي ﷺ: «**لا تَبْكِهِ** ـ أو: **مَا تَبْكِيهِ ـ ما زَالَتِ الْملائِكَةُ تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِها حَتَّى رُفِعَ**». وقد أسنده هو ومسلم والنسائي من طريق آخر عن شعبة عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: لما قتلَ أبي يوم أُحد، جعلت أكشف الثوب عن وجهه وأبكي... وذكر تمامة بنحوه.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثنا إسماعيل بن أمية بن عَمْرو بن سعيد، عن أبي الزبير المكي، عن ابن عباس ﷺ، قال: قال رسول ﷺ: «**لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَشْرَبِهِمْ، وَمَأْكَلِهِمْ، وَحُسْنَ مُنْقَلَبِهِم قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللهُ لَنَا، لِئَلا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَلا يَنْكُلُوا عَنْ الْحَرْبِ، فَقَالَ اللهُ** ﷻ: **أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ**». فَأَنزلَ اللهُ ﷻ هَؤُلاءِ الآيَاتِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ وما بعدها.

هكذا رواه الإمام أحمد، وكذا رواه ابن جرير عن يونس، عن ابن وَهْب، عن إسماعيل بن عَيَّاش، عن محمد بن إسحاق به. ورواه أبو داود والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن إدريس، عن محمد بن إسحاق، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي الزبير، عن سعيد بن جُبَير، عن

ابن عباس فذكره، وهذا أثبت. وكذا رواه سفيان الثوري، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس.

وروى الحاكم في مستدركه من حديث أبي إسحاق الفزاري، عن سفيان عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية في حمزة وأصحابه: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وكذا قال قتادة، والربيع، والضحاك: إنها نزلت في قتلى أُحد.

حديث آخر: قال أبو بكر بن مَرْدُويَه: حدثنا عبد الله بن جعفر، حدثنا هارون بن سليمان، أنبأنا علي بن عبد الله المديني، أنبأنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشير بن الفاكه الأنصاري، سمعت طلحة بن خِرَاش بن عبد الرحمٰن بن خراش بن الصمة الأنصاري، قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: نظر إليّ رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «**يا جابر، مَا لِي أراك مُهْتَمًّا؟**» قال: قلت: يا رسول الله، استشهد أبي وترك دَيْنًا وعيالًا. قال: فقال: «**ألا أُخْبِرُكَ؟ مَا كَلَّمَ اللهُ أَحَدًا قَطُّ إلا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَإِنَّهُ كَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا** ـ قال علي: الكفَاح: المواجهة ـ **فَقَالَ: سَلْنِي أُعْطِكَ. قَالَ: أَسْأَلُكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى الدُّنْيَا فَأُقْتَلَ فِيْكَ ثَانِيَةً. فَقَالَ الرَّبُّ** ﷻ: **إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي القول أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لا يُرْجَعُونَ. قَالَ: أَيْ رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي. فَأَنزلَ اللهُ** ﷻ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾» الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا منافاة فإنها عامة، تعمُّ قتلى أُحد وتعمُّ قتلى بئر معونة، وتعمُّ قتلى ما وقع في الأحزاب، وفتح مكة، وغير ذلك، تعمُّ قتلى المسلمين الشهداء، تعمُّهم الآية حتى إلى زماننا وما بعد زماننا، الله أكبر. نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم رواه من طريق أخرى عن محمد بن سليمان بن سبيط الأنصاري، عن أبيه، عن جابر، به نحوه. وكذا رواه البيهقي في «دلائل النبوة» من طريق علي بن المديني، به وقد رواه البيهقي أيضًا من حديث أبي عبادة الأنصاري، وهو عيسى بن عبد الرحمٰن، إن شاء الله، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي ﷺ لجابر: «**يَا جَابِرُ، ألا أُبَشِّرُكَ؟**» قال: بلى. بشّرك الله بالخير. قال: «**شَعَرْتُ أَنَّ اللهَ أَحْيَا أَبَاكَ فَقَالَ: تَمَنَّ عَلَيَّ عَبْدِي مَا شِئْتَ أُعْطِكَه. قَالَ: يَا رَبِّ، مَا عَبَدْتُكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. أتَمَنَّى عَلَيْكَ أنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا فَأُقَاتِلَ مَعَ نَبِيِّكَ، وأُقْتَلَ فِيْكَ مَرَّةً أُخْرَى. قَالَ: إِنَّهُ سَلَفَ مِنِّي أَنَّهُ إِلَيْهَا لا يرْجعُ**».

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي، عن ابن إسحاق، حدثنا الحارث بن فُضَيْل الأنصاري، عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهَر بِبَابِ الْجَنَّةِ، فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ، يَخْرُجُ عَلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنْ الْجَنَّةِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا**».

تفرد به أحمد، وقد رواه ابن جرير عن أبي كُرَيْب، حدثنا عبد الرحيم بن سليمان، وعَبَدة عن محمد بن إسحاق، به. وهو إسناد جيد.

وكان الشهداء أقسام: منهم من تسرح أرواحهم في الجنة، ومنهم من يكون على هذا النهر بباب الجنة، وقد يحتمل أن يكون منتهى سيرهم إلى هذا النهر فيجتمعون هنالك، ويُغْدَى عليهم برزقهم هناك ويُراح، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

فيه نظر؛ لأن الحديث الصحيح: «**أرواح الشهداء تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم ترجع إلى قناديل من الذهب معلَّقة في العرش**» تعود إليها. وهذا على بارق نهر فيه نظر. انظر التقريب حاضر؟

مداخلة: إي نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد روينا في مسند الإمام أحمد حديثًا فيه البشارة لكل مؤمن بأن روحه تكون في الجنة تسرح أيضًا فيها، وتأكل من ثمارها، وترى ما فيها من النضرة والسرور، وتشاهد ما أعده الله لها من الكرامة، وهو بإسناد صحيح عزيز عظيم، اجتمع فيه ثلاثة من الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتبعة؛ فإن الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، رواه عن الإمام محمد بن إدريس الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، عن مالك بن أنس الأصبحي رَحِمَهُ اللَّهُ، عن الزهري عن عبد الرحمٰن بن كعب بن مالك، عن أبيه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**نَسَمةُ الْمُؤْمِنِ طَائِرٌ يَعْلق في شَجَر الجَنَّةِ، حتى يُرْجِعَهُ اللهُ إِلَى جَسَدِهِ يَوْمَ يَبْعَثُهُ**»(١).

قوله: يعلق؛ أي: يأكل.

وفي هذا الحديث: «**إِنَّ روحَ الْمؤْمِنِ تَكُونُ عَلَى شَكْلِ طَائِرٍ فِي الْجَنَّةِ**».

وأما أرواح الشهداء، فكما تقدم في حواصل طير خضر، فهي كالكواكب بالنسبة إلى أرواح عموم المؤمنين فإنها تطير بأنفسها، فنسأل الله الكريم المنان أن يثبتنا على الإيمان.

وقوله: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠﴾؛ أي: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله أحياء عند الله، وهم فَرِحون مما هم فيه من النعمة والغبطة، ومستبشرون بإخوانهم الذين يقتلون بعدهم في سبيل الله أنهم يقدَمون عليهم، وأنهم لا يخافون مما أمامهم ولا يحزنون على ما تركوه وراءهم.

---

(١) سبق تخريجه (٢/ ٤١٢).

قال محمد بن إسحاق: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ﴾؛ أي: ويُسَرون بلحوق من خَلْفهم من إخوانهم على ما مَضَوْا عليه من جهادهم؛ ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذي أعطاهم.

وقال السدي: يُؤتى الشهيد بكتاب فيه: «يَقْدَمُ عَلَيْكَ فُلانٌ يَوْمَ كَذَا وكَذَا، ويَقْدَمُ عَلَيْكَ فُلانٌ يَوْمَ كَذَا وكَذَا، فَيُسَرُّ بِذَلِكَ كَمَا يُسَرُّ أَهْلُ الدُّنْيَا بِقُدُومِ غُيَّابِهِمْ».

وقال سعيد بن جبير: لَمّا دخلوا الجنة ورَأوْا ما فيها من الكرامة للشهداء قالوا: يا ليت إخواننا الذين في الدنيا يعلمون ما عرفناه من الكرامة، فإذا شهدوا للقتال باشروها بأنفسهم، حتى ويُستشهدوا فيصيبوا ما أصبنا من الخير، فأُخبِر رسولُ الله ﷺ بأمرهم وما هم فيه من الكرامة، وأخبرهم ـ أي: ربهم ـ أني قد أنزلت على نبيِّكم وأخبرته بأمركم، وما أنتم فيه، فاستَبْشروا بذلك، فذلك قوله: ﴿وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾ الآية.

وقد ثبت في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه، في قصة أصحاب بئر مَعُونة السبعين من الأنصار، الذين قتلوا في غداة واحدة، وقَنَت رسول الله ﷺ على الذين قتلوهم، يدعو عليهم ويَلْعَنهم، قال أنس: ونزل فيهم قرآن قرأناه حتى رفع: **«أنْ بَلغُوا عَنّا قَوْمَنا أنّا لَقِينا رَبَّنا فَرَضِيَ عَنّا وأرْضَانا»**.

ثم قال: ﴿يَسۡتَبۡشِرُونَ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٧١﴾، قال محمد بن إسحاق: استبشروا وسُرّوا لما عاينوا من وفاء الموعود وجزيل الثواب.

وقال عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم: هذه الآية جمعت المؤمنين كلهم، سواء الشهداء وغيرهم، وقَلَّما ذكر الله فضلًا ذكر به الأنبياء وثوابًا أعطاهم إلا ذكر ما أعطى الله المؤمنين من بعدهم.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ هذا كان يوم «حمراء الأسد»، وذلك أن المشركين لما أصابوا ما أصابوا من المسلمين كرُّوا راجعين إلى بلادهم، فلما استمروا في سيرهم تَنَدَّمُوا لم لا تَمَّموا على أهل المدينة وجعلوها الفيصلة. فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ ندب المسلمين إلى الذهاب وراءهم ليُرْعِبَهم ويريهم أن بهم قُوّةً وجلدًا، ولم يأذنْ لأحد سوى من حضر الوقعة يوم أُحد، سوى جابر بن عبد الله رضي الله عنه - لما سنذكره - فانتدب المسلمون على ما بهم من الجراح والإثخان طاعة لله عز وجل ولرسوله ﷺ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا الصدق، هكذا الصدق والرغبة فيما عند الله، الله المستعان. جريحان وخرجا أيضًا كل واحد يحمل الآخر إذا تعب، الله أكبر، نعم، ليس معهم مطية، الله أكبر.

المقصود من هذا كله: إرهاب العدو، العدو لما تحدث بالعودة خشي النبي ﷺ أن يكون له كرّة، فلهذا انتدب المسلمين وأمرهم بالخروج؛ ليعلم عدو الله أن المسلمين بهم بقية، وأن هذه الجراح لم تمنعهم من الخروج والطلب، وكان هذا فيه خير عظيم، فلهذا جد الكفار في ذهابهم إلى مكة، وخافوا أن يرجعوا، فيكون عليهم شيء من الكوارث، وهم قد غنموا، وحصل لهم بعض ما حصل، فلهذا فرحوا بالعودة والذهاب والهرب وعدم الرجوع، الله المستعان.

مداخلة: جزاك الله خير! خروج الجرحى مع رسول الله ﷺ فهذه سنة أم يعني هكذا بالإطلاق؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، ما هي مخصصة عامة، كل من كان فيه نشاط وأحب الخروج يخرج.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة قال: لما رجع المشركون عن أُحد قالوا: لا محمدًا قتلتم، ولا الكواعب أردفتم، بئسما صنعتم، ارجعوا. فسمع رسول الله ﷺ، فندب المسلمين فانتدبوا حتى بلغ حَمْراء الأسد ـ أو: بئر أبي عيينة ـ الشك من سفيان ـ فقال المشركون: نرجع من قابل. فرجع رسول الله ﷺ، فكانت تعد غزوة، فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾. ورواه ابن مَرْدويه من حديث محمد بن منصور، عن سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس فذكره.

وقال محمد بن إسحاق: كان يوم أُحد يوم السبت النصف من شوال، فلما كان الغد من يوم الأحد لستّ عشرةَ ليلة مضت من شوال، أذَّن مؤذن رسول الله ﷺ في الناس بطلب العدو، وأذَّن مؤذِّنه ألا يخرج معنا أحد إلا أحد حضر يومنا بالأمس. فكلمه جابر بن عبد الله بن عَمْرو بن حرام فقال: يا رسول الله، إن أبي كان خَلَّفني على أخوات لي سَبْع وقال: يا بُنَيّ، إنه لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النّسوةَ لا رجلَ فيهن، ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله ﷺ على نفسي، فتخلّف على أخواتك، فتخلفت عليهن، فأذن له رسول الله ﷺ، فخرج معه. وإنما خرج رسول الله مُرْهبًا للعدو، وليبلغهم أنه خرج في طلبهم ليظنوا به قوةً، وأن الذي أصابهم لم يُوهنْهم عن عدوهم.

قال محمد ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت، عن أبي السائب مولى عائشة بنت عثمان؛ أن رجلًا من أصحاب رَسُول الله ﷺ من بني عبد الأشهل، كان شَهد أُحدًا قال: شهدتُ أُحدًا مع رسول الله ﷺ أنا وأخي فرجعنا جريحين، فلما أذّن مُؤذّن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوّ، قلتُ لأخي ـ أو قال لي ـ: أتفوتنا غزوة مع

رسول الله ﷺ؟ والله ما لنا من دابَّة نركبها، وما منّا إلا جريح ثَقيل، فخرجنا مع رسول الله ﷺ، وكنت أيسر جراحًا منه، فكان إذا غُلب حملته عُقْبة ومشى عُقْبة حتى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون.

وقال البخاري: حدثنا محمد بن سلام، حدثنا أبو معاوية، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ قالت لعروة: يا ابن أختي، كان أبواك منهم الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما، لمّا أصاب نبي الله ﷺ ما أصابه يوم أُحد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا فقال: **«مَنْ يَرْجِعُ فِي إِثْرِهِمْ؟»** فانتدبَ منهم سبعون رجلًا فيهم أبو بكر والزبير رضي الله عنهما.

هكذا رواه البخاري منفردًا به، بهذا السياق. وهكذا رواه الحاكم في مستدركه عن الأصَم، عن العباس الدوري، عن أبي النضر، عن أبي سعيد المؤدب، عن هشام بن عروة، به، ثم قال: صحيح ولم يخرجاه. كذا قال.

ورواه أيضًا من حديث إسماعيل بن أبي خالد، عن البَهِيّ، عن عروة قال: قالت لي عائشة: يا بُني، إن أباك من الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح. ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

وروى ابن ماجه، عن هشام بن عمّار، وهُدْبَة بن عبد الوهاب عن سفيان بن عيينة، عن هشام بن عروة به، وهكذا رواه سعيد بن منصور وأبو بكر الحميدي في مسنده عن سفيان، به

وقال أبو بكر بن مَرْدُويه: حدثنا عبد الله بن جعفر من أصل كتابه، أنبأنا سَمويه، أنبأنا عبد الله بن الزبير، أنبأنا سفيان، أنبأنا هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: قال لي رسول الله ﷺ: **«إنْ كَانَ أَبَواك لَمن الَّذِينَ اسْتَجَابُوا للهِ والرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ القَرْحُ»**: أبو بكر والزبير رضي الله عنهما.

ورفْعُ هذا الحديث خطأ محض من جهة إسناده، لمخالفته رواية الثقات من وقْفه على عائشة كما قدمناه، ومن جهة معناه، فإن الزبير ليس هو من آباء عائشة، وإنما قالت عائشة لعروة بن الزبير ذلك لأنه ابن أختها أسماء بنت أبي بكر الصديق ﵄.

وقال ابن جرير: حدثني محمد بن سعد، حدثني أبي، حدثني عَمي، حدثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قال: إن الله قَذَفَ في قَلْب أبي سفيان الرُّعْب يوم أُحد بعد ما كان منه ما كان، فرجع إلى مكة، فقال النبي ﷺ: «**إنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَدْ أَصَابَ مِنْكُمْ طَرَفًا، وَقَدْ رَجَعَ، وَقَذَفَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الرُّعْبَ**». وكانت وقعةُ أُحد في شوال، وكان التجار يَقْدَمون المدينة في ذي القعدة، فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة مَرة، وإنهم قدموا بعد وقعة أُحد وكان أصاب المؤمنين القرح، واشتكوا ذلك إلى النبي ﷺ، واشتد عليهم الذي أصابهم. وإن رسول الله ﷺ نَدَب الناس لينطلقوا معه، ويتبعوا ما كانوا مُتَّبعين، وقال: «**إنَّمَا يَرْتَحِلُونَ الآنَ فَيَأْتُونَ الْحَجَّ ولا يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْلِهَا حَتَّى عَامٍ مُقْبِلٍ**». فجاء الشيطان فخوف أولياءه فقال: إن الناس قد جمعوا لكُم فأبى عليه الناس أن يتبعوه، فقال: «**إنِّي ذَاهِبٌ وإنْ لَمْ يَتْبَعْنِي أَحَدٌ**»، لأحضض الناس، فانتدب معه أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، والزبير، وسعد، وطلحة، وعبد الرحمٰن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو عبيدة بن الجراح في سبعين رجلًا فساروا في طلب أبي سفيان، فطلبوا حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾.

ثم قال ابن إسحاق: فخرج رسول الله ﷺ حتى انتهى إلى حمراء الأسد، وهي من المدينة على ثمانية أميال.

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مَكْتوم فأقام بها الاثنين والثلاثاء والأربعاء، ثم رجع إلى المدينة. وقد مَر به ـ كما

حدثني عبد الله بن أبي بكر ـ معبد بن أبي مَعْبد الخزاعي، وكانت خُزاعة ـ مسلمهم ومشركهم ـ عيبة نُصح لرسول الله ﷺ بتِهامة، صَفْقَتُهم معه، لا يخفون عنه شيئًا كان بها، ومعبد يومئذ مشرك فقال: يا محمد، أما والله لقد عَزّ علينا ما أصابك في أصحابك، ولوَددْنا أن الله عافاك فيهم. ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالرَّوحاء، وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه وقالوا: أصبنا حَد أصحابه وقادتهم وأشرافهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم.. لنُكرّنَّ على بقيتهم فَلَنَفْرُغَنَّ منهم. فلما رأى أبو سفيان معبدًا قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جَمْع لم أر مثله قط، يتحرقون عليكم تحرقًا، قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم، وندموا على ما صنعوا، فيهم من الحَنَق عليكم شيء لم أر مثله قط. قال: ويلك. ما تقول؟ قال: والله ما أرى أن ترتحل حتى ترى نواصي الخيل ـ قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك. ووالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيهم أبياتًا من شعر، قال: وما قلت؟ قال: قلت:

كادَتْ تُهدُّ منَ الأصوات رَاحلتي ... إذْ سَالَت الأرضُ بالجُرْدِ الأبابيل
تَرْدى بأسْدٍ كرام لا تَنابلة ... عنْد اللّقاء ولا ميل مَعَازيل
فَظَلْتُ عَدْوًا أظُنُّ الأرض مائلةً ... لَمَّا سَمَوا برئيس غير مَخْذول

فقلتُ:

ويل ابن حَرْب من لقائكُمُ ... إذا تَغَطْمَطَت البطحاء بالجيل
إني نذير لأهل البَسْل ضَاحيَةً ... لكل ذي إرْبَة منهم ومعقول
من جَيْش أحمدَ لا وَخْشٍ تَنابِلة ... وليس يُوصف ما أنذرت بالقيل

قال: فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه.

ومر به ركب من بني عبد القيس، فقال: أين تريدون؟ قال: بعكاظ

إذ وَافَيْتُمونا قالوا: نعم. قال: فإذا وافيتموه فأخبروه أنا قد أجمعنا المسير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم، فمر الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الأسد، فأخبروه بالذي قال أبو سفيان وأصحابه، فقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل.

وذكر ابن هشام عن أبي عُبيدة قال: قال رسول الله ﷺ حين بلغه رجوعهم: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سُوِّمَتْ لَهُمْ حِجَارَةٌ لَوْ صُبِّحُوا بَها لَكَانُوا كَأَمْسِ الذَّاهِبِ**».

وقال الحسن البصري في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾: إن أبا سفيان وأصحابه أصابوا من المسلمين ما أصابوا ورجعوا، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَدْ رَجَعَ وَقَدْ قَذَفَ اللهُ فِي قَلْبِهِ الرُّعْبَ فمن يَنْتَدبُ فِي طَلَبِهِ؟**» فقام النبي ﷺ، وأبو بكر وعُمَر، وعثمان، وعلي، وناس من أصحاب النبي ﷺ، فاتبعوهم، فبلغ أبا سفيان أن النبي ﷺ، يطلبه فلقي عيرًا من التجار فقال: ردُّوا محمدًا ولكم من الجُعْل كذا وكذا، وأخْبروهم أني قد جمعت لهم جموعًا، وأنني راجع إليهم. فجاء التجار فأخبروا بذلك رسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، فأنزل الله هذه الآية.

وهكذا قال عِكْرِمة، وقتادة وغير واحد: إن هذا السياق نزل في شأن غزوة حَمْراء الأسد، وقيل: نزلت في بَدْر الموعد، والصحيح الأول.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾؛ أي: الذين توعَّدهم الناس بالجموع وخوَّفوهم بكثرة الأعداء، فما اكترثوا لذلك؛ بل توكلوا على الله واستعانوا به ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، قال البخاري: حدثنا أحمد بن يونس، أراه قال: حدثنا أبو بكر، عن أبي حَصين، عن أبي الضُّحَى، عن ابن عباس: ﴿وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾

قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلْقي في النار وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾. وقد رواه النسائي، عن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم وهارون بن عبد الله، كلاهما عن يحيى بن أبي بُكَير، عن أبي رواه من حديث أحمد بن يونس، به، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

ثم رواه البخاري عن أبي غَسَّان مالك بن إسماعيل، عن إسرائيل، عن أبي حصين، عن أبي الضُّحَى، عن ابن عباس قال: كان آخر قول إبراهيم عليه السلام، حين ألقي في النار: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾.

وقال عبد الرزاق: قال ابن عيينة: وأخبرني زكريا، عن الشَّعْبِي، عن عبد الله بن عمرو قال: هي كلمة إبراهيم عليه السلام حين ألقي في البنيان. رواه ابن جرير.

وقال أبو بكر بن مَرْدُويه: حدثنا محمد بن مَعْمَر، حدثنا إبراهيم بن موسى الثوري أخبرنا عبد الرحيم بن محمد بن زياد السكري، أنبأنا أبو بكر بن عياش، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قيل له يوم أُحد: إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم. فأنزل الله هذه الآية.

وروى أيضًا بسنده عن محمد بن عُبَيد الله الرافعي، عن أبيه، عن جده أبي رافع أن النبي ﷺ وَجَّه عليًّا في نفر معه في طلب أبي سفيان، فلقيهم أعرابي من خزاعة فقال: إن القوم قد جمعوا لكم قالوا: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾. فنزلت فيهم هذه الآية.

ثم قال ابن مَرْدُويه: حدثنا دَعْلَجَ بن أحمد، أخبرنا الحسن بن سفيان، أنبأنا أبو خَيْثَمَة مُصْعَب بن سعيد، أنبأنا موسى بن أعين، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

«إِذَا وَقَعْتُمْ فِي الأَمْرِ العظيمِ فَقُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ». هذا حديث غريب من هذا الوجه.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا حَيْوَة بن شُرَيح وإبراهيم بن أبي العباس قالا: حدثنا بَقِيَّة، حدثنا بَحِير بن سَعْد، عن خالد بن مَعْدان، عن سيف، عن عوف بن مالك أنه حدثهم: أن النبي ﷺ قَضَى بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال رسول الله ﷺ: **«رُدُّوا عَلَيَّ الرَّجُلَ»**. فقال: **«ما قلتَ؟»**. قال: قلتُ: حسبي الله ونعم الوكيل. فقال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يَلُومُ عَلَى الْعَجْزِ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالْكَيْسِ، فَإِذَا غَلَبَكَ أَمْرٌ فَقُلْ: حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ»**.

وكذا رواه أبو داود والنسائي من حديث بقية عن بَحِير، عن خالد، عن سَيْف ـ وهو الشامي، ولم ينسب ـ عن عوف بن مالك، عن النبي ﷺ، بنحوه.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى: أن الواجب على المؤمن أن يأخذ بالكيس، وأن يعمل بالأسباب، فإذا غلبته الأمور فليقل: حسبي الله ونعم الوكيل، ما يتكاسل ولا يضعف، الله يلوم على العجز، ولهذا في الحديث الآخر الذي رواه مسلم في الصحيح يقول ﷺ: **«المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير**، ـ ثم قال: ـ **احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت لكان كذا كذا، ولكن قل: قدر الله، وما شاء فعل»**. فالأمر منوط بالأسباب، فإذا غلبه أمر لا طاقة له، ولا حيلة له فيه فإنه حينئذ يقول: حسبنا الله ونعم الوكيل، إنا لله وإنا إليه راجعون، قدر الله، وما شاء فعل.

وأما أن يتساهل ويتعاطى العجز والكسل والضعف، ولا يأخذ بالأسباب فلا ينفعه قوله: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ لأنه مفرط، مضيع

فلا يليق به هذا، لكن يليق هذا بمن أخذ بالأسباب، ثم قال: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ لأن الأمر بيد الله ﷻ، إنما عليك الأسباب.

والله سبحانه أمر بالأسباب وحث عليها ورغب فيها، وقال في حق المؤمنين: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠] يريد الأعداء. ولم يجعلهم يكتفون بإيمانهم أو بقولهم: حسبنا الله ونعم الوكيل؛ بل أمرهم بالإعداد، ثم بعد ذلك يعتمدون على الله ﷻ ويتوكلون عليه، ويعلمون أنه مسبب الأسباب، وأنه مصرف الأمور، وأن النصر ليس بالأسباب، وإنما هي مبشرة للمؤمنين وعون لهم، والله مسبب الأسباب ﷻ. ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠]. فإرسال الملائكة وتأييد الله بالملائكة للمؤمنين، ونصره إياهم ﷻ هذا من فضله وجوده وكرمه، هو جعل الإمداد بالملائكة جعلها بشرى وليس النصر بهم، فالنصر بيده ﷻ: ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ولكن جعلهم أنصارًا وجعلهم مؤيدين، كما أيد بالمؤمنين ونصر بالمؤمنين، وكما أعان بأنواع السلاح وبإعداد القوى، فجعلها بشارة، وجعلها عونًا، وجعلها هيبة للعدو وكبحًا لشره، والنصر بيده ﷻ. فإذا شاء نفع بالأسباب وأعان بها وهزم الأعداء، وإذا أراد ﷻ أمرًا آخر لم تنفع الأسباب ولن تجدي شيئًا، وغلب من شاء الله أنه يغلب، غلب من شاء الله أنه يغلب، وغلب من شاء الله أنه يغلب، الأمر بيده ﷻ.

وهكذا في مسائل الدنيا غير الجهاد كالزراعة والحدادة والنجارة، ما يقول: هذه الأرض عندي وأنا أجلس ولا أفعل شيئًا، وإذا شاء الله أنها تغل وتأتي بحبوب كثيرة فعل، هذا غلط؛ بل يزرع، يبذر ويجري الماء ويلاحظ المزرعة بأسباب نجاحها وفلاحها ومع هذا يعتمد على الله ويتوكل عليه ﷻ مع الأسباب. فالأسباب جزء من التوكل، ولا بد منها في التوكل، فالمتوكل الحقيقي هو الذي يفعل الأمرين: يعتمد على الله،

ويعلم أنه مسبب الأسباب، وأن ما شاء الله كان، ومع ذلك يأخذ بالأسباب التي شرعها وأباحها لعباده وأمرهم بها. كما أنه يتزوج امرأة ويطؤها يرجو أن الله ينفع بذلك وأنه يأتيه الولد، ولا يقول: أنا أتوكل على الله ولا أتزوج ولا أطأ امرأتي وتأتي الأولاد، هذا من الحماقة ونقص العقول والعته.

مداخلة: يا شيخ! ما ذكر مصعب بن سعيد.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال الإمام أحمد: حدثنا أسباط، حدثنا مُطَرِّف، عن عَطية، عن ابن عباس في قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدْ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنَى جَبْهَتَهُ، يَسْمَعُ مَتَى يُؤْمَرُ فَيَنْفُخُ**»[١]. فقال أصحاب محمد ﷺ: فما نقول؟ قَالَ: «**قُولُوا**: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ **عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا**».

وقد روي هذا من غير وجه، وهو حديث جيد، وروينا عن أم المؤمنين عائشة وزينب بنت جحش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أنهما تفاخرتا فقالت زينب: زَوجني الله وزوجَكُن أهاليكن وقالت عائشة: نزلت براءتي من السماء في القرآن. فَسَلَّمَت لها زينب، ثم قالت: كيف قلتِ حين ركبت راحلة صَفْوان بن المعطل؟ فقالت: قلت: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾، فقالت زينب: قلت كلمة المؤمنين.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾؛ أي: لما توكلوا على الله كفاهم ما أهمَّهُمْ وَرد عنهم بأس من أراد كيدهم، فرجعوا إلى بلدهم ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ مما أضمر لهم عدوهم ﴿وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾.

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب ما جاء في شأن الصور برقم (٢٤٣١)، والإمام أحمد (١/ ٣٢٦، ٣/ ٧٣، ٤/ ٣٧٤).

قال البيهقي: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، حدثنا أبو بكر بن داود الزاهد، حدثنا محمد بن نُعَيم، حدثنا بِشْر بن الحكم، حدثنا مُبشِّر بن عبد الله بن رَزِين، حدثنا سفيان بن حسين، عن يعلى بن مسلم، عن عِكْرِمة، عن ابن عباس في قول الله تعالى: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ﴾، قال: النعمة أنهم سلمُوا، والفضل أن عيرًا مرت، وكان في أيام الموسم، فاشتراها رسولُ الله ﷺ فربح فيها مالًا فقسمه بين أصحابه.

وقال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾، قال: هذا أبو سفيان، قال لمحمد ﷺ: موعدكم بدر، حيثُ قتلتم أصحابنا. فقال محمد ﷺ: «**عَسَى**». فانطلق رسول الله ﷺ لموعِده حتى نزل بدرًا، فوافقوا السوق فيها وابتاعوا فذلك قول الله ﷻ: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾، قال: وهي غزوة بدر الصغرى.

رواه ابن جرير. وروى أيضًا عن القاسم، عن الحُسَين، عن حجاج، عن ابن جُرَيج قال: لما عهد رسول الله ﷺ لموعد أبي سفيان، فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش، فيقولون: قد جمعوا لكم يكيدونهم بذلك، يريدون أن يرْعَبُوهم فيقول المؤمنون: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ حتى قدموا بدرًا، فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد، قال: رَجُل من المشركين فأخبر أهل مَكَّة بخيل محمد، وقال في ذلك:

نَفَرَتْ قَلُوصِي من خُيول محمد وَعَجْوَةٍ مَنْثُورةٍ كالعُنْجُدِ
واتَّخَذَتْ ماء قُدَيْدٍ مَوْعدي

ثم قال ابن جرير: هكذا أنشدنا القاسم، وهو خطأ، وإنما هو:

قَد نَفَرَتْ من رفْقَتي محمد وَعَجْوَة مِنْ يَثْرِبٍ كَالعُنْجُد

تَهْوى عَلَى دين أبِيها الأتْلَد   قَدْ جَعَلَتْ ماء قُدَيْدٍ مَوْعدي

وَمَاء ضَجْنَان لَهَا ضُحَى الغَد

ثم قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾؛ أي: يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾؛ أي: فإذا سوَّل لكم وأوهمكم فتوكلوا عليَّ والجؤوا إليَّ، فأنا كافيكم وناصركم عليهم، كما قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٦ ـ ٣٨]، وقال تعالى: ﴿فَقَٰتِلُوٓاْ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩]، وقال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي هذا دلالة على أن العباد إذا استقاموا على أمر الله واتبعوا شرعه، وصدقوا في طاعته ﷻ يسر أمورهم، وكفاهم شر أعدائهم، والشيطان من شأنه أن يخوف بأوليائه، ويعظمهم في نفوس الناس، ويقول: سوف يفعلون وسوف يفعلون حتى يوهن الناس، وحتى يثبطهم عن الجهاد، وحتى يثبطهم عما يجب عليهم من اتباع الشرع؛ فلهذا قال سبحانه في حق هؤلاء سواء كان ذلك في انصرافه من أُحد أو كان في ذهابه يوم بدر الصغرى، ففي كلا الحالتين انقلب المسلمون بنعمة من الله

وفضل، فقد ثبتهم الله وقوى عزائمهم وأعانهم حتى شمروا عن ساعد الجد وتوجهوا لقتال عدوهم إلى حمراء الأسد؛ ليرعبوا عدو الله وليخيفوهم حتى ذهبوا إلى مكة، ورجع المسلمون بنعمة من الله وفضل، رجعوا بنعمة من الله آمنين، مطمئنين، سالمين بعدما أصابهم القرح الذي حصل في غزوة أُحد. وإن كان في غزوة بدر فهم جاءوا ـ يعني: الصغرى الأخيرة ـ فهم جاءوا إلى الموعد ولم يتأخروا ولم ينكلوا ولم يضعفوا، ولكن ضعف أعداء الله وتأخروا ولم يأتوا فصار هذا من فضل الله عليهم. والمسلمون حين جاؤوا إلى بدر وفيها أسواقها ابتاعوا واشتروا وحصل لهم بذلك من الخيرات والفضل ما حصل، وحصلت السمعة الحسنة، والخبر الذي اشتهر بين الناس من أنهم جاؤوا لقتال عدوهم وعدوهم تأخر وخاف ووجل ولم يف بما وعد، فكان هذا في حق الرسول ﷺ وأصحابه سمعة حسنة، وأخبار سارة للمؤمنين وضارة للكافرين.

وأما قوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾، فالمعنى: أن الشيطان يخوف عباد الله أولياء الشيطان. ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾، يعني: يخوفكم أولياءه، يعظمهم في صدوركم، ويقول لكم: إنهم أقوياء، وإنهم كيت وكيت حتى يخافهم أهل الإيمان، وحتى ينكلوا، وحتى يتأخروا عن الجهاد والمصادمة؛ لعدوهم والمقابلة لعدوهم بسبب كيد الشيطان، وتعظيمه لأوليائه في نفوس المؤمنين حتى يخافوا، فالله قال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾، يعني: إياكم ومطاوعة الشيطان في أن تخافوا أعداء الله، وأن تسمعوا لداعي الشيطان ووسوسته؛ بل خافوا الله وراقبوه وهو الناصر ﷻ، وبيده تصريف الأمور، بيده خذلان هؤلاء الكفرة وبيده نصركم عليهم.

﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾. ويقول سبحانه: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] فهو سبحانه كاف لعباده، وهو وليُّهم ﷻ. ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦]، والكفار يخوِّفون المسلمين

بمن دون الله من الأعداء، ويقولون: إنهم كيت وكيت، وإنهم عندهم من القوة كذا ومن الرجال كذا ليخيفوا المؤمنين ويثبطوهم عن الجهاد. والله المستعان.

مداخلة: في تعليق على الأبيات.

الشيخ: نعم.

مداخلة: أقول علق على الأبيات.

الشيخ: نعم.

مداخلة: يقول: الأبيات في سيرة ابن هشام منسوبة إلى معبد بن أبي معبد الخزاعي، وينظر: تفسير الطبري.

والعجوة: نوع جيد من تمر المدينة، والعنجد: الزبيب الأسود، والدين: الدأب والعادة، والأتلد: الأخلد، وقديد موضع قرب مكة، ضجنان جبل على طريق المدينة من مكة.

الشيخ: نعم.

* *

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾﴾ [آل عمران: ١٧٢][(١)].

﴿ٱلۡقَرۡحُۚ﴾: الجراح، ﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾: أجابوا، ﴿يَسۡتَجِيبُ﴾ [الأنعام: ٣٦]: يجيب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال الشّارح على «إسحاق بن إبراهيم»؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٢٢٨)]:

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

«قوله: (حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَبُو يَعْقُوبَ): هو بغداديٌّ، لقبه لؤلؤٌ ويقال: يؤيؤٌ بتحتانيّتين، وهو ابن عمّ أحمد بن منيعٍ، وليس له في البخاريّ سوى هذا الحديث، وآخر في كتاب الرّقاق، وهو ثقةٌ باتّفاقٍ، وعاش بعد البخاريّ ثلاث سنين، مات سنة تسعٍ وخمسين».
[انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كذا عندك العينيّ؟

(**من الطّالب**): ما زاد شيئًا.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ﴾ الآيَةَ [آل عمران: ١٧٣][١].

حدّثنا أحمد بن يونس - أراه قال - **حدّثنا** أبو بكرٍ، عن أبي حصينٍ، عن أبي الضّحى، عن ابن عبّاسٍ: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾ قالها إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين ألقي في النّار، وقالها محمّدٌ ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾»[٢].

حدّثنا مالك بن إسماعيل، حدّثنا إسرائيل، عن أبي حصينٍ، عن أبي الضّحى، عن ابن عبّاسٍ قال: «كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النّار: حسبي الله ونعم الوكيل»[٣].

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.. إلخ برقم (٤٥٦٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾.. إلخ برقم (٤٥٦٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ويحتمل أنّها أوّل كلمةٍ، وآخر كلمةٍ، قالها أولًا وقالها آخرًا؛ فلهذا جاء هذا تارة وهذا تارة، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم؛ لأنّها ضراعةٌ إلى الله، وتبرؤٌ من الحول والقوّة. الله أكبر.

*

تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥](١).

هذه الآية نزلت في قصة المسلمين في يوم أُحد، لما كان الشيطان يخوف المسلمين من رجوع الكفار إليهم وقتالهم، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾، والمعنى: أي: يخوفهم بأوليائه؛ يعني: يعظمهم في صدوركم، ويجعلهم عظماء في صدور المسلمين حتى يخافوهم وحتى يحذروهم فلا يجاهدوهم، فبيَّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن هذا غلط وأنه من الشيطان ونهاهم عن الخوف، فقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾؛ يعني: لا تخافوا أعداء الله، الخوف الذي يجعلكم تجبنون عن قتالهم، أما الخوف الذي يوجب الإعداد لجهادهم والأهبة والحذر فهذا مطلوب، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ٧١].

فالذي لا يخاف عدوَّه لا يُعد له عدة، فالواجب أن يُعَدَّ العدة لعدوِّه من السلاح والزاد، والقوة في الجهاد، وجمع الصفوف، والتشجيع على القتال والإقدام ونحو ذلك، ولكن لا يخافهم خوفًا يجعله يجبن منهم ويتأخر عن قتالهم، هذا هو المنهي عنه، فإن الشيطان يعظم

---

(١) من فتاوى نور على الدرب، (٢٧/ ٨٤).

الكفار في صدور المسلمين حتى يخافوهم وحتى يجبنوا عن قتالهم، فهذا هو المعنى في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾؛ يعني: لا تخافوهم الخوف الذي يمنعكم من جهادهم وقتالهم أو يجعلكم تجبنون عن قتالهم، هذا هو المنهي عنه، أما الخوف الذي يوجب الإعداد لهم وأخذ الحذر فهذا مطلوب، على المسلم أن يخاف شرهم ويحذر مكائدهم فيعد العدة، عليه أن يعد العدة اللازمة من السلاح ومن الحرس ونشر العيون التي تعرف أحوالهم حتى لا يهجموا على المسلمين، ولهذا قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾ [النساء: ٧١]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمۡ فَأَقَمۡتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلۡتَقُمۡ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُم مَّعَكَ وَلۡيَأۡخُذُوٓاْ أَسۡلِحَتَهُمۡ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلۡيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمۡ وَلۡتَأۡتِ طَآئِفَةٌ أُخۡرَىٰ لَمۡ يُصَلُّواْ فَلۡيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلۡيَأۡخُذُواْ حِذۡرَهُمۡ وَأَسۡلِحَتَهُمۡۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [النساء: ١٠٢].

فدلَّ ذلك على أنهم مأمورون بأن يأخذوا حذرهم وأن يخافوا شر عدوهم، ويخافوا مكائده ويكونون على حذر وعلى أهبة وعلى استعداد حتى لا يهجم عليهم العدو على غفلة وعلى غرة.

فالمقصود: أن الخوف المنهي عنه غير الخوف المأمور به، الخوف المنهي عنه هو الذي يدعو إلى الجبن والتأخر وتعظيم الكفار ونشر الذعر بين الناس هذا منكر، أما الخوف الذي معناه الإعداد لهم والجد في حفظ أماكن المسلمين وثغورهم حتى لا يهجم عليهم العدو هذا أمر مطلوب. **إذ إن الآية الكريمة هي نصٌّ على باب الجهاد في سبيل الله، وليست على الخوف الذي ذكرته أختنا خوف الإنسان وهو في بيته؟** لا هذا شيء آخر، خوف البيت هذا لا وجه له، إذا كان البيت مأمون منغلق فالحمد لله، وإذا كان هناك شيء يُخشى منه فالواجب على أهل البيت أن يسدوه، إن كان فيه مداخل عليهم أن يسدوها، وإن كان هناك من يُخشى

منه يكون عندها من يؤنسها إلى غير ذلك من الأسباب، المؤمن يأخذ بالأسباب.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٧٦ ـ ١٨٠](١).

يقول تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ ۚ﴾ وذلك من شدة حرصه على الناس كان يحزنه مُبَادَرة الكفار إلى المخالفة والعناد والشقاق، فقال تعالى: ولا يحزنك ذلك ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ﴾؛ أي: حكمته فيهم أنه يريد بمشيئته وقدرته ألا يجعل لهم نصيبًا في الآخرة ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾، ثم قال تعالى مخبرًا عن ذلك إخبارًا مقررًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: استبدلوا هذا بهذا ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: ولكن يضرون أنفسهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾؛ كقوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وكقوله: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤]، وكقوله: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٥٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا كله يبيّن سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لنبيِّه ﷺ أن له الحكمة البالغة في إضلال من ضل، وكفر من كفر، وابتعادهم عن الإيمان، وأنه هو الحكيم العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ومن أراد الله له الهداية وفَّقه لها وهداه لها ويسَّر له أسبابها، ومن أراد له الشقاوة والضلال فإنه هو الحكيم العليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾؛ أي: ينبغي ألا تحزن عليهم؛ لأن الله هو الحكيم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وكان عليه الصلاة والسلام يحرص على هدايتهم، ويريد أن يهديهم الله وأن يدخلوا في دين الله؛ لمحبته الخير لهم عليه الصلاة والسلام، ومحبته لخروجهم من دائرة الكفر، وسلامتهم من معرة الكفر، ولكن الله حكيم عليم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. فنهى نبيّه أن يحزن من أجل ضلالهم، وأن يطمئن وينشرح الصدر؛ لحكمة الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا ثلاث يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الحكيم العليم جَلَّ وَعَلَا، إنما على الداعي وعلى الرسول البلاغ، على الرسل البلاغ، والدعاة عليهم البلاغ والبيان والدعوة والإرشاد، والله سبحانه ولي التوفيق لعباده، هو الحكيم العليم جَلَّ وَعَلَا، فلا يحزن المؤمن ولا يحزن الرسول لهذا الأمر؛ فإن ربك حكيم عليم جَلَّ وَعَلَا، قال سبحانه: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

فالمقصود: أن المؤمن وعلى رأسهم الرسل إنما عليهم البلاغ والبيان والدعوة إلى الله ﷻ، وما يضرهم كفر من كفر وضلال من ضل، ولا ينبغي أن يحزنوا لذلك، فإن الله هو الحكيم ﷻ، وهو البصير بأمر عباده، فله الحكمة البالغة في إضلال من ضل وفي هداية من هدى ﷻ، الله المستعان.

ثم يبيِّن ﷻ أيضًا أن اللي اشتروا الكفر بالإيمان لن يضر الله شيئًا، إذا استبدلوا الكفر بالإيمان وعصوا الله وخالفوا أمر الله، فهم لن يضروا الله شيئًا، إنما يضرون أنفسهم ويهلكون أنفسهم، ويبوءون بغضب من الله وسوء المصير، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

ثم قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾؛ أي: لا بُد أن يعقد سببًا من المحنة، يظهر فيه وليه، ويفتضح فيه عدوه. يُعرف به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر. يعني بذلك يوم أُحد الذي امتحن به المؤمنين، فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ، وهتك به ستر المنافقين، فظهر مخالفتهم ونُكُولهم عن الجهاد وخيانتهم لله ولرسوله ﷺ ولهذا قـال: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾.

قال مجاهد: ميّز بينهم يوم أُحد. وقال قتادة: مَيَّزَ بينهم بالجهاد والهجرة. وقال السُّدِّي: قالوا: إنْ كان محمد صادقًا فَلْيُخْبِرنا عَمّن يؤمن به منا ومن يَكْفُر. فأنزل الله: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ﴾؛ أي: حتى يُخْرج المؤمن من الكافر.

روى ذلك كلَّه ابنُ جرير، ثم قال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: أنتم لا تعلمون غيبَ الله في خلقه حتى يُميز لكم المؤمن من المنافق، لولا ما يعقده من الأسباب الكاشفة عن ذلك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من حكمته العظيمة؛ فإن الناس لو كانوا دائمًا منصورين، والنصرة لهم والرفعة لهم دائمًا، ولا يصيبهم مرض، ولا يصيبهم نصب ولا نكبة ولا يسلط عليهم الأعداء، لدخلوا في دين الله جميعًا، ولم يبق على الكفر أحد، وقد سبق في علم الله أن الناس فيهم المسلم وفيهم الكافر، وفيهم الطيب وفيهم الخبيث، فابتلاهم بما يميز هذا من هذا، ويميز الصابرين المتقين المهتدين الراغبين في ما عند الله من المنافقين والكافرين والظالمين، ومن قلَّ صبره وعظم جزعه بالبلايا والمحن، إما بالأمراض، وإما بذهاب المال، وإما بتسليط الأعداء، حتى يحصل بعض الهزيمة كما دار يوم أُحد، فابتلاهم الله بالهزيمة التي بيّن أسبابها سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأن أسبابها عصيان من عصى وفشل من فشل، فابتلاهم بالهزيمة حتى يتميز الصابرون من أهل الإيمان، ويتميز المنافقون من أهل الردة والفساد وانحراف القلوب، كما قال لنا الله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ﴾ [محمد: ٣١]. وقال الله سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]. فالابتلاء والامتحان من الله عَزَّوَجَلَّ لعباده فيه تمييز لهم، وفيه إظهار لفضل الفضلاء وشكر الشاكرين وصبر الصابرين، وفضيحة لأهل النفاق والفساد والكفر والضلال. فالمؤمن يتحمل ويصبر ويبين كمال إيمانه وصبره على الحق، والكافر المنافق يبين فساده وانحرافه وما في قلبه من الشر والفساد، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾؛ كقوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

ثم قال: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾؛ أي: أطيعوا الله ورسوله واتبعوه فيما شرع لكم ﴿وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾﴾.

وقوله: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾؛ أي: لا يحسبن البخيل أن جمعه المال ينفعه؛ بل هو مَضرّة عليه في دينه ـ وربما كان ـ في دنياه.

ثم أخبر بمآل أمر ماله يوم القيامة فقال: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ قال البخاري: حدثنا عبد الله بن منير، سمع أبا النضر، حدثنا عبد الرحمٰن ـ هو: ابن عبد الله بن دينار ـ عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هُريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ له شُجَاعًا أقرعَ له زبيبتان، يُطَوّقُه يوم القيامة، يأخذ بلِهْزِمَتَيْه** ـ يعني: بشدقَيْه ـ **يقول: أنا مَالُك، أنا كَنزك**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾ إلى آخر الآية.

تفرد به البخاري دون مسلم من هذا الوجه، وقد رواه ابن حبان في صحيحه من طريق الليث بن سعد، عن محمد بن عَجْلان، عن القَعْقاع بن حكيم، عن أبي صالح، به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا حُجَين بن المثنى، حدثنا عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمَر، عن النبي ﷺ قال: «**إن الَّذِي لا يُؤَدِّي زَكَاةَ مَالِهِ يُمَثِّلُ اللهُ لَهُ مَالَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبتَان، ثم يُلْزِمهُ يطوّقه، يَقُول: أنَا كَنزك، أنَا كَنزك**»[١].

وهكذا رواه النسائي عن الفضل بن سهل، عن أبي النضر هاشم بن القاسم، عن عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة، به، ثم قال النسائي: وروايةُ عبد العزيز، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، أثبتُ من رواية عبد الرحمٰن، عن أبيه عبد الله بن دينار، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.

قلت: ولا منافاة بينهما فقد يكون عند عبد الله بن دينار من

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ...﴾ برقم (٤٥٦٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة برقم (٩٨٧).

الوجهين، والله أعلم. وقد ساقه الحافظ أبو بكر بن مَرْدُويَه من غير وجه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة. ومن حديث محمد بن أبي حميد، عن زياد الخطمي، عن أبي هريرة، به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان، عن جامع، عن أبي وائل، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «**لا يَمنَعُ عَبْدُ زَكَاةَ مَالِهِ إلا جُعِلَ لَهُ شُجَاعٌ أَقْرَعُ يَتْبَعُهُ، يَفِرّ منه وهو يَتْبَعُه فيقُولُ: أنَا كَنْزك**»[(١)]. ثُمَّ قرأ عبد الله مصداقه من كتاب الله: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه، من حديث سفيان بن عيينة، عن جامع بن أبي راشد، زاد الترمذي: وعبد الملك بن أعين، كلاهما عن أبي وائل شقيق بن سلمة، عن عبد الله بن مسعود، به. ثم قال الترمذي: حسن صحيح. وقد رواه الحاكم في مستدركه، من حديث أبي بكر بن عياش وسفيان الثوري، كلاهما عن أبي إسحاق السَّبيعي، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، به، ورواه ابن جرير من غير وجه، عن ابن مسعود، موقوفًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدل على عظم عقوبة من بخل بالحق الذي عليه، ولا يؤدي زكاة ماله، ولم يؤد الحقوق التي عليه في المال، فإن هذا المال يعذب به صاحبه يوم القيامة، كما قال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٤، ٣٥]، فالمال الذي لا تؤدى حقوقه من زكاة وغيرها، يعذب به صاحبها يوم القيامة نعوذ بالله، وهذا العذاب يتكرر ويستمر في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله بعد ذلك إما إلى الجنة وإما إلى النار، وفي هذه الأحاديث الأخرى الدلالة

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٧٧).

على نوع آخر من العذاب، وأنهم كما أنهم يعذبون يوم القيامة في النار ويحمى عليهم ويكوون بهذا المال، هو أيضًا يمثل لهم شجاع أقرع، يمثل هذا المال لهم شجاع أقرع، له زبيبتان، يأخذ بشدقي الرجل، يعني: صاحب المال، ويقول له: أنا مالك، أنا كنزك، وهذا الشجاع هو الحية، الثعبان العظيم، الحية العظيمة التي قد ذهب شعر رأسها من شدة سمها وَكِبُر وطول عمرها، نسأل الله السلامة.

المقصود: أنه نوع آخر من العذاب لمن بخل بما أعطاه الله، ولهذا قال ﷻ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾، يجعل طوقًا في العنق مع التعذيب به والكي به، مع تمثيله بهذا الشجاع الأقرع، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حديث آخر: قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا أمية بن بِسْطام، حدثنا يزيد بن زُرَيْع، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن ثوبان، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ تَرَكَ بَعْدَهُ كَنزًا مُثِّلَ لَهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ زَبِيبَتَان، يَتْبَعُه ويَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ وَيْلَك. فيقُولُ: أَنَا كَنزكَ الَّذِي خَلَّفتَ بَعْدَكَ فَلا يَزَالُ يَتْبَعُه حَتَّى يُلْقِمَه يَدَه فَيَقْضِمَها، ثم يَتْبَعه سَائِر جَسَده»**. إسناده جيد قوي ولم يخرجوه[1].

وقد رواه الطبراني عن جرير بن عبد الله البَجَلي ورواه ابن جرير وابن مَرْدُويه من حديث بَهْز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ

---

(١) عزاه إلى أبي يعلى في المطالب العالية للحافظ ابن حجر (١/ ٢٥٤)، ورواه ابن خزيمة في صحيحه برقم (٢٢٥٥)، وابن حبان في صحيحه برقم (٨٠٣) «موارد»، والبزار في مسنده (١/ ٤١٨) «كشف الأستار»، والطبراني في المعجم الكبير (٢/ ٩١)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٣٨)، وقال: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي، كلهم من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به. وقال البزار: «إسناده حسن».

قال: «**لا يَأْتِي الرَّجُلُ مَولاهُ فيَسْأله من فَضْلِ مَالِهِ عِنْدَهُ، فَيَمْنَعهُ إِيَّاهُ، إلا دُعِي لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجاعٌ يَتَلَمَّظُ فَضْلَهُ الَّذِي مَنَعَ**». لفظ ابن جرير.

وقال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود، عن أبي قَزَعة، عن رجل، عن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ ذِي رَحِم يَأْتِي ذَا رَحِمه، فيَسْأله من فَضْلٍ جَعَلَهُ اللهُ عِنْدَهُ، فَيَبْخَلُ بِهِ عَلَيْه، إلا أُخْرِجَ له من جَهَنَّم شُجَاعٌ يَتَلَمَّظ، حتى يُطوِّقه**».

ثم رواه من طريق أخرى عن أبي قزَعَة - واسمه حُجَيْر بن بَيان - عن أبي مالك العبدي موقوفًا. ورواه من وجه آخر عن أبي قَزَعَة مرسلًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يبيِّن لنا عظم خطر قطيعة الرحم، وأن الإنسان إذا جاءه رحمه أو قريبهُ يسأله من فضله لفقره وحاجته، ثم اعتذر إليه، فهذا من أسباب كونه يعذب بماله يوم القيامة، قال عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِم**»[1]، فقطيعة الرحم من أقبح السيئات ومن الكبائر، والله أمر بالإحسان إلى القرابات وصلة القرابة وحذر من قطيعتها، يقول ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣]. فالواجب على القريب الموسر أن يحسن إلى قريبه المعسر، وأن يواسيه من ماله، وأن يحسن إليه من زكاة أو غيرها، وأن لا يدعه في حاجة وهو موسر، هذه هي الصلة، هذه صلة الرحم التي أوجبها الله، أن تواسيه بمالك وتحسن إليه مما أعطاك الله..

- **س: الشجاع يطلع عليه ولو كان من صدقة أو... من زكاة..**

---

(١) متفق عليه من حديث جبير بن مطعم. أخرجه البخاري في كتاب الأداب، باب اسم القاطع برقم (٥٩٨٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطعها برقم (٢٥٥٦).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الحقوق تشمل الزكاة وتشمل الحقوق الأخرى. حق المال مو خاص بالزكاة، يشمل الزكاة ويشمل حق الضيف ويشمل حق القريب، وحق الزوجة، وحق الأولاد، وحق المضطر، نعم. حقوق المال كثيرة غير الزكاة.

مداخلة: عفا الله عنك، سواء كان هناك من هو أقرب منه أو. . .

الشيخ: ولو، نعم، هذه. . . من الأقربين، ما دام عنده قدرة، واحد عنده السعة والقدرة حسب ما أعطاه الله.

والواجب يتفاوت، كلما كان أقرب صار أشد. . .

مداخلة: عبارة الأقرب فالأقرب، لو استطاع قول الفقهاء.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه قاله النبي ﷺ: «**ثم الأقرب فالأقرب**»، لكن هذا في حق الإعسار، ما عنده إلا ما يكفي الأقرب، بدأ به قبل الأبعد، لكن إن كان عنده يسر، يعم الأقرب وغير الأقرب، الذي عنده سعة من المال.

مداخلة: ولو كان من هو أقرب منه لهذا الفقير.

الشيخ: ولو، إذا قصر ذاك لا يقصر معه.

● **س: الذي له حق يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كذلك له حق إذا كان مجهول أو معروفٍ بحاجة، أما إذا كان سائل يتشبع ويطلب الزيادة وعنده مال، ما له حق.

مداخلة: محتاج؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان محتاج يطلب ما فيها شيء ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤، ٢٥]. السائلون أقسام ثلاثة: قسم يعرف أنه

غني هذا يزجر ويؤدب. وقسم مجهول الحال يعطى ما تيسر. وقسم معروف بأنه فقير يعطى كذلك حقه؛ هكذا..

المقصود: بالمحروم في قوله تعالى: ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾

● **س: طيب المحروم يا شيخ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المحروم الفقير..

مداخلة: الذي عنده مال ولا...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

المحروم الفقير الذي ما عنده مال، خلى من المال. العامة يسمون اللي عنده مال ولا يمكن يسمونه محروم، هذا من كلام العامة، من لغة العامة واصطلاح العامة، مو باللغة العربية ولا باصطلاح أهل العلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال العوفي عن ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب الذين بخلوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها. رواه ابن جرير.

والصحيح الأول، وإن دخل هذا في معناه

● **س: عظم أمر بخل أهل الكتاب بالعلم.**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا أشد، إذا كان البخل بالمال يعاقب عليه صاحبه، فالبخل بالعلم عدم تعليم الناس العلم، عدم توجيههم إلى الخير مع حاجتهم أشد من البخل بالمال وأعظم؛ لأن الباخل بالعلم بخل عنهم بأسباب الهداية، بأسباب السعادة، فيكون أشد في الإثم، ويكون مشابهًا لليهود، الذين بخلوا بالعلم ولم يبينوه للناس. نعم. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد يقال: إن هذا أولى بالدخول، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلم.

وقال العَوْفي عن ابن عباس: نزلت في أهل الكتاب الذين بَخِلُوا بما في أيديهم من الكتب المنزلة أن يبينوها.

رواه ابن جرير. والصحيح الأول، وإن دخل هذا في معناه. وقد يقال: إن هذا أولى بالدخول، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾؛ أي: فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، فإن الأمور كُلَّها مرجعها إلى الله ﷻ. فقدموا لكم من أموالكم ما ينفعكم يوم معادكم ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١٨٠)﴾؛ أي: بِنياتِكم وضمائركم.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ الآيَةَ [آل عمران: ١٨٠][(١)].

﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾؛ كقولك: طوّقته بطوقٍ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا وعيدٌ شديدٌ للبخل بالزّكاة، وأنّ صاحبه يمثّل له ماله شجاعًا أقرع، حية شديدة كبيرة يطوّقها يوم القيامة، أقرع قد سقط الشّعر من طول السّنين، وكبر السّنّ، أو من شدّة السّم يطوّقه يوم القيامة و«يأخذ بلهزمتيه ـ بشدقيه ـ يقول: أنا أنا كنزك مالك» يعني: يعذّب به مع العذاب الآخر.

وفي «الصّحيحين» أن النّبيّ ﷺ لما تلا قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ [التّوبة: ٣٤، ٣٥] ذكر أن أهل الزّكاة يعذّبون بأموالهم، الباخلون بالزّكاة يعذّبون بأموالهم يوم القيامة، ويكوى بالمال من ذهبٍ وفضةٍ، ويعذّب بإبله وبقره وغنمه، في ذلك

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

اليوم العظيم؛ حتّى يرى سبيله إمّا إلى الجنّة وإمّا إلى النّار. نسأل الله العافية.

• س: من منع زكاة ماله بخلًا لا جُحدانًا هل يكفر بهذا؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

ما يكفر لا، لكنّه معرّضٌ للوعيد، ومعرّضٌ للنّار ومعذّبٌ بالعذاب يوم القيامة، قبل دخول النّار معرّض للوعيد الشّديد، نسأل الله العافية.

لكن إذا جحد الزّكاة وأنّها لا تجب الزّكاة هذا كفرٌ أكبر.

• س: إذا كان الحديث مرويًّا في «الصّحيحين» ولكن فيه رجل قيل: إنه ضعيف كـ(عبد الرّحمن بن عبد الله بن دينار) يقال عنه أنّه لين الحديث ولا يُحتجُّ بحديثه، ما العمل في هذا الحديث؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

لا بأس به، الأحاديث الصّحيحة كثيرة، الأحاديث فيها صحيحةٌ كثيرة، يكفي في هذا قوله ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [التّوبة: ٣٤]، ونصّ الآية: ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ هذا نصٌّ في القرآن، الله أكبر، إذا كان ماله يجمع ويطوق به وأي شيءٍ أشدّ من هذا العذاب؟! نعوذ بالله.

• س: أحسن الله إليك: هذا يدلّ على أن هذه العقوبة يوم القيامة غير عقوبة عذاب القبر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

غير عقوبة القبر وغير عقوبة النّار وغير عقوبة كونه يكوى بها، غير الكيّ وغير عذاب الإبل والبقر والغنم.

*

حدّثني عبد الله بن منيرٍ، سمع أبا النّضر، حدّثنا عبد الرّحمن، هو: ابن عبد الله بن دينارٍ، عن أبيه، عن أبي صالحٍ، عن أبي هريرة

قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَلَمْ يُؤَدِّ زَكَاتَهُ، مُثِّلَ لَهُ مَالُهُ شُجَاعًا أَقْرَعَ، لَهُ زَبِيبَتَانِ، يُطَوَّقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَأْخُذُ بِلِهْزِمَتَيْهِ ـ يَعْنِي: بِشِدْقَيْهِ ـ يَقُولُ: أَنَا مَالُكَ، أَنَا كَنْزُكَ**» ثمّ تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا عذابٌ ثانٍ، يعذّب بالمال كما تقدّم، يحمى له المال ويكوى به، ويعذّب بالإبل والبقر والغنم، وهذا أيضًا كونه يطوّقه عذابٌ آخر، نسأل الله العافية، في صورة شجاعٍ أقرع، حيةٌ كبيرةٌ.

أقرع قيل: إنّها لشدّة سمّها يقع شعر رأسها ويطوّق إياه ينهشه ويقول: أنا مالك، وأنا كنزك، نسأل الله العافية، ولا حول ولا قوّة إلّا بالله.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ ۗ قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨١ ـ ١٨٤](٢).

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ﴾... إلخ برقم (٤٥٦٥)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب إثم مانع الزكاة برقم (٩٨٧).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزل قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥]، قالت اليهود: يا محمد، افتقَرَ ربّك. يَسأل عباده القرض؟ فأنزل الله: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ الآية. رواه ابن مردويه وابن أبي حاتم.

وقال محمد بن إسحاق: حدثني محمد بن أبي محمد، عن عِكْرمة أنه حدثه عن ابن عباس رضي الله عنه، قال: دخل أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بيت المدراس، فوجد من يهود أناسًا كثيرًا قد اجتمعوا إلى رجل منهم يقال له: فِنْحَاص وكان من علمائهم وأحبارهم، ومعه حَبْرٌ يقال له: أشيع. فقال أبو بكر: ويحك يا فِنْحَاص اتق الله وأسلم، فوالله إنك لتعلم أن محمدًا رسول الله، قد جاءكم بالحق من عنده، تجدونه مكتوبًا عندكم في التوراة والإنجيل، فقال فنحاص: والله ـ يا أبا بكر ـ ما بنا إلى الله من حاجة من فقر، وإنه إلينا لفقير. ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه لأغنياء، ولو كان عنا غنيًّا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويُعْطناه ولو كان غنيًّا ما أعطانا الربا، فغضب أبو بكر رضي الله عنه فضرب وجه فِنْحَاص ضربًا شديدًا، وقال: والذي نفسي بيده، لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله، فَاكْذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين، فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال: أبصر ما صنع بي صاحبك. فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**ما حَمَلَكَ على ما صَنَعْت؟**»، فقال: يا رسول الله، إن عَدُوَّ الله قد قال قولًا عظيمًا، زعَم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء، فلما قال ذلك غَضبْتُ لله مما قال، فضربت وجهه فجَحَد ذلك فنحاص وقال: ما قلتُ ذلك فأنزل الله فيما قال فنحاص ردًّا عليه وتصديقًا لأبي بكر: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ الآية. رواه ابن أبي حاتم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا من جهل اليهود وظلمهم وشدة كفرهم؛ لأنهم يعلمون أن الله هو الغني وأنهم الفقراء، ويعلمون أنه سبحانه خالقهم ورازقهم تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ويعلمون أنه حين قال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]، ليس مراده أنه محتاج إلى عباده، وإنما المراد من ذا الذي يقرض الله بإعطاء الفقراء والإحسان إليهم، فيأخذ ثواب ذلك من عند الله وجزاءه، يثاب في الدنيا وجزيل الأجر في الآخرة، فالقرض لمصلحة المقرض ومنفعته، والله غني عنه وعن قرضه، لكنه يحث عباده على أن يقرضوه قرضًا حسنًا بالإنفاق في سبيله والإحسان إلى عباده الفقراء، وإقامة المشاريع الخيرية، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يجازيهم على ذلك بخير الجزاء في الدنيا وفي الآخرة، وهو الذي أعطاه المال ويسر له المال، ورزقهم ما بأيديهم من أنواع المتاع، كله من رزقه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولكن من طبيعة غالب الناس الظلم والجهل والكذب والكفر والعناد، والإنسان من طبيعته أنه ظلوم جهول، ظلوم كفار، فرح فخور، وهذه من طبيعة هذا العبد المسكين، ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، إلا من هداه الله، إلا من وفَّقه الله، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ تهديد ووعيد؛ ولهذا قرنه تعالى بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ أي: هذا قولهم في الله، وهذه معاملتهم رسل الله، وسيجزيهم الله على ذلك شر الجزاء؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ أي: يقال لهم ذلك تقريعًا وتوبيخًا وتحقيرًا وتصغيرًا.

الشيخ: نسأل الله العافية. لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ تهديد ووعيد؛ ولهذا قرنه بقوله: ﴿وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ أي: هذا قولهم في الله، وهذه معاملتهم لرسل الله، وسيجزيهم الله على ذلك شَرَّ الجزاء؛ ولهذا قال: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾؛ أي: لهم ذلك تقريعًا وتحقيرًا وتصغيرًا.

وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَآ أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ ٱلنَّارُ﴾ يقول تعالى تكذيبًا أيضًا لهؤلاء الذين زعموا أن الله عَهِدَ إليهم في كتبهم ألا يؤمنوا برسول حتى يكون من معجزاته أن من تصدق بصدقة من أمته فقبلَتْ منه أن تنزل نار من السماء تأكلها. قاله ابن عباس والحسن وغيرهما.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ قَدْ جَآءَكُمْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِى بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾؛ أي: بالحجج والبراهين ﴿وَبِٱلَّذِى قُلْتُمْ﴾؛ أي: وبنار تأكل القرابين المتقبلة ﴿فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾؛ أي: فلِمَ قابلتموهم بالتكذيب والمخالفة والمعاندة وقتلتموهم ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾﴾ أنكم تَتَّبِعُونَ الحق وتنقادون للرسل.

ثم قال تعالى مسليًا لنبيِّه ﷺ: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾؛ أي: لا يوهنك تكذيب هؤلاء لك، فلك أسوة من قبلك من الرسل الذين كُذبوا مع ما جاؤوا به من البينات وهي الحجج والبراهين القاطعة ﴿وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ وهي الكتب المتلقاة من السماء؛ كالصحف المنزلة على المرسلين ﴿وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾؛ أي: البَيِّن الواضح الجلي.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم على رسول الله... وهذا تسلية وتعزية من ربنا عَزَّ وَجَلَّ لنبيِّه محمد ﷺ أن يتأثر بكلام هؤلاء وعملهم، وأن يضعف

بسبب ذلك، فإن هؤلاء مجرمون مكذبون كما كذب من قبلهم من الأمم، فلا ينبغي للرسول ﷺ أن يتأثر بذلك؛ بل يستمر في دعوته ويصبر على الأذى والتكذيب حتى يبلغ رسالات الله، وحتى يؤدي ما أوجب الله، فليهلك من هلك عن بينة، وليحيا من حيَّ عن بينة. وكانت اليهود في المدينة ولديهم علوم، ومع هذا كذبوا ولم يستجيبوا لداعي الله، وهم يعلمون أن محمدًا رسول الله، قد عرفوا هذا من كتبهم من التوراة، ولكن حملهم البغي والحسد على التكذيب، فأمر الله النبي ﷺ ألا يتأثر بذلك، وألا يهمه أمرهم فقد كذَّبوا مَن قبله؛ كذبوا عيسى، وكذبوا رسلًا كثيرين، وقد.. بل قتلوهم، وهكذا غيرهم من الأمم من العرب وغير العرب لا يهمن الرسول تكذيبهم وإنكارهم، وهكذا الدعاة ومن بعدهم، هكذا الدعاة ومن بعد الرسل، لا ينبغي أن يتأثروا بتكذيب المكذبين، ومعارضة المعارضين وإيذاء المؤذين، فلهم أسوة بالرسل عليهم الصلاة والسلام، فليصبروا وليحتسبوا، وليستمروا في الدعوة إلى الله والصبر على الأذى حتى يبلِّغوا ما عليهم، وحتى يؤدوا واجبهم، وبعد ذلك الأمر إلى الله سبحانه وتعالى.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٥، ١٨٦](١).

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

يخبر تعالى إخبارًا عامًّا يعم جميع الخليقة بأن كل نفس ذائقة الموت؛ كقوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٦، ٢٧]، فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت والإنس والجن يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخرًا كما كان أولًا.

وهذه الآية فيها تعزية لجميع الناس، فإنه لا يبقى أحد على وجه الأرض حتى يموت، فإذا انقضت المدة وفَرَغَت النطفة التي قدر الله وجودها من صلب آدم وانتهت البرية ـ أقام الله القيامة وجازى الخلائق بأعمالها جليلها وحقيرها، كثيرها وقليلها، كبيرها وصغيرها، فلا يظلم أحدًا مثقال ذرة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبد العزيز الأويسي، حدثنا علي بن أبي علي اللِّهْبِيّ عن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي بن أبى طالب رضي الله عنه، قال: لما تُوفي النبي صلى الله عليه وسلم وجاءت التعزية، جاءهم آت يسمعون حسّه ولا يرون شخصه فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ إن في الله عَزَاءً من كل مُصِيبة، وخَلَفًا من كل هالك، ودركًا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإن المصاب من حُرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال جعفر بن محمد: فأخبرني أبي أن علي بن أبي طالب قال: أتدرون من هذا؟ هذا الخضر عليه السلام.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا الخبر منقطع وليس بصحيح، والخضر قد مات قبل ذلك بمدة ودهر طويل، ويقال: إنه جبرائيل عزاهم، والله أعلم.

المقصود: أن الخبر لو صح فالله أعلم هل هو جبرائيل أو من

الملائكة، أو من مؤمني الجن للتعزية؟ والآية الكريمة مع أشباهها من الآيات كلها دالة على أن النفس.. أن جميع النفوس كلها ميتة، نفوس بني آدم ونفوس الجن، والملائكة، وجميع النفوس: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، يعني: الوفاة.. التوفية التامة يوم القيامة، والا قد يعطون في الدنيا ما شاءه الله من جزاء، كما يجزى الكافر بأعماله الطيبة في الدنيا طعمة في الدنيا، وكما يجزى المؤمن ببعض أعماله في الدنيا ويعطى عليها في الآخرة أيضًا كذلك فضل الله، لكن الجزاء الكامل والتام والوافي، كله يكون يوم القيامة: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾، من رزق هذا الخير وزحزح.. زحزحه الله عن النار وأنجاه منها وفاز بالجنة والنعيم فهذا هو الفائز الحقيقي، وهذا هو السعيد: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾، يعني: يغتر به أكثر الخلق، ولا ينتبهوا لهذه.. لهذا المتاع ويسلموا من الغرور به إلا القلائل من الناس وهم أهل الإيمان والتقوى، وأكثر الخلق يغتر بهذا المتاع، وله يغضب وله يرضى وله يطلب، قد نسي الآخرة وأعرض عنها؛ فلا يهمه إلا هذا المتاع العاجل، هذه حال الأكثرين: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وقال في آيات كثيرات: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٢١].

وأما هذا الأثر هو منقطع؛ لأن محمد بن علي الباقر لم يدرك عليًّا ولم يسمع من علي، فهذا من رواية جعفر الصادق عن محمد الباقر بن علي بن الحسين عن جده.. عن جد أبيه علي بن أبي طالب وبينهما مسافة لم يدركه، فهو منقطع، والخضر قد مات كما قال المحققون من أهل العلم من دهر طويل. وفي هذا تعزية: (إن في الله عزاء من كل مصيبة، عوضًا.. وعوضًا من كل هالك، ودركًا من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فالمصاب من حرم الثواب)، فهذه تعزية للسامعين،

إما من ملك من الملائكة، وإما من مؤمن من مؤمني الجن، وليس بمستغرب. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾؛ أي: من جنب النار ونجا منها وأدخل الجنة، فقد فاز كل الفوز.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري، حدثنا محمد بن عَمْرو بن علقمة، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَوْضع سوط في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها، اقرؤوا إن شئم:** ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾»، هذا حديث ثابت في الصحيحين من غير هذا الوجه بدون هذه الزيادة، وقد رواه بدون هذه الزيادة أبو حاتم، وابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه، من حديث محمد بن عمرو هذا. ورواه ابن مردويه أيضًا من وجه آخر فقال: حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم، حدثنا محمد بن يحيى، أنبأنا حُمَيْد بن مسعدة، أنبأنا عمرو بن علي، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «**لموضع سَوط أحَدكم في الجنة خير من الدنيا وما فيها**». قال: ثم تلا هذه الآية: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

وتقدّم عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] ما رواه الإمام أحمد، عن وَكيع عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمٰن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أحَبَّ أن يزحزح عن النار وأن يدخل الجنة، فلتدركه مَنِيَّتُه وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ولْيَأْتِ إلى الناس ما يُحِبُّ أن يؤتى إليه**».

وقوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ تصغيرًا لشأن

الدنيا، وتحقيرًا لأمرها، وأنها دنيئة فانية قليلة زائلة، كما قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٦، ١٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [القصص: ٦٠] وفي الحديث: «**واللهِ ما الدنيا في الآخرة إلا كما يَغْمِسُ أحدُكُم إصبعه في اليَمِّ، فلينظر بِمَ تَرْجِع إليه؟**».

وقال قتادة في قوله: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾﴾ هي متاع، هي متاع، متروكة، أوشكت - والله الذي لا إلٰه إلا هو - أن تَضْمَحِلَّ عن أهلها، فخذوا من هذا المتاع طاعة الله إن استطعتم، ولا قوة إلا بالله.

وقوله: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾؛ كقوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥، ١٥٦]؛ أي: لا بد أن يبتلى المؤمن في شيء من ماله أو نفسه أو ولده أو أهله، ويبتلى المؤمن على قدر دينه، إن كان في دينه صلابة زيد في البلاء: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ﴾، يقول تعالى للمؤمنين عند مَقْدمهم المدينَة قبل وقعة بدر، مسليًا لهم عما نالهم من الأذى من أهل الكتاب والمشركين، وآمرًا لهم بالصبر والصفح والعفو حتى يفرج الله، فقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو اليمان، حدثنا شعيب بن أبي حمزة، عن الزهري، أخبرني عُرْوة بن الزبير: أن أسامة بن زيد أخبره قال: كان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ

أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ قال: وكان رسول الله ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم.

هكذا رواه مختصرًا، وقد ذكره البخاري عند تفسير هذه الآية مطولًا فقال: حدثنا أبو اليمان، أنبأنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عروة بن الزبير؛ أن أسامة بن زيد أخبره أن رسول الله ﷺ ركب على حمَار، عليه قطيفة فَدكيَّة وأردف أسامة بن زيد وراءه، يعود سَعْدَ بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج، قَبْل وقعة بَدْر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أُبي بن سَلُول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين، عَبَدَة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبدُ الله بن رَوَاحة، فلما غَشَيت المجلسَ. . . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

عجاجة. الله أكبر. . الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

عَجَاجةُ الدابة، خَمَّر عبد الله بن أبي أنفه بردائه وقال: لا تُغَبِّروا علينا. فسلَّم رسول الله ﷺ ثم وقف، فنزل فدعاهم إلى الله ﷻ، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أُبَي: أيها المَرْء، إنه لا أَحْسَنَ مما تقول إن كان حقًّا، فلا تؤذنا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه. فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فَاغْشَنَا به في مجالسنا فإنا نُحب ذلك. فاستَبَّ المسلمون والمشركون واليهود حتى كادوا يَتَثَاورون فلم يزل النبي ﷺ يُخفِّضهم حتى سكتوا، ثم ركب النبي ﷺ دَابته، فسار حتى دخل على سعد بن عُبَادة، فقال له النبي ﷺ: **«يا سعد، ألم تَسْمَع إلى ما قال أبو حُبَاب - يريد عبد الله بن أُبي - قال كذا وكذا»**. فقال سعد: يا رسول الله، اعف عنه واصفح فوَالله الذي

أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البُحَيْرَة. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

البحيرة. نعم.

القاري: (البحير. .).

الشيخ: القرية يسمونها بحيرة، والقرى جمع.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

على أن يُتَوِّجوه وَيُعَصِّبُوه بالعصابة، فلما أبى الله ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك، فذلك الذي فَعَل به ما رأيتَ، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان رسول الله ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾، وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ﴾ الآية [البقرة: ١٠٩]، وكان النبي ﷺ يَتَأَوّل في العفو ما أمره الله به، حتى أذنَ الله فيهم، فلما غزا رسولُ الله ﷺ بدرًا، فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال عبد الله بن أبَيّ ابن سَلُول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد تَوَجّه، فبايعُوا الرسول ﷺ على الإسلام وأسلموا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: قبل أن يظهر الإسلام، ثم أسلم ثم مات على الكفر، يعني: قبل أن يظهر الإسلام قبل أن ينافق، يعني: أولًا قد أظهر الكفر وأبى أن يسلم، فلما وقعت بدر ورأى ظهور المسلمين أظهر الإسلام نفاقًا، وبقي على نفاقه حتى مات منافقًا. نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

فكان من قام بحق، أو أمر بمعروف، أو نهى عن منكر، فلا بد أن يؤذَى، فما له دواء إلا الصبر في الله، والاستعانة بالله، والرجوع إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

الله أكبر.. الله أكبر. وهذا هو الواجب، وعبد الله بن أُبي كانوا قد اصطلحوا أن يملِّكوه عليهم، أن يجعلوه ملكًا في المدينة ورئيسًا في المدينة، فلما جاء الله بنبيِّه ﷺ وهاجر إلى المدينة، ورأى أن الأمر قد فاته وزال.. وزال ما.. ما أريد به شرق بالأمر؛ وكره مجيء النبي ﷺ؛ لأنه فوَّته هذه الولاية، ولم يزل في نفسه من ذلك الشيء الكثير والعياذ بالله، حتى وقعت بدر، فلما وقعت غزوة بدر قتل الله فيها صناديد قريش وكبارهم ورؤساءهم، وظهر دين الله على أعدائه، قال الخبيث عبد الله بن أُبي ومن معه من المنافقين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد ظهر، هذا دين قد توجَّه، وخافوا فبايعوا، فقال: فأمرهم أن يبايعوا فبايعوا، وأظهروا الإسلام خوفًا من أن يصيبهم ما أصاب غيرهم، ولم يزل في أنفسهم النفاق والكبر والكراهة للحق حتى مات عبد الله على حاله منافقًا، وصلَّى عليه النبي ﷺ لإظهاره للإسلام، فأنزل الله في حقه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. نسأل الله العافية.

وهذا فيه عبرة وعظة وذكرى، وأن المؤمن الداعي إلى الله لا يستنكر إيذاء أعداء الله، فقد آذوا الرسل قبله، وآذوا أهل الإيمان قبله. فالواجب عليه أن يصبر ويحتسب، ويمضي في سبيله وفي دعوته إلى الله متحملًا ما في ذلك من الأذى، صابرًا على ما يناله من ذلك يرجو ثواب الله ويخشى عقابه، هكذا أهل الإيمان في الأمم قبلنا، وفي هذه الأمة المحمدية، صبروا واحتسبوا حتى بلَّغوا ما عليهم، وجعل الله لهم

العاقبة الحميدة في الدنيا والآخرة، كما قال ﷻ: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩]. الله المستعان.

الأسئلة:

- **س: بالنسبة للرجل إذا كان يظهر النفاق وهو يدَّعي الإسلام هل يصلَّى عليه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا عُرف لا ما عاد يصلى عليه، إذا عرف أنه منافق كافر.

مداخلة: لا.. لا كونه يؤذي..؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا ثبت.. إذا ثبت عليه أنه منافق ما عاد يصلَّى عليه.

مداخلة: إذا ثبت أنه يؤذي المسلمين؟

الشيخ: الأذى يختلف، لا بد من العلم بالكفر. نسأل الله العافية.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ **[آل عمران: ١٨٥]**(١).

هذه الآية الكريمة فيها الحث على ذكر الموت وقصر الأمل والإعداد للآخرة، وأنه ينبغي للمؤمن ألّا يغفل عن الآخرة وألّا ينساها، الموت الذي لا بد أن ينزل به ويبني على ذلك إعداده للآخرة، وحذره من الاغترار بالدنيا وزينتها وغفلتها، فإن الأجل يأتي بغتة فلا ينبغي

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٢/ ٣٧٥).

للعاقل أن يهمله وأن يضيعه وأن يغفل عنه، بل الواجب أن يعد العُدة للقاء ربه ﷻ قبل أن يقول: يا ليتني قدمتُ لحياتي، قبل أن يتمنى الرجعة؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِۚ﴾ [المنافقون: ٩]؛ يعني: عن طاعة الله واتباع شرعه، ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ﴾ [المنافقون: ٩، ١٠] هلَّا أخرتني ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ١٠]، ثم بيَّن سبحانه أن هذا لا حيلة فيه، إلى أن قال: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ﴾ [المنافقون: ١١] ليس هناك مهلة، متى نزل الأجل ارتحل بصاحبه؛ ولهذا يقول سبحانه: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةًۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل: ٦١]، الواجب على العاقل، وعلى المؤمن؛ أن يُعدَّ لهذا اليوم عُدة صالحة بتقوى الله والاستقامة على أمره والوقوف عند حدوده، والحذر مما نهى عنه ﷻ، ولا تغره الدنيا بزهرتها، بل يجب أن يستعين بها على طاعة الله، وليأخذ أُهبته.

ولهذا جاء في **حديث ابن عمر** رضي الله عنه يقول ﷺ: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ**». والعابر والغريب: وهو عابر السبيل، إنما يأخذ من البلد حاجته التي توصله إلى بلاده، هذا هو المعتاد المعروف فإذا مرَّ ببلد يتأهب منها بطريقه، وأنت في هذا الدار راحل وسائر، والمنتهى: إما الجنة وإما النار، فالعاقل يُعدُّ العُدة إلى المنزلة الصالحة إلى دار الكرامة، قبل أن يقول: يا ليتني، قبل أن يحال بينه وبين ذلك، ورُوي عنه؛ أنه قال عليه الصلاة والسلام: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ**

فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ»[(١)].

كل إنسان قد تعرض لهذه العوارض فليغتنم، يغتنم حال الصحة الحياة والفراغ والغنى والقدرة، يغتنم ذلك في أعمال الخير والاستعداد للآخرة والحذر مما يصده عن ذلك (**وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ** رضي الله عنهما، **يقول: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ**)؛ يعني: أخذ من الحديث هذه الفائدة، (**وَإِذَا أَصْبَحتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ**)[(٢)]؛ يعني: كان يأمر إخوانه بأن يستعدوا ويحذروا وألّا يطولوا الأمل فيكسلوا عن العمل، بل يعدُّ العُدة خشية أن يهجم الأجل صباحًا ومساء، والناس يشاهدون من يصبح ولا يمسي ويُمسي ولا يُصبح، من تهجم عليه الآجال لأسباب ما كانت في باله من موت السكتة، من انقلاب السيارات، من صدام السيارات، ومن غير هذا من الحوادث فليس عنده وثيقة أنه يمرض ويطول مرضه ويكره أن يستعتب، وقد يهجم الأجل من دون مرض ومن دون مقدمات.

وجاء في **حديث ابن عمر** يقول ﷺ: **«مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ»**[(٣)] في لفظٍ: ثلاث، قال ابن عمر: فما مرت علي ليلةٌ منذ سمعت هذا من رسول الله إلا وعندي وصيتي.

فالعاقل الحازم يأخذ بالحيطة فيجتهد في الاستعداد لِما يُرضي الله

---

(١) أخرجه عن ابن عباس رضي الله عنهما الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٤/ ٣٤١) برقم (٧٨٤٦).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصايا برقم (٢٧٣٨)، ومسلم في كتاب الوصية برقم (١٦٢٧).

(٣) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. أخرجه البخاري في كتاب الوصايا، باب الوصايا برقم (٢٧٣٨)، ومسلم في كتاب الوصية برقم (١٦٢٧).

ويوصي بما يلزم، كأن يحب أن يوصي بشيء بثلثه أو ربعه أو غير ذلك، يوصي فإن كانت عليه حقوق يوصي بها؛ لئلا تضيع، ولا سيما الحقوق التي ليس عنده لها وثائق عليها من ديون أو أمانات ونقود وغير هذا، يقيِّدها يكتبها ويبينها حتى لا تضيع حقوق الناس، هكذا المؤمن، هكذا المؤمنة كل واحد منهما يأخذ بالحيطة ويجتهد في الإعداد ويوصي بما يلزم مخافة الندم مخافة التفريط.

*

□ تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران: ١٨٦][(١)].

حدّثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيبٌ، عن الزّهريّ، قال: أخبرني عروة بن الزّبير أنّ أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما أخبره «أنّ رسول الله ﷺ ركب على حمارٍ على قطيفةٍ فدكيّةٍ، وأردف أسامة بن زيدٍ وراءه، يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدرٍ، قال: حتّى مرّ بمجلسٍ فيه عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبد الله بن أبيٍّ، فإذا في المجلس أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبد الله بن رواحة، فلمّا غشيت المجلس عجاجة الدّابّة خمّر عبد الله بن أبيٍّ أنفه بردائه، ثمّ قال: لا تغبّروا علينا، فسلّم رسول الله ﷺ عليهم، ثمّ وقف فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبد الله بن أبيٍّ ابن سلول: أيّها المرء، إنّه لا أحسن ممّا تقول إن كان حقًّا، فلا تؤذينا به في مجلسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبد الله بن رواحة: بلى يا رسول الله،

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

فاغشنا به في مجالسنا، فإنّا نحبّ ذلك، فاستبّ المسلمون والمشركون واليهود حتّى كادوا يتثاورون، فلم يزل النّبيّ ﷺ يخفّضهم حتّى سكنوا، ثمّ ركب النّبيّ ﷺ دابّته، فسار حتّى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النّبيّ ﷺ: «**يَا سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالَ أَبُو حُبَابٍ؟**» يريد عبد الله بن أبيٍّ، «**قَالَ كَذَا وَكَذَا**»، قال سعد بن عبادة: يا رسول الله اعف عنه، واصفح عنه، فوالّذي أنزل عليك الكتاب، لقد جاء الله بالحقّ الّذي أنزل عليك، ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوّجوه فيعصّبونه بالعصابة، فلمّا أبى الله ذلك بالحقّ الّذي أعطاك الله، شرق بذلك، فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان النّبيّ ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين، وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصطبرون على الأذى، قال الله ﷻ: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَذًى كَثِيرًاۚ﴾ الآية، وقال الله: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ إلى آخر الآية [البقرة: ١٠٩]، وكان النّبيّ ﷺ يتأوّل العفو ما أمره الله به، حتّى أذن الله فيهم، فلمّا غزا رسول الله ﷺ بدرًا، فقتل الله به صناديد كفّار قريشٍ، قال ابن أبيٍّ ابن سلول، ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمرٌ قد توجّه، فبايعوا الرّسول ﷺ على الإسلام فأسلموا»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: (**قبل أن يسلم عبد الله بن أبيٍّ**)؛ يعني: قبل أن يظهر إسلامه، وإلّا فهو ما أسلم قبل ـ قبّحه الله ـ لكن قبل أن يظهر إسلامه؛

---

(١) متفق عليه من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾... إلخ برقم (٤٥٦٦)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في دعاء النبي ﷺ وصبره على أذى المنافقين برقم (١٧٩٨).

يعني: النّفاق صاحبه لا يستريح، صاحب النّفاق لا يستريح حتّى يتكلّم، نسأل الله العافية.

قوله: (**فلم يزل النّبيّ ﷺ يخفّضهم حتّى سكتوا**): هذا مما حباه الله من الخُلُق العظيم وطيب الكلام عليه الصّلاة والسّلام، والرّأفة والرّحمة وحسن السّياسة، كونه ينصح ويذكّر، ثمّ ينصح عند وجود الاضطراب والخلل حتّى يسكّت النّاس، ويزيل ما قد يقع من أسباب الشّرّ، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، الله أكبر.

قوله: (**شرق بذلك، فلذلك فعل به ما رأيت**): أخبر سعدٌ رضي الله عنه بالحقيقة.

وفي هذا من السّياسة الشّرعيّة العظيمة أنّه عليه الصّلاة والسّلام قال: (**ما فعل أبو الحباب؟**)، ما قال: ما فعل المنافق؟ أو ما فعل الخبيث؟ أو ما فعل المجرم؟ أو ما فعل كذا وكذا من الكلمات النّابية، بل ترك الكلمات؛ لأنّه معظّمٌ عندهم، رئيسٌ عندهم، كبيرٌ، فناسب أن يقول كلماتٍ لا تزعج النّاس، ولا تغيّر النّاس؛ فإذا سمعها عبد الله ما تزعجه؛ ربّما ترشده إلى الخير فقال: (**ما فعل أبو حبابٍ**) في اللّفظ الآخر: (**أبو الحباب**) وهي كنية عبد الله بن أبيٍّ.

فكونه الإنسان يطلق عليه «أبو فلانٍ» كلمة يرضاها ويحبّها الإنسان إذا قيلت عنه، ما قال: عبد الله بن أبيٍّ، قال: «ما فعل أبو فلانٍ» هي كلمةٌ أحسن من إخباره باسمه.

كل هذا من باب التّأليف، من باب الرّفق بالأمّة؛ لأنّه رجلٌ معظّمٌ فيهم؛ فيخشى لو ذمّه لثار له أحدٌ، ولتكلّم أحدٌ؛ فأتى بعبارةٍ حسنةٍ، ثمّ تكلّم سعدٌ رضي الله عنه بهذا الكلام، الّذي يبيّن للنّبيّ ﷺ أنّ الرّجل قد أصيب بمصيبةٍ؛ فلهذا لا يسكت أن يتكلّم؛ لأنّهم قد اجتمع رأيهم أن يملّكوه؛ يعني: ملكًا في المدينة، ورئيسًا في المدينة ويعصّبوه بعصابة الملك، فلمّا جاء النّبيّ ﷺ وهاجر إليهم؛ حيل بين عبد الله بن أبي وبين هذا الأمر، وزال ما يريد.

فلهذا عظم عليه الأمر واشتدّ عليه الأمر، ورأى أنّه قد أصيب ونزع ملكه بهذه النّبوّة؛ فلهذا صار يتكلّم بكلماتٍ نابيةٍ وقبيحةٍ، ولم يزل في قلبه النّفاق والخبث والكفر حتّى مات على ذلك ـ نسأل الله العافية ـ حتّى أنزل الله فيه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]، نسأل الله العافية، لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

قوله: (**وكان النّبيّ ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب...**) إلخ: وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يتأسوا بالنّبيّ ﷺ في العفو والصّفح، وعدم الشّدّة في الأمور، ولا سيّما عند ضعف الإسلام وعند ضعف القوة ـ قوة المسلمين ـ وضعف السّلطان؛ ينبغي أن يكونوا في غايةٍ من العناية في العفو والصّبر والتّحمّل؛ حتّى لا تنفتح عليهم أبواب شرٍّ، وحتّى لا يحركوا أصحاب الشّرّ؛ فإنّ العفو والصفح والكلام الطّيّب يسكّت الأمور ويسكّنها، والكلام الشّديد والعنف والمجازاة يحرّك الشّرور، ويحرّك النّفوس الشريرة ويبعث فيهم الفتن والخصومات والنّزاع.

فلهذا أرشد الله الأمّة إلى الصّبر والعفو وعدم الإثارة، وعدم القصاص في أوّل الأمر حتّى نصر الله دينه، وأظهر عباده المؤمنين وقوّى جانبهم؛ فأخذوا حقّهم بعد ذلك، الله المستعان.

قوله: (**فبايعوا الرّسول ﷺ على الإسلام فأسلموا**)؛ يعني: بعد بدرٍ.

قوله: (**أن يتوّجوه فيعصّبوه بالعصابة**): يعني (**يتوّجوه**)؛ يعني: يجعلونه أميرًا لهم وملكًا عليهم، فلمّا جاء الله بالنّبيّ ﷺ وهاجر إلى المدينة فاته هذا الأمر؛ فاشتدّ عليه الأمر، وحزن من هذا الأمر؛ فشرق[١] بالحقّ ـ والعياذ بالله ـ ونجم نفاقه، نسأل الله العافية.

---

(١) «والشَّرَقُ بفتحتين: الشجا والغُصّة، وقد شَرِقَ من باب طرِب؛ أي: غصَّ...» «مختار الصحاح» (١/ ٣٥٤).

فلمّا وقعت وقعة بدرٍ أظهر الإسلام وقال: هذا دينٌ قد ظهر، وقد أقبل فأظهر الإسلام نفاقًا ـ نسأل الله العافية ـ ثمّ لما وقعت وقعة أحدٍ أظهر النّفاق مرةً أخرى، نسأل الله العافية.

قوله: (**قال الله ﷻ**: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا﴾ **الآيةَ،... فبايعوا الرَّسُوْل عَلَى الإِسْلَام فأسلموا**): وَهَذَا هُوَ الَّذِي يَنْبَغِي لِأَهْلِ الإِيْمَان، التحمُّلُ والصبرُ حَتَّى يُظهر اللهُ دينَه: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

لأنّ هذا من أسباب قربهم، ومن أسباب سماعهم للدعوة، ومن أسباب قلّة الفتن والاختلاف العفو والصّفح، حتّى يصل النّاس إلى الخير، وحتّى يصلوا إلى المجتمعات النّافعة، وحتّى تعمّهم الدّعوة.

أمّا أخذ النّاس بالقوّة هذا هو الّذي يسبب المشاكل والاختلاف والقتال والنّفور من الدّعوة، أمّا إذا قوي الإسلام وقوي السّلطان، وصار أهل الباطل مغمورين؛ هذا هو محلّ القوّة، إذا أظهروا شرّهم، أمّا إذا كان أهله حالهم بخلاف ذلك فالشّرّ واضحٌ، والسّلطان ضعيفٌ أو معدومٌ؛ فلا طريق إلى القوة، لا بدّ من الرفق والتّسامح والعفو واستعمال الكلمات الطّيّبات؛ حتّى تعمّ الدّعوة حتّى يسمع لها.

وهكذا كان في مكّة؛ لأنّه لا سلطان له في مكّة، كان يتكلّم ويعظ النّاس ويذكّر النّاس، ويعفو ويصفح، ولما وضع بعض قريشٍ ـ بعض كبارهم ـ السّلا عليه وهو يصلّي؛ دعا عليهم ولم يقل شيئًا، يأتيهم ويسبّهم، كلّ هذا من باب التّأليف .الله المستعان.

● **س: السّلام على المشركين يجوز؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا بدؤوا يردّ عليهم، وإذا كان مجلسًا مختلطًا يبدؤون، إذا كان مجلسًا فيه كفارٌ وفيه مسلمون، يقال: السّلام عليكم؛ يريد المسلمين يعني، أمّا إذا كان المجلس كلّه كفارٌ محضٌ ما فيه مسلمون لا يبدؤهم، لكن لا بأس أن ينزل يعظهم من غير أن يقول: السّلام عليكم، يقول مثلًا: كيف حالكم أو كذا، ويقرأ القرآن ويذكّر، أمّا إن بدؤوا هم يردّ عليهم، أمّا إذا كان أخلاطًا مثل ما فعل النّبيّ ﷺ يسلّم، لما كان فيه أخلاطٌ من اليهود وعبدة الأوثان والمسلمين، فسلّم عليهم، وقرأ القرآن وذكّرهم عليه الصّلاة والسّلام.

• **س: إذا شكّ في ذلك ولم يعرف الحال: هل هم مسلمون أو غير مسلمين؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

محتملٌ: إذا كان البلد فيه أخلاطٌ، إذا كان البلد أو القرية الّتي جاءها أو الجهة الّتي جاءها، أو الحي الّذي جاءه فيه أخلاطٌ ممكن أن يقال: إنّه يحمله على الأغلب ويسلّم، ويحتمل أن يقال: يتوقّف ولا يبدأ إذا كان ما عرف أنّ فيه مسلمين محتملٌ، والقول بأنّه يبدأ إذا كان الغالب الخلطة أقرب.

• **س: يقول: السّلام على من اتّبع الهدى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا للكفّار الخاصّين، الّذين ما فيهم أخلاطٌ.

• **س: إذا كان في الشّارع ـ سلّمك الله ـ إذا صادف في الشّارع مثلًا مثل العمّال الآن؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا كان في بلادٍ فيها مسلمون وكفارٌ، وليس عليه علامة الكفر تبدأ بالسّلام، الأصل البداءة بالسّلام، هذا هو الأصل، ما دامت بلاد

إسلام؛ النّبيّ ﷺ قال: «**تَقْرَأُ السَّلَام عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِف**»(١)، مَا دامَ بلاد إسلام، وفي الحديث الآخر: «**أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيء إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَام بَيْنَكُمْ**»(٢).

● **س: إذا كانوا عمالًا؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا لم تعرف أنّه كافرٌ فلا حرج إن شاء الله. أمّا إذا عرفت لا تبدأ، إذا عرفته لا تبدأ، ما هو بضارّك إذا بدأت بالسّلام، إذا أخطأت ما ضرّك، المصيبة ترك السّلام للجميع، اعتاد النّاس تركه لا يسلّمون إلّا على من عرفوه، لا يسلّم بعضهم إلّا على البعض الّذي يعرفه ويترك السّنّة.

● **س: العصاة إذا ثبت المعاصي؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا بأس أن يسلّم عليهم يبدؤهم بالسّلام ويرد عليهم، إلّا إذا رأى المصلحة في الهجر هجر إذا أعلنوا معاصيهم.

(من القارئ): أحسن الله إليك: في الشرح يقول: (أهل هذه البحرة).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقال: بحرة وبحيرة، بحار؛ يعني: قرًى، ومن وراء البحار؛ يعني: من وراء القرى.

(من القارئ): قال في الشّرح: (وفي رواية الحموي البحيرة بالتصغير).

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب إطعام الطعام من الإسلام برقم (١٢)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب جامع أوصاف الإسلام برقم (٣٩).

(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنين برقم (٥٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: البحيرة الصغيرة، بحرة وبحارٌ وبحيرة تصغير، وهي تطلق على القرى والبلدان.

(من القارئ): قال: (ونقل ياقوتُ أنّ البحرة من أسماء المدينة النّبويّة).

قال ابن بازٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا هي عامّة تسمّى بها القرى، يطلق على القرى بحار ولا سيّما الّتي حول البحار.

• **س: عفا الله عنك: إثبات النون (فيعصّبونه) ساقطة عندنا (يتوّجوه فيعصّبوه) بإسقاط النون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا أحسن إسقاطها أحسن عطفًا على (يتوجوه) ماذا عندك في المتن؟

(من القارئ): (فيعصّبونه).

(من الشّيخ): تكلّم عليه الشّارح؟

(من القارئ): قال: (**قوله: على أن يتوّجوه فيعصّبوه**) بدون النون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: هذا أحسن وهذا أولى في العربية، عطفٌ.

(من القارئ): قال عفا الله عنك: [قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الشرح» (٨/ ٢٣٢)]: «ووقع في غير البخاريّ «فيعصّبونه» والتّقدير: فهم يعصّبونه، أو فإذا هم يعصّبونه».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني لو صحّت النّون تؤوّل على هذا «أن يتوجوه فهم يعصبونه» أو فإذا هم يعصبونه بإثبات النون، لكن الكلام ماشٍ (يتوّجوه فيعصّبوه) عطفًا على يتوجوه.

• **س: أحسن الله إليك: يقول: (ووقع في غير البخاريّ) وهي في البخاريّ هنا بالنون؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: نعم، خطأ عليه، هذا يدلّ على أنّها خطأ النّون هنا. (يعصبوه). تكلّم العيني (يعصبوه)؟

[قال الإمام العينيّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «عمدة القاريّ» (١٨/ ١٥٦)]: «قوله:

«فيعصبوه» (ووقع في أكثر نسخ البخاريّ يعصبوه بدون الفاء». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: مثل ما قال الحافظ. ماشي.

• **س: أحسن الله إليك: (تأوّل العفو) معناه، الحديث: وكان النّبيّ ﷺ يتأوّل العفو؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

يعني يستعمله يفسره، التأويل: التفسير، يفسر العفو بأعماله تقول عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا لما نزل قوله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١] كان يقول: إذا قام وإذا جلس يسبِّح: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**» يتأوّل القرآن(١)؛ يعني: يفسر القرآن بها.

• **س: في هذا الموضع معنى (تأوّل العفو)؛ يعني: يوجه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ: يعني: يستعمله معهم ويتكلّم به ويفعله ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾.

*

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧ لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨٨ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ١٨٩﴾ [آل عمران: ١٨٧ ـ ١٨٩](٢).

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب التسبيح والدعاء في السجود برقم (٨١٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود برقم (٤٨٤).

(٢) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ، الليلي ١٤ ـ ٢ ـ ١٤٠٥هـ.

هذا توبيخ من الله وتهديد لأهل الكتاب، الذين أَخَذ عليهم العهد على ألسنة الأنبياء أن يؤمنوا بمحمد ﷺ، وأن ينوِّهوا بذكره في الناس ليكونوا على أُهْبَة من أمره، فإذا أرسله الله تابعوه.

فكتموا ذلك وتعوضوا عما وعدوا عليه من الخير في الدنيا والآخرة بالدون الطفيف، والحظ الدنيوي السخيف، فبئست الصفقة صفقتهم، وبئست البيعة بيعتهم.

وفي هذا تَحْذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم، ويُسْلكَ بهم مَسْلكهم، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع، الدال على العمل الصالح، ولا يكتموا منه شيئًا، فقد ورد في الحديث المروي من طرق متعددة عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدل على وجوب البيان على أهل العلم والدعوة إلى الله عَزَّ وَجَلَّ، وإرشاد الناس إلى ما خلقوا له من توحيد الله وطاعته، وتحذير الناس من ما نهاهم الله عنه من الشرك والمعاصي والمخالفات، ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ هم اليهود والنصارى، هم أهل الكتاب التوراة والإنجيل. ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾، يعني: العلم. ﴿وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ العلم بمحمد وبغيره عليه الصلاة والسلام، أخذ الله عليهم الميثاق أن يبينوا ما عندهم من العلم بمحمد ﷺ وأن الله باعثه في آخر الزمان، وأنه يبعث في العرب وأنه في مكة ثم في المدينة، عندهم علوم في هذا ولكن جحدوها وأخفوها حسدًا وبغيًا، وكراهة أن يكون هذا النبي في العرب، وكراهة أن يستجيبوا له ويتبعوه فتزول مآكلهم

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم برقم (٣٦٥٨)، والترمذي في كتاب العلم، باب في كتمان العلم برقم (٢٦٤٩)، والإمام أحمد (٢/ ٣٤٤، ٣٥٣).

التي قد تكون عند بعض الناس فيمنعوها إذا تابعوا محمدًا ﷺ.

فالمقصود: أنهم آثروا الدنيا والحظ العاجل، وقدموا ما لهم عند الناس من حظوظ دنيوية ومكانة ومنزلة ورياسة، خشيوا أن تزول عليهم، وخافوا أن تذهب عليهم إذا تابعوا محمدًا ﷺ وبينوا أمره وأوضحوه للناس، فلهذا غضب الله عليهم ومقتهم، وبيَّن خسارهم ودمارهم، وأنهم باعوا الدنيا بالآخرة، واشتروا بالآخرة ثمنًا قليلًا، فهم اليهود لأنهم هم اللي عندهم العلم، والنصارى يغلب عليهم الجهل. أما اليهود فعندهم العلوم الكثيرة لكنهم ضيعوها وباعوها بحظ عاجل، ولم يستجيبوا لداعي الله ﷻ، ولم يعملوا بعلمهم، فخسروا الدنيا والآخرة، وباءوا بغضب من الله على غضب، واستحقوا عذابه ﷻ ومقته، واستحقوا السمعة السيئة، والذم في الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية.

وفي هذا أيضًا تحذير أيضًا لعلماء أمة محمد ﷺ مما فعله اليهود، فإن اليهود قوم بهت وقوم مغضوب عليهم، وقوم باعوا الآخرة بالدنيا، فلا يجوز لأهل الإيمان من أمة محمد أن يشابهوهم، أو يقلدوهم، أو يسيروا على مسيرتهم أو يسلكوا مسلكهم؛ فإنه مسلك خبيث، مسلك وخيم.

فالواجب على الأمة أن يحذروا ذلك، وأن يبينوا ما عندهم من العلوم للناس، ويشرحوها للناس ويوضحوها للناس سئلوا أو لم يسألوا، وإذا سئلوا ولم يجيبوا صار الأمر أشد، ولهذا في الحديث. وفي لفظ: **«مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ عَلِمَهُ ثُمَّ كَتَمَهُ أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»**(١).

وأبلغ من هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم برقم (٣٦٥٨)، والترمذي في كتاب العلم، باب في كتمان العلم برقم (٢٦٤٩)، والإمام أحمد (٢/ ٢٦٣ و٢٩٦ و٣٠٥ و٣٤٤).

ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]. فبيَّن ﷻ أن من كتم العلم ولم يبيِّن يلعنه الله ويلعنه اللاعنون من خلقه، وأنه لا يسلم من هذا إلا إذا تاب وأصلح وبيَّن ما عنده، تاب إلى الله وأصلح في عمله وبيَّن ما عنده من العلم، ما كتم.

ومعلوم أن الناس في حاجة إلى العلم، والطريق إلى الله لا بد أن يكون من طريق ما جاءت به رسله، فإذا كتم الناس العلم لم يعرف الناس هذا الطريق، ولم يتبينوه حتى يسلكوه، فلا طريق إلى معرفة الطريق الذي يوصل إلى الله وإلى الجنة والكرامة إلا من طريق الرسل. فإذا كتم العلماء ما عندهم من أين يعلم الناس الطريق؟

فالواجب البيان والإيضاح في كل مكان وفي كل زمان لما جاء به الرسول ﷺ من العلم والهدى، وبيان طريق الحق الذي من سلكه نجا، ومن تخلف عنه هلك، والحذر من الكتمان لحظ عاجل، فإن هذا هو طريق المغضوب عليهم، وهو طريق الضالين، وهو طريق علماء السوء، فلا يجوز لمؤمن أن يتبعهم ولا أن يقلدهم في ذلك، ولا أن يتشبه بهم في ذلك.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله تعالى﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ﴾ الآية، يعني بذلك: المرائين المتكثرين بما لم يُعْطَوا، كما جاء في الصحيحين عن رسول الله ﷺ: «**وَمَنِ ادَّعَى دَعْوَى كَاذِبَةً لِيَتَكَثَّرَ بِهَا لَمْ يَزِدْهُ اللهُ إِلَّا قِلَّةً وَمَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينِ صَبْرٍ**

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه... برقمة (١١٠).

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب المتشبع بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة برقم (٥٢١٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشبع بما لو يعط برقم (٢١٢٩).

فَاجِرَةٍ»[١]، وفي الصحيح: «**الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ**»[٢].

وقال الإمام أحمد: حدثنا حَجَّاج، عن ابن جُرَيْج، أخبرني ابن أبي مُلَيكة أن حُمَيد بن عبد الرحمٰن بن عَوْف أخبره: أن مروان قال: اذهب يا رافع ـ لبَوَّابه ـ إلى ابن عباس رضي الله عنه، فقل لئن كان كل امرئ منَّا فَرح بما أَتَى وأحب أن يحمد بما لم يفعل ـ معَذَّبًا، لنُعَذبن أجمعون؟ فقال ابن عباس: وما لكم وهذه؟ إنما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثم تلا ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ وتلا ابن عباس: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ الآية. وقال ابن عباس: سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكتموه وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أرَوْه أن قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم ما سألهم عنه.

وهكذا رواه البخاري في التفسير، ومسلم، والترمذي والنسائي في تفسيريهما، وابن أبي حاتم وابن جرير وابن مَرْدُويه، والحاكم في مستدركه، كلهم من حديث عبد الملك بن جُرَيج، بنحوه. ورواه البخاري أيضًا من حديث ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن عَلقمة بن وقاص: أن مَرْوان قال لبوابه: اذهبْ يا رافع إلى ابن عباس، فذكره.

وقال البخاري: حدثنا سعيد بن أبي مريم، أنبأنا محمد بن جعفر، حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرَج رسول الله ﷺ إلى الغزو تَخَلَّفوا عنه، وفَرِحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قَدم رسول الله ﷺ من الغزو اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

والمعنى: أن من فرح بما أتى من كتمان العلم وعدم بيان العلم أو بما أتى من المعاصي والبدع والخرافات وما يخالف أمر الله، وأحب أن يحمد بما لم يفعل فهو متشبه باليهود في عملهم القبيح، فله عذاب أليم بما أتى من كتمان العلم، والتشبه بأعداء الله، وفرحه بأشياء يتزين بها ويتظاهر بها وهو ليس من أهلها رياءً وسمعة، نسأل الله العافية.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكذا رواه مسلم من حديث ابن أبي مريم، بنحوه، وقد رواه ابن مَرْدُويه في تفسيره من حديث الليث بن سعد، عن هشَام بن سعد، عن زيد بن أسلم قال: كان أبو سعيد ورافع بن خَديج وزيد بن ثابت عند مَرْوان فقال: يا أبا سعيد، رَأيت قول الله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ ونحن نفرح بما أتَيْنا ونُحِب أن نُحْمَد بما لم نفعل؟ فقال أبو سعيد: إن هذا ليس من ذاك، إنما ذاك أن ناسًا من المنافقين كانوا يَتخلَّفون إذا بعث رسول الله ﷺ بَعْثًا، فإن كان فيه نَكْبة فرحوا بتخلفهم، وإن كان لهم نَصْر من الله وفتح حلفوا لهم ليرضوهم ويحمدوهم على سرورهم بالنصر والفتح. فقال مروان: أين هذا من هذا؟ فقال أبو سعيد: وهذا يَعْلَمُ هذا، فقال مروان: أكذلك يا زيد؟ قال: نعم، صدق أبو سعيد. ثم قال أبو سعيد: وهذا يعلم ذاك ـ يعني: رافع بن خديج ـ ولكنه يخشى إن أخبرك أن تنزع قَلائصه في الصدقة. فلما خرجوا قال زيد لأبي سعيد الخدري: ألا تحمدني على شهادة لك؟ فقال أبو سعيد: شهدتَ الحق. فقال زيد: أو لا تحمدني على ما شهدت الحق؟

ثم رواه من حديث مالك، عن زيد بن أسلم، عن رافع بن خديج: أنه كان هو وزيد بن ثابت عند مَروان بن الحكم، وهو أمير المدينة، فقال مروان: يا رافع، في أي شيء نزلت هذه؟ فذكره كما تقدم عن أبي

سعيد ﷺ، وكان مَرْوان يبعث بعد ذلك يسأل ابن عباس كما تقدم، فقال له ما ذكرناه، ولا منَافاة بين ما ذكره ابن عباس وما قاله هؤلاء؛ لأن الآية عامة في جميع ما ذكر، والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: عامة فيمن جحد الحق وأنكره وجحد ما فعله من الأشياء التي فعلها رياءً وسمعة، ولا فرق بين ما فعله المنافقون من تخلفهم عن الغزو واعتذارهم بأشياء باطلة يفرحون بما قالوا وهم ليسوا كذلك. فكل من جحد الحق وأنكره واستحسن الباطل، أو ادعى ما ليس له وزعم أنه فعله هو داخل في هذا، فإن الواجب إظهار الحق وبيانه والدعوة إليه وعدم الرياء وعدم السمعة، ومن كتم الحق وأخفاه وأحب ما أتى من ذلك، أو فعل الباطل وبيَّنه للناس وأحب ما فعله من ذلك، أو تظاهر بأعمال صالحة رياءً وسمعة وأحب أن يحمد بما لم يفعل من أشياء الأخرى التي لم يفعلها كل ذلك داخل في هذه الآية التي فيها التحريم، وهو يعم عمل اليهود ويعم عمل المنافقين، نسأل الله العافية. نعم.

أما كون الإنسان يحب أن يحمد بما ظهر من الخير ولم يرائي الناس، ولكنه بلغه الخير الذي فعله، وبلغه أن الناس يثنون عليه ويرضون ما عمل ويشكرونه هذا مثلما قال النبي ﷺ: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**»(١)، ما دام لم يقصد ذلك لم يقصد رياءً ولا سمعة وإنما عمل لله، تعبَّد لله ولكن بلغه ما بلغه من رضا الناس بعمله، وشكرهم له على عمله، وحمدهم له على عمله فسُرَّ بذلك أو فرح بذلك لا يضره ذلك، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي ذر أنه سأل النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك؟ فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «**تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ**». كونه يثنى عليه في الدنيا ويثنى عليه في الآخرة من غير رياء

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة، باب إذا أثنى على الصلح فهي بشرى ولا تضر برقم (٢٦٤٢).

ولا سمعة ولا تعد لحدود الله ولا كتمان لحق الله..

مداخلة:

يا شيخ من أحب أن يحمد بما لم يفعل ولم يتصنع يحب.... هل يدخل في...؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما ينبغي له، الآية تعم. ما فعل شيء ويحب أن يحمد على شيء ما فعله يجب أن يقال له: إنه متهجد بالليل وأنه يتصدق وما فعل شيء هذا فيه شبهة.

مداخلة: كلام ابن عباس ما يدل على عدم دخوله؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا فعل اليهود، فإن قصده الإخبار عن اليهود، ابن عباس أخبر عن اليهود، وأبو سعيد وزيد ورافع أخبروا عن فعل المنافقين، والآية تعم الجميع.

مداخلة: يقول: أين هذا من هذا؟

الشيخ: هذا كلام ابن عباس، ولكن الصحابة الثلاثة ذكروا العموم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقد روى ابن مَرْدُويه أيضًا من حديث محمد بن أبي عَتِيق وموسى بن عُقْبة، عن الزهْري، عن محمد بن ثابت الأنصاري؛ أن ثابت بن قيس الأنصاري قال: يا رسول الله، والله لقد خشيت أن أكون هلكت. قال: «**لم؟**»، قال: نهى الله المرء أن يُحِب أن يُحْمَدَ بما لم يفعل، وأجدني أُحِبُّ الحمدَ. ونهى الله عن الخُيلاء، وأجدني أحب الجمال، ونهى الله أن نرفع أصواتنا فوق صوتك، وأنا امرؤ جهوري

الصوت. فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تَرْضى أن تَعِيش حَمِيدًا، وتُقْتَل شَهِيدًا، وتدخل الجنة؟**»(١)، قال: بلى يا رسول الله. فعاش حميدًا، وقُتل شهيدًا يوم مُسَيْلِمة الكذاب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا ليس من ذا ولهذا ما أنكر النبي ﷺ عليه ذلك، فإن كونه يحب الحمد على ما فعل من الخير وعلى ما فعل من المعروف لا يضره ذلك؛ لأنه يشجعه ويعينه، وكونه يحب الجمال ليس من الخيلاء، وقد سئل النبي عن هذا عليه الصلاة والسلام، قال له رجل: يا رسول الله! إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً. قَالَ: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»(٢)، وكذلك رفع الصوت إذا كان لم يقصد برفع الصوت المخالفة ولا إيذاء النبي ﷺ إنما رفعه لعلة وأسباب وكان ثابت هو خطيب النبي ﷺ، إذا جاء الوفود كان هو الخطيب الذي يرفع صوته ليبلغ ما جاء به النبي ﷺ، ويبيِّن شمائل النبي وأخلاقه عليه الصلاة والسلام، ويبيِّن محاسن الإسلام ومكارم الأخلاق، هذا ليس من باب الرفع على النبي ﷺ بل هو من باب البلاغ ومن باب البيان عن رسول الله ﷺ، والدلالة على ما جاء به الإسلام من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال التي ترغِّب الناس في الدخول فيه. وهكذا الخطيب في مسجده ﷺ كان يخطب في الجمع والوعظ لإبلاغ الناس ليس من رفع الصوت الذي نهي عنه عند النبي عليه الصلاة والسلام..

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة، باب ذكر مناقب ثابت بن قيس بن الشماس الخزرجي الخطيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٥١٠٥) ج٦ ط. دار الميمان والحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه برقم (٩١).

وقوله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ يقرأ بالتاء على مخاطبة المفرد، وبالياء على الإخبار عنهم؛ أي: لا تحسبون أنهم ناجون من العذاب؛ بل لا بد لهم منه؛ ولهذا قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

ثم قال: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾؛ أي: هو مالك كُل شيء، والقادر على كل شيء فلا يعجزه شيء، فهابوه ولا تخالفوه، واحذروا نقمته وغضبه، فإنه العظيم الذي لا أعظم منه، القدير الذي لا أقدر منه.

*

❑ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧](١).

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبيّنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾، قرأ ابن كثير وأهل البصرة وأبو بكر بالياء فيهما؛ لقوله تعالى: ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾ وقرأ الآخرون بالتاء فيها على إضمار القول، ﴿فَنَبَذُوهُ

---

(١) فجر الأحد ٢٠/ ٥/ ١٤١٨هـ، تفسير البغوي، والذي قام بتفريغ هذه المادة نسب هذا الدرس لفجر الأحد، وهذا خطأ واضح، فتفسير الإمام البغوي كان يقرأ على سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ بعد صلاة الجمعة بقراءة فضيلة الشيخ أحمد العرفج وفي نهاية الدرس رد سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على الهاتف.

﴿وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾؛ أي: طرحوه وضيعوه وتركوا العمل به، ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، يعني: المآكل والرشا، ﴿فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ قال قتادة: هذا ميثاق أخذه الله تعالى على أهل العلم، فمن علم شيئًا فليعلمه، وإياكم وكتمان العلم؛ فإنه هلكة..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بسم الله الرحمٰن الرحيم، اللَّهُمَّ صلِّ وسلِّم عليه.

وهذه الآيات الكريمة فيها التحذير من كتمان العلم، وإن كان اعتبر أهل الكتاب، لكنه ذم لهم ولمن تشبه بهم من هذه الأمة بكتمان العلم، الله أخذ الميثاق على أهل العلم أن يبينوا، وأن ينصحوا للناس ولا يكتموه؛ ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾، وقرئ: (ليبيننه للناس)، بالياء، (ولا يكتمونه)، ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾، هذا وعيد عظيم يدل على وجوب إظهار العلم وبذله للناس، والدعوة إلى الله وإرشاد الناس إلى الخير، والحذر من كتمانه، قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠]، فلا بد من البيان والدعوة إلى الله، على أهل العلم أن يبينوا وأن يرشدوا الناس إلى ما خلقوا له من توحيد الله وطاعته، وأن ينهوهم عما حرم الله عليهم، وأن ينشروا العلم بين الناس.. بين الرجال والنساء، والحاضرة والبادية على حسب الطاقة، ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، وبيَّن عن ضلال أهل الكتاب أنهم نبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا، حظ من الدنيا العاجلة، كتموه لأجل الدنيا وبذلوه لأجل الدنيا، وهذا شأن فساق العلماء وكفارهم، أما أهل العلم والبصيرة والإيمان والتقوى فإنهم ينشرونه ويبينونه، هم أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام، فكل

عالم على حسب اتباعه للرسول، وعلى حسب ما علمه الله من الهدى يبين العلم وينشره ويبثه في الناس؛ يريد هدايتهم، يريد إنقاذهم من الجهل والظلم، وفق الله الجميع. .

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لولا ما أخذ الله على أهل الكتاب ما حدثتكم بشيء، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ الآية. حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد الحنفي، أخبرنا أبو معاذ الشاه بن عبد الرحمٰن، أخبرنا أبو بكر عمر بن سهل بن إسماعيل الدينوري، أخبرنا أحمد بن محمد بن عيسى البرتي، أخبرنا أبو حذيفة موسى بن مسعود، أخبرنا إبراهيم بن طهمان عن سماك بن حرب عن عطاء بن أبي رباح، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«من سئل عن علم يعلمه فكتمه أُلجِم يوم القيامة بلجام من نار»**[١].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أتيت الزهري بعد أن ترك الحديث فألفيته على بابه، فقلت: إن رأيتَ أن تحدثني؟ فقال: أما علمتَ أني قد تركتُ الحديث؟ فقلت: إمّا أن تحدثني وإما أن أحدثك، فقال: حدثني، فقلت: حدثني الحكم بن عتيبة عن يحيى بن الجزار قال: سمعتُ علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقول: ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتى أخذ على أهل العلم أن يُعَلِّموا؛ قال: فحدثني أربعين حديثًا. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

طيب، هذا أحسن شيء، احتج عليه بما يوجب عليه أن

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم برقم (٣٦٥٨)، والترمذي في كتاب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم برقم (٢٦٤٩) وصححه، وابن ماجه في المقدمة برقم (٢٦٤)، والإمام أحمد (٢/ ٤٩٥).

يحدث.

مداخلة: أحسن الله إليك! لماذا ترك الزهري الحديث؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ما أذكر.. أقول: ما أذكر شيئًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، حدَّث بشيء كثير، رحمه الله ورضي عنه، بذل العلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، روى عنه الشيخين وغيرهم شيئًا كثيرًا من الحديث، اللَّهُمَّ ارض عنه.

*

□ **تفسير قوله تعالى**: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨٨].

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾.. الآية، قرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿لَا تَحْسَبَنَّ﴾ بالتاء؛ أي: لا تحسبن يا محمد الفارحين، وقرأ الآخرون بالياء (لا يحسبن) الفارحُون فرحَهم مُنْجيًا لهم من العذاب، (فلا يحسبنهم) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: بالياء وضم الباء؛ خبرًا عن الفارحين؛ أي: (فلا يحسبُنّ) أنفسهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتح الباء؛ أي: فلا تحسبنَّهم يا محمد، وأعاد قوله..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هي القراءة المنصوبة.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم﴾ تأكيدًا، وفي حرف عبد الله بن مسعود: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ

ﵟالَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا تَحۡسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٖ مِّنَ ٱلۡعَذَابِۖﵞ من غير تكرار، واختلفوا فيمن نزلت هذه الآية: أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أنبأنا محمد بن يوسف، أنبأنا محمد بن إسماعيل، أنبأنا سعيد بن أبي مريم، أنبأنا محمد بن جعفر، حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري: (أن رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كانوا إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يُحمدوا بما لم يفعلوا؛ فنزلت: ﵟلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْﵞ.. الآية). أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشام أن ابن جريج أخبرهم: أخبرني ابن أبي مليكة أن علقمة بن وقاص أخبره أن مروان قال لبوابه: (اذهب يا رافع إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقل له: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي، وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا؛ لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه، إنّما دعا النبي ﷺ يهود فسألهم عن شيء فكتموه إياه، فأخبروه بغيره فأروه أن قد استُحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﵟوَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَﵞ [آل عمران: ١٨٧]، كذلك حتى قوله: ﵟيَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْﵞ.

عموم قوله تعالى: ﵟلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ...ﵞ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

الآية عامة، تعم اليهود وتعم المنافقين وتعم غيرهم، العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص الأسباب، فمن أتى الباطل وأحب أن يُحمد بما لم يفعل؛ فهو مذموم وله العذاب، سواء كان منافقًا أو يهوديًّا أو نصرانيًّا أو

مسلمًا أو غير ذلك، الواجب النصح لله ولعباده، وأن يكون على الحقيقة، وأن يحذر النفاق والقول بغير الحق، وأن يكون ظاهره خلاف باطنه؛ بل على كل مسلم أن يكون باطنه وظاهره سواء، وأن يتقي الله، وألا يبطن الباطل ويظهر الحق، ليحمد بما لم يفعل، سواء كان يهوديًّا أو نصرانيًّا أو مسلمًا أو غير ذلك، فالآية عامة.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟...﴾.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال عكرمة: نزلت في فنحاص وأشيع وغيرهما من الأحبار، يفرحون بإضلالهم الناس وبنسبة الناس إياهم إلى العلم وليسوا بأهل العلم، وقال مجاهد: هم اليهود، فرحوا بإعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم إياهم عليه، وقال سعيد بن جبير: هم اليهود فرحوا بما أعطى الله آل إبراهيم وهم برآء من ذلك، وقال قتادة ومقاتل: (أتت يهود خيبر نبي الله ﷺ فقالوا: نحن نعرفك ونصدقك وإنا على رأيكم، ونحن لكم ردء، وليس ذلك في قلوبهم، فلما خرجوا قال لهم المسلمون: ما صنعتم؟ قالوا: عرفناه وصدقناه، فقال لهم المسلمون: أحسنتم! هكذا فافعلوا، فحمدوهم ودعوا لهم؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية)، وقال: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾، قال الفراء: بما فعلوا، كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٧]؛ أي: فعلت.. ﴿وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ﴾ بمنجاة ﴿مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هكذا كل من قال خلاف الحق، وعمل خلاف الحق رياءً وإظهارًا للحق وهو كاذب؛ هذا جزاؤه، ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، نسأل الله العافية، فالواجب على كل عاقل أن يقول الحق وأن يعمل به، وأن يكون ظاهره وباطنه سواء، أما إظهار الحق وإبطان

الكفر والضلال كاليهود الذين أظهروا الإسلام وهم كاذبون، أو المنافقين، هذا كله من أسباب شدة العذاب عليهم نسأل الله العافية. نعم.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٨][(١)].

حدّثنا سعيد بن أبي مريم، حدّثنا محمّد بن جعفرٍ، قال: حدّثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسارٍ، عن أبي سعيدٍ الخدريّ رضي الله عنه «أنّ رجالًا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾ الآيَةَ»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهي عامّة؛ لكن هذا من أسبابها، نسأل الله العافية، الله أكبر.

* *

حدّثني إبراهيم بن موسى، أخبرنا هشامٌ، أنّ ابن جريجٍ أخبرهم، عن ابن أبي مليكة، أنّ علقمة بن وقّاصٍ أخبره، أنّ مروان قال لبوّابه: اذهب يا رافع إلى ابن عبّاسٍ، فقل: لئن كان كلّ امرئٍ فرح بما أوتي، وأحبّ أن يحمد بما لم يفعل معذّبًا؛ لنعذّبنّ أجمعون، فقال ابن عبّاسٍ: «ما لكم ولهذه؟ إنّما دعا النّبيّ ﷺ يهود، فسألهم عن شيءٍ، فكتموه

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله على صحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ برقم (٤٥٦٧)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين برقم (٢٧٧٧).

إيّاه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم»، ثمّ قرأ ابن عبّاسٍ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] كذلك حتّى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨٧]، تابعه عبْد الرّزّاق، عن ابْن جريْج، حدّثنا ابْن مقاتلٍ، أخْبرنا الْحجّاج، عن ابْن جريْجٍ، أخْبرني ابْن أبي مليْكة، عنْ حميْد بْن عبْد الرّحْمن بْن عوْفٍ أنّه أخْبره أنّ مرْوان بهذا(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعْنى: أنّهم يفرحون بما أتوا من الباطل والمعْصية وفقدان الحقّ، ويحبّون أنْ يحْمدوا بما لمْ يفْعلوا من أشْياء ما فعلوها؛ فيحبّون أن يحمدوا بها وهم ما فعلوها. هذا من علامات الشّرّ والرّياء والفساد.

وأمّا فرح الإنْسان بما أتى من الخيْر والطّاعة فهذا مشروعٌ، مأمورٌ به؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، كون الإنسان يفرح بما أتي من الإسلام من تعليم العلم، من الدّعوة إلى الله، إطعام الطّعام والصّدقة على الفقراء والجهاد في سبيل الله؛ يفرح بهذا، وأنّ الله منّ عليه بهذا الشّيء وهداه له، ليس داخلًا في الآية.

وإنما المراد: فرحٌ بما أتوا من الباطل والخبث وكتمان الحقّ، مثل المنافقين اعتذروا قالوا: إنا معذورون، وإن عندنا مرضى، عندنا كذا عندنا كذا، لعلّه يعذرهم لا يخرجون إلى الجهاد وهم كاذبون، وهكذا ما يفعله اليهود من كتمان الحقّ والاعتذار بأشياء كاذبةٍ.

---

(١) متفق عليه من حديث مروان. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟﴾ برقم (٤٥٦٨)، ومسلم في كتاب صفات المنافقين برقم (٢٧٧٨).

• **س: عندنا يا شيخ: ﴿فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ﴾ [الأنعام: ٤٤]؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المعروف في الرّواية والّذي قرئ الآن: ﴿أَتَوا﴾ لكن هذا لعلّها قراءةٌ لبعضهم، مثل ما ذكر مروان، فعلى هذه الرّواية يمكن أن يكون من الباطل والشّرّ والدّهاء والحيل بالباطل، ما هو ما أوتوا من العلم والفضل.

• ....؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: معنى: «أتوا» معنى «أوتوا» مقاربٌ.

• .....؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الله أعلم، الظّاهر أنّها عامّة، تعم المنافقين وغير المنافقين.

قوله: (**فقل: لئن كان كلّ امرئٍ فرح بما أوتي**).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كذا «أوتي»؟

(من القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عندكم أو (بما أتى)؟

(**من الطّالب**): (أوتي) كذا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال الشّارح عليه؟

(**القارئ**): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٢٣٤)]: «قوله: (**قال لبوّابه اذهب يا رافع إلى ابن عبّاسٍ فقل: رافعٌ**): هذا لم أر له ذكرًا في كتاب الرّواة، إلّا بما جاء في هذا الحديث، والّذي يظهر من سياق الحديث أنّه توجّه إلى ابن عبّاسٍ فبلّغه الرّسالة ورجع إلى مروان بالجواب؛ فلولا أنّه معتمدٌ عند مروان ما قنع برسالته، لكن قد ألزم الإسماعيليّ البخاريّ أن يصحح حديث بسرة بن صفوان في نقض

الوضوء من مسّ الذّكر». [انتهى كلامه].

(من الشّيخ): فقط؟ ما تكلّم على (أتوا) (أوتوا) ما تكلّم؟ و«العيني» ما تكلّم؟

● **س: لكن، أحسن الله إليك: الحديث في مسّ الذكر ما هو حديث: «بسرة بنت صفوان»**(١)**؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بسرة حديث مسّ الذّكر (بسرة بنت صفوان).

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجرٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الفتح» (٨/ ٢٣٥)]: «قوله: بما أتوا كذا للأكثر بالقصر بمعنى جاؤوا أي بالّذي فعلوه». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كذا عندك بالجوف (أتوا) ولّا (أوتي)؟

(من القارئ): بالجوف أحسن الله إليك: (بما أوتي).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عندك في الشرح؟

(من القارئ): في الشّرح (بما أتوا).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: هذا المطابق للآية.

(من القارئ): فيه تكميل أحسن الله إليك.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ماذا قال المُحَشِّي؟

(القارئ): [قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ]: «قوله: بما أتوا كذا للأكثر بالقصر بمعنى جاؤوا؛ أي: بالّذي فعلوه، وللحموي: بما أوتوا

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث بسرة بنت صفوان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا في كتاب الطهارة، باب الوضوء من القبلة برقم (١٨١)، والترمذي في كتاب الطهارة، باب من مس الذكر برقم (٨٢)، والنسائي في كتاب الطهارة، باب الوضوء من مس الذكر برقم (٤٤٧)، والإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٢٣ و١/ ٤٠٦).

بضم الهمزة بعدها واو». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: الآية أَتَواْ.

[قال الحافظ رحمه الله]: «أي: من العلم الّذي كتموه كما قال تعالى: (**فرحوا بما عندهم من العلم**)، والأوّل أولى لموافقته التّلاوة المشهورة، على أنّ الأخرى قراءة السّلميّ وسعيد بن جبيرٍ، وموافقة المشهور أولى مع موافقته لتفسير ابن عبّاس». [انتهى كلامه].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

القراءة المشهورة «أتوا» والمعنى عليها يعني يأتون بالباطل، ويفرحون إذا عذروا؛ يعني: يأتون الباطل، ثمّ يعتذرون ويفرحون بما أتوا، ويقولون: تعذّرنا قبل عذرنا نزلت في المنافقين.

والقول الآخر: في أهل الكتاب، أنّ اليهود يأتون يقولون كذا كذا ويكذبون ويفرحون بما لبّسوا على النّبيّ ﷺ.

والآية تعمّ، تعمّ المنافقين وتعمّ أهل الكتاب ـ وتعمّ كلّ من فعل فعلهم، كونه يعتذر بأعذارٍ باطلةٍ، وإذا عذره وليّ الأمر أو عذره أخوه مصدّقًا له يفرح بذلك، وهو قد كذب ما ينفعه هذا.

كذلك اليهود كونهم يخبرون النّاس بغير الحقيقة حتّى يعذروا وهم قد كذبوا وكتموا الحقّ لا ينفعهم ذلك؛ ولهذا قال: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨]، نسأل الله العافية.

• **س: كلام ابن عبّاسٍ** رضي الله عنهما **لمروان يفيد أن ابن عبّاسٍ** رضي الله عنهما **يرى أنّها خاصّة بأهل الكتاب؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذا الّذي ظهر له؛ لما بلغه عن اليهود، ولا تنافي أن تعمّ المنافقين وغيرهم، فالآية عامّة، العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.

هذه قاعدةٌ، الاعتبار في الآيات والأحاديث بعموم الألفاظ، لا

بخصوص الأسباب. الأسباب تبيّن المعنى، ولكن لا تخصّ، فإذا نزلت الآية في إنسانٍ كذب تعمّ الكذّابين، في إنسانٍ ظلم تعمّ الظّالمين، في إنسانٍ اغتاب تعمّ المغتابين، في إنسانٍ تعاطى الرّبا تعمّ غيره، وهكذا.

• **س: أحسن الله إليك: التسمية بـ(عبد الهادي وعبد الناصر)؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا بأس، النّاصر ما له أصلٌ، عبد الهادي لا بأس، أمّا عبد النّاصر، النّاصر ليس من أسماء الله، ما ورد في الأسماء.

• **س: من تسمّى بهذا الاسم يغيّر، عبد الناصر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: المعبّد لغير الله يغيّر.

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٩، ١٩٠]

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ يصرفها كيف يشاء، ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾.

﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين الإسفرايني، أنبأنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، أنبأنا أحمد بن عبد الجبار، أنبأنا ابن فضيل عن حصين بن عبد الرحمٰن، عن حبيب بن أبي ثابت، عن محمد بن علي بن عبد الله بن

عباس، عن أبيه، عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (أنه رَقَدَ عند رسول الله ﷺ فرآه استيقظ فتسوّك ثم توضأ وهو يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حتى ختم السورة، ثم قام فصلى ركعتين فأطال فيهما القيام والركوع والسجود، ثم انصرف فنام حتى نفخ، ثم فعل ذلك ثلاث مرات ست ركعات، كل ذلك يستاك، ثم يتوضأ ثم يقرأ هؤلاء الآيات، ثم أوتر بثلاث ركعات، ثم أتاه المؤذن فخرج إلى الصلاة وهو يقول: «**اللَّهُمَّ اجعل في بصري نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي لساني نورًا، واجعل خلفي نورًا وأمامي نورًا، واجعل من فوقي نورًا ومن تحتي نورًا، اللَّهُمَّ أعطني نورًا**»، ورواه كريب عن ابن عباس رضي الله عنهما وزاد: «**اللَّهُمَّ اجعل في قلبي نورًا، وفي بصري نورًا وفي سمعي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن يساري نورًا**»...(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ماذا قال المحشِّي عندك؟

مداخلة: أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء إذا انتبه من الليل (١١/١١٦) بنحوه، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، واللفظ له...

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

نعم، وهذا فيه الدلالة على عظم هذه الآيات، وأنه إنما ينتبه لمعناها ويعرف عظم شأنها أصحاب الألباب أصحاب العقول السليمة الصحيحة، ذي اللب والعقل الصحيح؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]، وقال هنا سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ﴾، يعني: لدلائل قاطعة على أن الله جل وعلا هو

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح برقم (٧٦٣).

الخلاق العليم، وأنه رب العالمين، لكن لأولي الألباب، لا لعامة الناس، وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ﴾، يعني: القرآن، ﴿وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [إبراهيم: ٥٢]، يعني: أولو العقول الصحيحة الذين يعرفون معنى الآيات، وهذه السماوات وارتفاعها، وهذه الأرض وانبساطها، وما خلق الله فيها من الجبال والأودية والشعاب، وما أخرج منها من ثروات للناس، آيات عظيمة، ثم هذا الليل في ظلامه وهذا النهار في ضيائه هما من آيات الله الدالة على قدرته العظيمة، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق لأن يعبد، وأنت يا عبد الله من آيات الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ﴾، يعني: آيات ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١]، هذا الأنف الشم، هذا البصر، هذا السمع هذا اللسان هذه الشفه هذه الأسنان هذا الحلق هذا البطن وما فيه إلى غير هذا، كل ذلك آيات، كلها دالة على عظم الخالق سبحانه، وأنه رب العالمين، وأنه الخلاق العليم، وأنه المستحق لأن يعبد ﷻ..

الأسئلة:

قراءة قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ...﴾ إلى آخر السورة عند الاستيقاظ من النوم.

● **س: أحسن الله إليك يا شيخ! من وفق لقيام الليل قراءة هذه الآية من السُّنَّة؟**

○ **الجواب**: يقرأها، نعم، إذا استيقظ من نومه، ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.. إلى آخر السورة، اللَّهُمَّ صل عليه وسلم، كان النبي يقرؤها إذا استيقظ من النوم، وإذا خرج إلى الصلاة: »**اللَّهُمَّ اجعل في قلبي نورًا**« إلى آخره..

مداخلة: من السُّنَّة؟

الشيخ: قراءة دعاء: «**اللَّهُمَّ اجعل في قلبي نورًا...**» عند الخروج

إلى الصلاة.

• **س: هذا الدعاء أحسن الله إليك! يقال في الخروج لأي صلاة أو لصلاة الصبح؟**

○ **الجواب:** لجميع الصلوات..

* *

❐ تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآيَةَ [آل عمران: ١٩٠][(١)].

حدّثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا محمّد بن جعفرٍ قال: أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نمرٍ عن كريبٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «بتّ عند خالتي ميمونة، فتحدّث رسول الله ﷺ مع أهله ساعةً ثمّ رقد، فلمّا كان ثلث اللّيل الآخر، قعد فنظر إلى السّماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾، ثمّ قام فتوضّأ، واستنّ، فصلّى إحدى عشرة ركعةً، ثمّ أذّن بلالٌ فصلّى ركعتين، ثمّ خرج فصلّى الصّبح»[(٢)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا يدلّ على شرعية ما فعله عليه الصّلاة والسّلام، وأنّه يسن للمؤمن إذا استيقظ من نومه أن يقرأ هذه الآيات العشرة من آخر سورة آل عمران: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ برقم (٤٥٦٩)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٦٣).

لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾.

فهي آياتٌ عظيمةٌ فيها توجّه المؤمنين إلى ربّهم، وسؤالهم إيّاه إلى آخر السّورة ختمها بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وحذّر من الاغترار بالكفرة وما هم عليه من الدّنيا ومتاعها، وبيّن سبحانه أنّه لا يتفكّر ويعتبر ويتبصّر إلّا أولوا الألباب، أهل العقول السّليمة، أمّا أغلب الخلق فهم في غفلةٍ؛ ولهذا يقول ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].

وفيه أيضًا شرعيّة السّواك والإيتار بإحدى عشرة، وهو ﷺ قد يزيد وينقص، لكن هذا الغالب، قد يوتر بأقلّ وقد يوتر بثلاث عشرة، قد يوتر بسبعٍ، وقد يوتر بتسعٍ، وقد يوتر بأقلّ ـ اللّهمّ صلّ عليه وسلّم ـ لكن هذا هو الغالب مثل ما قالت عائشة رضي الله عنها.

وكان يركد في صلاته، ويطيل في ركوعه وسجوده وقراءته عليه الصّلاة والسّلام، والإنسان يفعل ما يستطيع، ما يحصل معه الخشوع والطّمأنينة والرّاحة والتلذّذ بالقراءة والصّلاة حسب طاقته(١).

• **س: بعد الذكر المشروع يعني؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: عند قيامه قبل أن يتوضأ.

---

(١) وقال سماحته رحمه الله في القراءة الثانية: اختصرها هنا، الرواية الأخرى رواية أوسع، قرأ الآيات إلى آخر السورة عليه الصلاة والسلام، ثم قام، فتوضأ وصلّى إحدى عشرة ركعة، وفي رواية: «ثلاث عشرة ركعة»، اللّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.
في هذا شرعيَّة قراءتها عند اليقظة من النوم، وشرعية الاستنان وهو الاستياك، وشرعية الوتر بهذا العدد. اللّهُمَّ صلِّ عليه وسلِّم.

• س: بعد أن يقول: «الحمد لله الّذي أحيانا»؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: نعم، بعد الذّكر.

• س: هل يستدل بهذا الحديث على سنّية التغليس بالفجر؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التغليس جاء في أحاديث كثيرة، هذا مطلقٌ هنا، لكن التغليس له أدلةٌ كثيرة، بعد طلوع الفجر، وبعد صلاة الرّكعتين واضطجاعه عليه الصّلاة والسّلام، [التغليس] له أدلةٌ كثيرة، لكن ما هو بمعنى التغليس الّذي يبادر بالفجر مبادرةً، لا، لكن بعدما يتضح الفجر وبعدما يصلّي ركعتين، وبعدما يضطجع قليلًا، وبعدما يعني يتلاحق النّاس لا يبادرهم مبادرةً، هذه سنّته عليه الصّلاة والسّلام.

• س: النظر في السّماء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عندما قرأ الآيات. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

• س: أحسن الله إليك: هل ثبت أنّه ﷺ أوتر بركعةٍ واحدةٍ؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أتذكّر شيئًا، لكن قال سعد بن أبي وقّاصٍ رضي الله عنه في الصّحيح: «**الْوِتْرُ رَكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ**» عن النّبيّ ﷺ مرفوعًا: «**الْوِتْرُ رَكْعَةٌ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ**»(١)؛ يعني: أقلّ وترٍ ركعةٌ، وفي حديث أبي أيّوب رضي الله عنه: «**وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوتِرَ بِوَاحِدَةٍ فَلْيَفْعَلْ**»(٢)، أقلّ الوتر واحدةٌ، أمّا من فعله ما أتذكّر شيئًا، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

*

(١) أخرجه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الصلاة، باب صلاة الليل مثنى مثنى والوتر ركعة من آخر الليل برقم (٧٥٢).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب ذكر كم الوتر برقم (١٤٢٢)، والنسائي في كتاب الصلاة، باب ذكر الاختلاف على الزهري من حديث أبي أيوب في الوتر برقم (١٧١٢).

❐ **تفسير قوله تعالى:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩٤][(١)].

قال الطبراني: حدثنا الحسن بن إسحاق التُّسْتَرِي، حدثنا يحيى الحِمَّاني، حدثنا يعقوب القُمِّي، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بم جاءكم موسى؟ قالوا: عصاه ويده بيضاء للناظرين. وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى؟ قالوا: كان يُبْرِئُ الأكمه والأبرص ويُحيي الموتى، فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصَّفا ذَهَبًا. فدعا ربه، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ فليتفكروا فيها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهي كلها آيات، الله ﷻ خلق السمٰوات وجعلها آية عظيمة، ولهذا قال سبحانه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ففي خلق السمٰوات والأرض آيات وعبر لمن تدبر وتعقل، فالسمٰوات وارتفاعها وتعددها وعظمتها واتساعها وحملها ما فيها وهي

---

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، الليلي ٢٥ ـ ٢ ـ ١٤٠٥هـ.

على غير عمد في الهواء. . في الفضاء هي من آياته العظيمة ﷻ، ثم ما زيَّنها به من الكواكب السيارات والثوابت وغير ذلك. والأرض هذه في اتساعها وكثافتها وجبالها وأنهارها وبحارها وحيواناتها ومعادنها وأشجارها، وسائر ما فيها من العجائب كلها آيات عظيمة دالة على قدرة الباري سبحانه وأنه رب العالمين، وأنه المستحق لأن يُعبَد ويُعظَّم ﷻ، وأنه لا إلٰه غيره ولا ربَّ سواه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] ﷻ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: تعاقبهما وتَقَاربهما الطول والقصر، فتارة يطول. . . .

الشيخ: وتقاربهما.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وتقاربهما الطول والقصر، فتارة يطُول هذا ويقصر هذا ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا، فيطول الذي كان قصيرًا، ويقصر الذي كان طويلًا، وكل ذلك تقدير العزيز العليم؛ ولهذا قال: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾؛ أي: العقول التامة الزكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليَّاتها، وليسوا كالصم البكْم الذين لا يعقلون.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مُشْكل، فإن هذه الآية مدنية. وسؤالهم أن يكون الصفا ذهبًا كان بمكة. والله أعلم.

ومعنى الآية: أنه يقول تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها وما فيهما من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب سيارات، وثوابتَ وبحار، وجبال وقفار وأشجار ونبات وزروع وثمار، وحيوان ومعادن

ومنافع، مختلفة الألوان والطعوم والروائح والخواص ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ أي: تعاقبهما وتَقَارضهما الطول والقصر، فتارة يطُول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان، ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرًا، ويقصر الذي كان طويلًا وكل ذلك تقدير العزيز الحكيم؛ ولهذا قال: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾؛ أي: العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جلياتها، وليسوا كالصم البُكْم الذين لا يعقلون، الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥، ١٠٦].

يعني: هذه العبر إنما هي لأولي الألباب، يعني: لأولي البصائر العقول النيرة الحية الصحيحة، هي التي تفكر وتعقل وتفهم، أما القلوب المنحرفة التي قد أعمى الله بصيرتها فلا تنتبه لشيء، ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]؛ لأنهم ليس عندهم من البصائر ما يعقلون به الأشياء، وقلوبهم في عمى وصمم وبعد عن الهدى ورضا بالشهوات والحظ العاجل.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم وصف تعالى أولي الألباب فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ كما ثبت في صحيح البخاري عن عِمْران بن حُصَين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**صَلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لَم تستطع فَعَلَى جَنْبِكَ**»؛ أي: لا يقطعون ذِكْره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمائرهم وألسنتهم ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: يفهمون ما فيهما من الحكَم الدالة على عظمة الخالق وقدرته، وعلمه وحكمته، واختياره ورحمته.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن أوقاتهم مشغولة وليسوا غافلين، منهم ذاكر لله عَزَّ وَجَلَّ قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، سائرين وواقفين في جميع أحوالهم، ذكر الله جَلَّ وَعَلَا ليس بزائل عنهم وليسوا بغافلين عنه؛ بل هم مشغولون بذكر الله عَزَّ وَجَلَّ في القلوب والألسنة والجوارح. والذكر يكون بالعمل كالصلاة ونحوها، ويكون باللسان كالتهليل، ويكون بالقلوب كخوف الله ومحبته وتعظيمه، والتفكير فيما يستحق سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، والتفكير في دلائل قدرته وعظمته جَلَّ وَعَلَا، كل ذلك من الذكر الذي شرعه الله وعظم أهله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ثم التفكر اللي يفيدهم وينفعهم في دنياهم وأخراهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرجُ من منزلي، فما يقع بصري على شيء إلا رأيت لله عَلَي فيه نِعْمَة، أوْ لِي فيه عِبْرَة. رواه ابن أبي الدنيا في كتاب «التفكر والاعتبار».

وعن الحسن البصري أنه قال: تَفَكُّر سَاعَة خير من قيام ليلة. وقال الفُضَيل: قال الحسن: الفكرة مِرْآة تريك حَسنَاتك وسيئاتك. وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نور يدخل قلبك. وربما تمثل بهذا البيت:

إذا المرء كانت له فكْرَةٌ فَفي كل شيء له عبرَة

وعن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قال: طُوبَى لمن كان قِيلُه تذكّرًا، وصَمْته تَفكُّرًا، ونَظَره عبرًا.

وقال لقمان الحكيم: إن طول الوحدة أَلْهَمُ للفكرة، وطولَ الفكْرة دليل على طَرْق باب الجنة.

وقال وهب بن مُنَبِّه: ما طالت فكرة امرِئ قط إلا فهم، وما فهم امرؤ قط إلا علم، وما علم امرؤ قط إلا عمل.

وقال عمر بن عبد العزيز: الكلام بذكر الله ﷻ، حَسَن، والفكرة في نعم الله أفضل العبادة.

وقال مغيث الأسود: زوروا القبور كل يوم تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها، وكان يبكي عند ذلك حتى يُرْفع صَريعًا من بين أصحابه، قد ذهب عقله.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المعنى: أن الدنيا تصير إلى هذا، كنز الرجال يعود إلى المقبرة، وكنز الأموال يعود إلى المزبلة، يعني: فهذه عبر، أموالهم التي جمعوا تجعل في المآكل والمشارب، ثم تئول العاقبة إلى المزابل، فهذه كنز الأموال، وكنز الرجال هذه المقابر، كل يموت فينتهي وينقل إلى المقبرة، يعني: فاعتبر فأنت صائر إلى هذا، فإن المقابر هي مصير الناس، ثم بعد المقابر ما هو أشد وما هو أعظم من النشر والحساب والجزاء، ثم ما المنصرف أين ينصرف ما يدري؟ هل ينقله إلى الجنة أو إلى النار؟ وأما المزابل فهي نهاية أموال الناس، نهاية أموال الناس وما يجمعون، في الأغلب تنتهي إلى بطونهم، وبطونهم ينتهي ما خرج منها إلى المزابل، الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال عبد الله بن المبارك: مَرَّ رجل براهبٍ عند مَقْبَرة ومَزْبَلَة، فناداه فقال: يا راهب، إن عندك كَنزين من كنوز الدنيا لك فيهما مُعْتَبَر، كنز الرجال وكنز الأموال.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعن ابن عمر: أنه كان إذا أراد أن يتعاهد قلبه، يأتي الخَرِبة فيقف على بابها، فينادي بصوت حزين فيقول: أين أهْلُك؟ ثم يرجع إلى نفسه فيقول: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: أن الخربات التي في الصحاري فيها عبر، كانت مسكونة ثم ذهب أهلها، كانت مسكونة ثم ذهب أهلها وتركوها، وبقايا الديار وأصول الديار كانت لأقوام ذهبوا وتركوها، نعم. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعن ابن عباس أنه قال: ركعتان مقتصِدَتان في تَفكُّر، خير من قيام ليلة والقلب ساه.

وقال الحسن: يا ابن آدم، كُلْ في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه، ودع ثلثه الآخر تتنفَّس للفكرة.

وقال بعض الحكماء: من نظر إلى الدنيا بغير العبرة انطَمَسَ مِنْ بَصَرِ قلبه بقدر تلك الغَفْلَة.

وقال بِشْر بن الحارث الحافي: لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه.

وقال الحسن، عن عامر بن عبد قيس قال: سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان، أو نور الإيمان، التفكر.

وعن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قال: يا ابن آدم الضعيف، اتق الله حيثما كنت، وكُنْ في الدنيا ضَيْفًا، واتَّخِذِ المساجدَ بيتًا، وعَلِّم عينيك البكاء، وجَسَدك الصَّبْر، وقلبك الفِكْر، ولا تهتم برزق غد.

وعن أمير المؤمنين عُمَرَ بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه بكى يومًا بين أصحابه، فسُئل عن ذلك، فقال: فَكَّرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها بها، ما تكاد شهواتها تَنْقَضي حتى تكدرها مرارتُها، ولئن لم يكن فيها عبرة لمن اعتبر إن فيها مواعظ لمن ادّكر.

وقال ابن أبي الدنيا: أنشدني الحُسَين بن عبد الرحمٰن:

نزهَة المؤمن الفكَرْ ... لذّة المؤمن العِبرْ
نحمدُ اللّهَ وَحْدَه ... نحْنُ كل عَلَى خَطَرْ
رُبّ لاهٍ وعُمْرُه ... قد تَقَضّى وما شَعَرْ
رُبّ عيش قَدْ كَانَ فو ... ق المُنَى مُونقَ الزَّهَرْ
في خَرير (من العيُو ... ن وَظل من الشَّجَرْ
وسُرُور من النَّبا ... ت وَطيب منَ الثَّمَرْ
غَيَّرَتْه وَأهْلَهُ سر ... عةُ الدّهْر بالغِيَرْ
نَحْمَد اللّه وحده ... إنّ في ذا لمعتبر
إن في ذَا لَعبرةً ... للبيب إن اعْتَبَرْ

وقد ذمّ الله تعالى مَنْ لا يعتبر بمخلوقاته الدالة على ذاته وصفاته وشرعه وقدره وآياته، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٥، ١٠٦]. ومدح عباده المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾؛ أي: ما خلقت هذا الخلق عَبَثًا؛ بل بالحق لتجزي الذين أساؤوا بما عملوا، وتجزي الذين أحسنوا بالحسنى. ثم نزهوه عن العبث وخلق الباطل فقالوا: ﴿سُبْحَٰنَكَ﴾؛ أي: عَنْ أن تخلق شيئًا باطلًا ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾؛ أي: يا من خَلَق الخلق بالحق والعدل يا من هو مُنزه عن النقائص والعيب والعبث، قنا من عذاب النار بحولك وقوتك وَقيضْنَا لأعمال ترضى بها عنا، ووفقنا لعمل صالح تهدينا به إلى جنات النعيم، وتجيرنا به من عذابك الأليم.

ثم قالوا: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾؛ أي: أهنته وأظهرت خزيه لأهل الجمع ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾؛ أي: يوم القيامة لا مُجِير لهم منك، ولا مُحِيد لهم عما أردت بهم.

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ﴾؛ أي: داعيًا يدعو إلى الإيمان، وهو الرسول ﷺ ﴿أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾؛ أي: يقول: ﴿ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا﴾؛ أي: فاستجبنا له واتبعناه ﴿رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾؛ أي: بإيماننا واتباعنا نبيّك فاغفر لنا ذنوبنا؛ أي: استرها ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾؛ أي: فيما بيننا وبينك ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾﴾؛ أي: ألحقنا بالصالحين ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ قيل: معناه: على الإيمان برسلك. وقيل: معناه: على ألسنة رسلك. وهذا أظهر.

وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو اليمان، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن عمرو بن محمد، عن أبي عِقَال، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**عَسْقَلان أحد العروسين، يبعث الله منها يوم القيامة سبعين ألفًا لا حساب عليهم، ويبعث منها خمسين ألفًا شهداء وُفُودًا إلى الله، وبها صُفُوف الشهداء، رؤوسهم مُقطَّعة في أيديهم، تَثِجّ أوداجهم دمًا، يقولون:** ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾ **فيقول: صَدَق عبدي، اغسلوهم بنهر البيضة. فيخرجون منه نقاء بيضًا، فيسرحون في الجنة حيث شاؤوا**»(١).

وهذا الحديث يُعد من غرائب المسند، ومنهم من يجعله موضوعًا، والله أعلم.

﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾؛ أي: على رؤوس الخلائق ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾؛ أي: لا بد من الميعاد الذي أخبرتَ عنه رسُلَك، وهو القيام يوم القيامة بين يديك.

وقد قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الحارث بن سُرَيْج، حدثنا المعتمر، حدثنا الفضل بن عيسى، حدثنا محمد بن المنكدر؛ أن جابر بن عبد الله حدثه: أن رسول الله ﷺ قال: «**العار والتخزية تبلغ من ابن آدم**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٢٢٥).

في القيامة في المقام بين يدي الله ﷻ، ما يتمنى العبد أن يؤمر به إلى النار» حديث غريب.

وقد ثبت أن رسول الله ﷺ كان يقرأ هذه الآيات العشر من آخر آل عمران إذا قام من الليل لتهجده، فقال البخاري رحمه الله: حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا محمد بن جعفر، أخبرني شريك بن عبد الله بن أبي نَمْر، عن كُرَيب عن ابن عباس قال: بت عند خالتي ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثُلث الليل الآخر قَعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ ثم قام فتوضأ واستن. فصلى إحدى عَشْرَة ركعة. ثم أذّن بلالٌ فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى بالناس الصبح.

وكذا رواه مسلم عن أبي بكر بن إسحاق الصنعاني، عن ابن أبي مريم، به ثم رواه البخاري من طُرقٍ عن مالك، عن مَخْرَمَة بن سليمان، عن كريب، عن ابن عباس أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ، وهي خالته، قال: فاضطجعت في عَرْض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طُولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل ـ أو قبله بقليل، أو بعده بقليل ـ استيقظَ رسولُ الله ﷺ من منامه، فجعل يمسحُ النومَ عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتيمَ من سُورة آل عمران، ثُم قام إلى شَنّ معلقة فتوضأ منها فأحسن وُضُوءه، ثم قام يصلّي ـ قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذَهَبتُ فقمت إلى جَنْبه ـ فوضع رسولُ الله ﷺ يَدَه اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يَفْتلُها فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خَرَجَ فصلّى الصبح.

وهكذا أخرجه بقية الجماعة من طُرُق عن مالك، به. ورواه مسلم أيضًا وأبو داود من وجوه أخرَ، عن مخرمة بن سليمان، به.

طريق أخرى لهذا الحديث: عن ابن عباس ﷺ قال أبو بكر بن مَرْدُويه: حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن علي، أخبرنا أبو يحيى بن أبي مسرَّة، أنبأنا خَلاد بن يحيى، أنبأنا يونس بن أبي إسحاق، عن المنهال بن عَمْرو، عن علي بن عبد الله بن عباس، عن عبد الله بن عباس قال: أمرني العباس أن أبيت بآل رسول الله ﷺ وأحفظ صلاته. قال: فصلى رسول الله ﷺ بالناس صلاة العشاء الآخرة، حتى إذا لم يبق في المسجد أحد غيره قام فمرّ بي، فقال: «**من هذا؟ عبد الله؟**» فقلت: نعم. قال: «**فَمَه؟**»، قلت: أمرني العباسُ أن أبيت بكم الليلة. قال: «**فالحق الحق**»، فلما أن دخل قال: «**افرشَنْ عبد الله؟**»، فأتى بوسادة من مسوح، قال: فنام رسول الله ﷺ عليها حتى سَمعتُ غَطِيطه، ثم استوى على فراشه قاعدًا، قال: فَرَفَع رأسَه إلى السماء فقال: «**سُبحان الملك القدوس**» ثلاث مرات، ثم تلا هذه الآيات من آخر سورة آل عمران حتى ختمها.

وقد روى مسلم وأبو داود والنسائي، من حديث علي بن عبد الله بن عباس حديثًا في ذلك أيضًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه زيادة: سبحان الملك القدوس، هذه زيادة ما هي معروفة، والحديث رواه الشيخان في الصحيحين وليس فيه في هذا زيادة، ولا فيه ذكر أن العباس أمره أن يحضر لما ذكر أنه: بات عند خالته ميمونة فسمع النبي ﷺ لما قام من نومه يقرأ هذه الآيات: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ الآيات، وفي رواية: أنه نظر إلى السماء ثم قرأ هذه الآيات: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، هذا المحفوظ.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

طريق أخرى: رواها ابن مَرْدُويَه، من حديث عاصم بن بَهْدَلَة، عن بعض أصحابه، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس؛ أن النبي ﷺ خرج ذات ليلة بعد ما مَضى ليل، فنظر إلى السماء، وتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ إلى آخر السورة. ثم قال: «**اللَّهُمَّ اجعل في قلبي نُورًا، وفي سَمْعي نورًا، وفي بَصَري نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، ومن بين يَدَيّ نورًا، ومن خَلْفي نورًا، ومن فَوْقي نورًا، ومن تحتي نورًا، وأعْظِم لي نورًا يوم القيامة**»، وهذا الدعاء ثابت في بعض طرق الصحيح، من رواية كُريب، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الدعاء ثابت عند خروجه إلى الصلاة عليه الصلاة والسلام: «**اللَّهُمَّ اجعل في قلبي نورًا**».

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثم روى ابن مَرْدُويَه وابن أبي حاتم من حديث جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: أتت قريش اليهود فقالوا: بما جاءكم موسى من الآيات؟ قالوا: عصاه ويده البيضاء للناظرين. وأتوا النصارى فقالوا: كيف كان عيسى فيكم؟ قالوا: كان يُبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فأتوا النبي ﷺ فقالوا: ادع لنا ربك يجعل لنا الصَّفَا ذَهَبًا. فدعا ربه عَزَّ وَجَلَّ، فنزلت: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ قال: «**فليتفكروا فيها**» لفظ ابن مَرْدُويَه.

وقد تقدم سياق الطبراني لهذا الحديث في أول الآية، وهذا يقتضي أن تكون هذه الآيات مكية، والمشهور أنها مدنية، ودليله الحديث الآخر، قال ابن مَرْدويه:

حدثنا إسماعيل بن علي بن إسماعيل، أخبرنا أحمد بن علي الحراني، حدثنا شجاع بن أشرس، حدثنا حَشْرج بن نباتة الواسطي أبو مكرم، عن الكلبي ـ هو أبو جَنَاب الكلبي ـ عن عطاء قال: انطلقت أنا وابن عمر وعُبَيد بن عُمَير إلى عائشة ﵂، فدخلنا عليها وبيننا وبينها حجاب، فقالت: يا عبيد، ما يمنعك من زيارتنا؟ قال: قول الشاعر:

زُر غـــبّـــا تـــزدد حُـــبّـــا

فقال ابن عمر: ذرينا أخبرينا بأعجب شيء رأيته من رسول الله ﷺ فَبَكَتْ وقالت: كُلُّ أمره كان عجبًا، أتاني في ليلتي حتى مس جلده جلدي، ثم قال: «**ذريني أتعبد لربي** ﷿» قالت: فقلت: والله إني لأحب قربك، وإني أحب أن تَعبَّد لربك. فقام إلى القربة فتوضأ ولم يكثر صب الماء، ثم قام يصلي، فبكى حتى بل لحيته، ثم سجد فبكى حتى بَل الأرض، ثم اضطجع على جنبه فبكى، حتى إذا أتى بلال يُؤذنه بصلاة الصبح قالت: فقال: يا رسول الله، ما يُبكيك؟ وقد غفر الله لك ذنبك ما تقدم وما تأخر، فقال: «**ويحك يا بلال، وما يمنعني أن أبكي وقد أنزل عليّ في هذه الليلة:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾» ثم قال: «**ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها**».

وقد رواه عَبْد بن حُمَيد، عن جعفر بن عَوْن، عن أبي جَنَاب الكلبي، عن عطاء، بأطول من هذا وأتم سياقًا.

وهكذا رواه أبو حاتم ابن حبان في صحيحه، عن عمران بن موسى، عن عثمان بن أبي شيبة، عن يحيى بن زكريا، عن إبراهيم بن سُوَيد النَّخعي، عن عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء قال: دخلت أنا وعبد الله بن عمر وعُبَيد بن عُمَير على عائشة فذكر نحوه.

وهكذا رواه عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا في كتاب «التفكر والاعتبار» عن شجاع بن أشرص، به. ثم قال: حدثني الحسن بن

عبد العزيز: سمعت سُنَيْدًا يذكر عن سفيان ـ هو الثوري ـ رفعه قال: من قرأ آخر آل عمران فلم يتفكر فيه ويْلَه. يعد بأصابعه عشرًا. قال الحسن بن عبد العزيز: فأخبرني عُبَيد بن السائب قال: قيل للأوزاعي: ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرأهن وهو يعقلهن.

قال ابن أبي الدنيا: وحدثني قاسم بن هاشم، حدثنا علي بن عَيَّاش، حدثنا عبد الرحمٰن بن سليمان قال: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يَتَعلق به المتعلق من الفكر فيهن وما ينجيه من هذا الويل؟ فأطرق هُنَيّة ثم قال: يقرؤهن وهو يَعْقلُهُن.

حديث آخر فيه غرابة: قال أبو بكر بن مردويه: أنبأنا عبد الرحمٰن بن بشير بن نمير، أنبأنا إسحاق بن إبراهيم البستي ح وقال: أنبأنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا أحمد بن عمرو قالا: أنبأنا هشام بن عمار، أنبأنا سليمان بن موسى الزهري، أنبأنا مظاهر بن أسلم المخزومي، أنبأنا سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ عشر آيات من آخر سورة آل عمران كل ليلة. مظاهر بن أسلم ضعيف.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى صحيح، يعني: كان يقرأها إذا قام من النوم عليه الصلاة والسلام.. يقرأها ويمسح وجهه بيده عليه الصلاة والسلام ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَأَيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾﴾ إلى آخرها، حتى يكمّل السورة عليه الصلاة والسلام. نعم.

مداخلة: هل من السُّنَّة أن يستأذن من زوجته عند قيام الليل؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لا ما هو بلازم، هذا لو صح كان المعنى من باب الملاطفة، لكن غالب روايات ابن مردويه وأشباهه ضعيفة، لكن استشهد المؤلف؛ لأجل قوله أنها نزلت عليه في المدينة.. غالب روايات أبو بكر بن مردويه وأشباهه ممن أسانيدهم طويلة يجمعون ما هب ودب.

مداخلة: المعروف أنه يقيمها إذا كان..

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

السُّنَّة أن يصلي ما تيسر من الليل ويعطيها حقها «**إن لأهلك عليك حق**» لكن إذا أراد يترك النوم معها بالكلية هذا محل الاستئذان، أما إذا كان ينام معها بعض الوقت ويقوم بعض الوقت ما فيه استئذان، لكن لو صح هذا فمن باب الملاطفة

• **س: الوعيد ثابت؟ لمن يقرأها ولا..؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

كلها روايات فيها نظر، في صحتها نظر رواية أبي بكر بن مردويه، لكن مستحب التفكر.. التفكّر والتدبّر مستحب، حث الله عليه ورغّب فيه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهو في الجملة واجب.. في الجملة متعين؛ لأنه طريق إلى الفائدة.

*

❐ **تفسير قوله تعالى**: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١][1].

فهذه آية كريمة فيما يتعلق بالذكر دائمًا، وهكذا عند النوم وعند اليقظة يقول الله جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ

(١) انظر: شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لكتاب رياض الصالحين (٤/ ١٦٣).

ٱلنَّارِ﴾ في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. الله ﷻ يحثنا على الذكر في جميع الحالات قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه؛ لأن الذكر خفيف وميسر لا يشق على الإنسان سواء قائمًا أو قاعدًا: سبحان الله والحمد لله ولا إلـٰه إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لا إلـٰه إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، سبحان الله العظيم وبحمده عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته، إلى غير هذا في أي وقت كان لجميع المسلمين، الرجل والمرأة والجُنب والحائض وغير ذلك، كل ذلك مشروع في جميع الحالات؛ ولهذا قالت عائشة ﵂: (**كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ**)، رواه مسلم وأصله في البخاري[1]. وهو أسبق الناس إلى كل خير عليه الصلاة والسلام، مع أنه أكملهم عبادة ومغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع هذا يسابق إلى الخيرات عليه الصلاة والسلام، فالمؤمن يتأسى برسول الله عليه الصلاة والسلام في الإكثار من الذكر قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه.

وهكذا في الحديث الصحيح حديث عمران بن حصين ﵁: «**صَلِّ قَائِمًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَقَاعِدًا، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فَعَلَى جَنْبٍ**»[2]، وهكذا كان إذا استيقظ من نومه ذكر الله، وإذا وضع جنبه ذكر الله، وإذا أخذ مضجعه من اللّيل، وضع يده تحت خدّه، ثمّ يقول: «**اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا**»

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب هل يتبع المؤذن فاه ههنا وههنا ساقه بعد الحديث رقم (٦٣٣)، ومسلم في كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة برقم (٣٧٣).

(٢) أخرجه البخاري من حديث عمران بن حصين ﵁ في كتاب التهجد، باب إذا لم يطق قاعدًا، صلَّى على جنب رقم (١١١٧).

وإذا استيقظ قال: «**الحمد لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**»(١)، «**باسْمِكَ رَبِّ وَضَعْتُ جَنْبِي وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ**»(٢)، وله أذكار معروفة في محلها؛ وهكذا عند اليقظة يقول: «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ**» «**الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي فِي جَسَدِي، وَرَدَّ عَلَيَّ رُوحِي وَأَذِنَ لِي بِذِكْرِهِ**».

ويقرأ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ كما كان يفعل عليه الصلاة والسلام، فالسُّنَّة للمؤمن أن يلازم الذكر؛ أما الجنب، يُمْسِك عن القرآن لما جاء في الحديث أنه ﷺ كان لا يقرأ القرآن إذا كان جنبًا ولا يحبسه شيء عن القرآن إلا الجنابة، هذا هو الراجح من أقوال العلماء أن الجنب لا يقرأ القرآن، أما الحائض ففيها خلاف، بعض أهل العلم منعها قياسًا على الجنب، وبعض أهل العلم قال: لا حرج؛ لأن مدتها تطول، مدة الحيض تطول خمسة أيام سبعة أيام أكثر، والنفساء كذلك، فهذا يضرها وقد تنسى ما حفظت؛ فالصواب يجوز لها أن تقرأ عن ظهر قلب؛ ليست كالجنب ولا يصح القياس، أما مس المصحف فلا، الجنب لا يمس المصحف؛ لكن عند الحاجة تمسه من وراء حجاب تمسه من قفازين أو غيره عند الحاجة، أما حديث: «**لَا تَقْرَأُ الحَائِضُ، وَلَا الجُنُبُ شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ**»(٣) فهو حديث ضعيف، وإنما العمدة على حديث

---

(١) أخرجه البخاري من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا نام برقم (٦٣١٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب برقم (٦٣٢٠)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع برقم (٢٧١٤).

(٣) أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في كتاب الطهارة، باب ما جاء في الجنب والحائض برقم (١٣١).

علي رضي الله عنه أن النبيَّ (لَا يَحْجُبُهُ، وَرُبَّمَا قَالَ: لَا يَحْجُزُهُ عَنِ الْقُرْآنِ شَيْءٌ، إِلَّا الْجَنَابَةُ)[١]، وهو حديث لا بأس به سنده حسن وهو المعتمد عند أهل العلم حديث علي رضي الله عنه.

تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عمران: ١٩١، ١٩٢][٢].

قال البغوي رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]: ذوي العقول.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

ثم وصفهم فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾..

﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ قال علي بن أبي طالب وابن عباس رضي الله عنهم والنخعي وقتادة: هذا في الصلاة، يصلي قائمًا، فإن لم يستطع فقاعدًا، فإن لم يستطع فعلى جَنب.. من صفات أولي الألباب.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا ليس القصد منه التخصيص، فمن صفات عباد الله ذكر الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم، باللسان وبالعمل، في الصلاة وغيرها، هذه

---

(١) أخرجه ابن ماجه من حديث علي رضي الله عنه في كتاب الطهارة، باب ما جاء في قراءة القرآن على غير طهارة (٥٩٤)، والإمام أحمد (١/ ١٢٤).

(٢) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير البغوي رحمه الله.

صفات أولي الألباب، يسبحون الله ويذكرونه ويعبدونه قائمين وقاعدين وعلى جنوبهم، يقرأ القرآن يسبح الله يستغفر الله، يدعو الله ﷻ، وهكذا إذا كان في نافلة صلى قائمًا أو قاعدًا، أو مريض يصلي قائمًا أو قاعدًا أو على جنبه أو مستلقيًا حسب طاقته، هكذا المؤمن في عبادة أينما كان، قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه، في جميع الأحوال، إلا المواضع التي نهى الله عنها، فالمقصود: أن المؤمن هكذا حياته كلها معمورة بتقوى الله، كلها معمورة بذكر الله، قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه..

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا ...﴾ بين العموم والتخصيص.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، أنبأنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، أنبأنا هناد، أنبأنا وكيع عن إبراهيم بن طهمان، عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة، عن عمران بن حصين قال: (سألت رسول الله ﷺ عن صلاة المريض، فقال: «**صل قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنب**»..).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا رواه البخاري في الصحيح من حديث عمران زاد النسائي بإسناد صحيح: «**فإن لم تستطع فمستلقيًا**»، هذا من رحمة الله وفضله ﷻ. نعم.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال سائر المفسرين: أراد به المداومة على الذكر في عموم الأحوال؛ لأن الإنسان قلَّ ما يخلو من إحدى هذه الحالات الثلاث...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا هو الصواب أنها آية عامة، لكن منها صلاة المريض إذا صلى قاعدًا أو على جنب، وإلا فالآية عامة.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

نظيره في سورة النساء: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، وما أبدع فيهما؛ ليَدُلّهم ذلك على قدرة الله، ويعرفوا أن لها صانعًا قادرًا مدبرًا حكيمًا، قال ابن عون: الفكرة تُذهب الغفلة، وتُحدث للقلب الخشية كما يُحدث الماء للزرع النبات. . .

الشيخ: إي والله. . إي والله.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وما جليت القلوب بمثل الأحزان، ولا استنارت بمثل الفكرة. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كون الإنسان يفكر وينظر ويتأمل دائمًا، ما يكون غافلًا؛ هذا من أسباب صلاح القلب، ومن أسباب بصيرته.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿رَبَّنَآ﴾؛ أي: ويقولون: ربنا ﴿مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا﴾ ردَّه إلى الخلق؛ فلذلك لم يقل هذه، ﴿بَـٰطِلًا﴾؛ أي: عبثًا وهزلًا؛ بل خلقته لأمر عظيم، وانتصب الباطل بنزع الخافض؛ أي: بالباطل، ﴿سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾؛ أي: أهنته، وقيل: أهلكته، وقيل: فضحته؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ﴾ [هود: ٧٨]. . .

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن من دخل النار فقد أخزي وفضح وهلك، نسأل الله العافية. نعم.

قال البغوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فإن قيل: قد قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨]، ومن أهل الإيمان من يدخل النار وقد قال: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾، قيل: قال أنس وقتادة معناه: إنك من تخلد في النار فقد أخزيته، وقال سعيد بن المسيب: هذه خاصة لمن لا يخرج منها.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا مانع من العموم، حتى من دخلها من العصاة قد أخزي؛ بسبب عصيانه وإصراره على المعاصي، لا مانع من عموم هذا، وإن كان لم يخلد، نسأل الله العافية والسلامة.

قال البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ:

فقد روى أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ: أن الله يدخل قومًا النارَ ثم يخرجون منها، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾...

حكم العصاة الذين يموتون على التوحيد

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

العصاة الذين ماتوا على المعاصي من الزنى أو شرب الخمر أو العقوق أو الربا أو نحو هذا.. هذا متوعَّد بالنار، قد يعفو الله عن بعضهم، وبعضهم يدخل النار ويعذبوا فيها؛ لأن الله أخبر أنهم تحت المشيئة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]، هؤلاء اللي تحت المشيئة قسمان: قسم يعفى عنه وقسم يعذبون، فإذا امتحشوا في النار وطُهِّروا؛ أخرجهم الله من النار إلى الجنة؛ لأنهم ماتوا على التوحيد والإيمان، لكن عذبوا بمعاصيهم التي أصروا عليها ولم يتوبوا، والنبي ﷺ يشفع فيهم شفاعات، وهكذا المؤمنون وغيرهم من الأفراط يشفعون، والملائكة تشفع، ولا يبقى في النار إلا الكفار، فإنهم هم اللي يبقون فيها مخلدين فيها أبد الآباد، كما قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال في حقهم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، أما العصاة لا، يعذبون ما شاء الله على حسب معاصيهم، ثم يخرجهم الله من النار.

مداخلة: أحسن الله إليكم! القسم الذي يرفع عنه من العصاة القسم الثاني؟

الشيخ: الله أعلم.

وقوله: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾ [آل عمران: ١٩٣ ـ ١٩٥]...

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الموفقين، ونسأل الله أن يجعل لكم السلامة والهداية، وصلاح النية والعمل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. هذا الكتاب فيه الهدى والنور، كتاب الله القرآن، ولا سيما في حق أهل العلم، عليهم أن يعنوا به، ويتدبروه ويتعقلوه؛ حتى يستفيدوا وينفعوا الناس، طالب العلم وأهل العلم هم الخلاصة في هذا الوجود، كلما كان أكثر علمًا وأكثر خشية لله كان نفعه للناس أكثر، فالواجب على أهل العلم وعلى طلبة العلم أن يعرفوا باستقامتهم على دين الله، ونفعهم لعباد الله، ودعوتهم إلى الحق، ومسابقتهم إلى الخير، وحذرهم من أسباب الهلاك، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم منهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللَّهُمَّ صل وسلم على رسول الله.

الأسئلة:

مداخلة: هنا مجموعة أسئلة نقرأ يا شيخ؟

الشيخ: نعم.

التوفيق بين الجبر والتكليف كما في محاجة آدم لموسى.

• س: بسم الله الرحمٰن الرحيم. فضيلة الشيخ! كيف التوفيق بين الجبر والتكليف؟ وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «التقى آدم وموسى فقال موسى: أنت أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة! فقال آدم: أنت الذي اصطفاك الله برسالاته واصطفاك لنفسه؟ قال: نعم،

فوجدته قد كتب عليَّ قبل أن يخلقني؟ قال: نعم؛ فحج آدم موسى» أخرجاه. فقوله: (فوجدته قد كتب علي قبل أن يخلقني؟ قال: نعم)، هل يدل على أن الإنسان مجبور فقط؟

○ **الجواب**: لا، هذا غلط، إنما حجه آدم لأنه دانه على المصيبة، وهو فعل الذنب؛ لأنه فعل الذنب إنزاله وإخراجه من الجنة مصيبة، إنما يلام على الذنب، ثم أيضًا هذا العتاب بعد التوبة، ولا يجوز أن يعاتب الإنسان بعد التوبة، الله ﷻ قال: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢]، فحج آدم موسى لأمرين: **الأمر الأول**: أن موسى لامه على المصيبة، والمصيبة ليست بيده، ذنبه هو أكل الشجرة، **والأمر الثاني**: أنه لامه بعد التوبة، ولا يلام بعد التوبة العاصي؛ بل يشكر الله على أن هداه ومنَّ عليه بالتوبة، وأما الاحتجاج بالقدر على الذنوب ما يجوز، هذا عمل القدرية، لا يجوز لأحد الاحتجاج بالقدر، الله قدر الأشياء وأعطاك العقل، وعلمك؛ فالواجب عليك طاعة الله ورسوله، وأن تعمل.. تكدح.. تختار.. تأكل.. تشرب.. تبيع.. وتشتري.. تسافر.. وتقيم، لك عقل ولك عمل، فالواجب عليك أن تستقيم على أمر الله، وأن تحارب الشر والفساد.

معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً﴾.

● **س: سماحة الشيخ حفظه الله ورعاه! قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩].. الآية، قال ابن كثير: قال رسول الله ﷺ: «ما يخرج رجل صدقة حتى يفك لحيي سبعين شيطانًا»، ما المعنى أثابكم الله؟**

○ **الجواب**: الله أعلم، المقصود أنه أمر بالعدل أنه يتوسط، لا يكون بخيلًا ولا مسرفًا، لا يغل يده يكون بخيلًا، ولا يبذل فيكون مسرفًا، ولكن يكون بين ذلك؛ ولهذا قال: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾،

وهذا من معنى قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧]، هذا هو المشروع للمؤمن، بين الإسراف وبين البخل..

حكم شهادة من لا يعرف المشهود له

• س: سماحة الشيخ حفظه الله! قال: دخلت عند كاتب العدل وعنده اثنان فقال لي أحدهما: أنا بعت هذا أرضًا وطلب شهادتي، وأنا لا أعرفهما ولم أرهما من قبل، وقالا: اشهد على ما يكتب، ولو أن في البيع ريبة ما أمضاه الكاتب، فما حكم هذه الشهادة؟ وما فرقها عن شهادة الزور؟

○ **الجواب**: لا تشهد حتى تعلم، حتى تعلم بالشهود الحاضرين تعرفهم، أو بجنسية الجماعة.. بطاقة الجماعة، حتى تشهد على ناس معلومين، ما تشهد عن جهالة، فإذا عرفتهم لكي يطمئن قلبك بالشهود الحاضرين هذا فلان بن فلان، أو بالحفيظة اللي معه أن هذا فلان بن فلان، تشهد على ما جرى من البيعة أو سمعت كذا وكذا، باع سيارة أو كذا، بعد أن تطمئن، وتعلم أن هذا هو فلان بن فلان. نعم.

مداخلة: ولو لم يكن يعرفه من قبل؟

الشيخ: إذا عرفه الحمد لله.

الحكم على حديث: (علم الأنساب علم لا ينفع)

• س: سماحة الشيخ! ما صحة حديث: (علم الأنساب علم لا ينفع، وجهل لا يضر)، وقد بحثت عنه فلم أجده؟

○ **الجواب**: ما أعرف له أصل.. أقول: ما أعرف له أصل، إلا ينفع، المواريث وصلة الرحم، الذي يقول: ما ينفع هذا غلط، علم الأنساب، إذا تيسر للإنسان، أنساب قراباته وأنساب قومه حتى يعرف كيف يتوارثون، كيف يتواصلون الرحم.

مداخلة: في هذا الحديث كلام في فتاوى اللجنة الدائمة؟

الشيخ: المقصود هذا جواب على السائل..

الحكم على حديث (ويل لمضحك القوم)

• **س: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، سماحة الوالد! ما صحة حديث: (ويل لمضحك القوم)، وما معناه؟**

○ **الجواب**: الحديث صحيح، «**ويل للذي يكذب فيضحك به القوم، ويل له ثم ويل له**»، هذا الحديث رواه بعض أهل السنن بسند جيد، وذكره الحافظ في البلوغ رَحِمَهُ اللَّهُ في الترهيب من مساوئ الأخلاق، في آخر البلوغ. نعم.

حكم تأخير المعلمات صلاة الفجر في السفر

• **س: فضيلة الشيخ! سيارة تنقل معلمات إلى الخرج مسافة تبعد عن الرياض سبعين كيلو مترًا، ويأخذ أول معلمة قبل صلاة الفجر ولا يصلون إلا في الخرج؛ أي: بعد طلوع الشمس، فما رأي سماحتكم، حيث أن بعض المعلمات يصلون في السيارة؟**

○ **الجواب**: هذا سألونا وعلَّمناهم وعلَّمتهم الرئاسة أن الواجب أن يصلوا قبل ذلك إذا طلع الفجر، ولا يركبوا حتى يصلُّون، وعلى المسؤول أن ينتظر كل واحدة تصلي في بيتها، ويكون ركوبهم بعد الصلاة؛ لأن نزولهم في الطريق غير متيسرة، كتبوا إلينا وعلَّمناهم..

حكم سفر مجموعة من النساء مع محرم إحداهن

• **س: أحسن الله إليك! الحاصل أن مجموعة من النساء يجتمعن ويركبن مع سائق مع زوجته أو أخته..؟**

○ **الجواب**: هذا سؤال آخر محرَّم لا يجوز هذا، هذا سؤال آخر، هذا من المحرَّم هذا لا يجوز، لكن هم ابتلوا بهذا للضرورة، وإلا لا يجوز هذا، الرسول ﷺ قال: «**لا تسافرن امرأة إلا مع ذي محرم**»، بعض

أهل العلم رخص لهم للضرورة، حيث لا يتيسر محرم. .

مداخلة: هل يرخص للضرورة عفا الله عنكم؟

○ **الجواب**: فيه نظر، الذي يظهر لي أنه ما يجوز، لكن لعل الله ييسر للرئاسة العامة طريقة.

مداخلة: هذه معصية من الكبائر يا شيخ؟

○ **الجواب**: معصية لكن ما في ما يدل على أنها من الكبائر، معصية وبس.

حكم الورقة المكتوب عليها: رحلة سعيدة، الاسم: إنسان...

● **س: فضيلة الشيخ! ما رأي سماحتكم في مثل هذه الورقة، ورقة مكتوب فيها: رحلة سعيدة، البطاقة الشخصية الاسم: الإنسان، الجنسية: من تراب، العنوان: كوكب الأرض، محطة المغادرة: الحياة الدنيا..؟**

○ **الجواب**: هذه ما لها أصل، هذه ما ينبغي توزيعها.

مداخلة: يعني مثل هذه الأوراق يقال: إنه لا يجوز.

○ **الجواب**: ما لها أصل عليها.

مفسدة إخبار الناس بكسوف القمر عن طريق الإعلام

● **س: سماحة الشيخ! ألا ترون أن إخبار الناس بكسوف القمر عن طريق الإعلام قبل وقوعه بمدة طويلة يذهب شعور الناس بالخوف؟**

○ **الجواب**: والله نبهنا على هذا وقلنا: لا حاجة للشيء هذا، في الصحف ولا في الإذاعة، ثم قد يصدقون وقد يغلطون، الحسابون قد يغلطون كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قد يصدقون ويغلطون، ثم ما يترتب عليه من زوال التأثر بالكسوف أمر واضح، فالذي ينبغي ترك ذلك؛ حتى يهجم عليهم الكسوف ويتأثروا بذلك.

مداخلة: ما يقال فيهم: «**كذب المنجمون ولو صدقوا**»، يعني هؤلاء. .؟

○ **الجواب**: لا . . لا ، قد لا يكذبون، قد يصدقون، لكنه ما له حاجة، الحساب إذا ضبط الطريقة صدق.

حكم الإساءة إلى المجنون

• **س: سماحة الشيخ حفظه الله ورعاه! ما حكم الإساءة إلى المجنون؟ وكيف يتحلل الإنسان منه؟**

○ **الجواب**: ما يجوز، إلا إذا أساء للناس يؤدب، حتى يلتزم، لا يظلم، المجنون والا غير المجنون لا يظلم، لكن إذا أساء، صار يؤذي الناس يربط يوثق؛ حتى لا يؤذي الناس، المجنون والمعتوه والصبي الصغير أيضًا يردع.

صلاة الخسوف إذا استمر الخسوف ثلاث ساعات

• **س: يا شيخ! بالنسبة للخسوف لو قالوا: إنه سيستمر ثلاث ساعات؟ هل يصلي الإمام... ثلاث ساعات؟**

○ **الجواب**: لا ، ما هو بلازم، يصلي ما تيسر والحمد لله، وبعد ذلك يذكر الله، كونه يذكر الله ويدعو الله ويستغفر في البقية، الحمد لله. نعم.

عدد الركعات في صلاة الكسوف

• **س: صلاة أربع ركعات من السُّنَّة؟**

○ **الجواب**: في كل ركعة قراءتان وركوعان وسجدتان.

مداخلة: هذا من السُّنَّة؟

الشيخ: هذا هو الأظهر.

مداخلة: والخطبة.

○ **الجواب**: والموعظة.

التكبير عند الرفع من الركوع في صلاة الكسوف

• **س: صلينا خلف إمام في الركعة الأولى قال بدل: سمع الله لمن حمده قال: الله أكبر، وكذلك في الركعة الثالثة..**

○ **الجواب**: ناسي.

مداخلة: وسألناه، قال: هذا ورد؟

○ **الجواب**: لا.. لا، بالتسميع، غلط، إن كان ناسي فلا عليه، وإن كان ما هو بناسي فهو جاهل، أحد الأمرين: إما جاهل والا ناسي.

مداخلة: يسجد للسهو يا شيخ؟

○ **الجواب**: إذا كان ناسي يسجد للسهو.

حكم جمعية الموظفين

● **س: سماحة الشيخ! ما حكم جمعية الموظفين؟**

○ **الجواب**: لا بأس بتيسير القرض يجتمعون كل واحد يأخذ قرضه عشرين ألف عشرة آلاف، والآخر كذلك والآخر كذلك، هذا صار في قرار الإنسان قرض لا بأس به إذا كان ما فيه زيادة.

حكم كرة القدم

● **س: سماحة الشيخ حفظه الله تعالى! السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد: إنني سمعت كثيرًا من الناس في الباكستان وأفغانستان يقولون: إن لعبة كرة القدم حرام، ويكرهونها ويذمونها، وإذا قلنا لهم: لماذا؟ قالوا: إن الكفار لما قتلوا الحسين بن علي رضي الله عنه مثلوا به وأخذوا رأسه، وكل واحد يرمي بها للآخر؟**

○ **الجواب**: هذا ما هو بشيء.. كرة القدم لا بأس بها، بشرط ألا يكون فيها إضاعة للصلوات، ولا ظهور للعورات، ولا آلات ملاهي، فإذا كان الإخوان يتسابقون بالأقدام أو بكرة القدم على وجه ليس فيه منكر، لا إضاعة صلاة ولا ظهور عورات ولا آلات ملاهي فلا حرج، مثل مسابقة الأقدام، ومثل ما تسويها طاقة... أو نسحا به، هذه تقطع الوقت، لكن بشروط ألا يكون فيها إضاعة الصلوات، وألا يكون فيها ظهور العورة الذي هو الفخذ، وألا يكون فيها آلات

الملاهي كالموسيقى ونحوها. لعله يكفي، وفق الله الجميع، جاوب على التلفون..

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ١٩٢﴾ [**آل عمران: ١٩٢**][1].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا معن بن عيسى، عن مالكٍ، عن مخرمة بن سليمان، عن كريبٍ مولى عبد الله بن عبّاسٍ أنّ عبد الله بن عبّاسٍ أخبره «أنّه بات عند ميمونة زوج النّبيّ ﷺ، وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتّى انتصف اللّيل، أو قبله بقليلٍ، أو بعده بقليلٍ، ثمّ استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النّوم من وجهه بيديه، ثمّ قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثمّ قام إلى شنٍّ معلّقةٍ فتوضّأ منها، فأحسن وضوءه، ثمّ قام يصلّي، فصنعت مثل ما صنع، ثمّ ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني بيده اليمنى يفتلها، فصلّى ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ أوتر، ثمّ اضطجع حتّى جاءه المؤذّن، فقام فصلّى ركعتين خفيفتين، ثمّ خرج فصلّى الصّبح»[2].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كذا عندك (**بيديه**)؟

---

(١) من شرح سماحته رَحِمَهُ ٱللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

(٢) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ...﴾ إلخ برقم (٤٥٧١)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٦٣).

(من القارئ): نعم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ماذا قال الشّارح؟

(من القارئ): ما ذكر شيئًا.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يبيّن لنا أن ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بات عند ميمونة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عدة ليالٍ، وأنّه غير مرة، في الرّواية الأولى أنّه قام حين بقي ثلث اللّيل، وفي هذه الرّواية قبل نصف اللّيل بقليلٍ أو بعده بقليلٍ، في بعضها: مسح على وجهه بيديه، وفي بعضها بيده. كلّ هذا يدلّ على أنّه نام عندهم عدة ليالٍ.

وفي هذا أنّ المؤذن ينبّهه، ولو أنّ الإمام أفضل النّاس في وقته، وأعلم النّاس في وقته؛ لأنّه قد يغفل أو يشغل، فينبّهه أنّ النّاس قد حضروا، وأنّ الوقت قد حان، الوقت المعتاد يعني، ولا سيّما إذا كان قريبًا، محلّه عند مسجدٍ أو قريبًا من المسجد؛ لأنّه قد يشغل بأحدٍ أو يغفل أو كذا، ولهذا كان بلالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يؤذنه عليه الصّلاة والسّلام.

وفي هذا شرعيّة مسح الوجه هكذا عند النّوم، هكذا يمسح بيديه ويقرأ الآيات، ويأتي بما شرع الله من الذّكر المعروف: «**سُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**»، «**الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانِي بَعْدَمَا أَمَاتَنِي وَإِلَيْهِ النُّشورُ**»(١)، ويدعو ربه، اللّهمّ صلِّ على محمّد وسلّم.

وفي حديث عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في «الصّحيحين» عن النّبيّ ﷺ قال: «**مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْل، فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»؛ يعني: يَسْتيقِظُ، هَذَا يعمُّ اليقظةَ فِي أَثْنَاءِ النوم، وَفِي آخر النَّوْم عند القيام فيقول: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيء قَدِيرٌ**»، فِي رواية:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد من حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥/ ٣٨٧).

«يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ للهِ، وَسُبْحَانَ اللهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ»[١]، أو كما قال عليه الصّلاة والسّلام، فعلّق هذا على قَبول الدّعاء وقَبول الصّلاة، اللّهمّ صلِّ وسلِّم عليه.

● **س: ما معنى «فمن تعارّ»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: استيقَظ يعني: انتبَه.

*

☐ تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ﴾ الآية [آل عمران: ١٩٣][٢].

حدّثنا قتيبة بن سعيدٍ، عن مالكٍ، عن مخرمة بن سليمان، عن كريبٍ مولى ابن عبّاسٍ أنّ ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبره «أنّه بات عند ميمونة زوج النّبيّ ﷺ وهي خالته، قال: فاضطجعتُ في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ، حتّى إذا انتصف اللّيل، أو قبله بقليلٍ، أو بعده بقليلٍ، استيقظ رسول الله ﷺ، فجعل يمسح النّوم عن وجهه بيده، ثمّ قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثمّ قام إلى شنٍّ معلّقةٍ فتوضّأ منها، فأحسن وضوءه، ثمّ قام يصلّي، قال ابن عبّاسٍ: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثمّ ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ

---

(١) أخرجه البخاري من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في كتاب التهجد، باب فضل من تعار من الليل فصلى برقم (١١٥٤).

(٢) من شرح سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

بأذني اليمنى يفتلها، فصلّى ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ ركعتين، ثمّ أوتر، ثمّ اضطجع حتّى جاءه المؤذّن فقام فصلّى ركعتين خفيفتين، ثمّ خرج فصلّى الصّبح»[١].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمؤلّف في تكرار التّراجم لأجل تفقيه الطّالب وكونه يتذكّر، تكرار التّراجم وتكرار الفوائد لأجل منفعة الطّالب والقارئ لكتابه.

قوله: (**ثمّ ذهبت فقمت على جنبه**)؛ يعني: جنبه الأيسر، اللهمّ صلّ عليه وسلم.

ومعناه هكذا على يساره مدّ يده هكذا، ثمّ أداره عن يمينه، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

- **س: أحسن الله عملك، هم الثّلاثة يكونون على الوسادة؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

ابن عبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في طرفها، وهو في عرضها، هذا يدلّ على أنّ الصّغير لا بأس أن ينام عند الرّجل وأهله؛ لأنّه كان ما بعد بلغ الحلم، حين مات النّبيّ ﷺ ما بعد بلغ الحلم. وهو مَحْرَم لها.

- **س: هل يجوز أن يديره من أمامه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الظّاهر أنّه ما ينبغي لا؛ لأنّه يقطع الصّلاة لهذا أداره من خلفه عليه الصّلاة والسّلام.

- **س: وفتل أذنه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: كان في بعض الرّوايات لأسبابٍ،

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. أخرجه البخاري في كتاب التفسير، باب ﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ الآية برقم (٤٥٧٢)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٦٣).

بعضها من النّعس أنّه كان ينعس، فتلها؛ كأنّه ما شبع من النّوم؛ صغيرٌ فتل أذنه لينتبه وأداره. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

وفي هذا أنّ العمل اليسير ما يضرّ الصّلاة؛ لأنّه عملٌ للمصلحة.

● **س: إذا أداره من أمامه أحسن الله إليك؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: ما يقطع الصّلاة، لكن ما ينبغي؛ لأنّه مرورٌ، نوعٌ من المرور؛ فهو مرورٌ لا يقطع الصّلاة، لكنّه نوع مرورٍ، النّبيّ ﷺ منع من المرور.

● **س: ليس من باب المداعبة معه؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: لا، ما هو محلّ مداعبةٍ، جاء في الرّواية الأخرى أنّه نعس.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ١٩٥﴾ [آل عمران: ١٩٥][١].

يقول تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾؛ أي: فأجابهم ربهم، كما قال الشاعر:

وداعٍ دعا: يَا مَن يجيب إلى النّدى ... فَلم يَسْتجبْه عنْد ذاك مجيب

قال سعيد بن منصور: حدثنا سفيان، عن عمرو بن دينار، عن

(١) من تعليقات سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ على تفسير الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ.

سلمة، رجل من آل أم سلمة، قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله، لا نَسْمَع اللهَ ذَكَر النساء في الهجرة بشيء؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ إلى آخر الآية. وقالت الأنصار: هي أول ظعينة قَدمت علينا.

وقد رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عُيَيْنة، ثم قال: صحيح على شرط البخاري، ولم يخرجاه.

وقد روى ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، عن أم سَلَمة قالت: آخر آية أنزلت هذه الآية: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ إلى آخرها. رواه ابن مَرْدُويَه.

ومعنى الآية: أن المؤمنين ذوي الألباب لما سألوا ـ مما تقدم ذكره ـ فاستجاب لهم ربهم ـ عقب ذلك بفاء التعقيب، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وقوله: ﴿أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ هذا تفسير للإجابة؛ أي: قال لهم مُجِيبًا لهم: أنه لا يضيع عمل عامل لديه؛ بل يُوَفّي كل عامل بقسط عمله، من ذكر أو أنثى.

وقوله: ﴿أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾؛ أي: جميعكم في ثوابي سَواء ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟﴾؛ أي: تركوا دار الشِّرك وأتوا إلى دار الإيمان وفارقوا الأحباب والخلان والإخوان والجيران، ﴿وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ﴾؛ أي: ضايقهم المشركون بالأذى حتى ألجؤوهم إلى الخروج من بين أظهرهم؛ ولهذا قال: ﴿وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى﴾؛ أي: إنما كان ذنْبُهم إلى الناس أنهم آمنوا بالله وحده، كما قال تعالى: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ [الممتحنة: ١]. وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

وقوله: ﴿وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ﴾ وهذا أعلى المقامات أن يقاتل في سبيل الله، فيُعْقَر جَواده، ويعفَّر وجهه بدمه وترابه، وقد ثبت في الصحيح أن رجلًا قال: يا رسول الله، أرأيت إن قُتلت في سبيل الله صابرًا مُحْتَسبًا مُقْبلًا غير مُدبِر، أيُكَفِّر الله عني خطاياي؟ قال: «**نعم**»، ثم قال: «**كيف قلت؟**»: فأعاد عليه ما قال، فقال: «**نعم، إلا الدَّين، قاله لي جبريل آنفًا**».

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: الدَّيْن لا يسقط بالشهادة في سبيل الله؛ بل يوفى صاحبه أجره، ولا يضيع على صاحبه، ولكن الشهيد موعود بالجنة والكرامة وإن كان عليه دين، لكن لا يسقط دين الناس بل يعطون حقوقهم، والله عَزَّ وَجَلَّ إذا رضي عن العبد وأكرمه وقبل سعيه أرضى خصمه، وأرضى صاحب الدَّين، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالديون لا تضيع، والله لا يضيع حق عامل؛ بل يدخر لهم أعمالهم، وينميها لهم ويربيها لهم ويضاعفها لهم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فهذا من فضله وجوده، أن من هاجر في سبيله، أو جاهد في سبيله، أو عمل أي عمل في سبيله، فإن عمله محفوظ، ولا يضيع عند الله عَزَّ وَجَلَّ قلَّ أو كثر، حتى لو كان ريال فقط.

مداخلة: قول أم سلمة: آخر آية نزلت، يعني: تريد بها أحكام النساء؟

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: الله أعلم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولهذا قال تعالى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾؛ أي: تجري في خلالها الأنهار من أنواع المشارب، من لبن وعسل وخمر وماء غير آسن وغير ذلك، مما لا عَيْنَ رَأَتْ، ولا أذن سَمِعت، ولا خَطَر على قلب بَشَر.

وقوله: ﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ أضافه إليه ونسبه إليه لِيدل على أنه عظيم؛ لأن العظيم الكريم لا يعطي إلا جَزيلًا كثيرًا، كما قال الشاعر:

إن يُعَذب يَكُن غَرامًا وإن يُـ ... ـعْطِ جَزيلًا فإنَّه لا يُبَالي

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾﴾؛ أي: عنده حُسْن الجزاء لمن عمل صالحًا.

قال ابن أبي حاتم: ذكر عن دُحَيم بن إبراهيم: حدثنا الوليد بن مسلم، أخبرني حَرِيز بن عثمان: أن شداد بن أوس كان يقول: يا أيها الناس، لا تَتهِموا الله في قضائه، فإنه لا يبغي على مؤمن، فإذا نزل بأحدكم شيء مما يُحِب فليحْمَد الله، وإذا أنزل به شيء مما يكره فَلْيَصْبر وليحتسب، فإن الله عنده حسن الثواب.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ [آل عمران: ١٩٦ ـ ١٩٨](١).

يقول تعالى: لا تنظروا إلى ما هؤلاء الكفار مُتْرفون فيه، من النِّعْمَة والغِبْطَة والسرور، فعَمّا قليل يزول هذا كله عنهم، ويصبحون مُرتَهنين بأعمالهم السيئة، فإنما نَمُدّ لهم فيما هم فيه استدراجًا، وجميع ما هم فيه ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾.

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله.

عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٦٩، ٧٠]، وقال تعالى: ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ [لقمان: ٢٤].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا واضح في توجيهه عباده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إلى ألا يغتروا بالكفرة، وما أحصوا وما أعطوا من التقلب في البلاد، والنعم الكثيرة والتنقلات بين أنواع النعم وبين صنوف البلاد، كل ذلك متاع قليل، لا ينبغي للعاقل أن يغتر به، فإنه يمدهم الله بهذا استدراجًا، وزيادةً في نكالهم وعذابهم.

كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣]. ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢، ١٨٣]. فهو يملي ثم يأخذ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ ولهذا قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]. وكما قال سبحانه: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾﴾. فلا ينبغي للعاقل أن يغتر بهم بما أعطوا من نعم، من أموال ومراكب ومساكن وغير هذا، فإنه كله متاع قليل، والله ذكر لهذه الدنيا البقاء إلى أجلها ونهايتها، فلو أخذ كل واحد بذنبه وكل كافر بذنبه، لما بقي على وجه الأرض كافر ولا مذنب، ولرجع الناس كلهم إلى الحق، ولكن الله في علمه أنه يبتلي هؤلاء ويبتلي هؤلاء، ويستدرج هؤلاء وهؤلاء، فمن صبر واحتسب واستقام على الحق فله العاقبة الحميدة، ومن اغتر بالعاجلة ومن شابه أهلها وغر بهم أو غر بما أعطي من النعم، حتى استعملها فيما يسخط الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهو الهالك من حيث ظن أنه ناج، أو من حيث غفل عن المصير نسأل الله العافية.

فالمصير لا بد منها إلى أسوأ حال لمن لم يشكر الله ولم يستقم

على أمره، وغرته الغرور وغره الشيطان، نعم. لا حول ولا قوة إلا بالله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق: ١٧]؛ أي: قليلًا، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ [القصص: ٦١].

وهكذا لما ذكر حال الكفار في الدنيا وذكر مآلهم إلى النار قال بعده: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا﴾؛ أي: ضيافة من عند الله ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾ مطلقًا سواء كانوا في الدنيا أغنياء أو فقراء، فهو خير لهم، وما يعطيهم الله يوم القيامة من النعيم ينسيهم ما مضى عليهم في الدنيا من شدة وبلاء وفقر وغير ذلك؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن رسول الله عليه الصلاة والسلام: «**قيل: أنه يؤتى بالعبد من أنعم أهل الدنيا من أهل النار، فإذا أدخل النار سئل: هل مرَّ بك نعيم قط؟ فيقول: ما مرَّ بي نعيم قط**» ينسى كل شيء. «**ويؤتى بأشد أهل البلاء بؤسًا من أهل الجنة، فإذا أدخل الجنة قيل: هل مر بك شدة؟ فيقول: لا يا رب!**» نسي ما أصابه من شدة في الدنيا وبلاء في الدنيا ومرض أو فقر أو غير ذلك، كله زائل. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن مَرْدُويه: حدثنا أحمد بن نصر، أخبرنا أبو طاهر سهل بن عبد الله، أنبأنا هشام بن عَمَّار، أنبأنا سعيد بن يحيى، أنبأنا عُبَيد الله بن الوليد الوصافي، عن مُحَارب بن دِثَار، عن عَبْد الله بن عمرو بن العاص، عن النبي ﷺ قال: «**إنما سُمّوا الأبرار لأنهم بَرّوا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقًّا، كذلك لولدك عليك حق**».

كذا رواه ابن مَرْدُويه عن عَبْد الله بن عمرو بن العاص مرفوعًا، وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن جَنَاب، حدثنا عيسى بن يونس، عن عُبَيد الله بن الوليد الوصافي، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر قال: إنما سمَّاهم الله أبرارًا لأنهم بَرّوا الآباء والأبناء، كما أن لوالديك عليك حقًّا، كذلك لولدك عليك حق، وهذا أشبه والله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ الله:

يعني: الموقوف أشبه من كلام عبد الله، فالأبرار المعروفون: هم الذين بروا في أعمالهم وأقوالهم في حق الله وفي حق عباده، هم أبرار أدُّوا الحق الذي عليهم لله ولعباده، فلهذا قيل لهم: أبرار، ومن العباد: الأولاد لهم حق تربيتهم والإحسان إليهم والإنفاق على محتاجهم، كما أن حق الآباء والأمهات البر، والإحسان إليهم وهو أكبر وأعظم من حق الأولاد، فهم أدوا حق الله وأدوا حق العباد فسموا أبرارًا؛ يعني: لبرهم في أعمالهم وأقوالهم في حق الله وحق عباده، فصارت الجنة مأواهم ومصيرهم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ الله:

ثم قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا هشام الدَّسْتَوائي، عن رجل، عن الحسن قال: الأبرار الذين لا يؤذون الذَّرّ.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ الله:

وهذا ضعيف عن الحسن لأن فيه هذا الرجل المبهم، والمعنى أنهم الذين لا يعتدون على الناس ولا على الخلق لو صح فإن الذر لا يقتل إلا بحق، فالحاصل أن البر والمؤمن من شأنه أن لا يعتدي على أحد، لا على العقلاء والمكلفين، ولا على غيرهم.

والمقصود: أن الأبرار هم الذين لا يظلمون الناس، ولا يؤذون عباد الله، ولا خلق الله.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقال ابن أبي حاتم أيضًا: حدثنا أحمد بن سنان، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن خيْثَمَة، عن الأسود قال: قال عبد الله - يعني: ابن مسعود -: ما من نَفْس بَرّة ولا فاجرة إلا الموت خيرٌ لها، لئن كان برًّا لقد قال الله: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾، وكذا رواه عبد الرزاق عن الثوري عن الأعمش به وقرأ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾.

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا إسحاق، حدثنا ابن أبي جعفر، عن فرج بن فضالة، عن لقمان، عن أبي الدرداء أنه كان يقول: ما من مؤمن إلا والموت خير له، وما من كافر إلا والموت خير له، ومن لم يصدقني فإن الله يقول: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾.

ويقول: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما الكافر فلا شك أن الموت خير له؛ لأنه كلما زاد في الحياة زاد في الشر، وزاد في الإثم، نعوذ بالله، ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾، أما المؤمن فقد أخبر النبيُّ ﷺ أن عمر المؤمن لا يزيده إلا خيرًا، فالمؤمن إذا طال عمره في الإسلام زاد خيرًا، وصارت حياته نافعة له، ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾﴾، يعني: من الدنيا، فالدنيا لا قيمة لها، وما عند الله لأهل الإيمان خير لهم، لكن ليس المعنى: أن الموت يكون خيرًا له، وهو مؤمن تقي، فإن المؤمن تزداد حسناته، ويزداد عمله الصالح كلما طالت حياته، ولهذا في الحديث: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ

خَيْرٌ قَالَ: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»(١)، فكلام ابن مسعود رضي الله عنه وأرضاه فيه نظر فيما يتعلق بالمؤمن؛ لأن المؤمن إذا رزقه الله الاستقامة وعافاه من الفتن فحياته تزيده خيرًا؛ لأنه كلما زاد في الحياة زاد في الأعمال الصالحات وزاد في الحسنات، وزادت منزلته في الجنة، ولا ينافي هذا قوله سبحانه: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٌ لِّلۡأَبۡرَارِ ١٩٨﴾. لأن.. معنى الآية ليس معناها أن ما عند الله خير للبر إذا مات وهو شاب، لا، المراد أن الآخرة خير من الدنيا، النعيم الذي في الجنة خير للعبد من الدنيا، وأما الكافر فلا شك أن حياته تضره، كلما زاد في الحياة زاد في الإثم. نعوذ بالله..

مداخلة: يعني معنى ذلك: أنه يختلف؟

الشيخ: نعم؟

مداخلة: أنه يختلف إذا مات وهو كافر شاب، عن إذا كان مسن؟

الشيخ: ما في شك الكافر غير المسلم، الكافر يزداد شرًّا، والمسلم يزداد خيرًا، فلا سواء.

مداخلة: لا أنا أقصد من ناحية الشر الكافر.........؟

الشيخ:....... لأن هذا أقل عذابًا ممن طال عمره في الكفر والظلم للناس والعدوان، نسأل الله العافية.

مداخلة:.. مخلد جميعًا يعني ولو كان؟

الشيخ: نعم ﴿أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٌ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمًاۚ وَلَهُمۡ عَذَابٌ مُّهِينٌ ١٧٨﴾. نسأل الله العافية. الله المستعان.

*

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب منه برقم (٢٣٣٠)، والإمام أحمد (٤/ ١٩٠).

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ **الآية** [آل عمران: ١٩٦][(١)].

حدّثنا عليّ بن عبد الله، حدّثنا عبد الرّحمن بن مهديٍّ عن مالك بن أنسٍ، عن مخرمة بن سليمان عن كريبٍ، عن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: «بتّ عند خالتي ميمونة، فقلت: لأنظرنّ إلى صلاة رسول الله ﷺ، فطرحت لرسول الله ﷺ وسادةٌ، فنام رسول الله ﷺ في طولها، فجعل يمسح النّوم عن وجهه، فقرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتّى ختم، ثمّ أتى شنًّا معلّقًا فأخذه فتوضّأ، ثمّ قام يصلّي، فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثمّ جئت فقمت إلى جنبه، فوضع يده على رأسي، ثمّ أخذ بأذني فجعل يفتلها، ثمّ صلّى ركعتين، ثمّ صلّى ركعتين، ثمّ صلّى ركعتين، ثمّ صلّى ركعتين، ثمّ صلّى ركعتين، ثمّ صلّى ركعتين، ثمّ أوتر».

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

هذه ثلاث عشرة. اللّهمّ صلّ عليه وسلّم، وابن عبّاسٍ رضي الله عنهما فعل هذا مراتٍ عند خالته ميمونة رضي الله عنها، وكان دون الحلم، إنّما احتلم بعد موت النّبيّ ﷺ، كان حين مات النّبيّ ﷺ مراهقًا، فزارهم في بيت ميمونة رضي الله عنها.

ونام عندهم مراتٍ، في بعضها ذكر أنّه قام وذكر الله ورفع بصره إلى السّماء، وقرأ العشرة الآيات من آخر سورة آل عمران، ثمّ توضّأ، ثمّ صلّى إحدى عشرة ركعةً كما تقدّم، في بعضها أنّه صلّى ثلاث عشرة: ركعتين، ثمّ ركعتين، إلى أن كمّل إحدى عشرة كما هنا، وقد نام في عرض الوسادة، في طرف الوسادة، ونام النّبيّ ﷺ بطولها.

---

(١) من شرح سماحته رحمه الله لصحيح البخاري، كتاب التفسير.

فهذا فيه فوائد:

* **منها**: الدّلالة على علوّ همة ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما، وحرصه على الخير من صغره، وأنّه حريصٌ على العلم قبل أن يبلغ الحلم؛ ولهذا حصّل خيرًا عظيمًا، ودعا له النّبيّ ﷺ: فقال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»[١]، «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَاب**»[٢]؛ فكان من أفقه النّاس، وأعلم النّاس بكتاب الله، وسنّة الرّسول عليه الصّلاة والسّلام.

* **ومنها**: التأسّي، يشرع للمؤمن للشّابّ يتأسّى بهذا، الشّابّ الصّالح لا يحقر نفسه، يجتهد في طلب العلم، ولو قبل البلوغ، يجتهد يتحرّى ويدرس، يفعل ما يستطيع من أسباب تحصيل العلم.

* **وفيه من الفوائد**: أنّه إذا وقف عن يسار الإمام يدار عن يمينه؛ فإنّ الرّواية الأخرى صريحةٌ أنّه وقف عن يساره؛ فأداره النّبيّ ﷺ عن يمينه، وأن السّنّة للواحد أن يقف عن يمين الإمام إذا كان واحدًا، إذا كانوا اثنين فأكثر خلفه.

* **وفيه**: أن الصّلاة صحيحةٌ، لو صلّى عن يساره صحّت، لكن خلاف المشروع؛ لأنّ الرّسول ما أمره أن يعيد الإحرام، إنّما أداره واستمرّ على صلاته.

* **وفيه من الفوائد**: جواز نوم الإنسان الصّغير عند الرّجل وأهله في حجرةٍ واحدةٍ، وينام معهم، وهو دون البلوغ، الرّسول ﷺ أقرّ أن ينام عندهم في الحجرة الّتي ينامون فيها، عليه الصّلاة والسّلام.

• **س: أحسن الله إليك: قراءة العشر آيات هل هي لمن قام اللّيل مطلقًا، أو من قام لقيام اللّيل فقط؟**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٦٦ و٣١٤).

(٢) أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب العلم، باب قول النبي ﷺ: «**اللهم علّمه الكتاب**» برقم (٧٥).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: سنّ لمن استيقظ من اللّيل أن يقرأها، الاستيقاظ بعد نوم اللّيل.

● **س: هذه الرّواية كأنّها خمس عشرة ركعةً صلّى؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

إن حسبنا سنّة الاستفتاح صارت خمس عشرة؛ لأنّه صلّى ثلاث عشرة مع سنّة الاستفتاح؛ تكون خمس عشرة، وإذا صلّى إحدى عشرة مع سنّة الاستفتاح تكون ثلاث عشرة، وإذا صلّى تسعًا مع سنّة الاستفتاح صارت إحدى عشرة، وإذا صلّى سبعًا مع سنّة الاستفتاح ركعتين خفيفتين صارت تسعًا وهكذا، في الحديث ما تحسب سنّة الاستفتاح ركعتين خفيفتين، وإذا حسبت وأضيفت عُدَّت زيادة.

لكن المهم وتره الّذي يطيل فيه ويجتهد في الدّعاء والقراءة، أكثر ما فعل ثلاث عشرة، هذا أكثر ما حفظ عنه غير سنّة الاستفتاح، والأمر واسعٌ: عشرون أو ثلاثون أو مائة ركعة؛ فالأمر واسعٌ.

ولهذا يقول ﷺ: «**صَلَاةُ اللَّيْل مَثْنَى مَثْنَى**». مَا قَالَ: عشرين ولا ثلاثين، «**صَلَاةُ اللَّيْل مَثْنَى مَثْنَى، فَإِذَا خَشِيَ أَحَدُكُمُ الصُّبْحَ صَلَّى رَكْعَةً وَاحِدَةً تُوتِرُ لَهُ مَا قَدْ صَلَّى**»(١)، ولم يحدد عددًا معينًا.

● **س: قوله: «ثم أوتر»؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: يعني: بركعةٍ.

● **س: أحسن الله إليك: بعض النّاس إذا كان أوتروا ما يصلُّون بعدها حتّى لو قاموا باللّيل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

لا، إذا قام من اللّيل وتيسّر له يوتر، إذا قام من اللّيل يصلّي ما

---

(١) سبق تخريجه في (١/ ٤٨٥).

تيسّر من الرّكعات، النّبيّ ﷺ في بعض الأحيان يصلي ركعتين بعد الوتر؛ يبين للأمة الجواز، وأنّه جائزٌ، تقول عائشة رضي الله عنها: «كان إذا أوتر صلّى ركعتين وهو جالسٌ»(١).

● **س: يعني: النّهي عدم إعادة الوتر؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: لا يعيد الوتر فَقَط، «**لَا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ**»(٢)، يصلي ولا يعيد الوتر، اللّهمّ صلّ عليه وسلّم.

● **س: أحسن الله إليك: الصّلاة هذه غير صلاة اللّيل ولّا هي نفس صلاة اللّيل؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله: هي صلاة اللّيل.

● **س: يا شيخ بارك الله فيك: من غلبه النّوم وكانت من عادته أن يصلي إحدى عشرة ركعةً ثمّ لم يقم إلّا بقدر ما يكفيه قبل الأذان لصلاة ثلاث ركعاتٍ؟**

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

يصلّي ما تيسَّر والحمد لله، يصلّي ما تيسَّر في آخر اللّيل، ولو ركعةً واحدةً يوتر بها، ويصلّي من النّهار عوض ما فاته من الركعات شفعًا؛ كما كان النّبيّ يفعل ﷺ.

*

(١) أخرجه النسائي من حديث عائشة رضي الله عنها في كتاب قيام الليل برقم (١٧٢٢)، والإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٥٣ و١٥٥ و٢٢٧ و٢٥٥). وقد ذكر لي سماحته رحمه الله بأنه قرأ سنن النسائي في تسعة وعشرين يومًا للبحث عن هذا الحديث فرحم الله شيخنا ورفع قدره في العليين.

(٢) أخرجه أبو داود من حديث طلق بن علي رضي الله عنه في كتاب الصلاة، باب في نقص الوتر برقم (١٤٣٩)، والترمذي في كتاب الوتر، باب ما جاء لا وتران في ليلة برقم (٤٧٠)، والنسائي في كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب نهي النبي ﷺ عن الوترين في ليلة برقم (١٦٧٩)، والإمام أحمد (٤/ ٢٣).

تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩، ٢٠٠][(١)].

يخبرُ تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، وبما أنزل على محمد، مع ما هم يؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله؛ أي: مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه، ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾؛ أي: لا يكتمون بأيديهم من البشارات بمحمد ﷺ، وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواء كانوا هودًا أو نصارى.

قال سماحة الشيخ ابن باز رحمه الله:

وهذا ممن منَّ الله عليهم ورزقهم الاستقامة، ونفعهم الله بما علموا من التوراة والإنجيل، مثل عبد الله بن سلام وغيره ممن أسلم من اليهود والنصارى، نفعهم الله بعلمهم السابق، وهداهم إلى الإيمان، فآمنوا بالرسل الماضون وآمنوا بمحمد عليه الصلاة والسلام، فتمت لهم السعادة. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

وقد قال تعالى في سورة القصص: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ الآية [القصص: ٥٢ ـ ٥٤]، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾

---

(١) من تعليقات سماحته رحمه الله على تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله، الليلي ١٤٠٥هـ.

الآية [البقرة: ١٢١]. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٧ ـ ١٠٩].

وهذه الصفات توجد في اليهود، ولكن قليلًا، كما وجد في عبد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود، ولم يبلغوا عَشْرَةَ أنفُس، وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق، كما قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٢ ـ ٨٥].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هم الأقرب والألين، الأقرب إلى الدخول في الإسلام من اليهود، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ﴾ [المائدة: ٨٢]، فالنصارى أقل علمًا وأقل عنادًا من اليهود، واليهود أكثر علمًا وأكثر عنادًا. نسأل الله العافية. لأنهم اشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، باعوا الآخرة بالدنيا، أما هؤلاء المؤمنين فلم يشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا؛ بل آثروا ما عند الله، وتابعوا الرسول محمد عليه الصلاة والسلام وصدقوا بالحق، فنفعهم علمهم، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. الله المستعان

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهكذا قال هاهنا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩٩﴾ الآية.

وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، لَمّا قرأ سورة ﴿كٓهيعٓصٓ ١﴾ بحضرة النجاشي ملك الحبشة، وعنده البطاركة والقساوسة بَكَى وبَكَوْا معه، حتى أخْضَبُوا لِحَاهُم.

وثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نَعَاه النبي ﷺ إلى أصحابه، وقال: «**إن أخًا لكم بالحبشة قد مات فصَلُّوا عليه**». فخرج بهم إلى الصحراء، فَصفَّهم، وصلّى عليه[(١)].

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كما في الرواية المشهورة أنه لما سمع سورة كاف أخذ قذاة من الأرض، وقال: ما زاد هذا على ما جاء به عيسى قدر هذا، وقال: هذا هو الحق. الله المستعان، الله المستعان. الله أكبر.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وروى ابن أبي حاتم والحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: لما تُوُفي النجاشي قال رسولُ الله ﷺ: «**استغفروا لأخيكم**». فقال بعض الناس: يأمرنا أن نستغفر لِعِلْج مات بأرض الحبشة. فنزلت: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فالذين ماتوا على دين عيسى وعلى دين موسى هم من أهل الحق، هم من طوائف الحق، ومن رواة الحق ومن الفرقة الناجية، وإنما الفِرق

---

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب الصفوف على الجنازة برقم (١٣٢٠)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب في التكبير على الجنازة برقم (٩٥١).

التي هلكت هي التي خالفت ما جاء به موسى وعيسى، ثم لما أدركوا محمدًا ﷺ هدى الله كثيرًا من النصارى فدخلوا في دين الله، وابتعد اليهود وكذبوا وكذبوا. نسأل الله العافية. ولم يسلم منهم إلا النادر. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

ورواه عبد بن حميد وابن أبي حاتم من طريق أخرى عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن الحسن عن النبي ﷺ ثم رواه ابن مَرْدويه أيضًا من طرق عن حُمَيْد، عن أنس بن مالك نحو ما تقدم.

ورواه أيضًا ابن جرير من حديث أبي بكر الهُذَلي، عن قَتَادة، عن سعيد بن المُسَيَّب، عن جابر قال: قال لنا رسول الله ﷺ حين مات النجاشي: «**إن أخاكم أصْحَمة قد مات**». فخرج رسولُ الله ﷺ فصلَّى كما يُصَلِّي على الجنائز فكبر عليه أربعًا، فقال المنافقون: يصلي على علج مات بأرض الحبشة: فأنزل الله ﷻ: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾، وقال أبو داود: حدثنا محمد بن عَمْرو الرازي، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: لما مات النجاشي كنا نُحَدِّث أنه لا يزال يرى على قبره نور[١].

وقد روى الحافظُ أبو عبد الله الحاكم في مستدركه: أنبأنا أبو العباس السيَّاري بمرو، حدثنا عبد الله بن علي الغزال، حدثنا علي بن الحسن بن شقيق، حدثنا ابن المبارك، أنبأنا مصعب بن ثابت، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه قال: نزل بالنجاشي عَدُوّ من

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في النور يرى عند قبر الشهيد.

أرضهم، فجاءه المهاجرون فقالوا: نحب أن نَخْرُجَ إليهم حتى نقاتل معك، وترى جرأتنا، ونجزيك بما صنعت بنا. فقال: لا دواء بنصرة الله ﷻ خَيْر من دواء بنصرة الناس. قال: وفيه نزلت: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية، ثم قال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وقال أبو داود: حدثنا محمد بن عَمْرو الرازي، حدثنا سلمة بن الفضل، عن محمد بن إسحاق، حدثني يزيد بن رومان، عن عروة، عن عائشة ﵂، قالت: لما مات النجاشي كنا نُحَدِّث أنه لا يزال يرى على قبره نور.

وقال ابن أبي نَجِيح، عن مجاهد: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: مسلمة أهل الكتاب.

وقال عَباد بن منصور: سألت الحسن البصري عن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ الآية. قال: هم أهل الكتاب الذين كانوا قبل محمد ﷺ، فاتَّبعوه وعرفوا الإسلام، فأعطاهم الله تعالى أجر اثنين للذي كانوا عليه من الإيمان قبل محمد ﷺ وبالذي اتبعوا محمدًا ﷺ. رواهما ابن أبي حاتم.

وقد ثبت في الصَّحيحين، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ وَصَدَّقَهُ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَاهَا فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ»**(١).

(١) متفق عليه. أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته برقم (٩٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبيّنا محمد ﷺ برقم (١٥٤).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا فضل الله، يعطى أجرين على إيمانه بما سبق، بإيمانه بموسى وعيسى ويعطى أجرًا ثانيًا على إيمانه بمحمد عليه الصلاة والسلام، وفضَّلهم الله على أمة محمد ﷺ يعطون أجرهم مرتين، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨] فيضاعف لهذه الأمة الأجر ويجزيها على أعمالها الطيبة بأجور عظيمة مضاعفة، فهو فضله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعطيه من يشاء.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًاۗ﴾؛ أي: لا يكتمون ما بأيديهم من العلم، كما فعله الطائفة المرذولة منهم بل يبذلون ذلك مجانًا؛ ولهذا قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

اللَّهُمَّ اغفر. الله أكبر... الله أكبر. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال مجاهد: ﴿سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾، يعني: سريع الإحصاء. رواه ابن أبي حاتم وغيره.

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: أُمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم، وهو الإسلام، فلا يدعوه لسرّاء ولا لضرّاءَ ولا لشِدَّة ولا لرَخَاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم. وكذلك قال غير واحد من علماء السلف.

وأما المرابطة فهي المداومة في مكان العبادة والثبات. وقيل:

انتظار الصلاة بعد الصلاة، قاله مجاهد وابن عباس وسهل بن حُنَيف، ومحمد بن كعب القُرَظي، وغيرهم.

وروى ابن أبي حاتم هاهنا الحديث الذي رواه مسلم والنسائي، من حديث مالك بن أنس، عن العلاء بن عبد الرحمٰن بن يعقوب، مولى الحُرَقَة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»(١).

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللهُ:

وهذه الآية فيها الحث والتحريض على الصبر على طاعة الله، والمصابرة لأعداء الله، والمرابطة في الحق والثبات في الحق، يشمل ذلك انتظار الصلاة بعد الصلاة، ويشمل ذلك الثبات في الحق، والبقاء لعبادة الله وطاعته، يشمل ذلك المرابطة في الجهاد ولزوم الثغور، كله داخل في الرباط. ولهذا قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾، فالمعنى: اصبروا على دينكم واثبتوا عليه، فأدوا ما أوجب الله، وابتعدوا عما حرم الله وصابروا من المصابرة، وهي: مصابرة الأعداء، يعني: الصبر على كفاحهم وجهادهم؛ حتى تكون أنت أصبر منهم وأغلب، فهم أعداء دينك الذين كتموه وأخفوه، والذين عادوه وأظهروا عداوته، يجب أن يصابروا حتى لا يضروا دينك وحتى لا يضروك، وحتى لا يضروا المسلمين.

﴿وَرَابِطُواْ﴾ المعنى: اثبتوا على الحق والزموه، ومن ذلك الثبات في طاعة الله وترك المعاصي، والثبات في طلب العلم، الثبات في الدعوة إلى الله، الثبات في انتظار الصلوات والمسارعة إليها، وألا يمل

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء برقم (٢٥١).

ولا يضعف؛ بل لا يزال أبدًا يحافظ على الصلوات، وينتظر الصلاة بعد الصلاة كلما صلى فهو على باله الصلاة الأخرى لا ينساها ولا يعرض عنها؛ بل هي على باله حتى يؤديها، وهكذا في جميع الأيام والليالي والسنين والأعوام حتى يلقى ربه. ومن ذلك المرابطة في الجهاد ولزوم الثغور التي على الحدود حتى لا ينفذ منها الأعداء، فهذه الأعمال العظيمة يأمر الله بها عباده لما فيها من الخير العظيم، لما فيها من الثبات على الحق، لما فيها من جهاد النفس، لما فيها من جهاد الأعداء، لما فيها من الثبات على الحق والمرابطة عليه، نعم، الله المستعان.

ولهذا جاء في الحديث هذا يقول ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»[١]. **فإسباغ الوضوء على المكاره** في أيام الشتاء وأيام البرد على معنى في؛ ولهذا في اللفظ الآخر: «**إسباغ الوضوء في السبرات**»، يعني: في البرد؛ لأن الماء مكروه للنفوس في أيام الشتاء والبرد، ولكن المؤمن يعتني به ويسبغ وضوءه، ولو كان في الشتاء، ولو كان في الماء البارد الذي لا يضره. وأما ما يضر فينبغي تسخينه وينبغي أن يلاحظ حتى لا يضر نفسه، فإذا كان ماءً محتملًا فعله وإلا سخنه حتى لا يضره ذلك، فالمقصود السبرات يعني: أوقات البراد، لا يحملك الخوف من البرد أن تضيع وضوءك أو غسلك من الجنابة؛ بل افعل ما أوجب الله عليك، وإن كان في أيام الشتاء كما تفعله في أيام الصيف.

كثرة الخطى إلى المساجد: قد يضعف بعض الناس عن ذلك ولا سيما إذا بعُد عليه المسجد، والرسول ﷺ يحرض على الصبر

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره برقم (٢٥١).

والمصابرة والمرابطة، وأن تلزم الذهاب إلى المساجد وتستقيم على ذلك، فكل خطوة ينفعك الله بها، كل خطوة فيها خير عظيم لك. ولهذا شرع المقاربة بين الخطى عند الذهاب للمسجد لأجل كثرة الخطى، فيرفع الله بها الدرجات ويمحو بها الخطايا ويكتب بها الحسنات.

ثم ذكر الثالثة **وهي انتظار الصلاة بعد الصلاة**: ما هو معناها الجلوس في المسجد حتى يعطل أعماله، لا، المراد: انتظارها بعد انتظارها يعني: كونه يجعلها على باله، كون المؤمن لا يغيب عنه أمر الصلاة ولا يضيِّعها ولا يشغل عنها؛ بل ينتظرها تارةً طورًا بعد طور، وتارةً بعد تارة، في جميع الأوقات فهو ينتظر الصلاة ويهتم بها ويعنى بها حتى لا يضيع عليه وقتها ولا عملها مع إخوانه. وإلا فهو مأمور بالعمل مأمور بطلب الرزق، مأمور بالأعمال التي يحتاجها في بيته، فليس المراد: أن يبقى في المسجد دائمًا حتى لا يعمل ولا يكسب ولا يقضي حاجة أهله لا، المراد انتظارها بأن تكون على باله وفي قلبه ولا يضيعها ولا يشغل عنها بشيء. بل كلما فرغ من صلاة فالصلاة الأخرى على باله حتى يؤديها.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال ابن مردويه: حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا موسى بن إسحاق، حدثنا أبو جُحَيْفة علي بن يزيد الكوفي، أنبأنا ابن أبي كريمة، عن محمد بن يزيد، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن قال: أقبل عليَّ أبو هريرة يومًا فقال: أتدري يا ابن أخي فيم نزلت هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾؟ قلت: لا. قال: أما إنه لم يكن في زمان النبي ﷺ غزو يرابطون فيه، ولكنها نزلت في قوم يعمرون المساجد، يصلون الصلاة في مواقيتها، ثم يذكرون الله فيها، فعليهم أنزلت: ﴿ٱصۡبِرُواْ﴾؛ أي: على الصلوات الخمس ﴿وَصَابِرُواْ﴾ على أنفسكم وهواكم ﴿وَرَابِطُواْ﴾ في مساجدكم ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ فيما عليكم ﴿لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۝٢٠٠﴾.

وهكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق سعيد بن منصور بن المبارك عن مصعب بن ثابت، عن داود بن صالح، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، بنحوه.

وقال ابن جرير: حدثني أبو السائب، حدثني ابن فضيل، عن عبد الله بن سعيد المقبري، عن جده، عن شرحبيل، عن علي ﵁، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟**». قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ**»، وقال ابن جرير أيضًا: حدثنا موسى بن سَهْل الرملي، حدثنا يحيى بن واضح، حدثنا محمد بن مُهاجر، حدثني يحيى بن يزيد، عن زيد بن أبي أُنَيْسَة، عن شُرَحْبيل، عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أدُلُّكم على ما يَمْحُو الله به الخطايا ويُكفِّر به الذنوب؟**» قلنا: بلى يا رسول الله. قال: «**إسباغ الوُضوء في أماكنها، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّباط**».

وقال ابن مَرْدُويه: حدثني محمد بن علي، أنبأنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي، أنبأنا محمد بن غالب الأنطاكي، أنبأنا عثمان بن عبد الرحمٰن، أنبأنا الوازع بن نافع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن، عن أبي أيوب ﵁، قال: وقف علينا رسول الله ﷺ فقال: «**هل لكم إلى ما يمحو الله به الذنوب ويعظم به الأجر؟**»، قلنا: نعم، يا رسول الله، وما هو؟ قال: «**إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة**».

قال: «**وهو قول الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠﴾، **فذلك هو الرباط في المساجد**» وهذا حديث غريب من هذا الوجه جدًّا.

وقال عبد الله بن المبارك، عن مُصْعَب بن ثابت بن عبد الله بن

الزُّبَيْر، حدثني داود بن صالح قال: قال لي أبو سلمة بن عبد الرحمٰن: يا ابن أخي، هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾؟ قال: قلت: لا. قال: إنه ـ يا ابن أخي ـ لم يكن في زمان النبي ﷺ غَزْو يُرَابَطُ فيه، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة. رواه ابن جرير، وقد تقدم سياقُ ابن مَرْدُويه، وأنه من كلام أبي هريرة، فالله أعلم.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا السند عن أبي هريرة في صحته نظر، فإن السورة مدنية، والجهاد قد شرع في المدينة، وجاهد الرسول ﷺ وجاهد أصحابه بأيام بدر وقبل بدر وبعد بدر، وهم مأمورون بالجهاد ومأمورون بالرباط ولكنه على أطوار. أما في مكة فلم يكن هناك جهاد إلا باللسان إلا بالدعوة إلى الله والتوجيه إلى الخير والإرشاد؛ لأنهم ليس لهم دولة وليس لهم قوة، فلما هاجروا استقر أمرهم بالمدينة، صارت لهم دولة وقوة فأمروا بالجهاد؛ وأذن لهم بالجهاد. وهذه سورة من السور المدنية وهي سورة آل عمران، نعم.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقيل: المراد بالمرابطة هاهنا مرابطة الغزو في نُحور العدو، وحفظ ثُغور الإسلام وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حَوْزَة بلاد المسلمين، وقد وردت الأخبار بالترغيب في ذلك، وذِكْر كثرة الثواب فيه، فرَوَى البخاري في صحيحه عن سَهْل بن سَعْد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا**»[1].

حديث آخر: روى مسلم، عن سَلمان الفارسي، عن رسوله الله ﷺ أنه قال: «**رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ**

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب رباط يوم في سبيل الله برقم (٢٨٩٢).

عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الْفَتَّانَ»[١].

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا ابن المبارك، عن حَيْوة بن شُرَيح، أخبرني أبو هانئ الخولاني، أن عمرو بن مالك الجَنْبي أخبره: أنه سمع فُضالة بن عُبيد يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ميّت يُخْتَمُ على عمله، إلا الذي مات مُرَابطًا في سبيل الله، فإنه يَنْمى له عملُه إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر**»[٢].

وهكذا رواه أبو داود، والترمذي من حديث أبي هانئ الخولاني. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن حبان في صحيحه أيضًا.

حديث آخر: وروى الإمام أحمد أيضًا عن يحيى بن إسحاق وحسن بن موسى وأبي سعيد وعبد الله بن يزيد قالوا: حدثنا ابن لَهِيعة، حدثنا مَشْرَح بن هاعان، سمعت عقبة بن عامر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ميّت يُخْتَم له على عمله، إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يجري عليه عمله حتى يُبْعَثَ ويأمن من الفَتَّان**»[٣].

وروى الحارث بن محمد بن أبي أسامة في مسنده، عن المقبري وهو عبد الله بن يزيد، به إلى قوله: «**حتى يبعث**» دون ذكر «**الفتان**»[٤].

وابن لَهِيعة إذا صرح بالتحديث فهو حَسَن، ولا سيما مع ما تقدم من الشواهد.

حديث آخر: قال أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه في سننه: حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا عبد الله بن وَهْب، أخبرني اللَّيْث،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرباط في سبيل الله برقم (١٩١٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٢٠).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٥٠ و١٥٧).

(٤) بغية الباحث بزوائد الحارث برقم (٦٢٧).

عن زُهرة بن مَعْبَد عن أبيه، عن أبي هُرَيرة، عن رسول الله ﷺ قال: **«من مات مُرَابطًا في سبيل الله، أجرى عليه عمله الصالح الذي كان يعمل وأجْري عليه رزقه، وأمن من الفتان، وبعثه الله يوم القيامة آمنًا من الفَزَع»**(١).

طريق أخرى: قال الإمام أحمد: حدثنا موسى، أنبأنا ابن لَهِيعة، عن موسى بن وَرْدان، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: **«من مات مُرَابطًا وقي فِتنة القبر، وأمن من الفَزَع الأكبر، وغَدَا عليه وريح برزقه من الجنة، وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة»**(٢).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن عيسى، حدثنا إسماعيل بن عيَّاش، عن محمد بن عمرو بن حَلْحَلَة الدؤلي، عن إسحاق بن عبد الله، عن أم الدَّرْداء ترفع الحديث قالت: **«مَنْ رَابَطَ فِي شَيْءٍ مِنْ سَوَاحِلِ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ أَجْزَأَتْ عَنْهُ رِبَاطَ سَنَةٍ»**(٣).

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا كَهْمَس، حدثنا مُصْعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال: قال عثمان رضي الله عنه ـ وهو يخطب على منبره ـ: إني مُحدِّثكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يمنعني أن أحدثكم به إلا الضّن بكم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«حَرْسُ ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويُصَام نهارها»**(٤).

وهكذا رواه أحمد أيضًا عن رَوْح عن كهمس عن مصعب بن

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل الرباط في سبيل الله برقم (٢٢٣٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٢/ ٤٠٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٦/ ٣٦٢).

(٤) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٦١، ٦٤).

ثابت، عن عثمان. وقد رواه ابن ماجه عن هشام بن عمَّار، عن عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن مُصْعب بن ثابت، عن عبد الله بن الزبير قال: خطب عثمان بن عفان الناس فقال: يأيها الناس، إني سمعت حديثًا من رسول الله ﷺ لم يمنعني أن أحدثكم به إلا الضّنّ بكم وبصحابتكم، فَليخْتَرْ مُخْتَار لنفسه أو ليَدَعْ. سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من رَابطَ لَيْلة في سَبِيل الله كانت كألْفِ ليلة صِيامها وقِيامها**»(١).

طريق أخرى: عن عثمان رضي الله عنه قال الترمذي: حدثنا الحسن بن علي الخلال، حدثنا هشام بن عبد الملك، حدثنا الليث بن سعد، حدثنا أبو عَقِيل زهْرَة بن مَعْبد، عن أبي صالح مولى عثمان بن عفان قال: سمعت عثمان ـ وهو على المنبر ـ يقول: إني كَتَمْتُكُمْ حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ كَرَاهية تفرقكم عني، ثم بدا لي أن أحدثكُمُوه، ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباطُ يوم في سَبِيل الله خَير من ألف يوم فيما سِوَاه من المنازل**».

ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، قال محمد ـ يعني: البخاري ـ: أبو صالح مولى عثمان اسمه بُرْكان وذكر غير الترمذي أن اسمه الحارث، فالله أعلم، وهكذا رواه الإمام أحمد من حديث الليث بن سعد وعبد الله بن لَهِيعة وعنده زيادة في آخره فقال ـ يعني: عثمان ـ: فليرابط امرؤ كيف شاء، هل بلغت؟ قالوا: نعم. قال: اللَّهُمَّ اشهد.

حديث آخر: قال أبو عيسى الترمذي: حدثنا ابن أبي عمر، حدثنا سفيان، حدثنا محمد بن المُنْكَدر قال: مر سَلْمان الفارسي بشُرَحْبِيل بن السِّمْط، وهو في مُرَابَط له، وقد شَق عليه وعلى أصحابه فقال: أفلا أحدثك ـ يا ابن السِّمط ـ بحديث سمعتُه من رسول الله ﷺ؟ قال: بلى. قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**رِبَاط يوم في سبيل الله أفضل** ـ أو قال: **خير** ـ

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل الرباط في سبيل الله برقم (٢٧٦٦).

من صيام شهر وقيامه، ومن مات فيه وُقي فِتْنَة القبر، ونَمَا له عمله إلى يوم القيامة»(١) . تفرد به الترمذي من هذا الوجه، وقال: هذا حديث حسن. وفي بعض النسخ زيادة: وليس إسناده بمتصل، وابن المنكدر لم يدرك سلمان.

(قلت): الظاهر أن محمد بن المنكدر سمعه من شرحبيل بن السِّمط، وقد رواه مسلم والنسائي من حديث مكحول وأبي عُبيدة بنُ عقبة، كلاهما عن شرحبيل بن السِّمط ـ وله صحبة ـ عن سلمان الفارسي عن النبي ﷺ أنه قال: **«رِباطُ يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجرِي عليه رزقُه، وأمن الفَتَّان»** وقد تقدم سياق مسلم بمفرده.

حديث آخر: قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن إسماعيل بن سَمُرة، حدثنا محمد بن يَعْلى السُّلَمي، حدثنا عُمَر بن صُبَيْح، عن عبد الرحمٰن بن عَمْرو، عن مكحول، عن أُبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«لرِبَاط يوم في سبيل الله، من وراء عَوْرَة المسلمين مُحْتَسبًا، من غير شهر رمضان، أعظمُ أجرًا من عبادة مائة سنة، صيامها وقيامها. ورباطُ يوم في سبيل الله، من وراء عورة المسلمين محتسبًا، من شهر رمضان، أفضل عند الله وأعظم أجرًا** ـ أراه قال ـ: **من عبادة ألف سنة صيامها، وقيامها فإن رده الله تعالى إلى أهله سالمًا، لم تكتب عليه سيئة ألف سنة، وتكتب له الحسنات، ويُجْرَى له أجر الرباط إلى يوم القيامة»**.

هذا حديث غريب؛ بل منكر من هذا الوجه، وعُمَر بن صُبَيْح مُتَّهم.

حديث آخر: قال ابن ماجه: حَدثنا عيسى بن يونس الرمْلي، حدثنا محمد بن شُعيب بن شابور، عن سعيد بن خالد بن أبي طويل، سمعتُ

---

(١) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل المرابط برقم (١٦٦٥)، والإمام أحمد (١/ ٦٢).

أنس بن مالك يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**حَرْسُ ليلة في سبيل الله أفضل من صيام رَجُل وقيامه في أهله ألف سنة: السنة ثلاثمائة وستون يومًا، واليوم كألف سنة**»(١).

وهذا حديث غريب وسعيد بن خالد هذا ضَعَّفَه أبو زُرْعَة وغير واحد من الأئمة، وقال العقيلي: لا يتابع على حديثه. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. وقال الحاكم: روى عن أنس أحاديث موضوعة.

حديث آخر: قال ابن ماجه: حدثنا محمد بن الصَّبَّاح، أنبأنا عبد العزيز بن محمد، عن صالح بن مُحَمَّد بن زائدَةَ، عن عُمَرَ بن عبد العزيز، عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: «**رحم الله حارس الحرس**»(٢).

فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وعقبة بن عامر، فإنه لم يدركه، والله أعلم.

حديث آخر: قال أبو داود: حدثنا أبو تَوْبَةَ، حدثنا معاوية ـ يعني: ابن سلام ـ عن زيد ـ يعني: ابن سلام ـ أنه سمع أبا سلام قال: حدثني السلولي: أنه حدثه سهل ابن الحنظلية أنهم ساروا مع رسول الله ﷺ يوم حُنين، فأطنبوا السير حتى كانت عَشِيّة، فحضرت الصلاة مع رسول الله ﷺ، فجاء رجل فارس فقال: يا رسول الله، إني انطلقت بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا، فإذا أنا بهُوازن على بَكْرَة أبيهم بظُعنهم ونَعَمِهم وشَائِهم اجتمعوا إلى حنين، فتبسم النبي ﷺ وقال: «**تلك غَنِيمَة المسلمين غدًا إن شاء الله تعالى**». ثم قال: «**من يحرسنا الليلة؟**»،

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل الحرس والتكبير في سبيل الله برقم (٢٧٧٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الجهاد، باب فضل الحرس والتكبير في سبيل الله برقم (٢٧٦٩).

قال أنس بن أبي مرثد: أنا يا رسول الله. فقال: «**فاركب**» فركب فرسًا له، فجاء إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: «**اسْتَقْبِل هذا الشِّعْب حتى تكون في أعلاه ولا يَغرَّن من قِبَلِك الليلة**»، فلما أصبحنا خرَج رسول الله ﷺ إلى مُصَلاه فركع ركعتين ثم قال: «**هل أحسستم فارسكم؟**»، قال رجل: يا رسول الله، ما أحسسناه، فثُوِّب بالصلاة، فجعل النبي ﷺ، وهو يصلي يلتفت إلى الشعب، حتى إذا قضى صلاته قال: «**أبْشِرُوا فقد جاءكم فارسكم**»، فجعلنا ننظر إلى خِلال الشجر في الشعب، فإذا هو قد جاء، حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال: إني انطلقت حتى كنت في أعلى هذا الشعب حيث رسول الله ﷺ، فلما أصبحت طلعت الشعبين كليهما، فنظرت فلم أر أحدًا، فقال له رسول الله ﷺ: «**هل نزلت الليلة؟**»، قال: لا إلا مصليًا أو قاضيًا حاجة، فقال له: «**أوْجَبْتَ، فلا عليك ألا تعمل بعدها**».

ورواه النسائي عن محمد بن يحيى بن محمد بن كثير الحراني، عن أبي توبة وهو الربيع بن نافع به.

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا زيد بن الحُبَاب: حدثنا عبد الرحمٰن بن شُرَيح، سمعت محمد بن شُمَير الرُّعَيْني يقول: سمعت أبا عامر التَّجِيبي. قال الإمام أحمد: وقال غير زيد: أبا علي الجَنْبِي يقول: سمعت أبا ريحانة يقول: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوة، فأتينا ذات ليلة إلى شَرَف فَبِتْنَا عليه، فأصابنا برد شديد، حتى رأيتُ مَنْ يحفر في الأرض حفرة، يدخل فيها ويُلقي عليه الجَحْفَة ـ يَعني: التِّرس ـ فلما رأى ذلك رسول الله ﷺ مِن الناس نادى: «**من يَحْرُسُنا في هذه الليلة فأدعو له بدعاء يكون له فيه فضل؟**»[1]، فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فقال: «**ادْنُ**» فدنا، فقال: «**من أنت؟**» فتسمَّى له

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٤).

الأنصاري، ففتح رسول الله ﷺ بالدعاء، فأكثر منه. فقال أبو ريحانة: فلما سمعت ما دعا به رسول الله ﷺ قلت: أنا رجل آخر. فقال: «**ادن**». فدنوت. فقال: «**من أنت؟**» قال: فقلت: أنا أبو ريحانة. فدعا بدعاء هو دون ما دعا للأنصاري، ثم قال: «**حُرِّمَت النار على عَيْنٍ دَمِعَت أو بَكَتْ من خَشْيَةِ الله، وحُرِّمت النار على عين سَهِرَتْ في سَبِيل الله**»[١].

وروى النسائي منه: «**حُرِّمت النار...**» إلى آخره عن عِصْمَة بن الفضل، عن زيد بن الحباب به، وعن الحارث بن مسكين، عن ابن وَهْب، عن عبد الرحمٰن بن شُرَيح، به، وأتم، وقال في الروايتين: عن أبي علي الجنبي.

حديث آخر: قال الترمذي: حدثنا نصر بن علي الجَهْضَمِيّ، حدثنا بِشْر بن عُمَر، حدثنا شعيب بن رزَيق أبو شَيْبة، حدثنا عطَاء الخراساني، عن عطاء بن أبي رَبَاح، عن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللهِ**»[٢]. ثم قال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شُعَيب بن رُزَيق قال: وفي الباب عن عثمان وأبي ريحانة (قلت): وقد تقدما، ولله الحمد.

قال سماحة الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا يدل على فضل الحراسة في سبيل الله والبكاء من خشية الله ﷻ، وأن هذا من أسباب السلامة من النار، ومن أسباب الفوز بالجنة، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم**

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٤).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله برقم (١٦٣٩).

لا ظل إلا ظله، وذكر منهم: **رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه**». فالبكاء من خشية الله، والبكاء رجاء ما عند الله ﷻ وحذر عقابه، والسهر في سبيل الله له فضله العظيم. نعم. الله المستعان.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

حديث آخر: قال الإمام أحمد: حدثنا يحيى بن غَيْلان، حدثنا رِشْدين، عن زَبّان عن سهل بن معاذ عن أبيه معاذ بن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ حَرَسَ مِنْ وَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مُتَطَوِّعًا لَا يَأْخُذُهُ سُلْطَانٌ لَمْ يَرَ النَّارَ بِعَيْنَيْهِ إِلَّا تَحِلَّةَ الْقَسَمِ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾** [مريم: ٧١]»[1]. تفرد به أحمد رحمه الله تعالى.

حديث آخر: روى البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ وَعَبْدُ الْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا انْتَقَشَ، طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ كَانَ فِي الْحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ، إِنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ لَهُ، وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ**»[2]، فهذا ما تَيَسَّر إيراده من الأحاديث المتعلِّقة بهذا المقام، ولله الحمدُ على جزيل الإنعام، على تعاقب الأعوام والأيام.

وقال ابن جرير: حدثني المُثَنَّى، حدثنا مُطَرِّف بن عبد الله المدني، حدثنا مالك، عن زيد بن أسلم قال: كتب أبو عبيدة رضي الله عنه، إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يذكر له جموعًا من الروم وما يتخوف منهم، فكتب إليه عمر: أما بعد؛ فإنه مهما يَنزلْ بعبد مؤمن من مَنزلة شدة يجعل الله بعدها

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ٤٣٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الحراسة في الغزو برقم (٢٨٨٧).

فرجًا، وإنه لن يغلب عُسْر يسرين، وإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾.

وهكذا روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة عبد الله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي سكينة قال: أملى علي عبد الله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس، وودَّعته للخروج، وأنشدها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة، وفي رواية: سنة سبع وسبعين ومائة:

يا عابدَ الحرمَين لَوْ أبْصَرْتَنا ... لَعَلمْتَ أنكَ في العبادِة تلعبُ
من كان يخضب خدَّه بدموعِه ... فَنُحورنا بدمائنا تَتَخضَّب
أو كان يُتْعِبُ خَيْلَه في باطلٍ ... فخُيولنا يومَ الصبِيحة تَتْعبُ
ريحُ العبيرِ لكم ونحنُ عبيرُنَا ... وَهجُ السنابِك والغبارُ الأطيبُ
ولَقَد أتانا من مَقَالِ نبيّنا ... قول صَحيح صادق لا يَكْذبُ
لا يستوي وَغُبَارَ خيلِ اللّه في ... أنف امرئ ودخانَ نار تَلْهَبُ
هذا كتاب اللّه يَنْطق بيننا ... ليس الشهيدُ بمَيِّت لا يَكْذبُ

قال: فلقيت الفُضيل بن عياض بكتابه في المسجد الحرام، فلما قرأه ذَرِفَتْ عَيْنَاهُ وقال: صَدَق أبو عبد الرحمٰن، ونصحني، ثم قال: أنت ممن يكتب الحديث؟ قال: قلت: نعم، قال: فاكتب هذا الحديث كرَاءَ حملك كتاب أبي عبد الرحمٰن إلينا. وأملى عَلَيّ الفُضيل بن عياض: حدثنا منصور بن المعتمر، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رجلًا قال: يا رسول الله عَلِّمني عملًا أنال به ثواب المجاهدين في سبيل الله فقال: «**هل تستطيع أن تُصَلِّي فلا تَفْتُر وتصومَ فلا تُفْطِر؟**»، فقال: يا رسول الله، أنا أضْعَفُ من أن أستطيع ذلك، ثم قال النبي ﷺ: «**فوالَّذي نَفْسِي بِيَدِه لو طُوِّقْتَ ذلك ما بلغتَ المجاهدين في سبيل الله، أو ما عَلمتَ أن الفرس المجاهد ليَسْتَنُّ في طِوَله فيكتب له**

بذلك الحسنات»[١].

وقوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾؛ أي: في جميع أموركم وأحوالكم، كما قال النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن: «**اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**»[٢].

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾؛ أي: في الدنيا والآخرة.

وقال ابن جرير: حدثني يونس، أنبأنا ابن وهب أنبأنا أبو صخر، عن محمد بن كعب القُرَظي: أنه كان يقول في قول الله ﷻ: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾: واتقوا الله فيما بيني وبينكم، لعلكم تفلحون غدًا إذا لقيتموني.

آخر تفسير سورة آل عمران، ولله الحمد والمنة، نسأله الموت على الكتاب والسُّنَّة.

*

□ **تفسير قوله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾ **[آل عمران: ٢٠٠]**[٣].

هذه الآية تتعلَّق بالصبر، والصبر من أفضل القربات ومن أهم الواجبات وهو ثلاثة أقسام: صبر على طاعة الله، وصبر عن معاصي الله، وصبر على المصائب المؤلمة من الأمراض وغيرها.

والواجب على المؤمن أن يقوم بهذه الأنواع كلها، أن يصبر على

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب فضل الجهاد والسير برقم (٢٧٨٥).
(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في معاشرة النساء برقم (١٩٨٧) وحسنه.
(٣) انظر: شرح سماحته رحمه الله لكتاب رياض الصالحين (١/ ٨٦).

طاعة الله التي أوجب الله عليه حتى يؤدي من صلاة، وصوم، وزكاة، وحج، وجهاد، وغير ذلك، وهكذا يجب عليه الصبر عن محارم الله، والكف عنها والحذر منها من سائر المعاصي، يجب الصبر عن ذلك، فيكف نفسه ويجاهدها عن الإقدام على ما حرم الله، من سائر المعاصي؛ كالتساهل في الصلاة في الجماعة، والتخلف عنها، وكالبخل بالزكاة، وكعقوق الوالدين، والزنى، والسرقة، والغيبة، والنميمة، وغيرها من المعاصي، يجب الكف عن ذلك، ويجب الصبر عن ذلك، ويجاهد نفسه، حتى لا يقدم على معصية، وحتى لا يدع واجبًا.

وهكذا عند المصائب إذا أصابه ما يكره من مرض أو موت قريب، أو غير ذلك مما يكره، عليه أن يصبر، فلا يجزع ولا يقول إلا خيرًا، يقول ﷻ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧]، يقول النبي ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ اللهُ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا**»(١).

وهكذا يقول ﷻ: ﴿وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]؛ يعني: اصبروا على طاعة الله وعلى ترك محارم الله، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [الزمر: ١٠]؛ يعني: أجرًا كاملًا، ويقول ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾، ويقول ﷻ: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ﴾ لنبلونكم بالسراء والضراء والشدة والرخاء ﴿حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾ [محمد: ٣١]،

---

(١) أخرجه من حديث أم سلمة في كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المصيبة برقم (٩١٨)، والإمام أحمد (٦/ ٣٠٩).

ويقول لنبيِّه ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]، ويقول ﷻ لنبيِّه أيضًا: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ويقول له ﷻ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

فلا بد من الصبر على طاعة الله، ولا بد من الصبر عن معاصي الله، ولا بد من الصبر على المصائب المؤلمة، من مرض وغيره مما يؤذي العبد.

ويقول ﷺ في حديث الحارث الأشعري: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمان**»[1] الطهور التطهر؛ يعني: الغسل والوضوء شَطْرُ الإِيمان؛ لأن الطهارة طهارتان: طهارة من الأحداث وطهارة من الرذائل والمعاصي، فالطهارة من المعاصي بالتوبة وأداء الواجبات، هذا شطر والشطر الثاني التطهر من الأحداث بالغسل والوضوء هذا الشطر الظاهر المعنوي.



(١) أخرجه مسلم من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء برقم (٢٢٣).

فهرس الأحاديث والآثار

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
ـ تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ	٥٥٢
ـ ثلاثة أقسم عليهن ما نقصت	٣٧٨
ـ ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ	١٦٨
ـ ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ	١٧١
ـ ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ	٦٢٠
ـ ثُمَّ خَرَجَ فَصَلَّى الصُّبْحَ	٥٦٩، ٥٩٩، ٦٠٢
ـ جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ	٤٣٩
ـ حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ	٥٤
ـ الْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ	٢٣٨
ـ الْحَجِّ مَرَّةً	٢٣٧
ـ حَرْسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ	٦٢٨
ـ حَرْسُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ	٦٣١
ـ حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ	٦٣٣
ـ الحمد لله الذي أخرجه بي من النار	٧٠
ـ خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ	٢٨٦
ـ خَيْرَ النَّاسِ لِلنَّاسِ	٢٨٠
ـ خَيْرُ مَالِ الْمَرْءِ لَهُ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ	٥٧
ـ خير نساء العالمين أربع	١٠٩
ـ خَيْرُ نِسَاءٍ رَكِبْنَ الإِبِلَ	١٠٩
ـ خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ	١٠٩
ـ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَجَنَّةُ الْكَافِرِ	٦٠
ـ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ	٥٤
ـ ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ فَإِنَّمَا	٢٣٠
ـ ذَلِكَ مَالٌ رَايِحٌ	٢١١
ـ رِبَاطِ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ	٦٢٦
ـ رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ	٦٢٩

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
ـ فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ	٣٠١
ـ فَضَّلَنِي رَبِّي عَلَى الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ	٤١٩
ـ فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ	٢٦٨
ـ فَنَزَلَتْ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	١٨١
ـ فَنَزَلَتْ ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ﴾	٥٦١
ـ فَهَلَّا جَلَسْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ	٤٦٦
ـ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ	٢٠
ـ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ	٦٣٥
ـ قال أبو بكر وعمر	٤٥٥
ـ قال لا تكرموهم إذ أهانهم الله	٣٣١
ـ قَالَهَا إِبْرَاهِيمُ عليه السلام	٥٠٨
ـ قَدِ اسْتَزَدْتُهُ فَأَعْطَانِي مَعَ	٢٩٢
ـ قَدِ اسْتَزَدْتُهُ فَأَعْطَانِي هَكَذَا	٢٩٣
ـ القنطار اثنا عشرة ألف أوقية كل أوقية	٥٥
ـ الْقِنْطَارُ أَلْفُ أُوقِيَّةٍ وَمِائَتَا أُوقِيَّةٍ	٥٥
ـ قُولُوا اللهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ	٤٢٦
ـ قُولُوا اللهُ مَوْلَانَا	٤٢٥
ـ قُولُوا اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَى لَكُمْ	٤٢٦
ـ القوم بين الألف والتسعمائة	٥١
ـ كَانَ آخِرَ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ حِينَ	٥٠٨
ـ كَانَ إِذَا أَوْتَرَ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ	٦١٥
ـ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ	٥٨٦
ـ الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ	٧٧
ـ كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ	٢٦٤
ـ كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى	١٨٩
ـ كُلُّ حَرْفٍ فِي الْقُرْآنِ يُذْكَرُ	١١١

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
ـ كُلُّ غُلَامٍ رَهِينٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ	٩٥
ـ كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى	٦٢٧
ـ كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ	١١٠
ـ كُنْتُ فِيمَنْ تَغَشَّاهُ النُّعَاسُ يَوْمَ أُحُدٍ	٤٤٠
ـ كَيْفَ أَنْتُمْ وَرُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ	٣٠٧
ـ كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ	٥٠٣
ـ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ	٣٥٨
ـ كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ فَعَلُوا هَذَا بِنَبِيِّهِمْ	٣٥٩
ـ لا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي إِلا ثَلاثَ خِلالٍ	٣٤
ـ لا ألفين أحدكم	٤٦٨
ـ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ	٦٠٠
ـ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ	٤٠
ـ لَا تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا	٣٣٦، ٤٢٥
ـ لَا تَبِيعُوا الذَّهَبَ بِالذَّهَبِ	٣٩٠
ـ لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ	١٩٥
ـ لَا تَقْرَأُ الْحَائِضُ وَلَا الْجُنُبُ	٥٨٧
ـ لَا سَوَاءَ أَمَّا قَتْلَانَا فَأَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ	٤٢٥
ـ لَا هِجْرَةَ وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ	٢٢٨
ـ لَا وِتْرَانِ فِي لَيْلَةٍ	٦١٥
ـ لَا وَلَكِنِ الصُّرَعَةُ الَّذِي يَمْلِكُ	٣٧١
ـ لَا وَلَكِنَّ هَذَا قَبْرُ فُلَانٍ بَعَثْتُهُ	٤٦٩
ـ لَا يَأْتِي رَجُلٌ مَوْلَاهُ فَيَسْأَلُهُ	٥١٨
ـ لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ	٢٥١
ـ لا يَحْجُبُهُ وَرُبَّمَا قَالَ لا يَحْجُزُهُ	٥٨٨
ـ لا يحل لأحد إن يحمل السلاح	٢٢٩
ـ لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعٌ	٥١٨

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة
ـ لَوِ اجْتَمَعْتُمَا فِي مَشُورَةٍ	٤٥٥
ـ لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّوم قُطِرَتْ	٢٥٠
ـ لَوْ أَنَّكُمْ تَكُونُونَ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي كُنْتُمْ	٣٨٠
ـ لَوْ قُلْتَ بِسْمِ اللهِ لَرَفَعَتْكَ الْمَلَائِكَةُ	٤٣٢
ـ لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ	٢٩٣
ـ لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ	٣٦٩
ـ لَيْسَ الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ	٢٨٢
ـ لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِهَذَا الطَّوَّافِ	٣٧٠
ـ لَيْسَ بِفَظٍّ وَلَا غَلِيظٍ	٤٥٣
ـ ليظهرن الإسلام حتى يرد الكفر	٤٨
ـ مَا أُحِبُّ أَنَّ أُحُدًا لِي ذَهَبًا	٣٩٩
ـ مَا أَسْفَلَ مِنَ الْكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ	١٦٩
ـ مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ	٣٢٢
ـ مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ	٥٤
ـ مَا تَعُدُّون فِيكُمُ الرَّقُوبَ	٣٧١
ـ ما تكلم مولود في صغره إلا عيسى وصاحب جريج	١١٣
ـ مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ	٥٣٧
ـ مَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا	٣٩٦
ـ ما كان لِنَبِيٍّ يَلْبَسُ لأْمَتَهُ	٣٣٦
ـ مَا مِنْ رَجُلٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا فَيَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ	٣٨١
ـ مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ	٦٣٧
ـ مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ	٤٤٩
ـ مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ	٩٧
ـ مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ يمسه	٩٦
ـ مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ	٢٧٠
ـ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَسَيُكَلِّمُهُ اللهُ	١٦٧

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة

طرف الحديث أو الأثر	الصفحة



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة